

أذربيجان إيران في العصر السلجوقي

(٤٢٠-٦٢٤هـ / ١٠٢٩-١٢٢٧م)

(دراسة في أحوالها السياسية والإدارية والعسكرية)

تأليف

الدكتور حسام الدين علي غالب النقشبدي

مشروع مشترك



السليمانية ٢٠١٢

٩٥٥,٠١٥

غ ٢٧٢ النقشبندی، حسام الدين علي غالب
أذربيجان إيران في العهد السلجوقي / تأليف حسام الدين علي غالب النقشبندی.
السليمانية: مؤسسة ژين، ٢٠١٢.
٣٤٨ ص: ١٧,٥ × ٢٥ سم، التسلسل "١٤٣".
أ- تاريخ أذربيجان- إيران.
ب- العنوان ج- جداول.

مشرف المطبوعات: صديق صالح

التسلسل: ١٤٣

الكتاب: أذربيجان إيران في العصر السلجوقي (٤٢٠-٦٢٤هـ/١٠٢٩-١٢٢٧م)

(دراسة في أحوالها السياسية والإدارية والعسكرية)

التأليف: الدكتور حسام الدين علي غالب النقشبندی

التصميم: لاس

التنضيد: سَهْد

الخط وتصميم الغلاف: أحمد سعيد

عدد المطبوع: ١٠٠٠

رقم الإيداع:

مكان الطبع:

الكتاب في الأصل أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي والموسومة بـ "أذربيجان ٤٢٠-٦٢٤هـ/١٠٢٩-١٢٢٧م - دراسة في أحوالها السياسية والحضارية" قَدِّمَتْ إلى كلية الآداب بجامعة بغداد، ونوقشت في بداية عام ١٩٨٥، وقُبِلَتْ بدرجة جيد جداً، وكانت بأشراف الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي، رئيس المجمع العلمي العراقي آنذاك.

جميع الحقوق محفوظة.

مؤسسة ژين

لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي

العراق: إقليم كردستان، السليمانية؛ الشارع ١١ بيره مگرون، محلة ١٠٧ براتان،

(عمارة ژين) بجانب (مسجد الشيخ فريد) الأرضي: ١-٣١٩٤٧٣٢

آسياسيل: ٠٧٧٠١٤٨٤٦٣٣ (أو ٠٧٧٠١٥٦٥٨٦٤، كورك ٠٧٥٠١١٢٨٣٠٩

العنوان: info@binkeyjin.com الموقع: www.binkeyjin.com

كلمة شكر

ارى لزماً عليّ ان أتوجه بالشكر والتقدير الى كل الذين أعانوني على تذليل الصعاب والاشكالات التي واجهتني أثناء كتابة الاطروحة وفي مقدّمهم استاذي الفاضل الدكتور صالح احمد العلي، على تفضله بقبول الاشراف على اطروحتي، وعلى ما أبداه من ملاحظات ثمينة وتوجيهات علمية رصينة، ومن متابعاته المستمرة، مما كان له الاثر الكبير في إعدادها بهذا الشكل، وكذلك اشكر الاستاذ الدكتور عوّاد الاعظمي والدكتور صلاح الدين امين طه، لما أبدياه من ملاحظات قيّمة أثناء مراجعتهم لفصول الاطروحة، واشكر ايضاً زميلي الدكتور محمد محمد نوري عارف، لما تجشّمه من عناء في ترجمته لبعض النصوص الفارسية، والاستاذ بيستون علي كريم، لما بذله من جهد في مراجعته اللغوية لنص الاطروحة، ولا بد لي ان اشكر موظفي المكتبات التي ترددت اليها اثناء فترة الاعداد، وخص منهم بالذكر موظفي مكتبة المتحف العراقي والمكتبة المركزية لجامعة بغداد، والمكتبة المركزية لجامعة صلاح الدين، كما واقدّم جزيل شكري للأخوين رفيق صالح و صديق صالح اداريي مؤسسة زين لحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي، لتكفلهما بطبع وادار هذه الاطروحة على عاتقهما .

المؤلف



المحتويات

الصفحة	الموضوع
٢٥ - ١٣	المقدمة: نطاق البحث وتحليل المصادر الأساسية
٩٦ - ٢٧	الباب الأول: الجغرافية والسكان
٦٤ - ٢٩	الفصل الأول: بلاد أذربيجان من الناحية الجغرافية
٣٣ - ٣٠	أذربيجان، أصل التسمية ومعناها وتطور الصيغ لنطقها
٣٤ - ٣٣	حدود أذربيجان
٣٦ - ٣٥	السطح: ١. الجبال والسهول
٣٩ - ٣٦	٢. الأنهار
٤٢ - ٣٩	التقسيمات الإدارية
٦٤ - ٤٣	أهم مدن ومعالم الأقليم
٤٦ - ٤٣	١. تبريز: الكورة والمدينة
٤٥ - ٤٣	أ. تبريز
٤٦ - ٤٥	ب. أجان
٤٦	ج. خسروشاه
٥٠ - ٤٧	٢. أربيل
٤٩ - ٤٧	أ. أربيل
٤٩	ب. خلخال
٥٠	٣. سراو (سراب)
٥٢ - ٥٠	٤. مراغه
٥١ - ٥٠	أ. مراغه
٥٢	ب. دهرقان
٥٣ - ٥٢	٥. ميانه (ميانج)
٥٤ - ٥٣	٦. خونج (خونا)
٥٥ - ٥٤	٧. مرند
٥٦ - ٥٥	٨. ورثان

٥٧-٥٦	٩. البِدَّ
٥٨-٥٧	١٠. موقان
٥٩-٥٨	١١. برزند
٦٠-٥٩	١٢. خوى
٦١-٦٠	١٣. سَلَماس
٦٤-٦١	١٤. أُرْمِيَة
٦٢-٦١	أ. أُرْمِيَة
٦٣-٦٢	ب. أَشْنَه
٦٤-٦٣	١٥. جابروان
٩٦-٦٥	الفصل الثاني: السكان
٦٩-٦٦	١. العرب وأماكن استقرارهم
٧٤-٦٩	الازد
٧٧-٧٥	طئ
٧٧	هُمدان
٧٨-٧٧	كندَه
٨٠-٧٨	عُتْبَه
٨٠	الاوْد
٨١-٨٠	تميم
٨٢-٨١	٢. الكُرد
٩٢-٨٢	القبائل الكُردية التي سكنت أذربيجان
٨٤-٨٢	الهذبانِيَّة
٨٧-٨٤	الروادية الهذبانِيَّة
٨٩-٨٧	الرزاريَّة
٩٠	الجلالية (الغَلالِيَّة)
٩٢-٩١	قبائل كُردية أخرى
٩٣-٩٢	٣. الديالمه
٩٥-٩٣	٤. الثُرْكمَان



٩٦-٩٥	٥. الارمن
	الباب الثاني: الاحوال السياسية في أذربيجان (٤٢٠-٦٥٤هـ/١٢٠٩-١٢٥٦م)
٢٨٤-٩٧	١٢٥٦م)
١٣٣-٩٩	الفصل الاول: الرواديون: (٣٣٧-٤٦٣هـ/٩٤٧-١٠٦٩م)
١٠٠	حكام الروادية
١٠٠	١. محمد بن الحسين الروادي
١٠٦-١٠٠	٢. ابو الهيجاء حسين بن محمد
١٠٧-١٠٦	٣. مملان (محمد) بن أبي الهيجاء حسين بن محمد
١٠٨-١٠٧	حملة مملان الاولى على أرمينيا
١١١-١٠٩	الحملة الثانية للامير مملان على أرمينيا
١١١	٤. ابو نصر حسين بن محمد (مملان)
١١٢-١١١	٥. ابو منصور وهسودان بن محمد الروادي
١١٦-١١٢	حملات الغز على أذربيجان
١١٧	توجه الدفعة الاولى من الغز الى أذربيجان
١٢٠-١١٨	توجه الدفعة الثانية من الغز الى أذربيجان
١٢١-١٢٠	توجه الدفعة الثالثة من الغز الى أذربيجان
١٢٢-١٢١	توجه الدفعة الرابعة من الغز الى أذربيجان
١٢٩-١٢٢	العلاقات الخارجية في عهد وهسودان
١٢٤-١٢٢	أ. علاقاته مع الروم
١٢٥-١٢٤	ب. علاقة الامير وهسودان مع بني شداد
١٢٦-١٢٥	زلزال تبريز
١٢٧	ج. علاقاته مع اصبهذ موغان
١٢٨-١٢٧	توجه طغرل بك الى أذربيجان
١٢٩-١٢٨	نهاية حكم وهسودان
١٣١-١٢٩	٦. ابو نصر مملان
١٣١	٧. ابو الهيجاء منوچهر
١٣٢-١٣١	٨. ابو القاسم عبدالله

١٣٣-١٣٢	ابو دلف، امير نقجوان
١٧٥-١٣٥	الفصل الثاني: الاحمديلية (٥٠١-٦٢٤هـ/١١٠٧-١٢٢٧م)
	احوال اذربيجان من دخول السلطان طغرل بك حتى نشوء الامارة
١٣٧-١٣٥	الاحمديلية (٤٤٦-٥٠١هـ)
١٣٧	توغل القبائل التركمانية في اذربيجان
١٣٨	أمراء الاحمديلية
١٤٢-١٣٨	١. الامير احمديل بن ابراهيم بن وهسودان الروادي الكردي
١٤٨-١٤٢	٢. آق سنقر الاحمديلي
١٤٨	حروب الملك داود مع السلطانين مسعود و طغرل
١٥١-١٤٩	مقتل الخليفة المسترشد بالله
١٥٣-١٥٢	٣. نصرة الدين ارسلان آبه خاصبك بن آقسنقر
١٥٤-١٥٣	مقتل الخليفة الراشد
١٥٥-١٥٤	الاتابك قره سنقر
١٥٦	زلزال گنجه
١٥٧-١٥٦	وفاة قره سنقر
١٥٨-١٥٧	جاولي الجاندار وعبدالرحمن طغايرك، يخلفان قره سنقر
١٦٣-١٥٩	عودة ابن آقسنقر
١٦٥-١٦٣	العلاقة بين آقسنقر الاحمديلي وبني ايلدگز
١٦٦-١٦٥	٤. فلك الدين بن آقسنقر
١٦٨-١٦٦	٥. علاءالدين گرپه ارسلان
١٧٠-١٦٨	العلاقة بين علاءالدين وبني ايلدگز
١٧٢-١٧٠	الشعراء وامراء الاحمديلية
١٧٥-١٧٢	آخر شجرة نسب الاحمديلية
٢٨٤-١٧٧	الفصل الثالث: الاتابكية الايلدگزيه (٥٣١-٦٢٢هـ/١١٣٦-١٢٢٥م)
١٧٨	حكام الاسرة: (١) الاتابك الاعظم: شمس الدين ايلدگز (٥٣١-٥٧١هـ)
١٧٩-١٧٨	١. نشأته
١٨١-١٧٩	ب. اسمه ولقبه وتعاضم شأنه

٢١٠-١٨١	العلاقات الخارجية في عهد ايلدگز
١٨٤-١٨١	١. علاقة ايلدگز بالسلطان مسعود
١٨٨-١٨٤	٢. علاقته مع السلطان محمد
١٩٠-١٨٨	ازدياد نفوذ ايلدگز بتولية ارسلان شاه الحكم
١٩٢-١٩٠	٣. العلاقة بين ايلدگز والخليفة العباسي
١٩٦-١٩٢	٤. علاقته مع اينانج - صاحب الري -
٢٠٠-١٩٦	٥. علاقته مع الكرج والاسماعيلية
٢٠١-٢٠٠	٦. علاقاته مع خوارزم شاه
٢٠١	٧. علاقته مع اتابك الموصل
٢٠٢-٢٠١	٨. علاقته مع ابن صاحب كرمان
٢٠٣-٢٠٢	٩. علاقته مع نورالدين محمود
٢٠٥-٢٠٤	ايلدگز والسلطان ارسلان
٢٠٦-٢٠٥	وفاة ايلدگز والسلطان ارسلان
٢١٠-٢٠٧	الشعراء وايلدگز والسلطان ارسلان
٢١١-٢١٠	٢. محمد جهان پهلوان بن ايلدگز: صراعه مع السلطان ارسلان شاه
٢١٢-٢١١	جهان پهلوان والسلطان طغرل الثاني
٢١٤-٢١٢	جهان پهلوان يثبت سلطة طغرل
٢١٥-٢١٤	القاب الجهان پهلوان ودلالاتها
٢٢١-٢١٥	العلاقات الخارجية في عهد جهان پهلوان
٢١٦-٢١٥	١. علاقاته مع آقسنقر الاحمديلي ومع صاحب خوزستان
	(عريستان)
٢١٧-٢١٦	٢. علاقاته مع الخليفة العباسي
٢٢١-٢١٧	٣. علاقاته مع السلطان صلاح الدين الايوبي
٢٢٣-٢٢١	وفاة الاتابك جهان پهلوان
٢٤٠-٢٢٣	٣. الاتابك مظفرالدين عثمان قزل ارسلان
٢٢٥-٢٢٣	كيفية توليه الاتابكية
٢٢٩-٢٢٦	الصراعات الداخلية في عهد قزل ارسلان

٢٢٦	١- الصراع بين قزل ارسلان واينانج خاتون
٢٢٨-٢٢٦	٢- الصراع بين الاتابك قزل ارسلان والسلطان طغرل الثاني
٢٢٩-٢٢٨	٣- السلطان طغرل ينكل بالممالك پهلوانية
٢٣٤-٢٢٩	العلاقات الخارجية في عهد قزل ارسلان
٢٣٠-٢٢٩	١. العلاقات بين الاتابك قزل ارسلان والسلطان صلاح الدين الايوبي
٢٣٤-٢٣٠	٢. علاقة الخليفة مع الاتابك قزل ارسلان والسلطان طغرل الثاني
٢٣٩-٢٣٤	احوال السلطان طغرل الثاني حتى مقتل قزل ارسلان
٢٤٠-٢٣٩	مقتل قزل ارسلان
٢٤٤-٢٤١	الصراعات الداخلية بعد مقتل قزل ارسلان
٢٤٢-٢٤١	١. قتلغ اينانج بن پهلوان وصراعه مع اخيه نصره الدين ابي بكر
٢٤٤-٢٤٢	٢. الصراع بين قتلغ اينانج والسلطان طغرل الثاني
٢٥٢-٢٤٤	العلاقات الخارجية في عهد امير اميران عمر و قتلغ اينانج
٢٤٦-٢٤٤	١. العلاقة بين الكرج وامير اميران عمر
٢٤٨-٢٤٦	٢. علاقات السلطان طغرل مع قتلغ اينانج والخوارزمية
٢٥٠-٢٤٨	مقتل السلطان طغرل الثاني ونهاية السلجوقية على يد الخوارزمية
٢٥٢-٢٥٠	٣. علاقة قتلغ اينانج مع الخليفة والخوارزمية
٢٥٣-٢٥٢	مقتل قتلغ اينانج
٢٥٥-٢٥٣	٤. الاتابك نصره الدين ابوبكر بن پهلوان وعلاقاته بأخيه الملك اوزبك
٢٥٦-٢٥٥	الصراع بين ابي بكر وگوگجه قائد جيش اوزبك
٢٥٧	مظفر الدين اوزبك وصراعه مع المملوك آيتغمش
٢٦٢-٢٥٧	العلاقات الخارجية في عهد الاتابك ابي بكر
٢٥٨-٢٥٧	١. العلاقة بين اوزبك والخلافة
٢٦٠-٢٥٨	٢. علاقة ابي بكر واوزبك مع الخوارزمية
٢٦٢-٢٦١	٣. علاقة ابي بكر مع الكرج
٢٦٢	٤. علاقته مع الاحمدية
٢٧٢-٢٦٢	العلاقات الخارجية في عهد الملك اوزبك
٢٦٤-٢٦٢	١. علاقته مع الخلافة والاسماعيلية

٢٦٧-٢٦٤	٢. علاقته مع الخوارزمية
٢٧٠-٢٦٨	٣. افعال التتر في اذربيجان وموقف اوزبك منهم
٢٧٠	٤. علاقته مع القفجاق
٢٧١-٢٧٠	٥. علاقته مع الكُرج
٢٧٢-٢٧١	٦. علاقته مع عمادالدين زنگي وغيره من الامراء
٢٧٣-٢٧٢	عودة التتر الى اذربيجان
٢٧٦-٢٧٣	خوارزم شاه منگبرنى ونهاية دولة بني ايلدگز على يديه
٢٧٨-٢٧٧	موقف المؤرخين من اوزبك
٢٨٠-٢٧٨	الخوارزمية في اذربيجان بعد وفاة اوزبك
٢٨١-٢٨٠	الملك خاموش بن اوزبك
٢٨٤-٢٨١	محاولات بقايا ممالك اتابكة ايلدگز لحياء دولتهم
٣٢١-٢٨٥	الباب الثالث: الناحية الحضارية
٣٠٩-٢٨٧	الفصل الاول: النظم الادارية
٢٨٩-٢٨٨	١. الامارة
٢٩٢-٢٨٩	٢. (أ) الاتابك
٢٩٦-٢٩٣	التغييرات الادارية في عهد الپهلوان
٢٩٧-٢٩٦	(ب) نائب الاتابك
٣٠١-٢٩٧	٣. الوزارة
٣٠٣-٣٠١	٤. الحجابة
٣٠٨-٣٠٣	الدواوين:
٣٠٤-٣٠٣	١. ديوان الاستيفاء
٣٠٧-٣٠٥	٢. ديوان الطغراء
٣٠٨-٣٠٧	٣. ديوان الرسائل والانشاء
٣٠٨	الوكيلدارية
٣٠٩-٣٠٨	الطشت دار
٣٠٩	الجاندار
٣١١	الفصل الثاني: النظم العسكرية

٣٢٠-٣١١	النظام العسكري
٣٢١-٣٢٠	الوظائف العسكرية
٣٤٢-٣٢٣	المصادر والمراجع
٣٤٧-٣٤٣	الملاحق: جداول بالاسر الحاكمة في اذربيجان
٣٥٠	ملخص الاطروحة بالانجليزية



المقدمة

نطاق البحث وتحليل المصادر الاساسية

نطاق البحث:

شهدت آذربيجان في مطلع القرن الخامس الهجري، ظهور موجة بشرية قادمة من شرق وجنوب شرق البلاد، على شكل قبائل تركمانية عُرفت بالغز السلجوقية، وهي عبارة عن قبائل رعوية بعيدة عن وسائل التحضر والمدنية ولكنها تمتاز بقوتها العسكرية، فأقامت -بعد ان استقرت في البلاد- اسراً حاكمية فيه عُرفت بالأتابكية، كان لها أثرها الواضح في إضعاف نفوذ السلاطين السلاجقة، لاسيما بعد إنتهاء عهد السلاطين العظام، وذلك بموت السلطان سُنجُر في سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، فأنتقلت السلطة والنفوذ الى هؤلاء الأتابكة الذين أصبحوا الحكام الفعليين في البلاد ولم يبق للسلطان السلجوقي سوى الاسم فقط، بل وأصبح السلاطين العوبة بيد هؤلاء الأتابكة ينصبونهم ويعزلونهم متى شاءوا، الى ان ساهموا مساهمة فعالة في القضاء على آخر سلطان سلجوقي، في أواخر القرن السادس الهجري، وإزالة حكم السلاجقة لآذربيجان وبلاد الجبال. ثم شهدت آذربيجان في الربع الاول من القرن السابع الهجري، ظهور موجة بشرية جديدة هم التتار المغول، الذين نشروا الرعب والموت والدمار في أنحاء الاقليم، وقضوا على أتابكية آذربيجان التي عرفت بـ(الايلاكية) سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م.

إن الدوافع التي جعلتنا ان نختار دراسة هذا الاقليم بالذات وفي الحقبة الزمنية المتأخرة (٤٢٠-٦٥٤هـ/١٠٢٩-١٢٥٦م) هي: عدم وجود دراسة أكاديمية متكاملة وافية عن هذا الاقليم وفي الحقبة المذكورة، لاسيما ان تأريخ الاقليم يكتنفه الغموض وقلة المعلومات، فيحتاج الى دراسة تميظ اللثام عن الكثير من أموره وتجلي الغامض من أحداثه. وكان الدكتور ضيابونياتوف السوفيتي، قد قام بدراسة الاقليم في القرون الهجرية الثلاثة الاولى ونال عليها درجة دكتوراه، لذلك لم نحبز فكرة دراسة آذربيجان في حقبة زمنية كان قد سبقني غيري في دراستها، ولكن كان قد ظهر في سنة ١٩٢٨م، كتاب احمد كسروي الموسوم: شهریان گمنام، اي (الحكام المنسيون) باللغة

الفارسية، بحث فيه تأريخ حكام آذربيجان منذ صدر الاسلام، حتى سقوط الامارة الشدادية في سنة ٥٩٥هـ، وتناول فيه أيضاً تأريخ حكام الامارتين: الروادية والاحمديلية - وهما موضوع دراستنا -، إلا أنه لم يبحثهما بالتفصيل، لقلة المصادر التي اعتمد عليها، ناهيك عن أنه لم يتناول تأريخ اتابكية ايلدگز، على الرغم من أن الاقليم، لم تصل أهميته والاحداث الجسام التي شهدها الى ما وصلت اليه في عهدها، فقد سيطر ايلدغزيون على ممتلكات واسعة، شملت آذربيجان وآران وبلاد الجبال وهمدان والري واصفهان واغريها، وملكوا الجيوش الكبيرة، وكان لهم تأثيراً كبيراً ليس في تأريخ واحداث الاقليم فحسب، بل وفي تأريخ السلاجقة والدولة العباسية.

والدافع الآخر الذي جعلنا ان نختار تأريخ آذربيجان وفي تلك الحقبة، هو اهمية الاقليم، حيث كان يُعد ثغراً من ثغور الدولة الاسلامية، لمجاورته حدود الارمن والگرج والروم، فشهد الكثير من الحرب والمنازعات بين حكامه وحكام الاقاليم المجاورة تلك، وعلى الرغم من أن آذربيجان اقليم جبلي، إلا أنه كان كثير الخيرات، مما جعله محط أنظار الطامعين فيه، لذلك كانت له اهميته الاقتصادية، اضافة الى موقعه المهم. ثم أنه كان مليئاً بالاحداث الجسام، خلال تلك الحقبة، فقد شهد توغل الغز السلاجقة اليه، وتكوينهم لاسر حاكمة فيه، ثم شهد أيضاً المنازعات والحروب الكثيرة بين حكام هذه الاسر مع سلاطين السلاجقة وحكام الروم وأرمينيا والگرج والاسماعيلية والخوارزمية واخيراً مع التتار المغول، ناهيك عن أن الغز السلاجقة بسيطرتهم على الاقليم واستقرارهم فيه، قد احدثوا تغييرات واسعة في اوضاعه السياسية والاجتماعية والعسكرية والادارية والمالية والثقافية.

واجهتنا مصاعب وعراقيل جمة، سواء كان في اثناء بحثنا عن المصادر الاساسية او في فترة اعداد دراستنا للاقليم، فالمعلومات شحيحة عنه، لاسيما عن تأريخ الامارة الروادية التي يكتنفها الكثير من الغموض والتعقيد، فعلى الرغم من جهودنا الطويلة والمضنية، فمازال الكثير من الامور في تأريخ الامارة، غامضاً ومجهولاً، إلا أننا وجدنا معلومات واسعة عن تأريخ اتابكية ايلدگز (٥٣١-٦٢٢هـ)، في الوقت الذي كنا قد عانينا من قلة المعلومات عن الامارة الروادية، وكذلك عن الاحمديلية، وذلك لتعاضد سلطان اتابكة ايلدگز وتأثيراتهم الواسعة في أحداث الدولة العباسية خلال تلك الحقبة، ولكن مع كثرة المعلومات تلك، فأن أكثرها كتبت باللغة

الفارسية لاسيما عن تاريخ اتابكية ايلدگز، ومازال الكثير منها لم يترجم بعد الى العربية، فاستعنا باحد الاساتذة المختصين في هذه اللغة لترجمة النصوص المتعلقة بموضوعنا، ولكننا شعرنا بأننا قد كلفناه بأكثر من طاقته، ولضرورة معرفة هذه اللغة لاسيما بالنسبة الى بحثنا، عكفنا على دراستها وتعلمها، فبدانا نُترجم تلك النصوص الكثيرة بنفسنا الى العربية.

قسّمنا بحثنا الى ابواب ثلاث، بحثنا في الباب الاول: الناحية الجغرافية والسكانية للاقليم، فتناولنا في الفصل الاول، حدوده وتسميته وسطحه، ذاكرين جباله وسهوله وانهاره، وأهم مدنه ومعالمه، التي ورد ذكرها في سياق الاحداث، محددين مواقعها واصول تسميتها وأهميتها الجغرافية والاقتصادية وعوامل ازدهارها أو خرابها.

وبحثنا في الفصل الثاني عناصر السكان في آذربيجان، فذكرنا التأثير العربي على الاقليم ونزوح العرب اليه منذ الفتح العربي الاسلامي له واستقرارهم فيه، سواء كانوا على شكل افراد ام قبائل، وتناولنا اسماءهم وأماكن استقرارهم فيه، وبحثنا عن الاسرة الروادية التي تنتمي الى قبيلة الازد العربية، كل ذلك بشيء من التركيز، وعلى الرغم من ان ذلك خارج نطاق الحقبة الزمنية التي نتناولها بالبحث، الا أننا وجدناه ضرورياً للقاء نظرة عامة عن احوال الاقليم منذ الفتح العربي له، وبيان تأثير العرب في بناء مدنه وتمصيرها وتحصين قلاعها واستقرارهم فيه، ثم قمنا بدراسة كرد آذربيجان وقبائلهم وأماكن سكنهم، وهم السكان الاصليون للاقليم، لاسيما (بنو الرواد الهذبانويون)، وتناولنا بالبحث التركمان السلاجقة الذين نزحوا اليه في بدايات القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، واتخذوه دار إقامة لهم، حيث يكونون الان اكثرية السكان فيه، وبعدها تناولنا ذكر الديالمة والارمن وأماكن سكنهم في الاقليم.

اما الباب الثاني، فيتناول التاريخ السياسي لآذربيجان خلال الحقبة من ٤٢٠هـ وحتى سنة ٦٥٤هـ، فبحثنا في الفصل الاول منه، الامارة الروادية (٣٣٧-٤٦٣هـ/٩٤٧-١٠٦٩م) منذ تأسيسها وحتى سقوطها، متناولين علاقات امرائها مع الخلافة العباسية والروم والارمن والگرج والسلاجقة.

وتناولنا في الفصل الثاني دراسة الامارة الاحمديلية (٥٠١-٦٢٤هـ/١١٠٧-١٢٢٧م) وبيننا انه لا توجد علاقة بين مؤسسها احمديل الكردي وبين خلفائه من

المماليك التركمان، وذكرنا فيه علاقات حكام الاحمديلية مع الخلافة العباسية والسلاجقة وبني ايلدگز.

ودرسنا في الفصل الثالث، وبالتفصيل اتابكية آذربيجان الايلدگزية، فتناولنا علاقات اتابكتها الخارجية بكل من الخلفاء العباسيين والسلاطين والسلاجقة والارمن والكُرج وحكام الاحمديلية والاسماعيليين وصلاح الدين الايوبي والخوارزميين وغيرهم.

اما الباب الثالث والآخر، فقد تناولنا فيه الجانب الحضاري للاقليم، واقتصرنا فيه على بيان النظم الادارية والعسكرية للاقليم خلال حقبة البحث، مما له علاقة بالتأريخ السياسي له، ولم نتناول كل الجانب الحضاري، لان للحضارة مفهوم واسع يشمل النواحي السياسية والادارية والعسكرية والاقتصادية والعمرانية والاجتماعية والثقافية وغيرها، فلا يمكن تناول كل هذه النواحي، اضافة الى التأريخ السياسي لحقبة زمنية تجاوزت القرنين وشهدت فيه احداثاً جساماً، ولمنطقة واسعة، في اطروحة علمية واحدة، لذلك اقتصرنا على تناول النظم الادارية للاسر الحاكمة الثلاث: الروادية والاحمديلية والايلاگزية، والاسس التي سار عليها الحكام في ادارة البلاد مع بيان اهم الدواوين والوظائف الادارية.

وتناولنا في الفصل الثاني النظم العسكرية في جيوش الامارات الثلاث، فتناولنا جمع الجيوش وتكوينها وتنظيمها والخطط العسكرية واساليب القتال وانواع الاسلحة ونفقات الجيش والرتب العسكرية، ولم نغفل الكلام عن الاقطاع الحربي الذي شاع انتشاره في عهد الاتابكة.

تحليل المصادر الاساسية:

افدنا في دراستنا هذه من مصادر كثيرة، سواء كانت مخطوطة او مطبوعة وبلغات عديدة، لاسيما باللغتين العربية والفارسية، وسنقتصر في تحليل المصادر الرئيسية والاساسية، تاركين ذكر اسماء المصادر الثانوية ومؤلفيها في ثبت المصادر في آخر البحث.

اعتمدنا في دراسة التأريخ السياسي للاقليم وفي الحقبة التي تناولناها بالبحث (٤٢٠-٦٥٤هـ)، على كتب التأريخ بصورة عامة، وعلى تلك المصادر التي تناولت تأريخ السلاجقة بصورة خاصة، لاسيما عن تأريخ الاحمديلية والاتابكية والايلاگزية، لانه -كما اشرنا- لا يوجد كتاب محلي خاص يؤرخ آذربيجان، عدا كتاب ابو الهيجاء

الروادي والموسوم بـ"تأريخ آذربيجان"، وكتاب للتبريزي الواعظ عن تأريخ اقليم آذربيجان المفقود^١ والذي كان سيعيننا في بيان احوال الأسر العربية الحاكمة والتي استوطنت في انحاء متفرقة من الاقليم.

وعانينا كثيراً من شحة المعلومات عن احداث الرواديين الهذبانين (٣٤٣هـ-٤٦٧هـ)، بحيث ان الكثير من الامور بقيت غامضة لدينا، لاسيما ان ابن الاثير، اهل ذكر احداث آذربيجان ولحقب زمنية ليست بالقصيرة، فلم يتناولها من سنة ٣٥٠ وحتى سنة ٤٢٠هـ- اي لمدة سبعين سنة- وكذلك من سنة ٤٣٤هـ وحتى سنة ٤٤٦هـ، ثم يعود ايضاً الى اهماله لاخبارها لمدة ثلاثين سنة، من ٤٥٦هـ وحتى سنة ٤٨٦هـ، ولعل ذلك يرجع الى قلة اهمية الاقليم حتى اواخر القرن الخامس الهجري، لذلك لم يجد ابن الاثير ضرورة لتناول احداثها، الا ماندر، وربما يرجع ذلك ايضاً الى جهل ابن الاثير باللغة الفارسية حيث كثر التدوين بها بعد غزو السلاجقة للاقليم، فذكروا اخبار السلاجقة ومنها احداث آذربيجان في عهد السلاجقة وماقبلها.

وافدنا في تدوين اخبار الرواديين الهذبانين -نظراً لشحة المعلومات عنهم- على مصدريين اساسيين: الجزء المتبقي من تأريخ الباب والابواب لمؤلف مجهول، ويعود الفضل في نشره الى المستشرق مينورسكي،^٢ الا انه لايمدنا بمعلومات مفصلة عن حكام الروادية، بل كل ما افدنا منه، ذكره لاسماء الحكام ومدد حكمهم. اما المصدر الثاني فهي الكتب الارمنية التي ترجمها الى الفارسية (احمد كسروي) ونشرها في كتابه: شهرياران گمنام، غير اننا وجدنا تناقضاً فيما ورد فيها مع ما موجود في تأريخ الباب سواء كان عن اسماء الحكام او مدد حكمهم، وازافة الى ذلك فان المصادر الارمنية هذه تكثرت في رواياتها الاساطير والمبالغات غير المعقولة، كما انها لم تؤيد من قبل المصادر الاسلامية، والمصادر الارمنية هي: تأريخ ميكائيل چامچيان وتأريخ آسوغيك دارونيچي، الذي تنتهي حوادثه في سنة ٣٩٤هـ، وافادنا فيما يتعلق بالامير ابي الهيجاء الروادي، والمصدر الاخر هو تأريخ ماتيوس الاورفهي، وافادنا كتاب ماري بن سليمان: فطاركه كرسى المشرق من كتاب المجلد، فيما يتعلق

^١ وهو فخرالدين ابو الفضل اسماعيل بن المثنى التبريزي الواعظ (ت حدود سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م)، ينظر: ابن الفوطي، معجم الالقب، ج ٢، ص ٥٦٣-٥٦٤.

بالعناصر المسيحية في الاقليم واماكن سكناها، وافدنا من دواوين الشعراء فيما يتعلق بامراء الروادية والقابهم والحروب التي خاضوها، لاسيما من ديوان الشاعر قطران التبريزي الازدي (٤٣٥-٤٦٥هـ).

واعتمدنا في تدوين تأريخ الاحمديلية والاتابكية الايلدغزية - بصورة رئيسة - على المصادر الاساسية التي تناولت تأريخ السلاجقة، واقدم مصدر، في متناول ايدينا، تناول تأريخهم وافادنا كثيراً، هو كتاب: (سلجوقنامه) لظهرالدين النيشاپوري (توفي حدود سنة ٥٨٢هـ) والمؤلف باللغة الفارسية، يعد مصدراً اساسياً ومعاصراً لاحداث السلاجقة، عن الحقبة المبكرة من تاريخهم، الى سنة ٥٨١هـ، وعليه اعتمد مؤرخو السلاجقة الذين جاءوا بعده.

ومما يجدر ذكره هنا، اننا افدنا ايضاً عن تلك الحقبة المبكرة، من بعض المعلومات التي اوردها ابن القلانسي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) في كتابه: ذيل تأريخ دمشق، على الرغم من انه يبحث عن تأريخ مدينة، الا انه جاء ببعض اخبار السلاجقة، وتناول فيه الحوادث من سنة ٤٤٠هـ الى حين وفاته، وبذلك يُعدّ كتابه اقدم مصدر - على حد علمنا - وصلنا يذكر فيه احداثهم، الا ان كتاب سلجوقنامه للنيشاپوري، يُعدّ اقدم مؤلف اختص بتأريخ السلاجقة، وتضاعفت المنفعة من كتاب ذيل تأريخ دمشق، من الشذرات التي اضافها (أمدرن) اليه، ومن تأريخ الفارقي (ولد سنة ٥١٠هـ)، والذي لم نجده في القسم المطبوع من كتابه (تأريخ ميفارقين و آمد)، وكان الفارقي معاصراً للاحداث التي جرت للاتابك ايلدگز، لاسيما حروبه مع الكرج سنة ٥٧١هـ، فافادنا من هذه الناحية.

ويُعدّ كتاب العماد الكاتب الاصفهاني (ت ٥٩٧هـ)، اختصار البُنداري، الموسوم: تأريخ دولة آل سلجوق او "زبدة النصر ونخبة العصرة" من المصادر الجليلة التي افادتنا في تأريخ بني ايلدگز، لاسيما عن الحقبة الوسيطة من تأريخ السلاجقة التي تنتهي بموت السلطان سُنجر سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م، مع انه تناول تأريخهم من سنة ٤٧٧هـ وحتى سنة ٥٩٠هـ، ويلاحظ ان اكثر الكتب التي تتناولهم تنتهي حوادثها في هذه السنة، وهو التأريخ الذي انتهت فيه دولة سلاجقة العراق. ونقل العماد - في

^١ حيث اقتصر على احوال الامارة المروانية (الدوستكية) فقط، ونشر مؤخراً كتاباً آخراً للفارقي، اعتبر متماً لكتاب الفارقي المذكور والذي حققه د. عبداللطيف عوض سنة ١٩٥٩، باسم: تأريخ آمد وميفارقين، نشر ضمن الموسوعة الشامية في تأريخ الحروب الصليبية، دمشق ١٩٩٥.

الحقيقة- الكثير من الحوادث من التأريخ الذي ألفه الوزير انو شروان بن خالد (ت ٥٣٢هـ/١١٣٨م) بالفارسية والموسوم "فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور" - الذي لم يصل إلينا- وقد اشار العماد الى نقله منه في الكثير من المواضع. وانتفعنا من كتاب العماد الاصفهاني الآخر (الفتح القسّي في الفتح القدسي)، لاسيما فيما يخص العلاقات بين صلاح الدين الايوبي وبنى ايلدگز، وتعدّ رواياته ذات قيمة جليّة، لأنه عاصر الاحداث وعاشها، وقد تناول فيه حروب صلاح الدين منذ سنة ٥٨٣هـ وحتى سنة ٥٨٩هـ، اي السنة التي توفي فيها صلاح الدين، ويُعاب عليه، كثرة استخدامه للمحسنات اللفظية والبديعية والكلمات المسجّعة والمنمّقة في مؤلفيه، تجعل استخلاص الحقائق التاريخية منه امراً صعباً ومهمة شاقة، شأنه في ذلك شأن المؤرخين الذين ظهروا في القرن السادس الهجري.

وافادنا ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في المنتظم، من بعض معلوماته التي لم نجدها عند غيره، وكان قد بلغ في كتابه بالتأريخ الاسلامي الى سنة ٥٧٥هـ، ويلاحظ عليه ان وفياته تشغل جزءاً هاماً من حوادث كل سنة اكثر من حوادثه التاريخية المختصرة. وافدنا من ذيل سلجوقنامه النيشاپوري، لابي حامد محمد بن ابراهيم، ألفه سنة (٥٩٩هـ) باللغة الفارسية وتناول فيه بالتفصيل حوادث السلاجقة في عهد السلطان طغرل من سنة ٥٨٣هـ وحتى وفاته في سنة ٥٩٠هـ.

اما كتاب الراوندي (ت ٦٠٣هـ): راحة الصدور وآية السرور في تأريخ الدولة السلجوقية، فقد افادنا فائدة كبيرة جداً بالنسبة لتأريخ الاحمديلية وبنى ايلدگز، وكان قد بدأ بتأليفه سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م، واتّمه بعد سنتين او ثلاث، ويُعد كتابه مصدراً منقطع النظير في تدوين تأريخ عصر الاضمحلال والسقوط لدولة السلاجقة، وذلك من سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م حتى سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م، أي أن تأريخه امتدّ الى ما بعد سقوطها بخمس سنوات، ويشمل حكم السلطانين ارسلان شاه وطرغرل، فتعدّ معلوماته عن تلك المدة اصيلة ومفصلة ومروية لاول مرّة، عن شاهد عيان، لأن المؤلف نفسه واخواله كانوا من المقرّبين الى السلطان طغرل، ولذلك فقد تيسّر له الوقوف على المعلومات من مصادرها الصحيحة في كل شأن يتعلق باحداث الدولة^١. اما فيما يتعلق

^١ راحة الصدور، ترجمة الشواربي ورفاقه، ص ٨، من مقدمة محمد اقبال ناشر المتن الفارسي.

بالجزء المبكر من تأريخ السلاجقة، أي من سنة ٤٣٢هـ، فليس لكتاباتة اهمية خاصة، فقد ذكر تأريخ السلاجقة الاوائل بشكل مقتضب^١، ولاحظنا انه ينقل عن كتاب سلجوقنامه للنيشاپورى حتى ان النقل عنه يكاد يكون حرفياً، الا ان كتاب راحة الصدور تكثر فيه الحكم والامثال والقصائد الشعرية، وقد اورد الكثير منها في مدح السلطان ارسلان شاه والسلطان طغرل وatabكة ايلدگز، وافدنا منها في الالقاب التي لقبوا بها وكذلك الحروب التي خاضوها وغير ذلك.

ومن الكتب التي افادتنا كثيراً في تأريخ اتابكية ايلدگز، والتي احتوت على معلومات مفصلة عن عصر السلطان طغرل (٥٧١-٥٩٠هـ) هو كتاب: اخبار الدولة السلجوقية او مايسمى بكتاب زبدة التواريخ لصدر الدين الحسيني (ت ٦٢٤هـ) والذي كتبه في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، الا انه -ايضاً- يتوقف عند حوادث سنة ٥٩٠هـ. ان الكثير من المعلومات التي اوردها لانجد لها مثيلاً لا عند النيشاپورى ولا عند غيره كالراوندي والاصفهاني، لذلك يُعد كتابه عديم النظير في سعة معلوماته بحيث إنه اشبع كل جزئيات وقائع اواخر عهد سلاطنة السلاجقة، وعندما ينتهي كتابه فان معلوماتنا عن بني ايلدگز تتأثر، فتقل عن المدة الباقية من حكمهم، اي من ٥٩٠هـ وحتى ٦٢٢هـ.

ويُعد كتاب "العُراضة في الحكاية السلجوقية" لابن النظام الحسيني اليزدي (ت سنة ٧٢٣هـ)، والذي ألفه سنة (٧١١هـ/١٣١١م) في عهد حكم المغول، صورة طبق الاصل لكتاب الراوندي بعد حذفه للمقدمة والخاتمة والنصوص المعارضة، الا انه لم يترك النص التاريخي دون المساس به، فأعاد كتابته بطريقة بلاغية مصطنعة^٢، ووقف ابن النظام عند سقوط سلاجقة العراق سنة ٥٩٠هـ، شأنه في ذلك شأن معظم مؤرخي السلاجقة، ويؤخذ على كتابه اسرافه في الثناء على السلاطين ونسبة اعمال لهم لاتتفق مع الحقيقة التاريخية^٣. ويبقى كتاب ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ)، الكامل، هو المصدر الذي لايمكن الاستغناء عنه لبحثنا عن تواريخ الروادية والاحمديلية والايلدگزيه الى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م، حيث تنتهي اخباره على الرغم من انه لم يذكر حوادث اذربيجان

^١ ن.م، ص ٢١، من المقدمة.

^٢ مقدمة راحة الصدور، ص ٣١ لمحمد اقبال.

^٣ العُراضة ف بالحكاية السلجوقية، مقدمة الناشرين: د. عبدالمنعم محمد حسنين و د. حسين امين، ص ٤.

لسنوات عديدة - كما بيّنّا ذلك قبل قليل-، ألا أنّه ركّز اهتمامه على الناحية السياسية والحروب. وينقل الاشرف الغساني (ت ٨٠٣هـ)، في العسجد المسبوك، وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) عن ابن الاثير، على انه يُعاب على ابن خلدون في كتابه: العبر، انه يدوّن الحوادث على اساس وحدة الموضوع، دون اتباع نظام الحوليات -كما عند ابن الاثير- ودون ان يذكر تواريخ الحوادث، ثم ان المطبوع من كتابه الضخم، تكثّر فيه الاخطاء في اسماء الاعلام والمواضع، وكذلك فانه يكرّر الحادثة الواحدة اكثر من مرة وفي اماكن متفرقة.

وافادنا كذلك كتاب مرآة الزمان لسبّط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ)، لاسيّما الجزء المطبوع منه عن تأريخ السلاجقة، الا اننا وجدنا في الجزئين المتبقين من كتاب ابن الفوطي (ت ٧٢٣هـ): تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، على معلومات افادت بحثنا لم نجدها عند غيره، ويبدو انه نقلها عن كتب تُعدّ من الكتب المفقودة، وقد عُرف عن ابن الفوطي انه كان واسع الاطلاع على مؤلفي عصره والذين سبقوه، فقد ذكر اسماء اكثر من (٢٥٠) كتاباً كان قد رجع اليه، مما يسبغ على كتابه اهمية استثنائية، فقد انفرد بذكر اللقب الذي كان يلقب به الامير الاحمديلي: آق سُنقر. ومن كتب التراجم التي رجعنا اليها هو كتاب الوافي بالوفيات للصفدي (ت ٧٦٤هـ) في اجزائه المخطوطة والمطبوعة، فأمدنا بمعلومات انفرد بذكرها، لاسيّما بالنسبة الى الامير احمديل مؤسس الامارة الاحمديلية.

وانتفعنا من مصادر ومراجع فارسية كثيرة - اضافة الى ما ذكرناه - كحمدالله المستوفي (ت حوالي ٧٥٠هـ) في كتابه تأريخ كُزَيده، الا اننا لاحظنا انه وحافظ ابرو "مؤلف زبدة التواريخ" (الف سنة ٨٣٠هـ)، ينقلان عن السلجوقنامه للنيشاپوري، وينقل ميرخواند (ت ٩٠٤هـ) صاحب روضة الصفا، وحفيده خواندا مير (ت ٩٤٢هـ) صاحب تأريخ حبيب السير، عن تأريخ كُزَيده، وبذلك فأنهما ينقلان عن سلجوقنامه بطريق غير مباشر.

^١ وطبعت معظم الاجزاء المخطوطة في فيسبادن بألمانيا (١٩٦١-١٩٨٤)، ونشرت دار احياء التراث العربي، بيروت، سنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، الاجزاء جميعها (١٧ جزءاً) بتحقيق واعتناء احمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى.

وأفدنا كذلك من كتب الادب ودواوين الشعر الفارسية، ككتاب لباب الالباب (الف سنة ٦١٨هـ) لمحمد عوفي، حيث أورد شعراً لعماد الغزنوي في ذكر اعمال الاتابك آقسنقر الاحمديلي، وكتاب تذكرة الشعراء لـ"دولتشاه" ودواوين ظهير فاريابي ونظامي گنجوى وطبقات ناصري عن الاتابك الاعظم ايلدگز، وكذلك اشعار مجيد الدين البيلقاني التي وردت في كتاب الراوندي والخاصة في مدح ايلدگز، وأفدنا من هذه الاشعار، لاسيما عن علاقة ايلدگز مع قيصر الروم ومع ملك الخطا، مما لم تذكره كتب التأريخ.

ومن الكتب الفارسية الاخرى التي افدنا منها: تأريخ طبرستان لابن اسفنديار، لاسيما عن جهان پهلوان وأعماله، ومن كتاب ابو الشرف الجوربادقاني عن الممالك الپهلوانيه وذكر مقاصدهم، ومن خواندا مير في كتابه: تأريخ حبيب السير، اورد فيه معلومات عن كيفية اعتلاء ايلدگز الاتابكية لم ترد في المصادر الاخرى.

وأفادنا كتاب النسوي (ت ٦٣٩هـ): سيرة جلال الدين منكبرتي عن الحقبة الزمنية المتأخرة من احداث آذربيجان، لاسيما عن علاقة بني ايلدگز بالخوارزمية وانقراض دولة بني ايلدگز، حيث انه عاش الاحداث وساهم فيها فعليا بعض المساهمة، وأرخ كذلك حوادث الغزو المغولي لآذربيجان، الا انه لم يتعمق فيها، ومع ذلك يُعتبر ما كتبه وما كتبه ابن الاثير حجة فيما دون عن حوادث الغزو، الذي بدأت حوادثه سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م، واستمرت حتى سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، والحقبة التي تلتها حتى سنة ٦٢٨هـ/١٢٣٠م، حيث ينتهي تأريخ ابن الاثير، وعُهد للنسوي وظيفه كاتب الانشاء للسلطان الخوارزمي جلال الدين، ولكن تأليفه لكتابه كان في سنة ٦٣٩هـ، اي بعد ١١ سنة من وفاة جلال الدين، لذلك فكتاباته عن سيرة السلطان يجعلنا ان نقول: انه لم يكن تحت تأثير معين وهو يكتب عنه، وان كان هذا لا ينفي ان كتاباته تحمل في طياتها -وبطريقة لا شعورية- كل معاني الولاء لذلك السلطان الذي اظله برعايته طيلة مدة حكمه، ويُعاب على النسوي طريقته في سرد الاحداث التاريخية، اذ لم يدونها حسب الترتيب الزمني لها، بل عالج الموضوعات دون التقيد بها، مما يجعل الباحث يجد بعض الصعوبات في ترتيب الاحداث سنوياً.

^١ سيرة جلال الدين منكبرتي، ص ٢٤، من مقدمة المحقق.

ويُعد علاء الدين عطا ملك الجويني (ت ٦٨١هـ) من ابرز المؤرخين الذين كتبوا بالفارسية عن حوادث الغزو المغولي، وذلك في كتابه تاريخ جهانگشاي -اي فاتح العالم- الذي ينتهي عند سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٨م، وافدنا منه فيما يتعلق بتاريخ الخوارزمية وعلاقاتهم مع بني ايلدگز، وعن علاقات بني ايلدگز بالاسماعيلية. وافدنا في توضيح الكثير من التنظيمات الادارية والعسكرية من كتاب النسوي المذكور ومن القلقشندي في كتابه صُبح الاعشى في صناعة الانشا، اضافة الى مصادر ومراجع اخرى.

اعتمدنا في تدوين الفصل الجغرافي على كتب البلدانين العرب بصفة خاصة، وعلى كتب التأريخ والادب بصفة عامة، ومن الكتب الجغرافية الاساسية: المسالك والممالك لابن خُرداذبة (ت سنة ٢٨٠هـ)، وهو اقدم مصدر جغرافي موجود -حسب علمنا- اذ كتب مسودته الاولى سنة ٢٣٢هـ / ٨٦٤م^١، وكان صاحب البريد بنواحي الجبال بايران، نقل عنه البلدانيون الذين جاءوا بعده، كاليقوبي^٢ (ت بعيد سنة ٣٩٢هـ) وابن رُسته (ت ٢٩٠هـ) والاصطخري (ت بعد سنة ٣٤٠هـ) والمقدسي (ت بعد سنة ٣٨٧هـ) والمسعودي (ت ٣٤٦هـ)، وافادنا ابن خُرداذبة في معرفة التقسيمات الادارية لاذريجان في صدر الاسلام، ولربما قبل الفتح العربي الاسلامي، وافدنا كثيراً من كتاب الاصطخري (المسالك والممالك) الذي كتب مسودته الثانية حوالي سنة ٣٤٠هـ / ٩٥٠م، اما كتاب ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ): صورة الارض، فهو اعادة لكتاب الاصطخري بعد ان مسّته يد التغيير والتبديل، وقد اجرى ابن حوقل تعديلاً اساسياً في الاقسام الخاصة بالعراق وارمينيا وماوراء النهر، بينما تركت الاقسام المتعلقة بايران دون ادنى تغيير، وترجع المسودة الثانية لكتابه الى حوالي سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٨م^٣، واعتمد ابن حوقل -اضافة الى ذلك- على كتب اخرى، ف((انه كان لايفارقه كتاب ابن خرداذبة وكتاب الجيهاني وتذكرة ابي الفرج

^١ ينظر: مقدمة دى گويه لكتاب ابن خرداذبة التي كتبها بالفرنسية ص XX طبعة بريل سنة ١٨٨٩م، وتعليقات مينورسكي في كتاب حدود العالم، طبعة سنة ١٩٣٧م.

^٢ استدلل ناشر كتاب البلدان (طبعة النجف) من ايراد اليعقوبي لحادثة جرت سنة ٢٩٢هـ، انه توفي بعد هذا التاريخ، بينما يقول لسترنج، ص ١٢، ان الكتاب ألف حوالي سنة ٢٧٨هـ / ٨٩١م.

^٣ ذهب الى ذلك: كراتشوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ٢٠١/١، إلا أننا نرى بأنها ترجع الى قبيل وفاته سنة ٣٦٧هـ.

قُدّامة بن جعفر) - ويقصد كتابه: الخراج وصنعة الكتابة^١، ومن كتابات ابن حوقل علمنا بانتهاء حكم آل الرديني العرب الذين كانوا مازالوا في الحكم في عهد الاصطخري. وأفدنا ايضاً من كتاب حدود العالم من المشرق الى المغرب لمسعود بن نامدار، ألفه بالفارسية سنة ٣٧٢هـ/٩٨٢م، وجُعِلت الفائدة منه اكبر بالتعليقات القيّمة لمينورسكي عليه، والمقدّمة التي وضعها بارتولد. وأفدنا كذلك من كتاب احسن التقاسيم للمقدّسي (ت بعد سنة ٣٨٧هـ)، وكان قد ألفه سنة ٣٧٥هـ/٩٨٥م - كما نصّ عليه بنفسه - اما الاضافات فكانت في سنة ٣٨٧هـ/٩٩٧م، وكان المقدّسي قد وصف الاماكن التي دخل اليها^٢، وجعل من الرّان وأذربيجان وارمينية، اقليماً واحداً وسمّاه باقليم الرحاب. ويبقى المصدر الرئيس لنا في رفد الفصل الجغرافي بالمعلومات هو كتاب ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، الذي ألفه سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، واتّمّ تسويده في عام ٦٢٣هـ/١٢٢٥م^٣، فهو موسوعة وسفر جليل لا يستغني عنه أي باحث في الجغرافية او التأريخ او الادب، وأمدّنا بمعلومات تاريخية - اضافة الى الجغرافية - فتناول فتوح أذربيجان، وحاول التوفيق بين الروايات المختلفة حول تأريخ وقادة الفتح، ووصف اعمال المغول في بعض مدن أذربيجان اثناء هروبه منهم وتوجهه الى حلب. وياقوت هو مملوك يوناني الاصل، نشأ في بغداد واستقر في تركستان ومات قرب حلب.

وأفدنا من المصادر الجغرافية الاساسية الاخرى منها: كتاب تقويم البلدان لابي الفدا (ت ٧٣٢هـ)، وكان قد صنّف كتابه سنة ٧٢١هـ/١٣٢١م^٤، وكتاب حمدالله المستوفي (ت حوالي ٧٥٠هـ)م، نزّهة القلوب، وكان قد اتمّه حوالي ٧٤٠هـ/١٣٣٩م^٥، وأفادنا كثيراً لاسيما عن التقسيمات الادارية والخيرات التي كانت تنعم بها مدن أذربيجان.

اما عن فصل السكان، فأفدنا، بصورة رئيسة من كتاب البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان، وكان قد ألفه في حدود سنة ٢٥٥هـ^٦، ويمتاز كتابه بأنه لم يتناول فتوح

^١ متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ٥/٢.

^٢ ن.م ٤/٢.

^٣ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٢؛ كراتشكوفسكي، تأريخ الادب الجغرافي العربي، ٣٣٩/١.

^٤ لسترنج، ص ١٢.

^٥ كراتشكوفسكي، تأريخ الادب الجغرافي، ٣٩٧/١.

^٦ القزويني، يادداشتهاي قزويني، ٩٣/٦.

اذربيجان فقط، بل انه يورد تفاصيل تأريخ البلد المفتوح بعد فتحه، ويخبرنا انه استقاها من علماء كل اقليم، فقد زارها وتعرف على الامور المتعلقة باسم الفاتح وطريقة الفتح وما تلاه من احداث هامة، وبناء الاسوار والحصون والمدن، ومصدر الاسماء الخاصة، وغيرها من الامور التي كان تخليدها هاماً، ثم أورد اقوال الباحثة السابقين كالواقدي وغيره، ولكنه قد وقع -مع ذلك- في بعض الاخطاء التي هي نتيجة للاعتماد على الرواية الشفهية^١. ولما كان البلاذري قد بحث كل هذه الامور، فالأفضل ان نستبدل كلمة فتوح في عنوان كتابه الى "امور البلدان"، لاسيما انها وردت في عناوين المخطوطات للكتاب.

واورد قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧هـ/٩٤٩م) في كتابه: "الخراج وصناعة الكتابة"، معلومات عن الفتوح العربية الاسلامية للاقليم، الا انه نقلها عن البلاذري مع بعض الاضافات. ولايفوتنا هنا أن نذكر افادتنا من تأريخ الطبري (ت ٣١٠هـ) عن الفتوح والسكان في الاقليم في صدر الاسلام، والذي اورد الروايات المختلفة عن الفتوح واسندها الى رواتها كالواقدي وابي مخنف وغيرهما. اما كتاب الازدي (ت ٣٢٤هـ) في تأريخ الموصل، وتأريخ اليعقوبي، فقد امدانا بمعلومات قيّمة عن بني الرواد من بني ازد الذين سكنوا الاقليم وكونوا اسرة حاكمة فيه، وكذلك عن القبائل العربية الاخرى التي استوطنته.

^١ مرغليوث، دراسات عن المؤرخين العرب، طبعة بيروت، ترجمة: د. حسين نصار، ص ١٣١-١٣٢.



www.zheen.org



الباب الاول

الجغرافية والسكان



www.zheen.org

الفصل الاول

بلاد أذربيجان من الناحية الجغرافية

(نظرة عامة الى جغرافية أذربيجان)

(١) اصل التسمية ومعناها وتطور الصيغ المختلفة لنطقها، حدودها ارضها (جبالها وانهارها، تقسيماتها الادارية، كورها ومدنها المهمة من حيث: اصول تسمياتها، معانيها، تعيين مواقعها، النواحي التي تتبعها، تطورها (التغيرات التي طرأت على المدينة من حيث ازدهارها او اضمحلالها)، آثارها. وهي:

١. تبريز، الكورة والمدينة: أ. مدينة تبريز. ب. آجان ج. خسروشاه

٢. اردبيل: أ. اردبيل ب. خلخال

٣. سراب (سراو).

٤. مراغه: أ. مراغه ب. دهخرقان.

٥. ميانج (ميانه)

٦. خونج (خونا).

٧. مرند.

٨. ورثان.

٩. البذ

١٠. موقان

١١. برزند.

١٢. خُوي

١٣. سلّماس.

١٤. أورمية (ورمي): أ. أورمية ب. أشنه (شنو).

١٥. جابروان.

١. أذربيجان:

اصل التسمية ومعناها وتطور الصيغ المختلفة لنطقها:

أورد البلدانيون العرب تسمية هذا الاقليم بصيغ مختلفة، فقد ضبطها ياقوت الحموي والبكري: (أَذَرَبَيْجَان)، (مع انه قد فتح قوم الدال وسكنوا الراء) -حسب قول ياقوت-، ثم اضاف: ((وقد رواها المَهْلَب على شكل "أَذَرَبَيْجَان"))^١، ورسمها بعض البلدانيين الآخرين، (أَذَرَبَيْجَان)^٢ بالالف المدودة، ورسم الكلمة كما جاءت عند ياقوت والبكري -كما نرى- هي الصحيحة، والتي ترجع الى اصل الكلمة وماذا تعني، - كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد-.

اطلق اليونانيون على هذا الاقليم: أتروپاتين Atropatene، ويحتمل ان يكون هو الاسم الذي يشمل الجزء الشمالي الغربي من ايران منذ بداية الدولة الساسانية سنة ٢٢٤م^٣.

وتعرف في الارمنية بأسم (أتروپاتكان)، وكانت تنطق (أذرباڠكان) في القرن الثالث الميلادي، واستمرت هذه التسمية حتى سقوط الدولة الساسانية في القرن السابع الميلادي^٤. ويرى شترك، انه لا بد قد نشأت في القرن الرابع الميلادي صيغة شعبية من هذا اللفظ، تمتاز بنقل الذال الثانية او حذفها، وكانت هذه الصيغة وهي: (أذرباڠكان) مستعملة بصفة عامة عند مؤلفي السريان في القرن الخامس الميلادي^٥. واطلق مؤلف حدود العالم (الف سنة ٣٧٢هـ) على هذا الاقليم اسم (أذرباديگان)^٦، حيث كانت تعرف في الفارسية الحديثة بهذا الاسم.

^١ معجم البلدان، طبعة وستنفلد ١٧١/١-١٧٢؛ البكري الاندلسي، معجم ما استعجم، طبعة القاهرة، ١٩٤٩، ١٢٩/١.

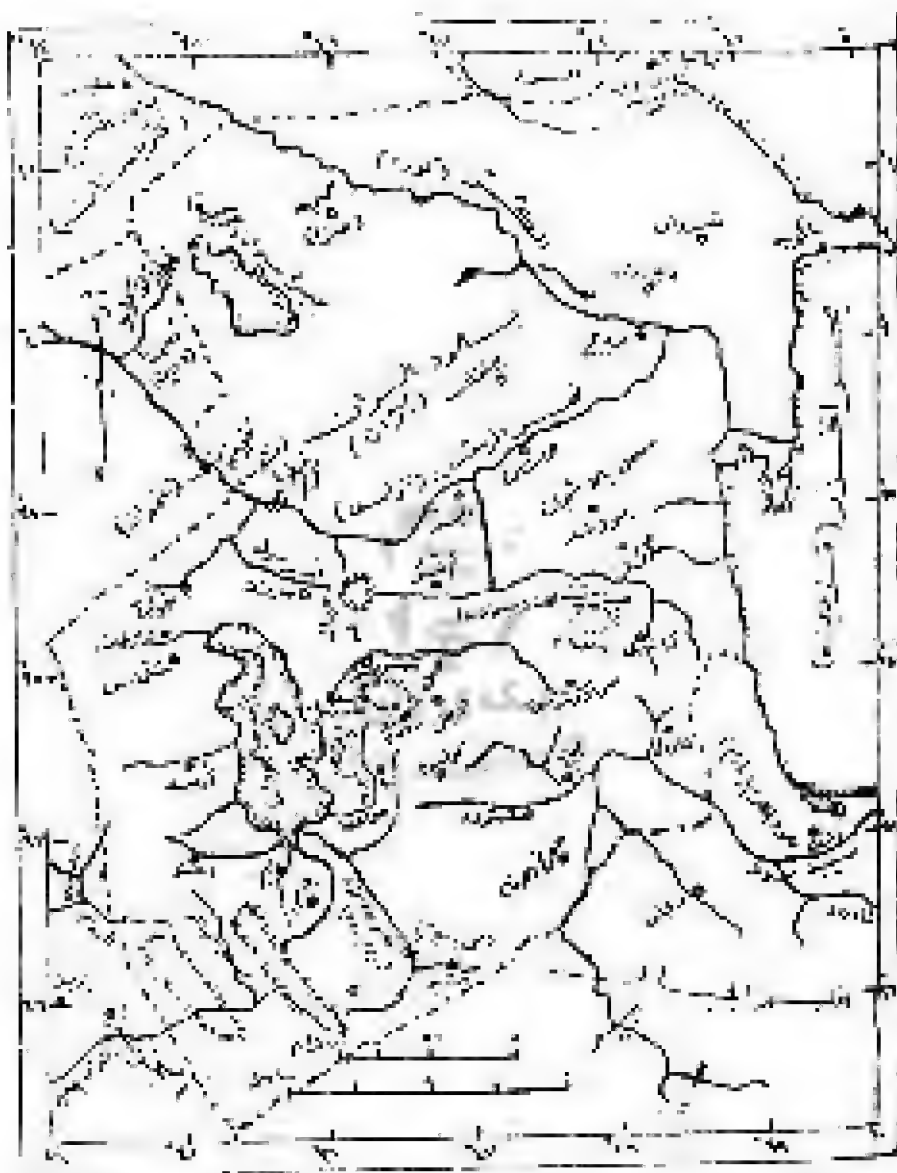
^٢ كصاحب حدود العالم والمقدسي والقزويني.

^٣ شترك، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة العربية القديمة، مادة أذربيجان، ٥٦٤/١.

^٤ مجمل التواريخ والقصص، مؤلف مجهول، طهران ١٣١٨ ش. ص ٤٤ ح ٢، ٥١، ح ٥، ١٤٩، نقلًا عن حمزة الاصفهاني، وينظر: شترك، ن.م. ٥٦٣/١.

^٥ شترك، ن.م. ٥٦٤/١.

^٦ حدود العالم من المشرق الى المغرب، طبعة طهران، ١٥٨-١٥٩.



۱- تهران ۲- اصفهان ۳- شیراز ۴- مشهد ۵- تبریز ۶- قزوین ۷- همدان ۸- کرمان ۹- یزد ۱۰- بندرعباس
 ۱۱- بوشهر ۱۲- خرمین ۱۳- اهواز ۱۴- ارومیه ۱۵- زنجان ۱۶- سمنان ۱۷- گلستان ۱۸- مازندران ۱۹- گیلان ۲۰- قزوین
 ۲۱- آذربایجان ۲۲- کردستان ۲۳- لرستان ۲۴- خوزستان ۲۵- بوشهر ۲۶- فارس ۲۷- کهگیلویه و بویراحید ۲۸- کهگیلویه و بویراحید

وأطلق الخوارزمي هذه التسمية نفسها عليها، اي (آذربادگان) وفسرها على انها تعني مهب ريح الشمال، فأذر من شهور الشتاء، وباد هو الريح، ثم عربت الكلمة فصيرت آذربيجان^١.

ويرى استرابون (سترابو) إن التسمية اشتقت من اسم "اتروپاتس Atropates"، وهو القائد الذي كان قد اعلن استقلاله سنة ٣٢٨ ق.م. أيام غزوة الاسكندر، حيث حفظ مملكته ميديا الصغرى الواقعة في الركن الشمالي الغربي من البلاد التي عرفت فيما بعد بفارس، من نفوذ الاغريق ولما نصب ملكاً وطد استقلال بلاده، واخذ احفاده يحكمون مملكته، التي اطلق عليها (آترپاتگان) اي بلاد ((القائد آترپات))، ومعنى اسمه (المحروس بالنار)، المحمي بالنار، "لان كلمة "اتر" معناها النار بالافيسستيه و "بات" هي صيغة مفعول من المصدر الافيسستي "با" (الحماية، الصيانة، الحراسة)، ومعناها "مصون" محروس، محمي"^٢.

وفي رأي توفيق وهبي: أن (آترپاتگان) تطورت الى آذربادگان ثم الى آذربايجان و آذربايجان^٣. ويقول شتراك، أنه من الطبيعي أن ينسى الفرس المحدثون لفظ (آتروپات)، ويجعلوا اسم آذربيجان متصلاً بلفظ "أذر" اي النار، وهو اشتقاق يسهل تصوّره - على حد قوله- اذا عرفنا انه كان يوجد في هذا الاقليم آبان الدولة الساسانية بيوت شهيرة لعبادة النار ومنها الشيز^٤.

وهذا الربط بين التسمية ولفظ النار، كان قد رآه ياقوت، فأشار الى ان أذر تعني اسم النار بالفهلوية وبايجان، الحافظ او الخازن، فمعناه بيت النار او خازن النار، وهذا -على حد قول ياقوت- اشبه بالحق واحرى به، لان بيوت النار في هذه الناحية كثيرة جداً^٥.

^١ مفاتيح العلوم، طبعة مصر، ٧١.

^٢ ينظر: شتراك ن.م، ٥٦٢-٥٦٤؛ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، ١٩٦٩، مادة اذربيجان، ٢٩/١؛ توفيق وهبي، القصد والاستطرداد في اصول معنى بغداد، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٠، ج١، ص ٧٠، ٧٣؛ واورد توفيق وهبي قول استرابون (سترابو) نقلاً عن:

The Geography of Scрабо، الكتاب ١١، الفصل ١٣، الملحق (١٦).

^٣ توفيق وهبي، المصدر السابق، ٧٣/١، الملحق (٥).

^٤ شتراك، المصدر السابق، ٥٦٣/١.

^٥ معجم البلدان، ١٧٢/١.

ومن هذا يمكن القول ان تسمية الاقليم قد نسبت الى "أترويات" التي تطورت الى أترياتكان، ثم الى آذرباڤكان وعربت الى آذربايجان وأذربيجان، لذلك فرسم الكلمة التي جاءت عند ياقوت: (أذربيجان) بالفتح هو أقرب اشتقاقاً وأكثر دقة في تعريف التسمية الاصلية وهي أتروياتكان.

حدود أذربيجان:

ذكر بعض البلدانين العرب، أن أذربيجان اقليم واسع يقع بين بلاد الجبال وبلاد الرآن (أران)^١، وحدد بعضهم الآخر الاقليم تحديداً دقيقاً، ففي العصر العباسي، كان يحده من الشرق بلاد الديلم والطرم (تارم) وجيلان (كيلان) وغربي بحر الخزر، ومن الجنوب بلاد الجبال والعراق وشيئ من حدود الجزيرة، ويحده من الغرب ارمينية واطليم الكرج (كرجستان او جورجيا الحالية) وشيئ من حدود الجزيرة (آشور قديماً)، اما من الشمال فيعتبر نهر الرّس (آراكس) هو الحد الفاصل بين هذا الاقليم من جهة وبلاد ارّان وشروان من جهة ثانية^٢.

حدد ياقوت الاقليم فقال: ((حد أذربيجان من برذعة مشرقاً الى ارزنجان مغرباً، ويتصل حدّها من جهة الشمال ببلاد الديلم والجبل والطّرم))^٣. هذا التحديد يتناقض مع تحديد البلدانين العرب الآخرين له ومع حدوده الحقيقية، فبرذعة - وتمثل موضعها الان مدينة برتاف على رافد لنهر الكر - تقع في شمالي بلاد اران وليس في شرق أذربيجان، وكذلك ارزنجان - والصحيح زنجان (زنجان) - تقع جنوب الاقليم - وما زالت هذه المدينة محتفظة بأسمها - وليس في غربه، ثم ان بلاد الديلم والجبل - وهو تصحيف: الجبل، اي جيلان (كيلان) - والطّرم، لاتحد الاقليم من الشمال بل من الشرق، وان حدود أذربيجان من الشمال هي بلاد ارّان وبلاد شروان. (ينظر: الخارطة).

^١ القزويني، آثار البلاد واخبار العباد، ص ١٨٩؛ الباكوي، تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، موسكو، ١٩٧١، ص ٣٤.

^٢ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان ١/١٧٢؛ القزويني، آثار البلاد، ص ١٨٩؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، ٣٨٦-٣٨٧؛ حمد الله المستوفي، نزهة القلوب، ٨٥.

^٣ معجم البلدان، ١/١٧٢.

ذكر البلدان يون العرب المدن الحدودية الواقعة في أطراف الاقليم: زنجان التي يصل اليها المسافرين بعد خروجه من أذربيجان باتجاه الجنوب، وسلّماس آخر حدوده من جهة الغرب، وورثان (الآن التّن) آخر حدوده من جهة الشمال، وخونج أول حدوده من جهة الرّي^١.

وجعل كل من الاصطخري وابن حوقل وصاحب حدود العالم والمقدّسي الرّان وارمينية وأذربيجان اقليماً واحداً، وذكروا سبب ذلك لارتباطه ببعض ولتداخل اراضيه، لذلك كانت ادارته واحدة وقد يضيفون اليه الموصل احياناً وذلك في صدر الدولة الاسلامية^٢.

وكانت أذربيجان في اول امرها جزءاً من اقليم ميديا التابع لدولة الاخمينيين ثم اصبحت امارّة مستقلة في عهد خلفاء الاسكندر^٣. وأذربيجان التي نقوم اليوم بدراستها، والتي كانت معروفة بهذا الاسم في العهد العباسي، تطابق تماماً الآن رقعة اقليم أذربايجان الايراني الواقع الى الشمال الغربي من ايران، والمتأخّم لتركيا وارمينية السوفيتية سابقاً من جهة الغرب، ولأذربيجان السوفيتية -سابقاً- من جهة الشمال والشمال الشرقي ولكرْدستان الايرانية من الجنوب والعراق من الجنوب الغربي. وبناءً على ذلك فأننا لانقوم بدراسة الاراضي التي تتكون منها الان جمهورية أذربيجان السوفيتية^٤ -سابقاً-، التي كانت تعرف في العهد العباسي باقليم الرّان (او أرّان)، حيث يفصل نهر الرس (آراس) بينه وبين اقليم أذربيجان الاصلي، لانه خارج حدود دراستنا.

^١ المقدّسي، احسن التقاسيم، ٣٧٨؛ ابو الفدا ٣٩٦-٣٩٧؛ ياقوت ٩١٩/٤؛ مسكويه، تجارب الامم ٣٩٨/١.

^٢ الاصطخري، المسالك والممالك، ١٠٨؛ ابن حوقل، صورة الارض ١١٢، ٢٨٥؛ حدود العالم، ١٥٨؛ احسن التقاسيم، ٣٧٤.

^٣ دائرة المعارف الاسلامية، شترك، مادة أذربيجان، ٥٦٢/١.

^٤ عنها يراجع: حاج زاده، أذربيجان السوفيتية، ص ٢٠؛ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، (الطبعة الجديدة)، مادة أذربيجان ٣٢/١.

السطح:

(١) الجبال والسهول:

يتكون سطح أذربيجان من اراض جبلية ذات قمم شاهقة تنتشر في انحاء مختلفة من الاقليم، وتتصل قمم سلاسل الجبال بعضها ببعض، وبذلك فطبيعة الاقليم من الوجهة الجغرافية تشبه طبيعة المناطق الالبية ذات المرتفعات الكثيرة، ولذلك فقد قال البلدانون العرب عن أذربيجان ان ((الغالب عليها الجبال))^١، إلا انه تتخلل هذه الجبال سهول خصبة تمتاز بوفرة خيراتها.

واهم الجبال التي ذكرها البلدانون العرب هي جبل سبلان (سولان) وسهند المتفرعان من سلسلة جبال البرز التي تتصل من الغرب بجبال القوقاز في روسيا^٢. واعتبر ابو حامد الاندلسي جبل سبلان من اعلى جبال الدنيا^٣، وعلى قمته عين ماء عظيمة، مأوها جامد لشدة البرد، كما ان الثلج يغطي قمته طول العام، ويشرف هذا الجبل على مدينة اردبيل من جهة الغرب، اذ تبعد عنه مسافة فرسخين (حوالي ١٢ كيلومتراً)^٤.

اما جبل (سهند) فهو مشهور بثروته المعدنية من الفلزات، لانه جبل بركاني ويقع جنوبي مدينة تبريز^٥. ويورد ابن حوقل اسم جبال أهر وورقان الواقعان الى الشمال من تبريز^٦. ويذكر ياقوت اسم جبلين اطلق عليهما: (أبرشتويم وأرشق)، بالقرب من مدينة البذ بأرض موقان القريبة من شواطئ بحر الخزر^٧. وجبل سلّماس

^١ ابن حوقل، ٢٨٨؛ تقويم البلدان، ٣٨٦.

^٢ يطلق اليوم اسم "البرز" على اعلى قمة في القوقاس.

^٣ يبلغ ارتفاعه: ١٥,٧٩٢ قدماً او ٤٧٣٨ متراً.

^٤ القزويني، آثار البلاد، طبعة وستنفلد، ١٨٩؛ الاصطخري، ١٠٨؛ ابن حوقل، ٢٨٨؛ ياقوت ٣/٣٤ - ٣٥.

^٥ عن جبال أذربيجان، ينظر:

Hon George N. Curzoh, Persia and the Persian Question, London ١٨٩٢, Vol. ١, PP. ٥١٥-٥١٦.

ويلغ ارتفاع جبل سهند ١١,٢٨٠ قدماً او ٣٧٦٠ متراً، ينظر: Op. cit, P. ٥١٨، كتاب جغرافي وزارت

فرهنگ، سال سوم، دبیرستانها، چاپخانه علمي، ١٣٢٤ش، ص ٢١٨، ٢١٩.

^٦ صورة الارض، ٢٩٧.

^٧ معجم البلدان، ٨٠/١، ٢٠٨.

الذي يقع في شمالي غربي بحيرة أرمية فإنه ما يزال يعرف بهذا الاسم حتى يومنا هذا، كما ويذكر القزويني جبلاً بأسم جبل (زنجقان) قرب مراغه^١.

اما سهول أذربيجان الواسعة فأنها تقع في اجزائها الوسطى (تبريز، مرند، سلماس)، وفيها هضاب مرتفعة تحطها خنادق عميقة^٢. ويوجد سهل بين برزند وورثان يقع على الضفة الجنوبية لنهر الرس اطلق عليه "صحراء بلاسجان" وهو التسمية العربية لـ (دشنتي بلاشگان)^٣، وتعد سهول أذربيجان الأكثر خصوبة من بين سهول ايران، وتكثر فيها القرى المحاطة بالبساتين ذات الفواكه المتنوعة^٤.

ونظراً لطبيعة بلاد أذربيجان الجبلية، فإن مناخها بارد ولاسيما في فصل الشتاء، عدا اراضي موقان القريبة من بحر الخزر فانها تعد مشتی، وكثيراً ما كانت الجيوش تقضي فصل البرد هناك قبل ان تقوم بعملياتها العسكرية، وكان التتر قد اتخذوها مشتی لهم، الى ان ينتهي فصل الشتاء فيبدأون بالغزو^٥.

(٢٩) الانهار:

وصفت أذربيجان بكثرة مياهها وانهارها ويرجع ذلك الى طبيعة البلاد الجبلية العالية وكثرة سقوط الامطار والثلوج فيها، وتنصرف انهارها اما الى احواض بحر قزوين، او الى بحيرة أرمية او الى روافد نهر دجلة.

اما الانهار التي تجرى نحو بحر الخزر (او طبرستان، قزوين) فهي:

١. نهر سفيد رود (النهر الابيض) وروافده:

منابع هذا النهر من الجنوب الشرقي لجبل سهند ومن شمال مدينة سيسر، ومن روافده: شاه رود (النهر الملك)، وشال (الآن شاهرود الصغير)، ونهر ميانج (الوسط) ونهر گرم رود (النهر الحار) وهشت رود (ثمانية أنهر). ونهر سفيد رود، بعد

^١ آثار البلاد، ٥٦٣.

^٢ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، ٣٣/١.

^٣ ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ١٢١.

^٤ John Macdonald Kinneir, Ageographical Memoir of the Persia Empire, New York, ١٩٧٢, P., ١٤٩.

^٥ القزويني، طبعة وستنفلد، ٣٧٩.

أن يمرّ باراضي أذربيجان يدخل بلاد الديلم قبل أن يصب في بحر الخزر، وهو نهر ضيق غير صالح لسير السفن فيه، لشدة جريانه^١.

٢. نهر الرس (آراس) وروافده:

ينبع من أرمينية ويجرى نحو الشرق، ثم يميل نحو الشمال الشرقي حتى يمر بورثان وبعدها ينحرف إلى جهة المشرق، ويجرى خلف جبال موقان ثم يلتقي شرق (برديج) بنهر الكر (كورا) ليكونا نهراً واحداً يصب في بحر الخزر، ويبلغ طول نهر آراس (١٠٧٢) كيلومتراً.

يهيمن من هذا النهر روافده اليمنى والتي تتجه جنوباً فتجری في اراضي أذربيجان وأهمها: روافد اردبيل، خوي، مرند، وذكر القزويني نهر سماه بـ(زكوير) يغور قرب مرند ليظهر مرة ثانية بعد أربعة فراسخ (حوالي ٢٤ كيلومتراً)^٢.

حوض بحيرة أرمية الداخلية:

أورد البلدانون العرب معلومات كثيرة عن بحيرة أرمية واسمها باسماء متعددة، فأطلق ابن سهراب وابن حوقل عليها اسم (كبودان) وهي تسمية أرمينية ومعناها البحيرة الزرقاء، وعرفت بـ (تلا) عند أبي الفداء، وذكرها ياقوت والنسوي باسمها المعرب: (طلا) وهي نسبة إلى قلعة على جبل يقع في الجزيرة التي تتوسط البحيرة، وعرفت ببخيرة (الشراة) عند الاصطخري، وسمّاها بذلك -على ما يبدو- لأن الخوارج قد اتخذوا من الجزيرة وقلعتها الحصينة مقراً لعصيانهم، أما مسعر بن مهلهل والمقدسي والقزويني وياقوت فقد أطلقوا عليها بحيرة أرمية^٣، وبقيت تعرف بها حتى العصر الحديث إلى أن استبدلت إلى بحيرة رضائية، ويلاحظ أن حمد الله المستوفي، قد

^١ ابن رُسته، العلاقات النفيسة، ٨٩؛ ابن سراجيون (سهراب)، عجائب الاقاليم السبعة، ص ٨١؛ ابن حوقل، ٢٩٦: ياقوت ١/٢٣٩؛ حمد الله المستوفي، ٩٤، ٩٩؛ كتاب جغرافي، وزارت فرهنگ، ص ٢٣٣.

^٢ سماء ابن رُسته بنهر أرمينية، ٨٩؛ وأطلق عليه اليونان أراكس وسيرس، لسترنج، ٢١٣.

^٣ معجم البلدان ٧٧٩/٢-٧٨٠؛ ابن حوقل ٢٩٦؛ الاصطخري ١١٢؛ المقدسي ٣٧٩؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، ٥٩-٦٠؛ القزويني، طبعة وستنفلد، ص ١٨٩؛ فوزي خلف شويل، إيران في سنوات الحرب العالمية الأولى، رسالة ماجستير من جامعة بغداد، آذار ١٩٨٣، ص ٣٣، ح ٥٤.

^٤ يقول جاكسون أن أرمية مشتقة من الأفسطية من أورو، مالح وميا كلمة سامية تطلق على الماء، فالمعنى يكون (ذات ماء مالح). ينظر: V. Jackson, K. Persia Past and Present, ١٩٧٥, P. ٧٣, Note ٢.

اسماها، جيجست والتي عرفت بها في زند آفيستا وفي الشاهنامه، واطلق الطبري اسم شاهي، والمستوفي اسم شاها على جزيرتها، التي تقع في الجهة الشرقية من البحيرة وتسمى الآن (شاهي)، طولها (٨) كيلومترات وعرضها (٣) كيلومترات^١.

ونظراً الى ان تصريف مياه البحيرة داخلي فقد وصفها ياقوت أنها مرة نتنة الرائحة، لاتعيش فيها الكائنات الحية، وفي جزيرتها عدة قرى ومزارع^٢، وكان اهلها عصاة على ولاة اذربيجان في اكثر الاحيان يخرجون بسفنهم ويقطعون الطريق على السابلة ثم يعودون الى قلعته المحصنة التي لم يكن باستطاعة اعدائهم الصعود اليها، وقد رأها ياقوت عن بعد، سنة ٦١٧هـ، وهو في طريقه الى خراسان^٣. ويبلغ طول البحيرة من الشمال الى الجنوب تسعين ميلاً، وعرضها من الشرق الى الغرب خمسة وثلاثين ميلاً، وتبلغ مساحتها ٢٢٣٠ ميلاً مربعاً^٤.

ويتحدث مسعر عن وجود قلاع حصينة على البحيرة والى جانب منها موضع يقال له وادي الكرد فيه طرائف من الاحجار^٥.

تجري المياه الى البحيرة من الشرق والجنوب والجنوب الغربي، وذلك تبعاً لطبيعة الارض، فالأنهار التي تجري من الشرق اهمها: نهر مراغه: وينبع من غربي جبل سهند، ونهر تبريز، ومن الجنوب نهر زيرين رود (النهر الذهب) والذي سمي في العهد المغولي بـ (جغاتو) وطوله حوالي (٢٤٠) كيلومتراً، واهم فروعه نهر سقر وليلان، والنهر الآخر الذي

^١ عجائب الاقاليم السبعة، ٨١؛ الطبري، طبعة محمد ابو الفضل، القاهرة، ١٩٧٠، ١٢/٩، ١٦٤؛ ابن حوقل، ٢٩٦؛ تقويم البلدان، ٤٢، ٣٩٦؛ معجم البلدان ٢١٩/١، ٥١٣، ٥٤١/٣؛ النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي، ٢٥٨؛ الاصلطخري، ١٠٨، ١١١؛ الرسالة الثانية، ٥٠؛ احسن التقاسيم، ٣٨٠؛ آثار البلاد، ٢٩٣؛ نزهة القلوب، ٩٧-٩٨؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ١٩٤؛ كتاب جغرافي، وزارت فرهنگ، ٢٤٩؛ مجمل التواريخ والقصص، ١١٣ ح ٢.

^٢ جاء عند ياقوت في المشترك، ٣٨: ان في وسطها جزاير، وليس جزيرة واحدة، ويقول ابن سراييون (سهراب) ان في وسط البحيرة جزيرة صغيرة مدورة، اسماها كبودان، وصفها بانها عامرة وفيها مدينة، ٨١.

وينظر عن البحيرة: J. M. Kinneir, Geographical Memoir of the Persia empire, P. ١٥٥.

^٣ معجم البلدان، ٥١٣/١.

^٤ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ١٩٤؛ كتاب جغرافي، وزارت فرهنگ، ص ٢٤٨؛ مينورسكي، دائرة

المعارف الاسلامية، طبعة ١٩٦٩، ج ٣/٣. Kinneir, Op. cit, P. ١٥٠.

^٥ الرسالة الثانية، ٥٠-٥١.

يجرى أيضاً من الجنوب الى الشمال هو نهر بالا رود (النهر الفوقاني) ويسمى ايضاً: سيمينه رود، وسمي في العصر المغولي بـ (تتهو)، ولكنه اقصر واقل ماء من زيرين رود، واهم فروعه نهر ساوج بولاغ (سابلاغ) وتعني (العين الباردة)^١.
 اما منابع نهر الزاب الصغير، فهو من سلسلة الجبال الممتدة على الحدود العراقية- الايرانية من الجانب الايراني، وتسمى روافده الاولى بنهر كيالو ونهر بانه، وبعد ان يقطع ممر آلان الشهير يدخل الاراضي العراقية من الشرق الى الغرب.
 ومانع نهر الزاب الكبير من اعالي الجبال الممتدة غربي بحيرة اورمية، من بلاد بشتكين ويمر بناحية بابغيش قبل ان يدخل الاراضي العراقية الحالية^٢.

تقسيماتها الادارية:

توجد اختلافات في كتب البلدانين العرب عن التقسيمات الادارية لأذربيجان وما يتبعها من كور، وعن تقسيمات الكور من مدن ورساتيق^٣، وفيها خلط في المفاهيم الجغرافية المتداولة آنذاك كالكورة والرساتاق، فابن خرداذبة (ت سنة ٢٨٠هـ) يجعل أذربيجان كورة يتبعها عدد من المدن والرساتيق، بينما نجد معاصريه من البلدانين كأبن رسته (ت بعد سنة ٢٩٠هـ) واليعقوبي (ت بُعيد سنة ٢٩٢هـ) وقدامة بن جعفر (ت

^١ كتاب جغرافي، وزارت فرهنگ، ص ٢٥٠؛ Kinneir, Op., cit, P. ١٥٠؛ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، طبعة ١٩٦٩، مادة اورومية، ٣/٣٠-٣٢.

^٢ ياقوت، معجم البلدان ٤٤٦/١، ٥٥٢/٢، ٩٠٢؛ علي اصغر شميمي، جوغرافياي كوردستاني ثيران، ١٦-١٣؛ حسين حزني موكرياني، كوردستاني موكريان يا آتروپاتين، ٣-١٠؛ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، ٣٣/١.

^٣ عرف ياقوت الكورة بأنها: ((كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قسبة او مدينة او نهر يجمع اسمها)). وقال بأن ((الكورة والاستان واحد. وتنقسم الكورة الى الرساتيق والرساتاق الى الطاسيج والطسوج الى عدة من القرى)).

ويقصد بالرساتاق -ايام ياقوت- في بلاد فارس ((كل موضع فيه مزارع وقرى)). معجمه ٣٩/١، ٤٠، الرُستاق معرب عن اصله الارامي: ((روستاقا ومعناه السواد والقرى حول البلدة)) ٩؛ يعقوب اوجين مثلاً، دليل الراغبين في لغة الاراميين، الموصل، ١٩٠م، ص ٧٤٥، ويشترط المقدسي انه: ((لا بد لكل اقليم من كور))؛ احسن التقاسيم، ٤٨.

سنة ٣٢٠هـ)، يعدونها اقليماً يتكون من عدد من الكور^١، اما بلدانيو النصف الثاني من القرن الرابع الهجري كالأصطخري (ت بعد سنة ٣٤٠هـ) وابن حوقل (ت ٣٦٧هـ) وصاحب حدود العالم (الف سنة ٣٧٢هـ) والمقدسي (ت بعد سنة ٣٨٧هـ)، فإنهم يجعلون من الرآن وارمينية وأذربيجان اقليماً واحداً، واطلق عليه المقدسي اسم (اقليم الرحاب)^٢، بينما عدّ البلدانيون المتأخرون كياقوت (ت ٦٢٦هـ) والقزويني (ت ١٨٢هـ) وابو الفدا (ت ٧٣٢هـ) وحمدالله المستوفي (ت حوالي سنة ٧٥٠هـ) أذربيجان إقليماً بحد ذاته بل اقليماً واسعاً^٣.

وفي الوقت الذي يجعل ابن حوقل أذربيجان وارآن وارمينية، اقليماً واحداً - كما اسلفنا - فإنه يقول ان اردبيل وهي من مدن أذربيجان تتبعها ((رساتيق وكور جليلة))^٤، مع علمنا بان البلدانين العرب اشترطوا انه لابد لكل اقليم من كور ولكل كورة من رساتيق، ويعني ذلك، حسب هذا المفهوم، بأن اردبيل، اقليم في حين لم نجد واحداً من البلدانين يذكر ذلك، وان ذكر ابن حوقل لكلمة "كور" بعد كلمة "رساتيق" يعني ان الكورة اصغر، واقل شأنًا من الرستاق، وهذا يناقض مانعرفه من ان الرستاق اخص من الكورة، والكورة تتكون من عدد من الرساتيق.

شهدت أذربيجان ثلاث قصبات^٥ في عهد الدولة الاسلامية، ففي صدر الاسلام كانت اردبيل هي القصبة، ثم انتقلت الى المراغة، وبقيت قصبة البلاد الى ان نقل احد امراء (بنو الساج) الذين حكموا أذربيجان وهو ابو القاسم يوسف بن ديوداد (٢٨٨-٣١٥هـ/٩٠١-٩٢٧م) المعسكر ودار الامارة والدواوين الى اردبيل، وذلك لتوسطها البلد

^١ ابن خرداذبه، ١٢٠؛ الاعلاق النفيسة، ١٠٦؛ كتاب البلدان، ٣٦؛ الخراج وصنعة الكتابة، ١٧٤.

^٢ ابن حوقل، ١١٢، ٢٨٥؛ الاصطخري، ١٠٨؛ حدود العالم، ١٥٨؛ احسن التقاسيم، ٣٧٤.

^٣ معجم البلدان ١/١٧٢؛ اثار البلاد ٢٨٤؛ تقويم البلدان، ٣٨٦-٣٨٧؛ نزهة القلوب، ٨٥.

^٤ صورة الارض، ٢٨٨.

^٥ جاء عند المقدسي، احسن التقاسيم، ٤٧: بأنه لابد ((لكل كورة من قصبة ثم لكل قصبة من مدن)). فالقصبة تعني هنا مركز او قاعدة الكورة او الاقليم.

كله، فعادت قصبة لأذربيجان مرة ثانية، ولكن في أيام ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) كانت القصبة هي تبريز كبرى مدن أذربيجان^١.

ويذكر ابن خرداذبة المدن والرساتيق في كورة أذربيجان^٢، وهي مهمة في معرفة ما تحويه الكورة قبيل الفتح العربي، وبعده، فالمدن التي اوردها هي: (١) المراغه (٢) الميانج (ميانه) (٣) اردبيل (٤) ورثان (الان التن) (٥) سيسر (٦) برزه (٧) سابرخاست (شاپورخواست) (٨) تبريز (تورين) (٩) مرند (١٠) خوي (١١) كولسرة (١٢) موقان (١٣) برزند (١٤) جنزه (گنزك) (١٥) جابروان (١٦) نريز (١٧) ارمية (ورمي) (١٨) سلماس (١٩) الشيز (چيس).

ونذكر من رساتيقها: (١) رستاق السلق (٢) رستاق سند بايا (سند پايا)^٣ (٣) البذ (٤) رستاق ارم (٥) بلوان كرج (٦) رستاق سراه (سراب او سراو) (٧) دسكياور (٨) رستاق ماينهرج^٤.

ويورد ابن الفقيه قائمة بمدن أذربيجان تشبه قائمة ابن خرداذبة الا انه لم يذكر اردبيل و سيسر من ضمنها، ولكنه ذكر من مدنها ايضاً: البيلقان والخونج وبركري (برگري)^٥.

ويلاحظ على قائمة ابن خرداذبة ان مدينتي سيسر (وتعني ثلاثين راساً) وسابرخاست (شاپورخواست) كانتا ضمن كورة أذربيجان، في أيامه، ولكن لم يرد ذكرهما ضمن أذربيجان عند البلدانين الذين ظهروا بعده، بل ذكرهما ضمن اقليم الجبال، مما يدل على انهما لم تعودا تابعتين لاقليم أذربيجان ادارياً، اما (البذ) فبعد ان

^١ مسكويه، تجارب الامم ٣٩٨/١؛ حدود العالم، ١٥٨؛ المقدسي ٣٧٧؛ القزويني، ٥٦٢ (ينفرد هذا بذكره ان المراغه هي قصبة الاقليم، بينما في أيامه كانت تبريز هي القصبة)، معجم البلدان، ١٧٢/١، ١٩٨؛ ابن حوقل، ٢٨٨؛ الاضطخري، ١٠٨.

^٢ المسالك والممالك، ١٢٠.

^٣ اعتبر ياقوت (١٦٦/٣)، رستاق سند بايا ضمن كورة البذ.

^٤ رستاق ماينهرج، ضم هذا الرستاق الى كورة سيسر بعد ان كان تابعاً للدينور؛ ياقوت ٢١٦/٣، وارم كانت لها قلعة، تقع بين البذ وبلوانكرج؛ ابن خرداذبة، ١١٩.

^٥ مختصر كتاب البلدان، ٢٨٦.

كانت رستاقاً في أيام ابن خرداذبه، او قبيل ذلك، تحولت الى مدينة في أيام اليعقوبي، ثم أصبحت كورة في عهد ياقوت^١.

اما اليعقوبي (ت بُعيد سنة ٢٩٢هـ)^٢ المعاصر لابن خرداذبة (ت ٢٨٠هـ) فإنه جعل عدد كور اقليم اذربيجان اثنتي عشرة كورة، ومن بينها: (برذعة) الواقعة على احد روافد نهر الكر والذي جعلها قدامة قصبه لورثان، اي ان الاخير عدّ ورثان هي الكورة وبرذعة قصبته، كذلك اورد ابن رسته اسم ورثان ككورة من كور الاقليم. اما ياقوت فيجعل برذعة بلداً يقع في اقصى اذربيجان في حين جعلت عند البلدانين الآخرين ضمن اقليم ازان، ولم يذكر اليعقوبي مراغه ككورة، علماً ان البلدانين العرب غيره، ذكروا انها قصبه الاقليم قبل ان تصبح اردبيل هي القصبه، كذلك ابن رسته، فقد ذكرها من كور اذربيجان في الوقت الذي عدّ الاقليم متكوناً من خمس كور فقط، وعند البلاذري وابن الفقيه (برزه) كورة^٣.

ربما يعود هذا الاختلاف الى تبدل في الاوضاع السياسية الناجمة عن الحروب وما تؤدي الى احتلال مدن ومواقع جديدة وضمها الى الاقليم، او الى فقدان لمدن ومواقع وانتزاعها من الاقليم، وضمها الى اقليم آخر تبعاً للانتصار او الهزيمة في الحرب، وكذلك يعود الى التغييرات الادارية كأن تُغيّر القصبه من مدينة الى اخرى تبعاً للظروف التي قد تستجد، وايضاً يعود الى تبدل في وضعية المكان، فتزداد اهميته او تقل، او قد يعود الى عدم الدقة لدى بعض البلدانين، كأن يجعل احدهم الكورة قصبه او مدينة او رستاقاً او العكس، او يجعل الموضع تابعاً الى اقليم اخر وهكذا.

^١ كتاب البلدان، ٣٦؛ معجم البلدان، ٥٢٩/١.

وسيسر، بلد متأخم لهمذان، استحدث في أيام الخليفة الامين ومنحت اليه عدد من الرساتيق، فأصبحت كورة، ياقوت ٢١٦/٣.

^٢ اسماء الكور الواردة في قائمة اليعقوبي، ص ٣٦، هي: اردبيل، برزند، ورثان، برذعه، الشيز، سراه، مرند، تبريز، الميانج، ارومية، خوي، سلّماس.

^٣ معجم البلدان ٥٥٨/١؛ فتوح البلدان، ٣٢٦؛ مختصر كتاب البلدان ٢٨٥.

اهم مدن ومعالم الاقليم:

لم تتضح لنا الرؤية الكاملة للتقسيمات الادارية لكل كورة من الكور ومايتبعها من مدن ورساتيق، لقلة المعلومات التي توضح ذلك، ولهذا السبب سنتناول اهم كور ومدن الاقليم بالدراسة بقدر ما تسمح به المصادر من التقسيمات الادارية، وبحسب اهميتها ومواقعها، ذاكرين اصول اسمائها وتعيين مواضعها ونشئها واهم معالمها الاثارية والعمرانية مع بيان اهميتها الاقتصادية والعسكرية والتغيرات التي طرأت عليها.

١. تبريز: الكورة والمدينة:

١. تَبْرِيز:

ينطق اسمها تبريز بالكسر^١، وهذا النطق هو احد خصائص اللهجة الاذرية، المنسوبة الى الخزرا^٢، اما النطق الحالي فهو تَبْرِيز، بالفتح، ويرى كل من مينورسكي وكورزون ان التسمية بموجب اللهجة البهلوية الشمالية مشتقة من: تاب اوتاو، اي الدافئ وريز بمعنى الفيض، فالمعنى هو: سيل أو فيض دافئ. ونشأت من العيون الحارة في المناطق المجاورة لتبريز، لذلك يُرجَّح مينورسكي التسمية الى عهد قديم جداً، قبل العهد الساساني وربما قبل العهد الاشكاني^٣. وتطلق العامة على المدينة اسم (تورين) وتعني باللغة الفارسية الشعبية "قاطعة الحمى ومزيله الامراض" لاشتهارها منذ القدم بجوها الصحي الذي يميل الى البرودة^٤.

وتقع تبريز في شرق بحيرة اورمية، على نحو خمسين كيلومتراً منها وعلى النهر الذي يحمل اسمها، ويصب في البحيرة المذكورة، ويطل على المدينة جبل سَهَنَد من الجنوب^٥. ويبدو ان تبريز كانت قرية في صدر الاسلام حتى نزلها الرواد الازدي، التي خضعت له اذربيجان في الحقبة (١٣٦-١٤٤هـ)، فأعاد تشييدها هو واخوته، وبنوا فيها

^١ ياقوت، معجم البلدان، ٨٢٢/١.

^٢ سيد احمد كسروي تبريزي، آذرى يا زبان باستان آذربايجان، طهران، ١٣٠٤ش، ص ١١.

^٣ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، تبريز، ١٣٧٦/٩.

Curzon, Persian and the Persian Question, Vol., ١, P. ٥١٨-٥١٩.

^٤ الحميري، الروض المعطار، ١٤٣هـ، صادق نشأت ومصطفى حجازي، صفحات من تاريخ ايران، ٢٩.

^٥ شمس الدين سامي، قاموس الاعلام (تركي) ١٦٢٣/٣.

قصوراً وحصنوها بسور، فسكنها الناس^١. وأشارت رواية حمدالله المستوفي الى ان بانية تبريز هي الست زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد وذلك في سنة ١٧٥هـ^٢. غير ان روايات المؤرخين المتقدمين عند البلاذري واليعقوبي وابن الفقيه وغيرهم لاتؤيد هذا القول، اضافة الى انه لم يرد مايشير الى زيارة الست زبيدة الى اذربيجان. وذكرت المصادر ان زلزالين مدمرين تعرضا للمدينة، الاول في سنة ٢٤٤هـ ايام الخليفة المتوكل (٢٣٢-٢٤٧هـ)، فأعاد الخليفة تعميرها، والثاني في سنة ٤٣٤هـ، فدمرها وتهدمت قلعتها وسورها ودورها ومساكنها وحمّاماتها واسواقها والجزء الاكبر من دار الامارة^٣. ولكن سرعان ما استعادت المدينة مركزها فعمّرت بسرعة، فحين زارها ناصر خسرو في سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م، قال عنها انها مدينة عامرة^٤. وكانت المدينة ايام الاصطخري (ت ٣٤٠هـ) خاضعة لال الرديني من العرب والذين لم يعد لهم وجود ايام ابن حوقل (ت حوالي ٣٦٧هـ)، ووصفها بلدانيو القرن الرابع الهجري، انها مدينة صغيرة، غير ان مسكويه المعاصر لهم قال عنها في حوادث سنة ٣٣٠هـ، انها ((مدينة جليلة وعليها سور حصين))^٥. وتوسعت تبريز في القرنين الخامس والسادس الهجريين حتى غدت اشهر مدينة في اذربيجان ايام ياقوت وأهله بالسكان. ودليلنا على ذلك كثرة عدد ضحايا المدينة، عندما تعرض لها الزلزال سنة ٤٣٤هـ، فقدّر ناصر الذي زار المدينة بعد الكارثة بأربعة اعوام الضحايا باربعين الف شخص وكذلك قدّر حمدالله المستوفي^٦. وازدهرت المدينة مرة اخرى في عهد المغول واصبحت أهلة بالسكان ايام السلطان غازان محمود خان (٦٧١- نحو ٧٠٥هـ/١٢٧١- نحو ١٣٠٤م) بحيث اضطر ساكنوها ان يبناو دورهم خارج المدينة امام

^١ ابن الفقيه، ٢٨٥؛ البلاذري، ٣٢٦؛ قدامة ٣٨١؛ ياقوت ٨٢٢/١.

^٢ نزهة القلوب، ٨٥.

^٣ نزهة القلوب، ٨٥؛ ان الجوزي، المنتظم، ١١٤/٨.

^٤ رحلة ناصر خسرو، ص ٥.

^٥ الاصطخري، ١٠٨؛ ابن حوقل، ٢٨٩-٢٩٠؛ حدود العالم، ١٥٩؛ مسكويه؛ تجارب الامم، ٣٣/٢؛

يقول صاحب حدود العالم، ١٥٨: ان السور الذي يحيط بها بناه علاء بن احمد الازدي، عامل

اذربيجان، قتل سنة ٢٦٠هـ؛ ابن الاثير ٣٧٣/٥.

^٦ سفرنامه، ٥؛ نزهة القلوب، ٨٦.

الابواب في الوقت الذي كان طول السور آنذاك ٢٥ الف خطوة (١٦,٦٢٥ متراً^١)، وله ستة ابواب وقد أصبح طول هذا السور في ايام حمد الله المستوفي (ألف تصنيفه سنة ٧٤٠هـ)، (٦ الاف خطوة = حوالي ٤ الاف متر)، وله عشرة ابواب كبيرة^٢.

وكان بقرب المدينة حمّامات ذات مياه معدنية، يرتادها المصابون بالامراض الجلدية^٣. وكانت في اطراف المدينة خلال المئة السابعة الهجرية مزارات عدّة متبركة، ومقبرة الشعراء بسرخاب التي تضم رفاة شعراء القرن السادس الهجري ومنهم انوري وخاقاني وظهير الدين فارياي وفلكي شيرواني^٤.

وتعد تبريز اليوم اكبر مدينة في أذربيجان واكثرها ازدحاماً بالسكان ومركز اقليم أذربايجان^٥، ولعل سبب ازدياد اهمية المدينة وتوسعها يعود الى وقوعها على النهر الذي يحمل اسمها، واحاطتها بسهل خصب واسع يرويه انهار عديدة تكثّر فيه البساتين، اضافة الى هوائها الصحي المائل للبرودة، ووقوعها على طريق المواصلات الهام والوحيد الموصل بين بلاد الجبال وبين آران وارمينية^٦.

ب. أجان:

رسمها ياقوت: (أجان)، بينما رسمها ابو الفدا وحمدالله المستوفي "أوجان"^٧، وكانت على بعد عشرة فراسخ (حوالي ٦٠ كم) من تبريز، عند ياقوت، وثمانية فراسخ

^١ الخطوة: تساوي ذراع بذراع الملك (ابن رُسته، الاعلاق النفيسة، ٢٢)، وذراع الملك يساوي ٦٦,٥ سم. فالترهنتس، المكايل والاوزان الاسلامية ومايعالها في النظام المترى، ترجمة: كامل العسلي، الجامعة الاردنية، ١٩٧٠، ص ٩٠، ٩٣.

^٢ نزّهة القلوب، ٨٦-٨٧.

^٣ القزويني، آثار البلاد، طبعة وستنفلد، ٢٢٧؛ الباكوي، تلخيص الآثار، موسكو، ١٩٧١، ص ١٣٩.

^٤ نزّهة القلوب، ٨٩.

^٥ صادق نشأت ومصطفى حجازي، صفحات من ايران، ٢٩.

^٦ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، طبعة ١٩٦٩، ١٧٣/٩ "امين احمد رازي، هفت اقليم، جلد ٢٠٨/٣-٢٠٩.

^٧ معجم البلدان، ١٣١/١؛ تقويم البلدان، ٣٩٨-٣٩٩؛ نزّهة القلوب، ١٩١. وكتبها لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ١٥٨: أوجان، ولعله رسمها بهذا الشكل ليقصد بها التسمية الفارسية لها والتي تعني: الماء الروح او ماء العافية.

(حوالي ٤٨ كم)، عند حمدالله المستوفي في طريق ميانه المتجه الى الري والتي عدّها من توابع كورة تبريز^١.

ويبدو انها مدينة قديمة يرجع وجودها الى عهد الساسانيين، حيث ذكر حمدالله المستوفي انها من بناء "بيژن بن گيوبن گودرز"، ووصفها ببرودة هوائها، وذكر ان نهرها الذي كان يسمى بـ(آب جان) ينبع من قمة جبل سَهَنَد الشرقية^٢. زارها ياقوت في بداية القرن السابع الهجري وكانت بلدة صغيرة لها سور وفيها سوق، غير ان الخراب ظاهر فيها^٣، واعاد غازان محمود خان^٤ بناءها، واقام لها سوراً من الحجر والجص، واطلق عليها اسماً جديداً هو شهر اسلام^٥، اي مدينة الاسلام، واقام فيها مدة من الزمن^٦، فازدهرت المدينة من جديد، لذلك وصفها ابو الفدا، بأن لها اسواقاً ورستاقاً، خصبة كثيرة الخيرات^٧.

ج. خُسْرُو شاه:

وصفها ياقوت في معجمه انها بليدة، على بعد ستة فراسخ (حوالي ٣٦ كم) عن تبريز، ولكنه يقول في المشترك انها تبعد عنها سبعة فراسخ او نحوها، وقال: ان فيها سوقاً وعمارة^٨، وتحولت خسروشاه الى قرية تابعة الى تبريز ايام حمد الله المستوفي^٩.

^١ معجم البلدان، ١/١٣١؛ نزهة القلوب، ٨٥، ٩١؛ الباكوي، تلخيص الآثار، ١٣٩.

^٢ نزهة القلوب، ٩١.

^٣ معجم البلدان، ١/١٣١؛ ابن عبدالحق، مرصد الاطلاع، طبعة القاهرة، ١٩٥٤، ٢٩/١.

^٤ غازان محمود خان، سلطان المغول، اعتنق الاسلام واقره ديانة للدولة، ازدهرت تبريز في ايامه كثيراً وشجع رشيد الدين فضل الله على تأليف كتابه: "جامع التواريخ"، المنجد في الاعلام، ٥٠٠.

^٥ نزهة القلوب، ١٩٨.

^٦ تقويم البلدان، ٣٩٨-٣٩٩.

^٧ معجم البلدان ٢/٤٤٣؛ المشترك، ١٥٦؛ ابو الفدا، ٢/٤٤٣.

^٨ نزهة القلوب، ٩٠.

٢. اردبيل:

١. اردبيل:

وردت تسميتها بصيغ متعددة، فرسمها صاحب حدود العالم: (أردويل)، حسب تسمية العامة لها، وجاءت عند السمعاني (أردبيل) بضم الدال، إمّا: ياقوت والبكري فقد ضبطاها: (أردبيل) "بفتح الدال وهو المشهور".

تقع المدينة في أقصى شرقي أذربيجان، على هضبة مرتفعة، تحيط بها الجبال من جميع الجهات، وتقع أردبيل على احد روافد نهر قره صو (النهر الاسود)، سمّاه المستوفي (اندراب)^١ ومنبع هذا النهر من منحدرات جبل سبلان الشرقية، وهو الجبل العظيم الذي يطل على المدينة من الغرب، على بعد ٣٢ كيلومتراً تقريباً، وبين أردبيل وسراو (سراب) (عشرة فراسخ، اي حوالي ٦٠ كيلومتراً) وتقع شرق تبريز على بعد ٣٠ فرسخاً منها (حوالي ١٨٠ كيلومتراً)^٢، وتوجد في اطراف المدينة الكثير من ينابيع المياه المعدنية الساخنة التي يتردد عليها الناس^٣.

اختلفت الروايات في ذكر مؤسس المدينة، فالقزويني والباكوي، قالا انها من بناء فيروز الملك^٤، في حين ادعى السمعاني، انها من بناء اردبيل بن لمطي بن يونان فنسبت اليه^٥، اما حمد الله المستوفي فقال انها من بناء كيخسرو بن سياوش الكياني^٦ وعلى الرغم من هذا الاختلاف، فإن تلك الروايات تتفق على انها مدينة قديمة، فقد كانت قسبة أذربيجان في عهد الساسانيين، وفيها مرزبانها واليه جباية خراجها^٧.

^١ حدود العالم، ١٥٨؛ الانساب للسمعاني، ١٥٧/١؛ معجم البلدان ١٩٧/١؛ معجم ما استعجم ١٣٧/١.

^٢ يسمى هذا الرافد حالياً بـ(بالخو، او بانق صو) او "جاي"، فراي (R. N. Frye)، دائرة المعارف الاسلامية، مادة اردبيل، الطبعة الجديدة، لسنة ١٩٦٩، ٥٤٤/٢.

^٣ نزهة القلوب، ٩١؛ ولكن عند ابي الفدا نقلاً عن المهلب، ان المسافة بينهما خمسة وعشرون فرسخاً، ص ٣٩٨-٣٩٩.

^٤ شترك، دائرة المعارف الاسلامية، ٥٤٢/٢.

^٥ آثار البلاد، ١٩٣، طبعة وستنفلد؛ الباكي، تلخيص الآثار، موسكو، ١٩٧٠، ص ٣٥ ب.

^٦ الانساب ١٥٧/١؛ في نخبة الدهر للانصاري الدمشقي، ١٨٧، انها نسبت الى اردبيل بن اردميني.

^٧ نزهة القلوب ٩٦، اي انه نسب انشاؤها الى ملك اقدم من الملك فيروز الساساني بكثير.

^٨ البلاذري، فتوح البلدان ٣٢١؛ ياقوت ١٩٨/١.

وكانت أيضاً دار الامارة في صدر الاسلام، وبنى الاشعث بن قيس واليها من قبل الخليفة عثمان بن عفان، مسجدها الذي وسّع فيما بعد^١. وكانت في ايام الاصطخري من اكبر مدن اذربيجان وأجلّها وفيها المعسكر ودار الامارة والدواوين، وكنا قد ذكرنا^٢، ان قسبة البلاد قد انتقلت من اردبيل الى المراغة، ثم أعاد حاكم اذربيجان (من بني الساج) وهو ابو القاسم يوسف، بن ديوداد (٢٨٨-٣١٥/٩٠١-٩٢٧) القسبة الى اردبيل مرة ثانية، واصبحت مدينة عظيمة ايام صاحب حدود العالم، وبلغت مساحتها ثلثي الفرسخ في مثلها (اي حوالي ١٦ كيلومتر مربع)، وكان عليها سور منيع فيه ثلاثة ابواب، ولكن المزربان بن محمد بن مسافر هدمه سنة ٣٣١هـ، انتقاماً من اهلها لحمايتهم ديسم بن شاذليه، وكان قد أمرهم ان يهدموه بأنفسهم، ففعلوا، وعندما تكلم ابن حوقل (ت ٣٦٧هـ) عن المدينة لم يتعرض لذكر الابواب، لأن صاحب حدود العالم، (ألف سنة ٣٧٢هـ) ذكر انها محاطة بسور، كذلك ذكر المقدسي (الف كتابة سنة ٣٧٥هـ)، ان عليها حصناً منيعاً، وكان أغلب بنائها من الطين والاجر، وذكر الاصطخري (انتهى من تأليف كتابه سنة ٣٤٠هـ)، ان اراضيها خصبة واسعارها رخيصة، لها رساتيق وكور، وكانت تتبعها اراض واسعة (ثلاثون فرسخاً في مثلها)، غير ان خيراتها كانت قد قلت ايام تأليف حدود العالم، و اضاف ابن حوقل: انها مدينة لها انهار جارية وابارها طيبة عذبة، وهوائها في غاية البرودة^٣.

ووصف المقدسي اسواقها فذكر انها على شكل صليب موزع الى اربعة دروب والجامع وسط الصليب، وخلف الحصن روض عامر وفيها خيرات كثيرة وحمّامات طيبة، غير انه يذم اهلها كثيراً وينعتهم بشتى النعوت^٤.

زار ياقوت اردبيل سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، فوجدها مدينة كبيرة جداً، أهلة بالسكان، واقعة في فضاء واسع، محاطة بالجبال، لكنه لم يجد فيها وفي السهل المحيط

^١ البلاذري ٣٢٤؛ ابن الفقيه ٢٩٤، طبعة ليدن، قدامة، ٣٨٠؛ القلقشندي ٣٥٦/٤، نقلا عن مسالك الابصار.

^٢ يراجع التقسيمات الادارية، ص ٣٨.

^٣ حدود العالم، ١٥٨؛ الاصطخري، ١٠٨؛ احسن التقاسيم، ٣٧٧؛ ابن حوقل، ٢٨٧-٢٨٨؛ نزهة

القلوب، ٩٢؛ امين احمد رازي هفت اقليم، جلد ٣/٢٥١.

^٤ احسن التقاسيم، ٣٧٧.

بها شجرة واحدة مثمرة^١، ويعود ذلك وقوعها على هضبة جيوية بيضاء قاحلة لا يمكن ان تصبح خصبة الا بالري الصناعي.

ولكن بعد ان نزع ياقوت عنها بقليل، اجتاحتها التتر سنة ٦١٨هـ، وابدوا من كان فيها من المسلمين عن بكرة ابيهم تقريباً، ثم انصرفوا عنها بعد ان جعلوها قاعاً صفصفاً، الا انها استعادت حالتها الاولى في حوالي سنة ٦٢١هـ، حين اتم ياقوت تسويد كتابه^٢.

ب. خلخال:

مدينة متاخمة لجيلان (كيلان) تقع على بعد اثني عشر فرسخاً (حوالي ٣٦ كيلومتراً) جنوب اردبيل، وردها ياقوت سنة (٦١٧هـ) عند انهزامه من التتر، وقال: "انها مدينة وكورة في طرف اذربيجان، واكثر قرى اهاليها ومزارعهم في جبال شاهقة وفيها قلاع حصينة"، ولم يرد اسم خلخال قبل عهد ياقوت، وكانت تتبع اردبيل على ايام حمدالله المستوفي^٣.

وكانت مدينة فيروز آباد -وتعني (معمورة فيروز)، ولها قلعة حصينة تقع - حسب قول المستوفي- على قمة الدرب، مقراً للحكام القاجاريين، ولكن بعد ان تهدمت اصبحت خلخال هي المقر، غير ان اهميتها تضاعفت ايام المستوفي، فبعد ان كانت مدينة متوسطة الحال، تحولت الى قرية خربة^٤. وقال لسترنج^٥ "انه لا يمكن الان معرفة الموضع الصحيح لفيروز آباد"، ولكن ياقوت عيّن موقعها وذلك على بعد فرسخ واحد (حوالي ٦ كيلومترات) من خلخال^٦، ومازالت فيروز آباد موجودة وتقع في غرب خلخال.

^١ معجم البلدان ١/١٩٨؛ القزويني ١٩٣، طبعة وستنفلد.

^٢ معجم البلدان، ن.ج.ص، الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق د. احسان عباس، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٦، شترك، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، ١/٥٨٥، فراي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، ٢/٥٤٥.

^٣ معجم البلدان ٢/٤٥٩؛ نزهة القلوب ٨١.

^٤ معجم البلدان ٣/٩٢٨؛ مراصد الاطلاع ٣/١٠٥٠؛ نزهة القلوب ٩٣؛ دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة ٨/٤٠٤.

^٥ بلدان الخلافة الشرقية، ٢٠٥.

^٦ معجم البلدان، ٣/٩٢٨.

٣. سراو (سراب):

وردت تسميتها، عند البلدانين العرب، بصيغ مختلفة، فقد كتبها البلدانيون الاوائل: (ابن خرداذبه، ابن الفقيه، اليعقوبي)^١: سراو، اما صاحب حدود العالم وياقوت فانهما رسماها: سراو، وهي تسمية الكُرد المحليين لها، وسماها حمدالله المستوفي (سراب)، حسب تسمية الفرس لها، وتعني سراو او سراب، صدر الماء، وربما سميت المدينة بهذا الاسم لوقوعها عند منابع النهر المنسوب اليها^٢. وتقع سراو جنوبي شرقي جبل سبلان، بين اردبيل وتبريز تبعد عن الاولى عشرة فراسخ (حوالي ٦٠ كيلومتراً)، وعن الثانية عشرون فرسخاً (حوالي ١٢٠ كيلومتراً)^٣. عدها اليعقوبي، كورة من كور اذربيجان، بينما جعلها ابن خرداذبه: رستاقاً، وكانت في ايام ابن حوقل مدينة طيبة كثيرة الخيرات والواردات والمياه والبساتين، وفيها اسواق حسنة وفنادق نظيفة، ووصفها صاحب حدود العالم، انها مدينة صغيرة، الا انها عامرة وذات خيرات وكثيرة السكان. خربها التتر سنة ٦١٧هـ/١٢٢٠م، وقتلوا كل من وجدوا فيها^٤، ثم استعادت بعض اهميتها في عهد المغول واصبحت مدينة متوسطة الحال^٥، ومازالت المدينة محتفظة باسمها الى يومنا هذا.

٤. مراغه:

١. مراغه:

تقع هذه المدينة جنوبي تبريز، بمسافة ٨٥ كيلومتراً، وشرق بحيرة اورمية على بعد ١٥ كيلومتراً، ويجري فيها نهر صافي الذي ينبع من جبل سهند الواقع في شمالها ثم ينحرف النهر غرباً حتى يصب في بحيرة اُرمية^٦.

^١ المسالك والممالك ١٢٠؛ مختصر كتاب البلدان ٣٦؛ كتاب البلدان، ٢٨٦.

^٢ حدود العالم ١٥٨؛ معجم البلدان ٦٤/٣؛ نزهة القلوب، ٩٨، ح. ٦.

^٣ ابن خرداذبه ١٢٠؛ قدامة، ١١٠؛ الحسيني، انس المبهم (مخطوطة) و ١٠٢م؛ نزهة القلوب، ٩١.

^٤ كتاب البلدان ٣٦؛ المسالك والممالك ١٢٠.

^٥ صورة الارض ٣٠٢؛ الاضطخري ١١٤؛ حدود العالم ١٥٨؛ معجم البلدان ٦٤/٣.

^٦ نزهة القلوب ٩٩.

^٧ القزويني، آثار البلاد، ٣٩٨-٣٩٩؛ نزهة القلوب، ٩؛ Kinneir, Geographical memoir of the

Persian empire, P. ١٥٦.

كانت مراغه قرية تدعى (افراز هروذ)، ويذكر البلاذري سبب تسميتها (مراغه)، انه ((عسكر فيها مروان بن محمد اثناء ولايته لارمينية واذربيجان في اواخر عهد الدولة الاموية، وكانت دوابه تتمرغ في سرجين كثير فجعلوا يقولون: ابنوا قرية المراغه، فحذف الناس القرية وقالوا: مراغه، وابتناها مروان))^١. وفي أيام الخليفة هارون الرشيد بنى والي ارمينيا واذربيجان (خزيمة بن خازم) سورها وحصنها، واصبحت منزل السلطان اذربيجان، ثم رمم سورها عدد من عمال الخليفة المأمون فسكن الناس في ريبضها^٢ وحصنها^٣.

اصبحت مراغه قصبة اذربيجان، ففيها المعسكر ودار الامارة وخزانة دواوين الناحية، قبل ان تنتقل القصبة الى اردبيل، وغدت مراغه مدينة كبيرة تلي اردبيل في الكبر، وصفها ابن حوقل والمقدسي: انها نزهة جداً، خصبة وأهله بالسكان، غزيرة الانهار والمياه، كثيرة الاشجار والرساتيق والمزارع وافرة الثمار، فيها قلعة وعليها سور منيع خربه يوسف ابن ابي الساج (٢٨٨-٣١٥/٩٠١-٩٢٧)^٤.

وكان فيها في اوائل القرن السابع الهجري مدارس وخانقاهات حسنة وآثار قديمة، وبالفعل فلقد عثر فيها على آثار سابقة للتأريخ^٥. ويتحدث القزويني عن وجود (جَمَة)^٦ بقرب بستان في مراغه يسمى (قيامتابار) يفور الماء الحار منها، ويستحم فيها المصاب بالامراض الجلدية فتتفعه، ويدعي انه اذا انفصل الماء عن الجمّة وجرى على وجه الارض، اصبح حجراً صلباً^٧.

^١ يقول الدمشقي الانصاري، ان الذي بناها هو محمد بن مروان بن الحكم (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبعة لايبزك، ١٩٢٣، ص ١٨٧).

^٢ الریض، يطلق علي ما حول الحصن من مساكن ودور.

^٣ فتوح البلدان، ٣٢٥؛ الازدي، تأريخ الموصل، ٣٨٤؛ معجم البلدان، ٤/٤٧٦.

^٤ الاصطخري ١٠٨؛ ابن حوقل ٢٨٨-٢٨٩؛ حدود العالم ١٥٨؛ المقدسي، ٣٧٧؛ القزويني، ٣٦٧ (طبعة وستنفلد).

^٥ معجم البلدان ٤/٤٧٧ "آثار البلاد ٣٧٨، طبعة وستنفلد.

^٦ الجمّة، بئر كثيرة المياه.

^٧ آثار البلاد ٣٧٨.

ب. دَهْخُرْقَان:

وردت عند المقدّسي "خَرْقَان" وجعلها ضمن ارمينيا و "ده الخرقان" عند قدامة ، ووردت عند صاحب حدود العالم "واخرقاب"، ولعلّ كتابتها بهذا الشكل هو من خطأ الناسخ، اما حمد الله المستوفي فقد رسمها: "دهخوارقان" حسب كتابة الفرس لها. وقال ياقوت ان اصلها "ده نَخِيرْجان" ومعناها قرية النخیرجان ونخیرجان هذا هو صاحب بيت مال كسرى، وهذه البلدة كانت تابعة له^١.

تقع دَهْخُرْقَان الى جنوب غربي جبل سَهَنْد، بين تبريز ومراغه على نحو تسعة فراسخ عن الاولى (حوالي ٥٤ كيلومتراً) وعن الثانية احد عشر فرسخاً (حوالي ٦٦ كيلومتراً) واربعة فراسخ (حوالي ٢٤ كيلومتراً) من شاطئ بحيرة أرمية (كبودان)، وتجري فيها المياه النابعة من جبل سَهَنْد^٢.

وصفت انها مدينة صغيرة نزهة في القرن الرابع الهجري ، وقال الاصطخري انه كان فيها منبراً، بمعنى انها كانت مقراً لسكنى الوالي وانها كثيرة السكان، وهذا يناقض كونها مدينة صغيرة في القرن الرابع الهجري، غير انها تطورت الى مدينة كبيرة ايام ياقوت (حوالي سنة ٦٢٣هـ)، وعادت الى مدينة صغيرة ايام حمد الله المستوفي، الذي اضاف بان فيها بساتين كثيرة واعناباً بلا قياس، وكانت تتبع كورة مراغه^٣.

٥. مَيَّانَه (مَيَّانَج):

ورد اسم هذا الموضع بإحدى الصيغتين في كتب البلدانيين العرب، بينما وردت بالصيغتين عند كل من ياقوت وابي الفدا، وقالوا بان اهل اذربيجان يطلقون عليها (ميانه) ومازالت هذه المدينة تعرف بهذا الاسم لحد يومنا هذا. وتعني (ميانه) الوسط، لوقوعها وسط المسافة بين مراغه وتبريز، فتبعد عن كل منهما بحوالي عشرين فرسخاً

^١ ابن خرداذبه ١٢٠؛ الاصطخري ١٠٨؛ ابن حوقل ٢٩٠؛ احسن التقاسيم ٣٨٢؛ الخراج وصناعة الكتابة ١١٠؛ حدود العالم ١٥٩؛ نزهة القلوب ١٠٠؛ معجم البلدان ٤٢٥/٢، ٦٣٦.

^٢ ابن خرداذبه، ن.ص؛ ابن الفقيه، ٢٨٦؛ قدامة ن.م. ص؛ حدود العالم، ن.ص.

^٣ الاصطخري، ن.ص؛ ابن حوقل، ن.ص؛ حدود العالم، ن.ص؛ معجم البلدان، ن.ج. ص؛ نزهة القلوب، ن.ص.

(حوالي ١٢٠ كيلومتراً)، ويقول ياقوت -وقد زارها- ((وهي منهما (اي من مراغه وتبريز) مثل زاوية احدى المثلثات))^١ وتقوم ميانه عند ملتقى انهار ميانج وكرم رود وهشت رود، بنهر سفيد رود الاصلي^٢.

جاء اسمها كمدينة من مدن اذربيجان في قوائم ابن خرداذبة وابن الفقيه والاصطخري وابن حوقل، وعدّها اليعقوبي كورة، وذكر البلاذري ان السلطان جعل فيها منبراً، ومعنى ذلك ان فيها مسجداً جامعاً تقام فيه صلاة الجمعة، وهذا دليل على انها كانت مقراً لسكنى الوالي، غير انها اصبحت تحوي في ايام ياقوت الحموي "عدة منابر" ويعني ذلك ان سكان المدينة اصبخوا من الكثرة، بحيث ان صلاة الجمعة اخذت تقام في جوامع متعددة^٣، يذكر النسوي في كتابه "سيرة جلال الدين منكبرتي"، ((ان ميانج هي كورة من كور اذربيجان))^٤.

وكانت ميانج في النصف الاول من القرن الرابع الهجري، مدينة صالحة خيراتها كثيرة ورخيصة، غير انها تحولت الى مدينة صغيرة في النصف الثاني من هذا القرن^٥. وتضاءلت حتى اصبحت قرية في ايام حمد الله المستوفي^٦.

٦. خُونَج (خونا):

جاء كتابتها بالشكلين، الا ان ياقوت يذكر ان الصواب في تسميتها هي (خُونَج)، فاهل المدينة يكرهون تسميتها بـ(خونا) لقرينة قبيحة تقرن بهذا الاسم، ولم يذكر ياقوت هذه القرينة، الا انه ربما تعني كلمة (خونا) مقترنة بالدم، او بقاتل. ويقول

^١ معجم البلدان، ٧١٠/٤.

^٢ ينظر: ابن خرداذبة ١٢٠؛ البلاذري، ٣٢٦؛ اليعقوبي، ٣٦؛ مسكويه ٤٠١/١؛ ابن الفقيه ٢٨٥؛ الاصطخري، ١٠٨؛ ابن حوقل ٢٩٠؛ حدود العالم ١٥٨؛ المقدسي ٣٧٨؛ ابو الفدا ٤٠٠-٤٠١؛ نزهة القلوب ٩٩؛ المشترك ٤١١؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية ٢٠٤.

^٣ البلاذري ٣٢٦؛ اليعقوبي، ٢٦؛ ابن خرداذبة ١٢٠؛ ابن الفقيه ٢٨٥؛ الاصطخري ١١٤؛ ابن حوقل ٢٩٠؛ المشترك ٤١١.

^٤ ص ٢٢١.

^٥ ابن حوقل ٣٠٢؛ احسن التقاسيم، ٣٧٨.

^٦ نزهة القلوب ٩٩.

المستوفي ان الذي سمّاها بهذا الاسم هو الامير زنجان جد أم شروين وهو الذي قام ببنائها^١، وسميت في ايام ياقوت الحموي والمستوفي بـ"كاغد كنان" اي صناع الكاغد، لانها اشتهرت بصناعة الكاغد الجيد^٢.

تعد خونج اول حدود اذربيجان من جهة الري، تقع بين مراغه وزنجان في الطريق المؤدي الى الري^٣، وتبعد عن ميانج سبعة فراسخ وعن مراغه ثلاثة عشر فرسخاً وعن زنجان عشرة فراسخ، حسبما جاء ذلك في كتب المسالك^٤.

ذكرها ابن الفقيه من بين مدن اذربيجان، وكانت تشهد نشاطاً تجارياً كبيراً في القرن الرابع الهجري، لكونها تقع في في آخر حدود اذربيجان ويمر منها الطريق التجاري الذاهب الى الري، وكان فيها مرصداً (اي مركزاً كمركياً) ترصد فيه المواد التجارية الخارجة من اذربيجان الى الري او الداخلة من الري اليها، فيستحصل فيها اموالاً طائلة من الرسوم المفروضة عليها لكثرتها والمارة بها، فخونج كانت مركزاً تجارياً مهماً.

ويبدو انها لم تعد لها هذه الاهمية في بداية القرن السابع الهجري اذ زارها ياقوت ووصفها بانها بلدة خربة، فيها سوق حسن، وازداد تدهورها في ايام حمد الله المستوفي حتى غدت قرية متوسطة في حجمها^٥.

٧. مرند:

في شمال غربي تبريز وعلى بعد عشرة فراسخ عند ابن خرداذبة واربعة عشر فرسخاً عند المهلبى، وخمسة عشر فرسخاً عند حمدالله المستوفي، والبعد الذي ذكره المهلبى او المستوفي هو اقرب الى الصحة، فالمسافة الحالية بينهما حوالي (٧٠) كيلومتراً، اي حوالي (١٢) فرسخاً، وذلك بخط مستقيم، مع علمنا ان مسافات الطرق في القرون الوسطى كانت تؤثر فيها طوبوغرافية المنطقة من ارتفاعات وانخفاضات

^١ معجم البلدان ٥٠٠/٢ وفي حدود العالم، ص ١٥٨؛ رسمت: بالهاء، نزهة القلوب ٧٢.

^٢ معجم البلدان ٥٠٠/٢؛ نزهة القلوب ٧٢.

^٣ مسكويه ٤٠٠/١؛ ياقوت ن. ج. ص؛ نزهة القلوب، ن. ص.

^٤ الاصلطخري ١١٤؛ الحسيني، أنسى المهج (و. ١١٠٢) وفيها المسافة بين الخونج والميانج ثمانية

فراسخ؛ ابو الفدا، تقويم البلدان ٣٨٨.

^٥ مختصر كتاب البلدان، ٢٨٦؛ صورة الارض، ٣٠٢؛ ياقوت ٥٠٠/٢.

والموانع الطبيعية الاخرى، فيكون الطريق متعرجاً وملتوياً، فاذا كانت المسافة آنذاك بين موضعين (١٥) فرسخاً على سبيل المثال فيحتمل ان يكون (١٢) فرسخاً، اذا قسناه بخط مستقيم^١. وبالنسبة الى خُوَيَّ فان مرند تقع في شرقيها على ضفاف رافد من روافد الجانب الايمن لنهر خُوَيَّ^٢.

كانت مرند قرية صغيرة عندما نزلها جليس ابو البعيث، ثم حصنها هو وابنه، وبني الاخير قصراً بها ايام خلافة المتوكل، وعندما عصى الخليفة حاربه بُغا الصغير وهدم حائط مرند والقصر^٣.

عدّ اليعقوبي مرند، من كور اذربيجان، كما وردت في قائمة المدن عند ابن خرداذبة وقدامة بن جعفر، وكانت مدينة صغيرة وعامرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وذات خيرات كثيرة، ومدينة حصينة تحيط بها البساتين ولها ربض عامر وجامع يقع في الاسواق، وقال المستوفي: ((انها كانت مدينة كبيرة))، الا انها اصبحت خربة ايام ياقوت، فقد نهبها الكُرج واخذوا اهلها معهم، وكان محيط سورها (٨) الاف خطوة (ذراع)، لم يبق منه الا نصفه ايام المستوفي^٤.

٨. ورثان:

وهي آخر حدود اذربيجان من جهة الشمال، وتقع جنوبي وادي نهر الرس، الذي يفصل بين اقليمي الرّان (في الشمال) واذربيجان (في الجنوب)، بفرسخين، بينها وبين مدينة البيلقان (الواقعة في اقليم الرّان) سبعة فراسخ. وتفترق من ورثان الطرق، فطريق يذهب الى البيلقان ومنه الى بردعة (قصبه الرّان) وآخر الى بلاد الباب وشروان والثالث

^١ أكد البيروني هذه الحقيقة فذكر: ((ان تعرجات الطرق والتواءها بحسب الجبال والوعر وغير ذلك يكون الخمس بالتقريب، فاذا كان بين البلدين خمسون فرسخاً بحسب سير السائر فيكون على خط مستقيم اربعين فرسخاً.. بالتقريب لا بالتحقيق، وينبغي ان تعلم ان غالب ما ذكر من اطوال البلاد وعروضها غير صحيح وفيه غلط كثير...))؛ ابو الفدا، آثار البلاد، ص ٧٤ نقلاً عن البيروني.

^٢ ابن خرداذبه ١٢٠؛ قدامة، ١١٠؛ ابو الفدا، ٤٠٠-٤٠١؛ نزهة القلوب، ٩١.

^٣ البلاذري ٣٢٥؛ ابن الفقيه، ٢٨٥؛ قدامة، ٣٨١؛ ياقوت ٥٠٣/٤.

^٤ اليعقوبي ٣٦؛ ابن خرداذبه ١٢٠؛ قدامة ١٧٤؛ حدود العالم ١٦٠؛ المقدسي ٣٧٧؛ معجم البلدان ٥٠٣/٤؛ نزهة القلوب ١٠٠-١٠١.

الى برزند. وتقع ورثان الان على بعد ٤٥ كيلومتراً الى الجنوب من مكان بلدة اراكس في ناحية كور على الشاطئ الجنوبي لنهر الرس (آراس). وتوجد اثارها الآن في (التن) مقابل محطة (دشبورون) في اذربيجان الايرانية^١.

بنيت ورثان على ارض مرتفعة ومشرفة فأحيا مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ارضها وحصنها، ثم هدم وكلاء ام جعفر (وهي الست زبيدة بنت جعفر بن المنصور) سورها، ورمت وجددت بعدها في عهد قريب لعهد البلاذري^٢.

جاء ذكرها كمدينة وككورة من كور اذربيجان في اواخر القرن الثالث، وجعلها قدامة كورة قصبتها مدينة برذعة، في حين كانت الاخيرة قصبة اقليم الران على ماجاء عند البلدانين العرب الآخرين، اما مسكويه فجعل ورثان احدى نواحي برذعة ضمن اقليم الران^٣. وكانت في القرن الرابع الهجري مدينة كثيرة الخيرات واكبر من البيلقان وافسح واكثر سكاناً واسواقاً ومتاجر، وفيها مايكون في المدن الكبرى من الاعمال والفنادق وكان عليها سور، ولكن الاسواق كانت في ربضها الذي بلغت مساحته سبعة فراسخ، حسب قول ابن حوقل^٤.

٩. البذ:

جاء ذكرها في قائمتي ابن خرداذبة وابن الفقيه لمدن اذربيجان وكان الناس قد التجأوا اليها وتحصنوا فيها عندما ظهر بابك الخرمي في ايام المعتصم، ورم سورها عدد من عمال الخليفة المأمون ثم سكن الناس في ربضها وحصنها^٥. وتقع البذ قرب

^١ ياقوت ٩١٩/٤؛ مسعر بن المهلهل، الرسالة الثانية، ص ٤٩ ح ٥؛ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، مادة اذربيجان، ٣٢/١؛ مينورسكي، حدود العالم، ص ٣٩٥.

^٢ فتوح البلدان ٣٢٥؛ ابن الفقيه ٢٨٤؛ وفي قدامة ٣٨٠؛ ياقوت ٩١٩/٤: ((بنى وكلاء ام جعفر سورها بدلاً من الهدم)).

^٣ ابن خرداذبة ١٢٠؛ اليعقوبي ٣٦؛ ابن رسته ١٠٦؛ الخراج وصناعة الكتابة ١٧٤؛ تجارب الامم ١٣٦/٢؛ ضمن حوادث سنة ٣٤٠هـ.

^٤ حدود العالم ١٥٩؛ وجاءت في النسخة المطبوعة: وزنان مصحفة عن ورثان، صورة الارض ٣٠٠.

^٥ فتوح البلدان ٣٢٥؛ ياقوت ٥٢٩/١.

التقاء نهر اردبيل بنهر الرس، واشاد مسعر بن المهلهل كثيراً برّمانها وتينها العجيبين وكانت من كور اذربيجان أيام ياقوت^١.

١٠. موقان:

واهلها يسمونها موغان، (بالغين)، والموق يعنى الحق، حسب تفسير ياقوت لها. وموقان اسم يطلق على مدينة وجبال وعلى سهل عظيم يمتد من جبل سبلان حتى ساحل بحر طبرستان (الخرز) الشرقي وتمتد هذه البلاد في جنوب مصب نهر آراس وشمال جبال طالش. وسمي الاترك السهل بـ "شاه سوان". وجعلها ياقوت والقزويني ولاية في اذربيجان، وكانت مدينة موقان تعد من اقليم اذربيجان عند معظم البلدانين، وفي الوقت الذي يجعلها ابو الفدا اول حدّ اران، يورد قولاً للعيزي وهو ان المدينة تتبع اردبيل. وقيل انها تبعد عنها عشرة فراسخ (حوالي ٦٠ كيلومتراً). وموغان كانت تعد قسبة ولاية موقان، وكانت الولاية احياناً تؤلف اقليماً خاصاً بنفسه ويصعب تعيين موضع المدينة، غير ان المقدسي وصفها بأنها ((يحيط بها نهران))^٢. ويرى لسترنج انه لا يستبعد ان تكون مدينة موغان مطابقة لباغروان التي عدها حمدالله المستوفي قسبة موغان في القديم وآلت الى الخراب في ايامه، وانه في وصفه للمسالك عين موضع باغروان على اربعة فراسخ شمال برزند^٣.

ولكننا لانوافق لسترنج على رايه هذا لسببين: أولاً: ان ياقوت قد عيّن موضع باغروان فقال: ((انها من نواحي باب الابواب (دريند) قرب شروان))^٤، وشروان هذه تقع وسط اقليم اران شرقي باكو، وشمال نهر الكر بمسافة كبيرة، تبعد عشرات الفراسخ عن

^١ الرسالة الثانية، ٤٨-٤٩؛ معجم البلدان ٥٢٩/١.

^٢ معجم البلدان ٦٨٦/٤؛ حدود العالم ١٥٩؛ اثار البلاد ٣٧٩ طبعة وستنفلد؛ تقويم البلدان ٤٠٠-٤٠١؛ ابن خرداذبه ١٢٠ يجعل ابن خرداذبه المسافة بين موقان و اردبيل عشرة فراسخ بينما قدامة الذي نقل المسافات عنه، يجعل المسافة بينهما اربعة فراسخ، ص ١١١، ولعل ذلك من وهم الناسخ؛ اليعقوبي ٢٨٦؛ صورة الارض ٢٩٠؛ احسن التقاسيم، ٣٧٨؛ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، مادة اذربيجان ٣٣/١.

^٣ بلدان الخلافة الشرقية ٢٠٩-٢١٠.

^٤ معجم البلدان ٤٥٤/١.

برزند وليس اربعة فراسخ عنها. ثانياً: ان ابن خرداذبة -كما رأينا- لقد عين موقان بأنها تبعد عن اردبيل بعشرة فراسخ، بمعنى ان موقان لايمكن مطابقتها مع باجروان. ونحن نميل الى ان كلمة (باجروان) التي وردت عند المستوفي والتي تقع شمال برزند باربعة فراسخ، هي تحريف من الناسخ لكلمة موقان، وعلى هذا الاساس فموقان يمكن تحديد موقعها على انها تبعد عن اردبيل بعشرة فراسخ وعن برزند باربعة فراسخ. وكانت موقان في أيام المقدسي مدينة طيبة نزهة تحيط بها الحدائق الجميلة، ولكن لم تبق لها شهرتها أيام ابي الفدا، وانما المشهور هي اراضي موقان الواسعة والكثيرة المياه والاعشاب، لذا اتخذ منها التركمان مراعى لمواشيهم، ووصف مناخها بأنه حار بالنسبة لأذربيجان ذات المناخ البارد، فأصبحت مشتی للتر أيام القزويني، بعد ان جلا عنها تركمانها، وكانت فيها قلعة عظيمة لها رساتيق كثيرة ولكن اهلها هربوا منها لكثرة ما فيها من ثعابين^١.

١١. برزند:

ذهب البلدانيون العرب الى القول: أنها من أعمال موقان، وزعم ياقوت أن برزند بلد من نواحي تفليس في ارمينية الاولى، مع العلم ان برزند تقع شمالي شرقي أذربيجان، في وسط المسافة بين ورثان و اردبيل، وتبعد عن كل واحدة منها خمسة عشر فرسخاً (حوالي ٩٠ كيلومتراً)، بينما تبعد تفليس عنها عشرات الفراسخ، واعدّها من أذربيجان البلدانيون: ابن خرداذبه، وابن حوقل والاصطخري وصاحب حدود العالم والسمعاني، ويبدو ان هذا الوهم من قبل ياقوت راجع الى الخلط بين برزند وبرزنج وهي مدينة تقع في جنوب شرقي برذعة.

كانت برزند مدينة متوسطة الحال، قالت الى الخراب وتحولت الى قرية أيام بابك الخرمي، ولكنها ازدهرت بعد مقتله، فبناها الافشين قائد الخليفة المعتصم وحصنها، ووصفها صاحب حدود العالم بأنها مدينة نزهة ومعورة مع مياه جارية وزراعة كثيرة، وتضاءلت أيام السمعاني (ت ٥٦٧هـ) حيث تحولت الى بلدة صغيرة ودب فيها

^١ ابو الفدا ٤٠٠-٤٠١؛ القزويني ٣٧٩.

الخراب ثانية ولم يبق منها سوى قرية في عهد حمدالله المستوفي، ومازال هذا شأنها الى اليوم، وتقع في ناحية كور في مكان بلدة حالية في أذربيجان، في وادي نهر بلغار- شاي^١.

١٢. خُوَي:

ضبطها السمعاني وياقوت بضم الخاء وفتح الواو وتشديد الياء وهذا هو رسمها بالعربية، وتلفظ: خُوَي، خُوَي، وخُوَي ايضاً، ويقول البكري انها تصغير (خَو).^٢ تقع غرب مَرْنَد بمسافة اثني عشر فرسخاً (حوالي ٧٢ كيلومتراً) وشمال سلماس بسبعة فراسخ (حوالي ٤٢ كيلومتراً)، وعلى بعد عشرين فرسخاً (نحو ١٢٠ كيلومتراً) شمالي غربي تبريز، وهي قائمة فوق هضبة تحيط بها البساتين. وعدّها صاحب حدود العالم والمقدسي هي وسَلْماس وأرمية ومراغه وأهْرُومَرْنَد من مدن كورة ارمينية، بينما عدّ البلديون العرب هذه المدن ضمن أذربيجان^٣.

ويبدو انها مدينة كانت موجودة بعيدالفتح العربي وربّما في العهد الساساني، اذ وردت في قائمة ابن الفقيه لمدن أذربيجان، وعدّها اليعقوبي من كور الاقليم، وجاء في كتاب ابن حوقل: أنها مدينة وسط غير انها عامرة بالسكان ويحيط بها سور منيع من الآجر وكانت في بداية القرن السابع الهجري بلدة مشهورة حصينة، وفي ايام القزويني (الف كتابه سنة ٦٧٤هـ) مدينة مسورة ذات سور حصين ومياه، وفيها عين ماء كبيرة، مأوها حارّ شتاء وبارد صيفاً. واعتبرها حمدالله المستوفي كورة تتبعها مدن سَلْماس

^١ ابن خرداذبه ١٢٠-١٢١، وعنده المسافة بين اردبيل وبرزند اربعة عشر فرسخاً؛ ابن الفقيه ٢٨٤-٢٨٦، وعنده المسافة من وراثان الى برزند ١٢ فرسخاً؛ ابن حوقل ٢٨٩-٣٠٠؛ الاصطخري ١٠٨؛ حدود العالم ١٥٩؛ احسن التقاسيم ٣٧٨؛ ابو الفدا ٤٠٢-٤٠٣؛ ياقوت ٥٦٣/١؛ حمدالله المستوفي ١٠٤؛ نخبة الدهر ١٨٧؛ الرسالة الثانية ٤٩ ح ٣؛ شترك، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، ٥٣٦/٢.

^٢ ابو الفدا ٣٩٦-٣٩٧؛ معجم البلدان ٥٠٢/٢؛ معجم ما استعجم ٥٢٠/٢.

^٣ ابو الفدا ٣٩٠، ٣٩٦-٣٩٧؛ ابن خرداذبه ١٢٠؛ (وعنده المسافة بين مرنند وخوى عشر فراسخ)؛ الاصطخري ١١٤؛ الحسيني، انس المهج (مخطوط) و١٠٢؛ نزهة القلوب ٩١؛ حدود العالم ١٦٠؛ احسن التقاسيم ٣٧٤؛ هيوار، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، ٥٠/٩.

^٤ صورة الارض ٢٨٩؛ ويعلن ناشر الكتاب في الحاشية، ان النص -كما يبدو- من اضافات الناسخ فيما بعد غير موجود في اصل المخطوط.

وأرمية واشنوية، وهي مدينة وسط، محيطها ٦٥٠٠ خطوة (= ٤,٣٢٣ متراً)، وينبع نهرها من جبال سلّماس ويصب في نهر آراس، واشاد البلدانيون بكثرة خيراتها وببساتينها وفواكهها، ولاسيّما عنبها ونوعاً ممتازاً من الكمثري عرف بأسم "بيغمبري" أي كمثري النبي، لا مثيل له في مكان آخر من حيث حلاوته وطراوته وكبره^١. وتعدّ خُوى في الوقت الحاضر، مركزاً تجارياً هاماً، تقع على الطريق الذي يربط تركيا بأيران^٢.

١٣. سلّماس:

تقع على بعد قليل من طرف بحيرة أرمية الشمالي الغربي، شمال مدينة أرمية بستة عشر فرسخاً (حوالي ٩٦ كيلومتراً) وجنوب مدينة خُوى بسبعة فراسخ (حوالي ٤٢ كيلومتراً)، وهي آخر حدود أذربيجان من الغرب^٣.

ذكر اليعقوبي كورة سلّماس ضمن كور أذربيجان، وكذلك ذكرها ابن الفقيه كمدينة من مدن الاقليم، ويبدو انها اصبحت تابعة لارمينيا في القرن الرابع الهجري، لذلك عدّها صاحب حدود العالم والمقدّسي من ضمن ارمينية، نظراً لكونها مدينة حدودية، فكانت تتأرجح في تبعيتها للاقليمين.

كانت في القرن الرابع الهجري، مدينة صغيرة، نزهة وعامرة حصنها من طين وحجارة، يجري فيها نهر غزير ينبع من اودية وجبال كُردستان ويصب في بحيرة أرمية، وفيها جامع يقع في طرف السوق. وقال ابن حوقل، انها مدينة متوسطة الحجم، عليها سور منيع مشيد بالحجارة، كثرة السكان والفواكه، ويبدو ان شأنها قد ازداد، فقد ذكر ابو الفدا نقلاً عن المهلبى ((انها مصر جليل، والتجارة قائمة فيها))،

^١ مختصر كتاب البلدان ٢٨٦؛ كتاب البلدان ٣٦؛ ياقوت ٥٠٢/٢؛ آثار البلاد ٣٥٤؛ نزهة القلوب ٩٧.

^٢ Kinneir, J. M. Geographical Memoir of the Persian empire, P. ١٥٤.

^٣ ابن خرداذبه ١٢١؛ انس المهج (مخطوط) و١٠١ب-١٠٢؛ قدامة ١١١ وفيه المسافة بين أرمية وسلّماس ستة فراسخ، والصحيح هو ستة عشر فرسخاً؛ ابو الفدا ٣٩٠ وفيه من أرمية الى سلّماس اربعة عشر فرسخاً.

^٤ صورة الارض ٢٨٩، ويعلق ناشر الكتاب ايضاً هنا ((ان النص المذكور يبدو انه من اضافات النسخ فيما بعد وغير موجود في اصل المخطوط)).

وهكذا أصبحت مدينة مشهورة، ولكن معظمها خُربَ في أوائل القرن السابع، فوصفها حمدالله المستوفي انها كثيرة البساتين، إلا أن سورها خُربَ، وقام بتعميره الوزير خواجة تاج الدين التبريزي، ومحيطه ٨ الاف خطوة (٥٣٤٠ متراً)، وجاء عند القزويني، انه فيها ماء، من اغتسل به ذهب عنه مرض الجذام^١.

ولاتوجد في أيامنا هذه مدينة تعرف بأسم سَلَماس، ولكن تمثلها اليوم القرية المعروفة باسم كُهنه شهر (اي المدينة القديمة)^٢ وسمي احد اقسام اقليم أذربيجان بـ (سَلَماس)، إلا أن التسمية غيّرت الى (شاهپور)^٣.

١٤. أرمية:

أ. أرمية:

ورد رسمها تحت أشكال متعددة في كتب البلدانيين، فقد كتبت: أرمية، أرمية وآرومية، وجاءت التسمية الاولى (أرمية) في معظم كتب البلدانيين، ولكن سكانها الكرد في أيامنا هذه يطلقون عليها (ورمي).

تبعد عن غربي البحيرة بمسافة ٧-٨ كيلومترات، وجنوب سَلَماس على بعد ستة عشر فرسخاً (حوالي ٩٦ كيلومتراً)، وعن نريز بأربعة عشر فرسخاً (نحو ٨٤ كيلومتراً)^٤.

ويبدو إن المدينة قديمة جداً، وكانت تعتبر إلهة الخمر عند سترابو (the barma of strabo)، في أثناء الفتح العربي الاسلامي -وربما قبله- كانت كورة من المدن المهمة لأذربيجان، وبعد أن فتحها مولى الازد (صدقة بن علي)، بنى هو واخوته فيها قصور عدّة، فسكنها الناس^٥.

^١ كتاب البلدان ٣٦؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان ٢٨٥؛ حدود العالم ١٦٠؛ احسن التقاسيم

٣٧٧؛ آثار البلاد، ٢٦١ طبعة وستنفلد؛ معجم البلدان ١٢٠/٣؛ نزهة القلوب ٩٧.

^٢ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، مادة سلماص ١٠٤/١٢.

^٣ مينورسكي، تاريخ تبريز، ترجمة: عبدعلي كارنگ الى العربية، ص ٥ ح ١.

^٤ عند ابو الفدا ٣٩٠، اربعة عشر فرسخاً.

^٥ ابن خرداذبه ١٢١؛ قدامة ١١١؛ ياقوت ٢١٩/١؛ ابو الفدا ٣٩٦-٣٩٧.

^٦ اليعقوبي ٣٦؛ ابن الفقيه ٢٨٦؛ ٣٢٦؛ البلاذري ٣٢٦؛ قدامة ٣٨١؛ و Kinneir, Op. Cit, P. ١٥٤

ووضع بلدانيو القرن الرابع، مدينة أرمية بعد مراغه في الكبر، وهي عامرة نزهة، تجرى فيها المياه الغزيرة التي تنبع من الجبال المجاورة لها ثم تصب في البحيرة، وافرة الضياع، والرساتيق ذات الاراضي الخصبة، كثيرة الغلات والبساتين^١، ومن فواكهها العنب المعروف بـ(الخلوقي) والعرموط البيغمبري (النبوي)، وأجاص وصف انه في غاية الجودة، وهي مدينة رخيصة.

وكان الامير جستان بن المرزيان وجستان بن شرمزن قد استكملا بناء سورها وقلعة منيعة في داخلها وذلك في سنة ٣٤٩هـ، ووصفها المقدسي بأنها مدينة حسنة وفيها قلعة عامرة ولها حصن ويقع الجامع في البرازين، ولكنه يضعها ضمن مدن ارمينية وانها تتبع مدينة دبيل (دوين) في الادارة. زارها ياقوت سنة ٦١٧هـ ووصفها انها مدينة حسنة كثيرة الخيرات.

واصبحت في ايام ابو الفدا مدينة وسطانية، لكنها مسورة وعامرة، وذلك من شهود عيان من بعض اهلها، وتطورت الى مدينة كبيرة في عهد المستوفي، محيط سورها عشرة الاف خطوة (ذراع) وتتبعها ضياع كثيرة جداً^٢.

ب. أشنه:

هكذا ورد اسمها في كتب البلدانين، وجاءت عند المستوفي: أشنويه، وبالآرامية: أشنوخ، أشنة، اما سكانها الكرد فينطقونها (شنو)، تقع جنوب أرمية على بعد ٦٠ كيلومتراً منها، وفي جنوب غربي بحيرة أرمية، وتقع في آخر حدود أذربيجان باتجاه راندوز، والطريق بينهما يمر عبر ممر كيله شين او ممر آيات^٣.

^١ يقول مينورسكي، انه مما زاد في خصوبة سهل أرمية كونه رسوبياً ووفرة مياهه. ينظر: دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، ٦٧٤/١، الطبعة الجديدة، ١٩/٣-٣٣.

^٢ ابن حوقل ٢٨٩؛ الاصلطخري ١٠٨؛ مسكويه ١٧٨؛ حوادث سنة ٣٤٩؛ حدود العالم ١٥٩؛ المقدسي ٥١، ٣٧٧؛ ياقوت ٢١٩/١؛ القزويني ١٩٤ طبعة وستنفلد؛ ابو الفدا ٣٩٦-٣٩٧؛ حمد الله المستوفي ٩٩؛ الباكو، تلخيص الآثار، ص ٣٥؛ شمس الدين سامي، قاموس الاعلام ٨٤٢/٢. طول الذراع هو ٦١،٣ سم: الشيخ وهبة الزحيلي، الفقه الاسلامي وادلته، القاهرة، ١٤١/١.

^٣ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، ٢٢٢/٢-٢٢٣.

لم يذكرها البلدانيون العرب الاوائل، ويبدو انها بنيت في القرن الرابع الهجري، وأول من جاء على ذكرها هو ابن حوقل ثم الاصطخري وقالوا بانها تتبع أرمية في الادارة، ووصفها ابن حوقل بانها مدينة كثيرة الشجر والخضر والخيرات والفواكه والاعناب والمياه الجارية، وينقل منها الى النواحي المحيطة بها نوع من الكمثرى يفضل على غيره، وقال انه لطيب هوائها فان الاكراد الهذبانية يصيفون فيها، ويبدو انها اصبحت مركزاً تجارياً مهماً فقد اشاد ابن حوقل بأسواقها التجارية التي تقام في اوقات معينة من السنة ويكثر فيها البيع وربحها وافر، كما انها تصدر منها الاغنام والدواب والعسل واللوز والجوز والشمع وغير ذلك الى الموصل ونواحي اقليم الجزيرة والى الحديثة وغيرهما^١.

زارها ياقوت سنة ٦١٧هـ بعد رجوعه من تبريز فرأى انها آلت الى الخراب، ولكنها كانت في ايام ابن المستوفي مدينة متوسطة الحال^٢، وتتبع أشنه، أرمية في الادارة، وتسكن في المدينة والقرى التابعة لها قبيلتا زرزا وقمش^٣.

١٥. جابروان:

ذكرت جابروان في اثناء الفتح العربي، لذلك فهي مدينة قديمة يرجع وجودها الى ما قبل ذلك، كما جاء ذكرها ضمن مدن وكور أذربيجان في القرن الثالث الهجري^٤، وقال البلاذري: انه كان فيها قلعة حصينة، وبنى مَرَبْنُ عمرو الموصللي الطائي هو واولاده فيها سوقاً، وجعلها البلاذري قرب نريز^٥، بينما عيَّنَها ياقوت قرب تبريز^٦. ولعل كلمة

^١ ابن حوقل ٢٨٩؛ الاصطخري ١٠٨؛ شمس الدين سامي، قاموس الاعلام (تركي) ٩٨٧/٢.

^٢ ياقوت ٢٨٥/١، نزهة القلوب ٩٩.

^٣ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، ٢٢١/٢-٢٢٣؛

Rawlinson, Notes on a Journey from Tabriz, J. R. G. S., ١٨٤٠, Vol. ١, P. ١٥-٢٤, Fraser, Travele in Koordistan ١٨٣٤, London, ١٨٤٠, Vol. ١, P. ٢٤٠-٢٦٠.

^٤ ابن رسته ١٠٦؛ قدامة ١٧٤؛ ابن خرداذبه ١٢٠.

^٥ فتوح البلدان ٣٢٢، ٣٢٦.

وهناك تناقض عند البلدانيين العرب في تعيين موضع نريز فابن خرداذبه والمقدسي يجعلانها بين جابروان وأرمية، تبعد عن الاولى اربعة فراسخ وعن الثانية اربعة عشر فرسخاً (ابن خرداذبه ١٢١، قدامة ١١١؛ المقدسي ٣٨٣). اما ياقوت فيعتبر نريز بليدة من نواحي (اردبيل) ٧٧٥/٤. ويعيَّنَها

تبريز هنا هي تصنيف لـ "نريز" لأن جغرافي المسالك اجمعوا على ان جابروان تبعد
عن نريز اربعة فراسخ فقط.



مينورسكي جنوب بحيرة أرمية في مكان سلدوز الحالية، مسعر بن المهلهل، الرسالة الثانية، ٥٧ ح
(نقلًا عن مينورسكي، ابو دلف، ٨٢). هذا ويجعل احمد كسروي، شهرياران گمنام، ٩٩ ح (٧١) تبريز
ويسميتها "فيروز"، تبعد ستة فراسخ عن اردبيل وان في مكانها الان قرية تعرف بـ(بهمين)، ونحن نميل
في تعيين موضعها الى ماذهب اليه مينورسكي، لانها تتفق مع تعيين ابن خرداذبه والمقدسي لها.
معجم البلدان ٢/٢.

الفصل الثاني

السكان

(١) العرب

(٢) الكُرد

(٣) التركمان

(٤) الديالمة

(٥) الارمن

وُجِدَت عناصر سكانية ودينية متعددة تسكن أذربيجان قبل الفتح الاسلامي لها وبعده، فالكُرد والديالمة والمسيحيون، وجدوا في الاقليم قبل الفتح، وكانت مناطق سكنى الكُرد في اجزاء متفرقة منه، لاسيما في اجزائه الشرقية والجنوبية، ونزحت قبائل عربية واستقرت فيه منذ الفتح العربي الاسلامي لها، وكان يحكمه ولاة من العرب حتى مجيئ البويهيين في النصف الاول من القرن الرابع الهجري، حيث برز الديالمة مع مجيئهم، وكانوا يسكنون في الجهات الجنوبية الغربية للاقليم، تلك المجاورة لبلاد الديالمة، ولكن تأثيرهم ووجودهم يختفي مع سقوط البويهيين ومجيئ السلاجقة، حتى اننا لم نجد لهم ذكراً خلال حقبة البحث (٤٢٠-٦٢٨هـ)، ونزح السلاجقة التركمان الى أذربيجان مع بداية القرن الخامس الهجري، ولم يكد ينتهي هذا القرن حتى سكنت اعداد كبيرة من القبائل التركمانية في الاجزاء الشرقية والشمالية من أذربيجان وكونوا لهم فيها اسراً حاکمة، ويكوّن التركمان -في الوقت الحاضر- اكثرية السكان فيها، ثم يليهم الكُرد، اما المسيحيون فقد سكنوا في غربي أذربيجان، لاسيما غربي بحيرة اورمية، في تلك الجهات المجاورة لبلاد الكُرج وارمينية.

وسنوضح فيما يأتي: الأسر والقبائل العربية التي نزحت الى الاقليم واستقرت فيه منذ الفتح العربي الاسلامي والاماكن التي استقرت فيها، ثم نتكم عن الجماعات الاخرى التي سكنت الاقليم خلال حقبة البحث:

١. العرب وأماكن استقرارهم:

بدأ نزوح العرب للأقليم مع الفتح الإسلامي له، واختلفت الروايات فيمن فتح الأقليم وتأريخه، فذكر البلاذري^١، أن حذيفة بن اليمان توجه إلى أذربيجان - أثناء خلافة عمر بن الخطاب - في جيش كثيف من أهالي الكوفة، فوصل إلى أربيل، ثم فتح موقان، وعزل الخليفة عمر حذيفة، وولى عتبة بن فرقد السلمي أذربيجان، فتوجه إليها من الموصل، ويقال أنه أتاه من شهرزور، على رواية البلاذري^٢، فدخل أربيل وقاتل أهالي بعض النواحي التي كانت قد تمردت.

وذكر الطبري: ((وقيل كان فتحها أي (أذربيجان) في سنة ١٨هـ))^٣ (٦٣٩م)، وكلمة: وقيل تعني شكاً لديه في صحة الرواية، إضافة إلى أنه لم يسندها إلى أحد من الرواة الثقات، وفي رواية أبي مخنف، أن المغيرة بن شعبه الثقفي فتحها سنة ٢٠هـ/٦٤١م، وفي رواية أبي معشر والواقدي أنه فتحها سنة ٢٢هـ/٦٤٣م، وترجح الرواية الأخيرة، لأن المصادر ذكرت أن فتح أذربيجان قد تم بعد وقعة نهاوند التي حدثت في سنة ٢٠ أو ٢١هـ (٦٤١، ٦٤٢م)^٤.

وذكرت أسماء أخرى قام الفتح علي أيديها، فقليل إفتتحها حبيب بن مسلمة الفهري، بأهل الشام ومعهم حذيفة وأهل الكوفة^٥، وقيل أيضاً: فتحها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص^٦، وقال ابن الأثير: أن سماك بن خرشة الأنصاري، قام بفتحها مع عتبة بن فرقد، وعقد سماك الصلح مع أهلها^٧.

ويبدو إن ياقوت الحموي قد اطلع على الروايات، المتناقضة بشأن الذين قاموا بفتح أذربيجان، فحاول الجمع والتوفيق بينها، فذكر أن المغيرة بن شعبه أثناء إلتائه

^١ فتوح البلدان، طبعة بيروت، ١٩٧٨، ص ٣٢٣.

^٢ ن.م، ٣٢٢.

^٣ تاريخ الطبري، طبعة دي گوته، ٢٦٤٧/٥.

^٤ فتوح ٣٢٢؛ الطبري ٢٦٤٧/٥؛ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، طبعة ١٩٧٧،

١٥١/١؛ تاريخ اليعقوبي ١٤٥/٢.

^٥ تاريخ خليفة بن خياط ١٤٥/٢.

^٦ تاريخ اليعقوبي ١٤٥/٢.

^٧ الكامل ٢٢/٣.

على الكوفة أيام الخليفة عمر بن الخطاب، عهد الى حذيفة بن اليمان القيام بالفتح، ففتح بعض اجزائها وعقد صلحاً مع اهلها، وبعد عزل حذيفة ولي عليها عتبة بن فرقد، فلما دخل اردبيل وجد ان اهلها مازالوا على العهد، الا ان بعض النواحي قد تمردت، فأعاد فتحها، ولكنه لم يغفل رواية الواقدي، التي تعزى فتحها الى المغيرة بن شعبه^١، تمرد اهل اذربيجان أكثر من مرة، فقاتلهم الاشعث بن قيس الكندي في المرة الاولى، ففتح حصن جابروان^٢، وصالحهم، وعادوا وتمردوا مرة اخرى، فقاتلهم الوليد بن عقبة بن ابي معيط سنة ٢٥ في خلافة عثمان، بعد عزل الخليفة عتبة بن فرقد عن اذربيجان. وقال الطبري: ان اذربيجان والري من فتوح اهل الكوفة^٣، بنى قوله هذا على اساس ان حذيفة بن اليمان قد فتح اذربيجان ومعه اهل الكوفة، وكذلك فإن الوليد بن عقبة الذي أعاد فتحها كان معه جيش اهل الكوفة، و اضاف الطبري، انه كان في اذربيجان من اهل الكوفة ستة الاف مقاتل، وكان ((يغزو هذين الثغرين [ويقصد بهما: اذربيجان والري] منهم عشرة الاف في كل سنة))^٤، ولما كانت اذربيجان من فتوح اهل الكوفة، فإنها كانت تتبع ولاية الكوفة، فيرسل خراجها وغنائمها اليها، وعندما دخل الوليد بن عقبة اذربيجان، ارسل عبدالله بن شبيل بن عوف الاحمسي مع جيش من اربعة الاف مقاتل، فأغار على اهل موقان والنريز والطيلسان^٥.

^١ معجم البلدان ١/١٧٣.

^٢ ن.م ١٧٤/١؛ وعند البلاذري ٣٢٢؛ "باجروان" والصحيح ماجاء عند ياقوت.

^٣ تاريخ الطبري، ٥/٢٦٧٤.

^٤ ن.م ٥/٢٨٠٥، ٢٨٠٦ (حوادث سنة ٢٤هـ).

^٥ جاء الاسم بصيغ مختلفة، فعند البلاذري ٣٢٣ والطبري ٥/٢٨٠٦: الببر، وعند المسعودي: التنبيه والاشراف ١/٢٨٧: التبر وفي ياقوت ١/١٧٤: التبرين، علماً انه لا يوجد موضعاً في اذربيجان بأسم الببر او التبر، وكذلك فإن التبريز غير واردة هنا، لانه اذا كان يقصد بها تبريز فلا يضاف اليها "ال" التعريف، بل انها كانت تضاف احياناً الى (نرين)، ثم ان البلاذري يذكر (النرين) في ص ٣٢١، طبعة بيروت ١٩٦٨، ولا شك انها تصحيف لـ(النرين) التي يذكرها على هذه الصورة في طبعة اخرى. ينظر قدامة: الخراج وصناعة الكتابة، بغداد، ١٩٨١، ص ٣٧٨، ولهذا كله نرى ان الصحيح في اسم الموضع هو (النرين)، الذي يقع جنوب بحيرة (رمية).

^٦ تاريخ الطبري ٥/٢٦٧٤، ٢٨٠٥-٢٨٠٦؛ البلاذري ٣٢٣؛ ياقوت ١/١٧٤.

اسكن الوليد بن عُقبة أذربيجان سنة ٢٥هـ أناساً من العرب من اهل العطاء والديوان، وأمرهم بدعاء الناس الى الاسلام^١، هذا اضافة الى المقاتلة الذين أقاموا في أذربيجان، وعندما ولي أذربيجان الاشعث بن قيس في خلافة عثمان بن عفان، أسكن هو ايضاً في اردبيل أناساً من العرب من اهل العطاء والديوان ومصر اردبيل وبنى مسجدها^٢.

ثم اخذت القبائل العربية تنزح الى الاقليم، بعد ان اتم العرب المسلمون فتحه، فقد ذكر البلاذري -حسب رواية الواقدي- ان العشائر العربية من اهل الشام والمصريين (أي الكوفة والبصرة) قد نزحت الى أذربيجان، وسكنت بعض اجزائه، واقتطع بعض العرب من العجم الارض وألجئت اليهم القرى للخفارة، لم يقيم العرب بزراعة الارض، بل جعلوا من سكانها مزارعين لهم^٣، مقابل قسمة معينة من الحاصل يقدمها العرب لهم، وكان قصد العرب عدم انشغالهم بالزراعة وارتباطهم بالارض، كي يكونوا مهينين للقتال وحفظ الامن والدفاع عن الوجود الاسلامي في الاقليم وعن حدود الدولة الاسلامية من الاخطار التي تهددها من جانب الكُرج والارمن المجاورين للاقليم، لاسيما وان أذربيجان كانت تعد ثغراً من ثغور الاسلام^٤، وكذلك فان اسكان هذه العشائر في الاماكن المفتوحة كان يرمي الى ضمان استمرار ولائها للعرب المسلمين.

واسكن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم والي ارمينيا وأذربيجان في اواخر عهد الخلافة الاموية (١١٤-١٢٦هـ)، عدداً من وكلائه في المراغة، وكانت قد ألجأها اهلها اليه، وبنائها، فجمع وكلاءه والناس، فكثروا فيها من اجل تعزيز الوجود العربي فيها، وعمروها^٥، ولما زالت الدولة الاموية، أُعطيت ضياع مروان ومنها المراغة الى بعض بنات الخليفة هارون الرشيد، وكان مروان بن محمد قد بنى "ورثان" واحيا ارضها وحصنها، فأصبحت من ممتلكاته، وبعد زوال خلافة بني امية، أصبحت لام جعفر، الست زبيدة.

^١ البلاذري ٣٢٤.

^٢ ن.م ٣٢٤؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، ٢٩٤؛ قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ٣٧٩.

^٣ فتوح البلدان ٣٢٤-٣٢٥.

^٤ الطبري ٢٨٠٥/٥.

^٥ البلاذري ٣٢٥.

وبنى في زمن خلافة الرشيد، (١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٩٠م) خزيمة بن خازم بن خزيمة، والى أرمينيا وأذربيجان (١٨٩-١٩١هـ/٨٠٥-٨٠٧م)، سور مراغه وحصنها ومصرها، ووضع فيها جيشاً كثيفاً^١.

لم يذكر البلاذري أسماء العشائر العربية التي استوطنت أذربيجان من عشائر الشام والكوفة والبصرة، إلا أننا يمكن أن نعرف بعضها من سياق الحوادث المتفرقة عند المؤرخين والبلدانيين العرب، فقد ذكر اليعقوبي في حوادث سنة ١٤٢هـ: ٧٥٩م، أن يزيد بن حاتم المهلبى الأزدي الطائي نقل في خلافة أبي جعفر المنصور، القبائل اليمانية من البصرة إلى أذربيجان وفرّقهم في انحائها، وهو أول من نقلهم، ويؤيد قوله، أنه لم يكن آنذاك بأذربيجان من الخزارية، إلا الصفر ابن الليث وابن عمه البعيث بن حلبس^٢، وقول الأزدي، في سياق ذكره لحوادث سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م: "وكانت أذربيجان أو أكثرها في يد اليمانية"^٣ ويبدو أن العباسيين قد اعتمدوا عليهم لاسيما الأزدي منهم^٤. ومن أهم القبائل اليمانية التي نزحت إلى أذربيجان والأماكن التي استقرت فيها هي:

١. الأزد:

انتقل الرواد بن المثنى الأزدي وأولاده من الموصل إلى أذربيجان^٥، فقصد الرواد تبريز، ثم قام ابنائهم: الوجناء، ويحيى ومحمد بإعادة تشييدها وحصّنها بسور فسكنها الناس معهم^٦. ويظهر لنا من نص للبلاذري قوله: ((وإما تبريز فنزلها الرواد الأزدي ثم الوجناء بن الرواد))^٧، أن الرواد نزل تبريز أولاً، ثم بعد ذلك نزلها ابنه الوجناء.

^١ البلاذري ٣٢٥؛ قدامة ٣٨٠؛ ياقوت ٤٦٧/٤.

^٢ اليعقوبي، تأريخه ١١١/٣.

^٣ تأريخ الموصل، ٣٨٤.

^٤ محمد جاسم حمادي، الجزيرة الفراتية والموصل، ١٦٤.

^٥ الأزدي، تأريخ الموصل، ٩٢.

^٦ البلاذري، ٣٢٦؛ قدامة ٣٨١.

^٧ البلاذري، ٣٢٦.

ويذكر اليعقوبي، ان يزيد بن حاتم المهلبى عندما تولى أذربيجان في خلافة ابي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م)، خصص الاراضي الممتدة من تبريز الى البذل، الى الرواد الازدي.^٢

لأنعلم متى تولى يزيد ولاية أذربيجان، ولكنه عيّن بعد ذلك والياً على مصر سنة ١٤٤هـ^٣، فنستنتج من ذلك انه كان والياً على أذربيجان اثناء الحقبة من سنة ١٣٦ وحتى سنة ١٤٤هـ، وخلالها خُصصت له تلك الممتلكات، اما انتقاله الى أذربيجان وتغلبه على احد كور أذربيجان (تبريز) فكان في سنة ١٢٩هـ^٤، اما ياقوت فيناقض كلاً من اليعقوبي والازدي، فقد حدّد وقت نزول الرواد وابنائهم بأيام المتوكل^٥ (٢٣٢-٢٤٧هـ)، ولاشك ان ياقوت قد توهم في تحديده هذا، لان الرواد كان من الأموات، عندما تولى المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢هـ.

ذكر ابن النديم اسم شخص من الازد اسماء "الشبل بن المثنى الازدي" كان يملك رُستاق سراه (سراب او سراو) واشتغل عنده بابك الخرمي في صباه^٦. لايمكن ان يكون الشبل هذا اخاً للرواد بن المثنى الازدي^٧، لان الشبل كان حياً في عهد المأمون (١٩٨-٢١٨هـ)، بينما الرواد كان قد تغلب -كما رأينا- على تبريز هو وأولاده في الحقبة (١٣٦-١٤٤هـ)، ولم يكن الرواد آنذاك في مقتبل عمره، بدليل ان اولاده اشتركوا في بناء تبريز وتحصينها، فعُمره في تلك الحقبة لم يكن اقل من ٤٠ سنة.

اما الوجناء بن الرواد بن المثنى الازدي فالمعلومات عنه قليلة، ويبدو انه حكم بعد أبيه الرواد، غير انه كان متمرداً وعاصياً، شأنه شأن اكثر رؤساء أذربيجان

^١ ينظر عنها الفصل الجغرافي، ص ٥٦.

^٢ اليعقوبي التاريخ ١٠٧/٣.

ويقول مينورسكي، ان الرواد الازدي مؤسس الاسرة جاء ذكره لأول مرة حوالي عام ٢٠٠هـ/٨٠٥م، وهذا وهم بلاشك، ينظر:

Minorsky, Studies of Caucasian, P. ١١٤.

^٣ ينظر: الطبري ٥٦٩/٣؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان ٣٢١/٦-٣٢٦؛ النجوم الزاهرة ١/٢.

^٤ تاريخ الموصل ٩٢.

^٥ معجم البلدان ٨٢٢/١.

^٦ الفهرست ٣٤٣.

^٧ توهم احمد كسروي (شهرياران گمنام ١٤٩/٢) بقوله ان الشبل كان اخاً للرواد بن المثنى.

المعاصرين له، فذكر البلاذري^١، انه قد ((عاث وأفسد))، وكان البعيث بن حلبس^٢، صاحب مرند، واحد من صعاليك^٣ الوجناء هذا^٤.

انتقل الوجناء من تبريز الى قلعة (شاهي) وهي من اكثر قلاع اذربيجان استحكاماً، تقع في جزيرة تحمل الاسم نفسه في بحيرة أورمية^٥، واتخذ الوجناء من هذه القلعة مركزاً لقرصنته، فكان الصعاليك يخرجون لقطع الطرق ويرجعون بسفنهم فلا يتمكن احد من الصعود الى القلعة والاستيلاء عليها، كما ان الوجناء صاحب القلعة كان ممتنعاً على ولاة اذربيجان في اكثر الاحيان^٦.

كنا قد ذكرنا ولاية خزيمة بن خازم التميمي على أرمينيا وأذربيجان (١٨٧-١٩١هـ)، فتولّاها بعد ان عاث الوجناء وصدقة بن علي مولى الازد وصاحب أرمية وتمردا، فقام خزيمة ببناء سور مراغة وتحصينها وجاء بجيش كثيف اليها^٧، ويبدو من العبارة المذكورة، ان الوجناء عصى بمساعدة من صدقة، ويحتمل ان يكون هذا تحت امره الوجناء، وكان هذا العصيان من القوة بحيث حمل خزيمة على تحصين مراغة من العصاة والمجئى بجيش كبير اليها، ولكن الطبري وغيره من المؤرخين لم يذكروا هذه الحادثة، ولا نتيجة عصيان الوجناء وصدقة، فبقى هذا الامر مجهولاً. ثم حكم محمد بن الرواد الازدي بعد أخيه الوجناء، وكان يحكم تبريز^٨. وعن بداية حكمه لها، فان اليعقوبي أورد في حوادث سنة ١٩٨هـ، خروجه في أذربيجان، وتوجيه الخليفة المأمون الجيوش اليها من الكوفة^٩، وهذا يعني ان محمد بن الرواد

^١ الفتوح ٣٢٥.

^٢ ورد الاسم، بأشكال عدّة فرسمه البلاذري (٣٢٦) والطبري (٣/١٢٨٠) على صورة: (حلبس) واليعقوبي (٣/١١١): (حلبس) وياقوت (٤/٥٠٣): (جليس).

^٣ الصعلوك، كلمة فارسية معربة، اصلها "سالوك" وتعني قاطع الطريق والرجل القوي. احمد كسروي، شهریاران گمنام، ١٥٠/٢.

^٤ الطبري ١١٧٣/٣ (حوادث سنة ٢٢٠هـ).

^٥ مازالت الجزيرة والبحيرة تحملان الاسم القديم (شاهي).

^٦ ياقوت ٥١٣/١؛ القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة بيروت، ١٩٦٠، ص ٤٩٤.

^٧ البلاذري ٣٢٥؛ قدامة ٣٨٠؛ ياقوت ٤٦٧/٤.

^٨ ابن خرداذبه ١١٩.

^٩ تأريخه ١٨٠/٣٣.

كان على تبريز قبل هذا التاريخ، ويبدو لنا ذلك ايضاً من رواية لابن النديم في معرض كلامه عن بابك الخُرَمي في ايام صباه، اذ ذكر انه عمل لدى محمد بن الرواد نحو سنتين في تبريز ثم تركه وعمره ثماني عشرة سنة^١، ولما كانت بداية عصيان بابك في سنة (٢٠١هـ/٨١٦-٨١٧م)^٢، فإن حكم محمد يكون قبل هذا التاريخ بسنوات.

ويبدو ان تبريز كانت ماتزال بيد محمد بن الرواد في سنة ٢٠٥هـ/٨٢٠-٨٢١م، فقد استقبل فيها هو وجميع رؤساء بلاد اذربيجان الوالي الجديد عيسى بن محمد بن ابي خالد من قبل الخليفة المأمون^٣.

يذكر ان خرداذبة -الذي ألف كتابه حوالي سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦-٨٤٧م، في تعدادة لمدن اذربيجان بأن تبريز هي لمحمد بن الرواد الازدي^٤، وذكر الطبري في حوادث سنة ٢٣٤هـ/٨٤٨-٨٤٩م- في معرض وصفه لبحيرة ارمية: ((انها تمتد من حد اُرمية الى رستاق داخرقان (دهُخُرَّقان) بلاد محمد بن الرواد))^٥. فوجه الغرابة في روايتيهما: انه من غير المعقول ان يبقى محمد بن الرواد حياً الى هذا الوقت، فقد كان محمد وأخوانه قد نزلوا تبريز في الحقبة بين سنة ١٣٦ و ١٤٤هـ -كما رأينا-.

ونذكر الطبري في حوادث سنة ٢٢٣هـ/٨٣٨م، رواية عن ابن الرواد "على لسان احد الصعاليك رواها لعلي بن مَرَّ الطائفي^٦، ولم يفصح الطبري عن اسم "ابن الرواد" هذا، ومن يكون من ابناء الرواد الثلاثة؟، ولكننا نرى لعلّه ان يكون الوجناء بن الرواد، لانه اشتهر باستخدامه الصعاليك، اضافة الى ان المصادر تذكره معاصراً لعلي بن مَرَّ،

^١ الفهرست ٣٤٣.

^٢ الطبري ١١٧١/٣.

^٣ اليعقوبي، التاريخ ١٩٧/٣.

^٤ المسالك والممالك ١١٩.

^٥ تاريخ الطبري ١٣٨٠/٣.

^٦ ن.م ١٢٣٢/٣.

(١٩٨- بعد ٢٢٣هـ)، وتذكر هذه الرواية بأن والدته ابن الرواد كانت من علوج^١ ابن الرواد نفسه، اي ان والد الرواد، كان قد تزوج واحدة من الرعايا المحليين. اما الابن الثالث للرواد الازدي فهو: يحيى، لم تذكر عنه، سوى رواية واحدة لليعقوبي، عن حادثة تمرّد محمد بن البعيث وأسرته على يد حمّديّة بن علي، وذلك في سنة ٢٣٥هـ (٨٤٩-٨٥٠م)، اذ يقول: ((وحمل يحيى بن رواد ايضاً قصير له اسم وقيادة))^٢، اي انه اعطيت له الرياسة في تلك السنة، ولم تكن له قبل ذلك. ويراودنا الشك هنا مرة اخرى عن بقاء يحيى حياً حتى هذه السنة، فقد علمنا -في معرض كلامنا عن محمد بن الرواد- ان ابناء الرواد الثلاثة، ومنهم يحيى نزلوا تبريز في بداية خلافة ابي جعفر المنصور، بين سنة ١٣٦ و١٤٤هـ. لم يذكر المؤرخون بعد سنة ٢٣٥هـ، شيئاً عن بني الرواد حتى حوالي منتصف القرن الرابع الهجري، اي لمدة تزيد عن قرن، الى ان يذكر ابن حوقل اسم "ابو الهيجاء ابن الرواد" الذي اصبح يعرف بصاحب (أهر وورزقان)^٣ وذلك في حوادث سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م^٤.

^١ تطلق هذه التسمية على الرعايا المحليين الذين كانوا يشتغلون بالرعي والزراعة، وكانوا اقوياء وضخام الجسم وسلاحهم الوحيد المقلاع، ويتكلمون لهجات عدّة (آذري، قاليشي). ينظر: الطبري ١٣٧٩/٣-١٣٨٩، و

Minorsky, Studies in Caucasian History, ١٩٥٣, P. ١١٢-١٣.

^٢ تاريخ اليعقوبي ٢١٩/٣.

^٣ أهر: مدينة عامرة تقع في شمالي شرقي تبريز، وعلى بعد ١٥٠ ميلاً غرب اردبيل، على رافد أهر الذي يجري شمالاً ليصب في نهر الرس، وجنوب جبل سراهند (حالياً قزاجهداغ) وما زالت أهر مركز لمنطقة قزاجهداغ، اما ورزقان فتقع جنوب غربي أهر. ينظر: حدود العالم ١٦٠؛ ياقوت ٤٠٩/١؛ حمدالله المستوفي، نزهة القلوب ٩٥؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ٢٠٣؛ وينظر تعليقات مينورسكي في:

Studies of Caucasian History, P. ١١٥, Note ٤, Hudud Al-Alam, Transtated and explained by V. Minorsky, Oxfor, London, ١٩٣٧, P. ٣٩٥.

^٤ صورة الارض ٢٩٠، ٣٠٣.

وممن سكن أذربيجان أيضاً: صدقة بن علي بن صدقة بن دينار (مولى الازدي)^١ المعروف بـ "زريق" جاء الى أذربيجان من الموصل شأن بني الرواد الازديين، حيث جاء بجيش الى مدينة أرمية فحارب أهلها زمن الخليفة المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م)، فدخلها وتغلب عليها وأخذ يبني فيها هو وأخوته القصور^٢، ثم تمرد علي بن صدقة في خلافة الرشيد بالاشتراك مع الوجناء بن الرواد الازدي وأخذ يعيث ويفسد بقطع الطرق، فأرسل الرشيد، خزيمه بن خازم التميمي سنة ١٨٩هـ/٨٠٥م، والياً على أذربيجان وأمدّه بجيش كبير لمقاتلته^٣، وعندما استفحل أمر بابك ولي المأمون صدقة (زريق)، أرمينية وأذربيجان سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤-٨٢٥م، لمحاربة بابك، ولما لم يستطع التغلب عليه، ولي المأمون: محمد بن حميد الطائي الطوسي سنة ٢١٢هـ/٨٢٧م، بدلاً منه، وعندما علم زريق بأقصائه، أعلن العصيان وأخذ بمقاتلة محمد، فأنتصر هذا على زريق وأخذه أسيراً الى المأمون، إلا أن محمداً وقع في كمين نصبته له جماعة بابك فقتل، وكان ذلك في سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م^٤.

ويذكر ابن حزم (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م) ان لمسعود بن عمرو بن الاشرف الازدي عقب بتبريز^٥، كذلك يذكر ابن حوقل، محمد بن احمد الازدي وقال عنه انه صاحب شروان شاه، وذلك في سنة ٣٤٤هـ^٦.

^١ المولى هنا يعني الحليف، الناصر، التابع (الفيومي، المصباح المنير ٩٢٧/٢)، ويرى احمد كسروي (شهریاران گمنام ١٥٦/٢) بأنه من اكراد الموصل، وانه دعى بمولى الازد نظراً لارتباطه بالوجناء بن الرواد الازدي، ولكننا وجدنا اليعقوبي يلقب صدقة بالازدي، فذكره نصاً هكذا: "زريق بن علي بن صدقة الازدي" (التأريخ ١٩٧/٣) وهذا يقطع الشك بعدم نسبة صدقة الى بني ازد العرب.

^٢ البلاذري ٣٢٥، ويذكر أيضاً (ص ٣٢٦): ((ان الوجناء بن الرواد نزل بتبريز وبنى بها وأخوانه بناءً، وحصنها بسور، فنزل الناس معه)).

^٣ فتوح البلدان ٣٢٥؛ تأريخ اليعقوبي ١٦٥/٣.

^٤ تأريخ اليعقوبي ١٨٦/٣، ١٩٧؛ الطبري ١٠٧٢/٣، ١٠٩٩، ١١٠١؛ ابن الاثير ٣٣/٦؛ النجوم الزاهرة ١٨٧/٢، ويعطي الازدي (تأريخ الموصل، ص ٣٥٦، ٣٥٧) أخباراً مفصلة عن علي بن صدقة وابنه صدقة بن علي (زريق).

^٥ جمهرة انساب العرب، طبعة ١٩٦٢، ٣٧٠/٢.

^٦ صورة الارض، ٣٠٣.

طِي:

من القبائل التي جاءت من الموصل واستقرت في أذربيجان هي قبيلة: طي، فقد جاءها: مَرَّ بن علي^١ الموصلي الطائي وأولاده اثناء ولاية يزيد بن حاتم المهلبى (١٣٦-١٤٢هـ) لابي جعفر المنصور، وسكنوا (نرين)^٢، وكانت قرية فبنوا فيها البيوت والقصور وأسكن فيها الناس ومنهم قومه بنو طي، فتحولت الى مدينة، وصفها الرحالة مسعر بن مُهَلَّل^٣، انها ((كانت مملكة لحاضرة طي))، بمعنى انها تحولت الى مدينة كبيرة لقبيلة طي، واستقل بنو مَرَّ بحكم نرين وجابروان بتفويض من السلطان^٤.

ورد اسم: علي بن مَرَّ، لأول مرة في حوادث سنة ١٩٨هـ، ايام المأمون حيث كان احد المتغلبين في أذربيجان^٥، وبقي على عصيانه حتى سنة ٢١٢هـ، عندما وجّه المأمون من الموصل محمد بن حميد الطائي الطوسي لمحاربة بابك، فأسر علي بن مَرَّ وارسله الى المأمون مع غيره من عصاة أذربيجان^٦.

ويبدو أن علي بن مَرَّ، عاد للحكم مرة ثانية، اذ ذكره الطبري في حوادث سنة ٢٢٣هـ في معرض حكاية أوردها عن لسان علي كاتبه: محمد بن عمران، كذلك ذكره ابن خرداذبة، ووصفه، انه صاحب جابروان ونرين^٧ وكان علي بن مَرَّ يحب الشعر، فأكثر من عقد مجالسه ووفد اليه الشعراء واكثروا المديح فيه ومنهم: ابو تمام والبحري^٨. وكان ابنه عمر بن علي بن مَرَّ، والمكنى ب(ابي

^١ عند البلاذري ٣٢٦؛ وابن الفقيه ٢٨٥، الذي ينقل عنه: "بن عمرو".

^٢ تقع نرين جنوبي بحيرة أورمية، والتي في مكانها حالياً: سيلدوز، مسعر بن المهلهل، الرسالة الثانية، ح ص ٥٧، نقلاً عن مينورسكي، ابو دلف ٨٢.

^٣ الرسالة الثانية، ٥٧.

^٤ البلاذري ٣٢٦.

^٥ تاريخ اليعقوبي ١٨٠/٣.

^٦ الطبري ١٠٩٩/٣، وفيه: على بن مَرَّ، وهذا وهم من الناسخ، اذ يذكره بصورة صحيحة في مكان آخر، وهو "علي بن مَرَّ"، ص ١٢٣٢.

^٧ الطبري ١٢٣٢/٣.

^٨ الرسالة الثانية، ٥٧.

الرديني)، قد عيّنه الخليفة المعتمد عاملاً على أذربيجان بدلاً من العلاء بن أحمد الأزدي^١ الذي أصيب بالفالج، وذلك في سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م، ولكن منع العلاء، أبا الرديني وقاتله، وكانت النتيجة مقتل العلاء في السنة التالية وتسلم أبو الرديني الولاية^٢.

خضع حكم آل الرديني، الذي امتد من جابروان ونريز^٣، الى مدينة أشنه (شنؤ)، وما يحيط بها، الى حكم الخليفة المباشر، وحكموا بمنعة وعز، وكانوا على هذه الحالة قبيل سنة ٣١٨-٣٢١/٩٣٠-٩٣٣، عندما انتهى الاصطخري من تأليف كتابه^٤، ولكنهم انقضوا عندما ضعفت الخلافة، فلم يعد لآل الرديني وجود في أيام ابن حوقل الذي هذب كتاب الاصطخري وضاف اليه في سنة ٣٤٠هـ/٩٥١-٩٥٢م، حيث قال: ((وكان آل الرديني من العرب فأتى عليهم الدهر ومشى فيهم الزمان بالغلبة والقهر، فعفى آثارهم وترك اليسير من أخبارهم))^٥.

ويذكر الرحالة مسعر بن مهلهل الذي قام برحلته الى هذه الاماكن سنة ٣٤٠-٣٤١هـ، بأن الاكراد (الهندانية) قد تملكوا مدينة نريز من آل الرديني منذ مدة^٦، ويبدو ان قبيلة طيئ التي سكنت تلك الجهات من أذربيجان قد اندمج افرادها بالسكان المحليين، ولم نعد نسمع عنهم منذ بداية الربع الثاني من القرن الرابع الهجري. ومما يجدر ذكره هنا ان

وكلا الشاعران ينتميان الى طيئ، قبيلة علي بن مرّ، فأبوتامام هو: حبيب بن اوس الطائي (١٨٨-٢٣١هـ/٨٠٤-٥٤٦م) والبحري هو: الوليد بن عبيد، ابو عبادة الطائي (٢٠٦-٢٨٤هـ/٨٢١-٨٩٨م). الزركلي، الاعلام، ج٢، ص١٧١، ج٩، ص١٤٢، الطبعة الثالثة، بيروت.

^١ يذكر صاحب مجمل التواريخ والقصص، العلاء بن أحمد ويصفه انه: رئيس مراغه، ص٨٥.

^٢ كثر ابن الاثير الرواية بكاملها مرتين، في حوادث سنتي ٢٦٠، ٢٦١، ولكنه سمّى عامل الخليفة الجديد بأبي الرديني عمر بن علي في المرة الاولى وبمحمد بن عمر بن علي بن مر الطائي الموصلي في المرة الثانية (٣٧٢-٣٧٣)، ٧/٦ ط، المطبعة المنيرية، بمصر سنة ١٣٥٣ و ١٣٥٧هـ) بينما ذكر الطبري الحادثة مرة واحدة وفي حوادث سنة ٢٦٠هـ وسمّاه بأبي الرديني عمر بن علي بن مرّ. (تأريخ ١٨٨٦/٣).

^٣ عند الاصطخري ١٠٨؛ ابن حوقل ٢٨٩: (تبريز) ولعلّ ذلك تصحيف لـ(نريز)، لان المصادر الاخرى -كما علمنا- اجمعت على حكم آل مرّ الطائي لنريز وليس تبريز.

^٤ المسالك والممالك ١٠٨.

^٥ صورة الارض ٢٩٠.

^٦ الرسالة الثانية ٥٧.

مسكويه كان قد تكلم عن ((جماهير الهذبانية))^١ في أذربيجان ضمن حوادث سنة ٣٣٢هـ، فيحتمل انهم قد انتزعوا نريز من آل الرديني في حدود تلك السنة. ويبدو ان الخليفة العباسي هو الذي كان يُعَيِّن المولى على بنى طيئ فيتولى هذا شؤون الحرب والاشراف على خراج الناحية وضياعها، فقد كان ابو سعيد محمد بن يوسف المروزي، مولى لبني طيئ على أذربيجان وأرمينية، ولما توفي سنة ٢٣٦هـ/٨٥٠-٨٥١م، ولي الخليفة المتوكل ابنه ماكان لابييه^٢.

هَمْدَان:

ومن القبائل اليمانية التي نزحت الى أذربيجان واستوطنته قبيلة هَمْدَان، وقد نزل الهمدانيون الميانج (ميانه) وخلصا^٣، فحولها عبدالله بن جعفر الهمداني الى مدينة بحيث امر السلطان ببناء جامع فيها وجعل فيه مبرا، مما يدل على كثرة المسلمين فيها من عرب وغيرهم، وانها اصبحت مركزاً لاقامة الوالي او الامير فيها، وكان محمد بن حميد الحمداني احد المتغلبين في أذربيجان في سنة ١٩٨هـ، ايام الخليفة المأمون^٤.

كَنْدَة:

وسكن في سراب (سراو)، جماعة من بنى كندة، وهم نسل من كانوا مع الاشعث بن قيس الكندي والي أذربيجان في خلافة عثمان وعلي بن ابي طالب^٥. ومن اليمنيين الذين تغلبوا على مناطق في أذربيجان يزيد بن بلال اليمني، حيث جاء ذكره في حوادث سنة ١٩٨هـ^٦، وليس لنا علم عن المنطقة التي بسط نفوذه عليها. كان الازدي قد ذكر في حوادث سنة ٢١٢هـ - كما مرّ بنا - انه: ((كانت أذربيجان او اكثرها في يد اليمانية))^٧، غير اننا وجدنا نصوصاً تذكر ان بعض جهاتها كانت فيها

^١ تجارب الامم، طبعة أمدرود، سنة ١٩١٤، ٦٥/٢.

^٢ الطبري ١٤٠٨-٤٠٧/٣.

^٣ عن ميانه (ميانج)، ينظر: الفصل الجغرافي، ص(٥٢-٥٣)، اما خلبا فلما نجد لها ذكر في كتب البلدانين العرب، ويبدو انها مجاورة لها.

^٤ اليعقوبي، تاريخه ١٨٠/٣.

^٥ البلاذري ٣٢٦؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان ٢٨٥، ٢٩٤؛ الطبري ٣٠٥٨/٢.

^٦ تأريخ اليعقوبي ١٨٠/٣.

قبائل نزارية عدنانية كبني ربيعة، أسد وعُتْبة وأود وتميم، لذلك فيكون الشطر الثاني من عبارة الأزدي: ((أكثرها في يد اليمانية)) أقرب صحة إلى الواقع من أن جميعها تحت سيطرتها. ونذكر فيما يأتي القبائل النزارية التي نزحت إلى أذربيجان وأماكن نزوحها وابرز رجالها:

عُتْبة:

نزع رب هذه الأسرة: حَلْبَس أبو البعيث إلى أذربيجان في عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٤-٧٧٥م)، وهو من بني عُتْبة الذين يرجع نسبهم إلى قبيلة أسد^٢. اختار حلبس مرند التي كانت قرية صغيرة -مقراً لسكناء، ثم قام ابنه البعيث بتحسينها وذلك ببناء سور محكم حولها^٣.

يقول اليعقوبي: ((فلم يكن بأذربيجان من نزار أحد إلا الصفر بن الليث العُتْبي وابن عمه البعيث بن حَلْبَس))^٤، أي أنه لم يكن في أذربيجان غيرهما من النزارية، عندما قام واليها يزيد بن حاتم المهلب بنقل اليمانية إليها، وأن حَلْبَس وولده البعيث لم يكونا وحدهما جاءا إلى أذربيجان وسكنها، بل جاء معهما "الليث" أخي حَلْبَس وابنه "الصفر". أصبح البعيث واحداً من جملة من استخدمهم الوجداء بن الرواد فقد وصفه الطبري بأنه ((كان صعلوكاً من صعاليك ابن الرواد))^٥.

توسعت مرند كثيراً وأصبحت في عهد ابنه محمد بن البعيث مدينة استدارتها فرسخاً بعد أن كانت قرية عندما نزلها جده: حلبس، وبنى فيها محمد قصراً، وكانت محاطة بالبساتين الكثيرة من كل جانب^٦.

^١ تاريخ الموصل ٣٨٤.

^٢ البلاذري ٣٢٥-٣٢٦.

^٣ ن. م ٣٢٥-٣٢٦.

^٤ تاريخ اليعقوبي ١١١/٣.

^٥ تاريخ الطبري ١١٧٣/٣.

^٦ الطبري ١١٧٢/٣، ١٣٨٠-١٣٨١؛ ابن الأثير ٤٧٧/٦.

كان محمد ابن البعيث يملك قلعتين حصينتين، احدهما قلعة شاهي -التي مرّ بنا ذكرها اثناء الكلام عن الوجناء بن الرواد- وسط بحيرة أرمية، اخذها ابن البعيث من الوجناء، والاخرى اسمها: يَكْدُر، تقع خارج البحيرة، غير ان شاهي اكثر منها استحكاماً. وعندما ظهر بابك الخُرَمي سنة ٢٠١هـ/٨١٦-٨١٧م، وازداد نفوذه، شايعه محمد، وكان يقوم بضيافة سرايا بابك عندما ينزلون اليه، فوجّه المعتصم، طاهر بن ابراهيم لمحاربة بابك سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م، وعندما رأى ابن البعيث توجه الجيوش الى أذربيجان، كتب استعطافاً الى المعتصم، اعلن فيه طاعته وانه معه لقتال بابك واصحابه، ولاظهار ذلك استطاع ان يستدرج اليه أَصْبُهْبُدْ بابك: عصمة الكردي واصحابه، فقتل اصحابه وارسل عصمة مقيداً الى المعتصم، وكان ذلك في سنة ٢٢١هـ، وبقي عصمة سجيناً الى ايام الواثق^٢، (٢٢٧هـ-٢٣٢هـ/٨٤٢-٨٤٦-٨٤٧م).

وقع عداء ومنافرة بين عامل أذربيجان حمّويه بن علي بن الفضل السعدي، وبين محمد بن البعيث -لانعلم سببه- فقبض حمّويه عليه وأرسله الى الخليفة المتوكل وكان ذلك في سنة ٢٣٤هـ، ولما وقعت المناجزة بينهما امام الخليفة المتوكل، اطلق سراح ابن البعيث وسجن حمّويه مما يدل على براءة ابن البعيث، ولكن بقي ابن البعيث شهوراً في سرّ من رأى (سامراء)، ثم هرب الى أذربيجان واعلن فيها عصيانه وتمردّه، وجمع حوله ما بناحيته من الصعاليك، وانضم اليه بنو ربيعة من قوم عيسى بن الشيخ، وكذلك العلوج من العاملين في المزارع، حتى اصبح عدد المجتمعين معه نحو الفين ومئتي رجل. وارسل الخليفة المتوكل عدداً من القادة لمقاتلته، فتحصن في مرند المحاطة بالاشجار الكثيفة، وعلى رواية الطبري فان المحاصرين له قطعوا من هذه الاشجار نحو مئة الف شجرة^٣. ولم يتمكنوا منه، ولكن بُغَا الشرابي المعروف بالصغير، منحه الامان فسلم ابن البعيث نفسه فحبسه في سنة ٢٣٥هـ، ثم ارسله ومعه خليفته ابو الاغر زوج اخته، واخواه صفر وخالد وابنه العلاء، ونحو مئتين وثمانين رجلاً أسرى الى الخليفة فسجنهم، وتوفي ابن البعيث في السجن، وبعد وفاته اطلق سراح صهره ابو الاغر وبقيّة

^١ الطبري ١١٧٢/٣؛ اليعقوبي ٢٠٧/٣.

^٢ ومن الغريب ان يطلق اليعقوبي على عصمت هذا لقب "صاحب مرند" (٢٠٧/٣)، لان مرند في هذا الوقت كانت لمحمد بن البعيث.

^٣ تاريخ الطبري ١٣٨١/٣.

اسرته ومنهم ثلاثة ابناء لمحمد ابن البعيث، هم: البعيث وجعفر وحلبس، فأدخلوا في عداد الشاكريه وهم صنف من جيش الخليفة، وأجريت عليهم الارزاق^١. وكان بُغا الصغير قد قام بهدم سور مرند وقصر ابن البعيث بعد حصاره لها^٢. ومما يجدر ذكره هنا ان محمد بن البعيث هذا كان يقول الشعر وانه اشتهر بالادب والشجاعة^٣، ولكن شعره لم يصل الينا.

الاولد:

كانت كورة برزة^٤، بيد الاولد، وقصبتها لواحد منهم، جمع الناس اليها وبنى فيها حصناً، ويذكر اليعقوبي، اسم "عثمان بن انكل" ((كأحد المتغلبين في اذربيجان في حوادث سنة ١٩٨هـ، وفي عهد الخليفة المأمون))^٥ ويرى احمد كسروي بأنه من الاولد^٦. توسعت برزة وبنى فيها منبراً سنة ٢٣٩هـ على الرغم من معارضة الاودي^٧، لان وجود المنبر يعني ان برزه اصبحت مقراً للوالي الذي سيزاحم الاودي في سلطته.

تميم:

استطاع احد رؤساء بني تميم وهو مهلهل التميمي ان يجمع حوله الانصار فأصبح احد المتغلبين في اذربيجان في خلافة الرشيد، وأرسل الخليفة لمحاربته جيشاً مكوناً من اثني عشر ألفاً بقيادة يحيى الحرشي، فتمكن هذا من هزيمة مهلهل وذلك في سنة ١٨٩هـ/٨٠٥م^٨.

^١ الطبري ٣/١٣٨٠-١٣٨٣، ١٣٨٧-١٣٨٩؛ اليعقوبي، التاريخ ٣/٢١٩.

^٢ البلاذري ٣٢٥.

^٣ الطبري ٣/١٣٨٨.

^٤ برزة، لم يذكر البلدانون المسلمون معلومات عنها سوى انها رستاق وكورة من نواحي اذربيجان. ياقوت، معجم البلدان ١/٥٦٤؛ المشترك وضعاً والمقترق صقعا، ٤٤.

^٥ البلاذري ٣٢٦؛ اليعقوبي، التاريخ ٣/١٨٠.

^٦ شهر ياران گمنام ١٥١/٢ ح ١٣.

^٧ البلاذري، ن.ص.

^٨ اليعقوبي ٣/١٦٢.

يقول ابن خرداذبة -الذي ألف كتابه سنة ٢٣٢هـ، وفي معرض تعداده لمدن أذربيجان- ان كولسرة وموقان هي "شكلة"^١. ليس لدينا اي خبر عنه ومن يكون؟ ولكن اليعقوبي يذكر ان ابراهيم بن المهدي، الذي بوع له بالخلافة في غياب الخليفة المأمون عن بغداد في سنة ٢٠٢هـ/٨١٧-٨١٨م، كانت والدته تسمى بـ"شكلة" وهي من سبایا خازم بن خزيمة التميمي وروح بن حاتم المهلبی اثناء قتالهما لاصبهبذ طبرستان سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م، فسمي بأسمها^٢.

٢. الكُرد^٣:

ذكرت بعض مناطق سكنى الكُرد في أذربيجان، اثناء الفتح العربي، مما يدل على وجودهم فيها قبل ظهور الاسلام، فقد جاء في احد شروط الصلح الذي عقد بين القائد العربي المسلم حذيفة بن اليمان وبين المرزبان، ان لايتعرض الفاتحون لاکراد سهل البلاسجان (بلاشگان)، وجبل سبلان (سولان) وميان روزان^٤ (اي بين الانهار)، ولعلّ الاخيرة يقصد بها ميانه (الميانج) التي تجري فيها الانهار: سفيد روذ (النهر

^١ المسالك والممالك ١١٩.

عن موقان: ينظر الفصل الجغرافي، اما كولسرة، فتبعد عن مراغه (١٢) فرسخاً عند ابن حوقل و (١٠) فراسخ عند الاصطخري، فيها حصن عظيم ويتبعها رستاق جليل، وهي مركزاً تجارياً كبيراً تقام فيها الاسواق كل شهر وتاتيها السلع التجارية المتنوعة من مختلف الامم، ينظر عنها: ابن حوقل ٣٠١-٣٠٢؛ الاصطخري ١١٤.

^٢ اليعقوبي ١٩٣/٣.

^٣ يسكن كُرد أذربيجان حالياً في انحاء متفرقة منه، ولاسيما في الجزء الغربي بمحاذاة الحد التركي والعراقي وجنوب بحيرة أورمية (منطقة موكریان)، فمواطنهم هي: أرمية، شرفخانه، خوی (وتقعان شمال أورمية)، كُردیان (شمال غربي سلماس)، قهراجه داغ (في الشمال)، اشنو، لاهیجان (لاجان، جنوب شنۆ)، نغده (شرق اشنو)، ماکو (يمر منها نهر ماکو احد الروافد الجنوبية لنهر الرس)، صاوج بولاغ (سابلاغ- مهاباد)، موكریان، سلدوز (وتقع كلها جنوب بحيرة أرمية)، بوکان، سقز (وتقعان علي نهر زيرين المتجه شمالاً ليصب في البحيرة)، بانه، سردشت (شرقي جبال قنديل العراقية).

شيخ محمد مردوخ، میژووی کوردو کوردستان، ترجمة: محمد فیدا، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٨، ١٥٩/١-١٦٤؛ شترك، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، ٥٦٥/١.

^٤ عند البلاذري، الفتوح ٣٢١ "ساترودان" والصحيح ما ذكرناه كما جاء عند ياقوت ١٧٣/١؛ ينظر أيضاً: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، ٢٩٣.

الابيض)، وروافده: هشترو (ثمانية أنهر)، ميانج (الوسط)، وكرم رود^١ (النهر الحار). والاماكن المذكورة تقع في شرقي الاقليم، ويلاحظ ان القبائل الكردية ذكر استقرارها في الغرب والجنوب الغربي منه من مستهل القرن الخامس الهجري، وما زالت هي مناطق سكنهم لحد يومنا هذا. ويبدو ان كرد شرقي الاقليم، بدأوا بالنزوح الى الجهات الغربية والجنوبية الغربية، بعدما وصلت قبائل الغز السلاجقة الى أذربيجان في مستهل القرن الخامس الهجري واتخذت من شرقي البلاد موطناً لها، فأزاحت الكرد عنها، وما زالت تسكنها لحد وقتنا الحاضر.

القبائل الكردية التي سكنت أذربيجان:

الهذبانية:

سكنت أذربيجان في العهد الاسلامي قبائل كردية عدة، منها: قبيلة الهذبانية^٢ الكبيرة، وكانت تقطن في منطقة بهدينان من أعمال الموصل، انتقل عدد كبير منها الى أذربيجان في نهاية القرن الثالث الهجري واستقرت فيه، وهذا الانتقال كان نتيجة الحصار الذي فرضه والي الموصل/ ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان التغلبي علي القبيلة المذكورة التي كان يرأسها محمد بن بلال والذي شق عصا الطاعة سنة ٢٩٣هـ/٩٠٥م، فالتجأت الى الجبال، وكان عدد البيوت الملتجئة خمسة الاف بيت، واستمر عصيان محمد الى السنة التالية، وفيها حث افراد قبيلته على النزوح الى أذربيجان، فلجأ اليها اكثرهم، واستسلم محمد لابن حمدان مع عدد من اهله وعشيرته واعلن طاعته^٣.

^١ ينظر الخارطة.

^٢ يرى مينورسكي ان "هذباني" مشتق من مصطلح جغرافي اقدم لمنطقة اربيل (اربيل) والذي حفظ من الاسم الابريشي النسطوري: اديابن (Adiabene) (حدياب)، ينظر: Studies in Caucasian History, P. ١٢٨، اما جميل بندي الروثياني، فيرى ان الهذبانية مشتقة من: الهزانية، الخيزانية الكردية التي كانت تقطن انحاء اربيل - أذربيجان (الشرفنامه، ترجمة جميل الروثياني، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٣، ح ص ٧٨).

ونحن لانتفق مع استنتاج الروثياني، لانه لم ترد قبيلة بأسم الهزانية او الخيزانية في اي مصدر لها القوة والنفوذ وذات ((جماهير)) واسعة كالتي كانت للهذبانية.

^٣ ابن الاثير ٥٣٨/٧ - ٥٤٠؛ محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ١٣١/١.

الهدبانية بعد نزوحها من منطقة بهدينان وهجرتها الى اذربيجان، استقرت في الجهات الغربية من اذربيجان التي تجاور بهدينان، فقد ذكر مسكويه ان ابا عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان، ابن عم ناصر الدولة والي الموصل، توجه بجيش الى اذربيجان سنة ٣٣٢هـ/٩٤٤م وعندما وصل الى سلّماس (غربي الاقليم)، انضم اليه جعفر بن شكويه الكردي مع ((جماهير الهدبانية)) حسب قول مسكويه^١.

ومما يجدر ذكره، ان المسعودي ذكر اذربيجان كموطن للهدبانية^٢، عندما ألف كتابه "المروج" في سنة ٣٣٢هـ/٩٤٨م^٣، وكذلك ذكرهم المقرئ^٤. وكان الهدبانيون في سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م، قد انضموا الى جستان بن المرزبان، صاحب اذربيجان في حربه مع الخارجين عليه، والذين كان معهم الفضل بن احمد الكردي القحطاني، والقحطانيون - حسب قول مسكويه - ((صنف من الاكراد))^٥.

وكما اردنا نصاً يشير الى وجود الكرد الهدبانيين في سلّماس في اوائل القرن الرابع الهجري، فلدينا نصان آخران يشيران الى تواجدهما في اطراف سلّماس في اواخر القرن الرابع^٦، وفي حوالي منتصف القرن الثامن الهجري، ونستدل من النص الاخير ان الكرد لم يسكنوا المدينة بل كانوا في الجهات المحيطة بها، حيث كان سكان المدينة في حروب مستمرة مع الاكراد^٧.

لم يقتصر سكنى الهدبانيين في سلّماس واطرافها، بل سكنوا ايضاً في اماكن اخرى في غربي بحيرة اورمية، ومنها مدينة اشنه (شنو الحالية)، فجعلوا منها منازل صيفية لهم، وفي الشتاء كانوا ينزحون الى جنوبها، الى منطقة لاهيجان (لاجان)^٨. ويبدو لنا ان الهدبانيين بعد نزوحهم من موطنهم الاصلي في بهدينان في اواخر القرن

^١ تجارب الامم، طبعة امدرود، سنة ١٩١٤، ٦٥/٢.

^٢ مروج الذهب، طبعة بيروت ١٩٦٦، ٢٥١/٢؛ التنبيه والاشراف، الطبعة الاوربية، ٨٩.

^٣ كما نص المسعودي هو بنفسه على ذلك، ينظر: المروج طبعة مصر سنة ١٩٥٨، ٣٨٥/٤.

^٤ السلوك الى معرفة دول المسلك، طبعة مصر، ١٩٣٤، ج ١، ق ٤.

^٥ تجارب الامم ٢٣٨/٢، حوادث سنة ٣٤٩هـ.

^٦ المقدسي، احسن التقاسيم، طبعة ليدن، ١٩٠٦، ٣٧٧.

^٧ حمدالله المستوفي، نزهة القلوب، طبعة طهران، ١٣٣٦ شمسي، ٩٧.

^٨ ابن حوقل ٢٩٠؛ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، مادة آشنه ٢٢٢/٢.

الثالث الهجري، هاجروا الى اشنه واطرافها، قبل غيرها من مناطق أذربيجان لانها اقرب الى موطنهم الاصلي.

وكان الهذبانويون في أوائل القرن الخامس الهجري يسكنون ارمية (ورمي الحالية) ايضاً، فقد كانت من اعمال ابي الهيجاء بن ربيب الدولة الهذباني، وقد قتل الغز -اثناء زحفهم الى أذربيجان سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٧م، ونتيجة للمقاومة التي ابداهما تجاههم - عدداً كبيراً منهم^١.

لم يقتصر سكنى الهذبانويون على أرمية فقط، بل سكنوا في العام نفسه مراغه ايضاً، فقد فعل الغز بهذبانية المراغه مثل ما فعلوه بهذبانية أرمية، حتى انهم قتلوا منهم ((مقتلة عظيمة))^٢.

وسكن الهذبانويون مدينة نريز ايضاً، فقد رأينا في معرض كلامنا عن آل الرديني، ان الكرد الهذبانية قد انتزعوا منهم مدينة نريز في مستهل القرن الرابع الهجري.

وهكذا يتضح لنا ان مناطق تواجد الهذبانية في أذربيجان هي تلك المدن والمناطق المحيطة ببحيرة ارمية، هذا وقد لعب الهذبانويون دوراً كبيراً في تأريخ أذربيجان وأران خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، كما سنرى ذلك عند تناولنا التاريخ السياسي لأذربيجان.

ويبدو ان الهذبانية -القبيلة الكبيرة- لم يسكن كل افرادها في أذربيجان، فقد كانوا يسكنون اربل، اذ امتلكوا قلعة اربيل واعمالها سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م، وكان صاحبها آنذاك هو ابو الحسن بن موسك الهذباني يعاونه اخوه ابو علي بن موسك^٣.

الرواية الهذبانية:

مرّ بنا في معرض كلامنا عن بني الرواد الازديين، انه لم نعد نسمع عنهم شيئاً منذ أوائل القرن الثالث الهجري ٢٣٥هـ، حتى حوالي منتصف القرن الرابع، اي لمدة

^١ ابن الاثير ٣٨٣/٩؛ ابن خلدون، العبر، طبعة بيروت، ١٩٥٧، مجلد ٤/٥٥٦، ٦٧٩؛ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، مادة ارمية.

^٢ ابن الاثير ٣٨٢/٩؛ ابن خلدون، العبر ٩٣٦/٣، ٥٥٥/٤؛ ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، طبعة بيروت، ١٩٥٨، ١٨١.

^٣ ابن الاثير ٥٤٩/٩.

تزيد عن قرن، الى ان جاء ذكر "ابو الهيجاء ابن الرواد" الذي وصفه ابن حوقل انه صاحب (اهرّ وورزقان)، وذلك في حوادث سنة ٣٤٤هـ/١٠٥٥م^١. وجاء في تاريخ الباب والابواب، ان حسين بن محمد، احتل تبريز في سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م وبنى اسوارها^٢، كما ذكر مسكويه اسم "الحسين بن محمد بن الرواد" في حوادث سنة ٣٤٩هـ/٩٦٠م، حيث راسله وهسودان بن المرزبان صاحب طارم، لمساعدته في نزاعه مع ابن اخيه ابراهيم بن السار بن المرزبان صاحب اذربيجان^٣. ويرى كسروي، ان الحسين هذا ما هو الا ابو الهيجاء بن الرواد^٤. وقد كوّن بنو الرواد المتأخرون سلالة حاكمة لهم في اذربيجان، استمرت حتى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م. وأسس فرع آخر لهم حكماً في مراغه بأذربيجان استمر من سنة ٥٠١ حتى سنة ٦٢٤م (١١٠٧-١١٠٨/١٢٢٧م)، كما كوّن بنو الرواد سلالة اخرى في اقليم ارّان سميت "بالشذّادية" نسبة الى مؤسسها محمد بن شداد الذي استمر حكمها من سنة ٣٤٠ حتى سنة ٥٩٥هـ (٩٥١-٩٥٢/١١٩٩م)^٥.

سنحاول في الصفحات التالية امطة اللثام عن مسألة العلاقة بين الرواديين الاوائل والرواديين المتأخرين - حيث تفصل بينهما فترة زمنية تزيد على قرن - هل هما من السلالة نفسها ام لا توجد رابطة تجمع بينهما، وسنبيّن رأينا حولها مستعينين بالنصوص التاريخية المتوفرة:

عندما تناول المؤرخون والبلدانيون العرب الكلام على بني الرواد الاوائل نسبوه الى بني الازد، وانهم رسموا الكلمة "الرواد" بتشديد الواو^٦، ولكن عندما تكلموا عن بني الرواد المتأخرين الذين ظهروا بعد عام ٣٤٤هـ/٩٥٥م، فأنهم قرّنوا

^١ صورة الارض ٢٩٠، ٣٠٣.

^٢ Minorsky, Studies in Caucasian History, P. ١٦٨.

نقلًا عن تأريخ الباب والابواب لمؤلف مجهول.

^٣ تجارب الامم ١٨٠/٢.

^٤ احمد كسروي، شهریاران گمنام/١٦١، طبعة طهران، ١٩٢٩.

^٥ محمد امين زكي، تاريخ الدول والامارات الكردية، ترجمة: محمد علي عوني، ١٩٤٨، صص ٢٩-٥٦، ٨٥-٩٠، كسروي، شهریاران گمنام، ج ٢، ٢٥١، ٢٥٢، ٣/٣٢٨-٣٢٩.

^٦ ينظر: ابن خرداذبه ١٢٠؛ تاريخ اليعقوبي ١٩٧/٢، ٢١٩؛ الطبري ١١٧٢/٣، ١٢٣٢، ١٣٨٠؛

الفهرست لابن النديم ٣٤٣؛ ياقوت ٨٢٢/١، ٤٧٦/٤؛ ابن الاثير ٤٧٧/٦.

اسماءهم بنسبة "الكُردي"^١، ورسوموا كلمة "الرواد" بواو واحدة -كما فعل ابن خلكان-^٢. وهو مؤرخ سير موثق، وعند تحقيقه عن نسب عائلة صلاح الدين الايوبي، ذكر ان افراد هذه العائلة، حسب اتفاق اهل التأريخ: اكراد روادية، والروادية بطن من الهذبانية.. وهي قبيلة كبيرة من الاكراد. واخبره رجل فقيه من اهل دوين^٣ عارف بما يقول ان هناك قرية مجاورة لبوابة المدينة تسمى ((اجدانقان.. جميع اهلها اكراد روادية))^٤. وكان ابن الاثير -المؤرخ الثقة- قد ذكر قبله بأن الروادية من الاكراد و((هم اشرف الاكراد)) -على حد قوله^٥. وقد اجمع المؤرخون الذين جاءوا بعد ابن الاثير وابن خلكان، ما ذهب اليه، من ان الروادية بطن من الهذبانية، القبيلة الكُردية الكبيرة، كأبي شامه، وابن الفرات والمقرئزي، والحنبلي وغيرهم^٦، اما صاحب الشرفنامه -وهو سفر كبير يتناول تأريخ الكُرد منذ ظهور الاسلام حتى سنة ١٠٠٥هـ- فيذكر ان علماء التأريخ ومتتبعي السير يرون بأن عائلة صلاح الدين هم من اكراد رونده، من بلدة (دوين)، ورونده هو تحريف لـ(روادي) حصل بمرور الزمن، وذهب الى رأي هؤلاء المؤرخين، مستشرقون كبار كمينورسكي وكلود كاهن^٧.

^١ ينظر: علي سبيل المثال: ابن الاثير ٤٠٩/٩، ٥١٦/١٠؛ ابن خلكان ١٠١٣/٣؛ طبعة بيروت، المسجد المسبوك، (المخطوطة) و٤٦٦ حوادث سنة ٥١٠هـ؛ ابن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق (طبعة بيروت ١٩٠٨) ١٧٥؛ ابن العديم: زبدة الحلب من تأريخ الحلب، طبعة بيروت، ١٩٥٤، ١٥٨/٢؛ الذهبي، دول الاسلام، ٣٦/٢.

^٢ وفيات الاعيان، تحقيق محمد بن محي الدين عبدالحميد، ١٩٤٨، ١٣٩/٦.

^٣ دوين: يطلق عليها العرب (دبيل)، من مدن اقليم ارمينية، تجاور انريجان وتقع قرب مدينة اريوان (اريفان) الحالية على نهر سهل فسيح، خربت في ايام البديليسي واصبحت قرية سميت بـ"كرني چخد سعد) ينظر:

البلاذري، الفتوح، طبعة بيروت ١٩٧٨، ٢٠٣؛ الشرفنامه، ترجمة: ملا جميل بندي الروثياني، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٣، ص ٧٨؛ وينظر عنها: د. صلاح الدين امين طه، الحياة العامة في ارمينية، رسالة دكتوراه، بالرونيو من جامعة بغداد، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص ١٧٥-١٧٧.

^٤ وفيات الاعيان ١٣٩/٦.

^٥ الكامل ٣٤١/١١، حوادث سنة ٥٦٤هـ، الباهر، طبعة القاهرة، ١٩٦٣، ص ١١٩.

^٦ ابو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين السورية والصلاحية، ج ١، ق ١، ٣٢٩.

^٧ Cluad Cahen, Enc. Islamic (New ed), Vol. ١, P. ١٧٩٦, Minorsky, Studies in Caucasian History, P. ١٢٤.

ويُتَبَيَّن لنا -مما ذكرناه- انه لا علاقة او رابطة تجمع بين العائلتين: بنو الرواد الاوائل المنتمون الى قبيلة الازد، وبنو الرواد المتأخرين الذين ينتمون الى عائلة الرواد الهذبانية الكُردية، على الرغم من تشابه الاسمين والمناطق التي خضعت لهما. ولكن كسروي يرى انه يمكن الربط بينهما^١، حيث ان الزمن والتزاوج يفسر بسهولة تحول الحكام العرب الى حكام كُرد^٢.

ان مثل هذا التحول ممكن وهناك شواهد تأريخية على اندماج جماعات او اقوام عديدة في السكان الاصليين، ولكن يعترضنا هنا أمر، وهو: ان المؤرخين -كما رأينا- اجمعوا على ان الروادية، الذين كَوَّنوا لهم سلالات حاكمة في كل من أذربيجان واران، هم بطن من الهذبانية، القبيلة الكُردية الكبيرة، ولم نجد واحداً منهم يذكر بأن هؤلاء يرجعون في نسبهم الى بني الازد، كما فعلوا بالنسبة الى بني الرواد الاوائل.

الزرزارية:

ذكر المسعودي والمقريزي عشيرة الزرزارية الكُردية ضمن عشائر أذربيجان^٣، وفسر فضل الله العمري (زرزاري) انها كلمة اعجمية تعني ولد الذئب^٤، بينما يرى "كاترمر Quatremere" انها تعني: ولد الذهب بالكُردية^٥، وتفسير كاترمر اقرب الى الصحة من تفسير العمري، لان زير، زر، تعني الذهب و "زا" الولد او النسل بالكُردية. ويذكر العمري ان ملاذكرد (مازگرد)^٦ والرسحاق^٧ بقلاعها ومزارعها وضياعها بيد الزرزارية، وحدد اماكن سكنهم فقال، ((انها من مُرت^٨ الى جبل جنجرين^٩ المشرف على اشنو، ويبلغ تعدادهم خمسة الاف))^{١٠}.

^١ شهریان گمنام، طبعة ١٩٢٩، ١٥٧/٢.

^٢ Minorsky, Op. cit, P. ١٦٩.

^٣ التنبيه والاشراف ٧٨؛ المقريزي، السلوك ٤/١.

^٤ محمد امين زكي، خلاصة تاريخ الكُرد وكُردستان، ترجمة: محمد علي عوني، ج ١، ح ص ٣٨٥؛ للمترجم، تكلمة ابن الصابوني، تحقيق: د. مصطفى جواد، ح ص ١٠٦؛ عباس العزاوي، عشائر العراق الكُردية، ١٥٤/٢، وكل هذه المراجع نقلت نصوصاً من مسالك الابصار للعمري (و/١٠٦ مخطوط، باريس، رقم ٥٨٦٧).

^٥ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، مادة اشنو ٢٢٢/٢.

^٦ مازگرد: مجاورة لأشنو، تاريخ مردوخ (بالكُردية) ١٠٩/١-١٦٤.

وجاء ذكر "الزرزارية"، عند ابن الاثير في حوادث سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢/١١٨٣م، فقد اشترك افراد القبيلة وامراؤهم الى جانب صلاح الدين الايوبي في حصاره لسنجار بعد ان توجه اليها من الموصل^٥ كما اشتركوا معه ايضاً في حروبه خلال عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م، وقد شبههم الاصبهاني بالاسود لشجاعتهم^٦.

ومما يجدر ذكره هنا، ان ياقوت الحموي تكلم عن قلعة من اعمال اربل تقع على الطريق من اربل -اشنو ومنها الى مراغه، اسمها (خفتيان الزرزاري)^٧، ولا شك انها سميت بهذا الاسم نسبة الى قبيلة زرزاري، وقد زارها ياقوت في اوائل القرن السابع الهجري، ويتبين من وصفه لها، انها تقع في دربند (مضيق خفتيان) -هوديان الحالي- القريب من رواندوز^٨.

ويقول مينورسكي في معرض كلامه عن الزرزارية بأنه: ((لانعرف شيئاً عن مجيئهم الى اشنه، وربما كانوا فرعاً من الهذبانية القديمة))^٩.

ونذكر أمين زكي عشيرة "زرزان" الكردية وانها تسكن شرقي اورمية، وذكر نقلاً عن مارك سايكس ان عشيرة "زرزا" -وهي من قبائل مكري السيارة- تسكن في اوشنو وأطرافها^{١٠}. ولا أدري هل ان "زرزان و زرزا" هما التسمية الحديثة لعشيرة "الزرزارية"

^١ الرستاق، جنوب شمدینان الحالية.

^٢ مرت: مجاورة لاشنو، تأريخ مردوخ ن.ص.

^٣ جبل جنجرین: هو جبل كيله شين (الحجر الازرق)، ارتفاعه (١٠) الاف قدم، يقع ممر كيله شين على الطريق المار من رواندوز الى اشنه ومنها يتفرع الى ارمية ومراغه.

^٤ القلقشندي، صبح الاعشى، نشر احمد زكي، باشا، الطبعة الاميرية، القاهرة، ٣٧٦/٤؛ خلاصة تأريخ الكرد/١/٣٨٦؛ عباس العزاوي، عشائر العراق الكردية، ١٥٤/٢.

^٥ الكامل ٤٨٧/١١.

^٦ الاصبهاني، الفتح القسّي في الفتح القدسي، طبعة الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، تحقيق: محمد محمود صبحي، ص ٣٢٨.

^٧ معجم البلدان ٤٥٦/٢.

^٨ ينظر تحقيقنا عنها في كتابنا: الكرد في لرستان الصغرى (الشمالية) وشهرزور خلال العصر الوسيط، صص ٦١-٦٣.

^٩ دائرة المعارف الاسلامية، مادة اشنه، ٢٢٢/٢.

^{١٠} الخلاصة، ٢١٤، ٤٤٧.

القديمة ام انهما عشيرتان تختلفان عنها؟ علماً بأنهما تسكنان المناطق نفسها التي سكنتها العشيرة القديمة.

ومن المناطق الاخرى التي سكنها بعض افراد القبيلة: (لاهيجان)^١-جنوبي بحيرة اورمية-، ويقول صاحب الشرفنامه انها بقيت منطقة لسكناهم حتى القرن التاسع الهجري حينما انتزعها منهم: بير بوداق، اول زعيم لقبيلة بابان، كما هزمهم سليمان بك سهران (سوران) وذلك في عهد مراد الثالث عام ٩٨٢هـ/١٥٧٤م^٢.

ونذكر صاحب الشرفنامه في المقدمة في معرض تبويبه لكتابه فصلاً في ذكر امراء "زرزا"^٣، وجاء في التبويب ايضاً: (الشعبة الاولى في ذكر امراء "اوشنى")^٤، لكننا لم نجدهما في محلها من الكتاب، فقد ضرب عنهما صفحاً ولم يتناولهما، ولانستطيع ان نفسر هذا النقص، علماً بأن الكتاب قد تناول الامارات والاسر الحاكمة الكردية بشيء من التفصيل في العهد الاسلامي، بينما لم يتناول تاريخ الكرد في ازربيجان ولم يذكر شيئاً عن الاسر الحاكمة فيها، كالسلارية (نسبة الى مؤسسها مسافر بن المرزبان بن السلال) والديسمية (نسبة الى مؤسسها ديسم بن ابراهيم الكردي) والروادية والشدادية وغيرها.

ونذكر ابن المستوفي في تاريخ اربل عدداً من الفقهاء والقراء الزرزاريين ممن ظهوروا في القرن السادس الهجري، ولاحظنا انهم من سكنة أشنه واطرافها او اربل^٥. وذكر العمري ايضاً جماعة قليلة، قوامها نحو ثلاثمئة رجل، منضمة الى الزرزارية تسمى بأسم قريتها (بالكان)^٦.

^١ ابن المستوفي، تاريخ اربل، الجزء الثاني، المطبوع بتحقيق سامي بن السيد الصقار، ق ٢ ح ٣، ص ٣٩٥.

^٢ البديسي، ١/٢٨٠، ٢٧٨؛ مينورسكي، مادة أشنه ٢/٢٢٢.

^٣ ن.م.، المقدمة، ص ١٥.

^٤ ن.م.، المقدمة ص ١٤.

^٥ لاحظ مثلاً تراجمهم على الصفحات: ٣٨، ٢٣٠، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٥، في القسم الاول من الكتاب.

^٦ صبحى الاعشى ٤/٣٧٦.

بالكان: تسمى الآن بالك، وهي ناحية تابعة الى محافظة اربيل والتسمية جاءت من المنطقة التي تسكنها، وهي ممتدة من رواندوز الى ناحية رأيات. عباس العزاوي، عشائر العراق الكردية، ص ١٣٩.

الجلالية (الجلالية):

من القبائل الكردية التي سكنت أشنه في أذربيجان، ويبدو انها كانت في الاصل تقيم في شهرزور، فقد ورد ذكرها فيه، في حوادث سنتي ٢٦٧هـ/٨٨٠-٨٨١م، و٣١٤هـ/٩٢٧م^١، اي انها ذكرت منذ القرن الثالث الهجري. وأورد اسم هذه القبيلة كلا من المسعودي^٢ (من رجال القرن الرابع الهجري)، وياقوت^٣ (في مستهل القرن السابع الهجري)، والمقريزي^٤ (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٤م)، والآخر ينقل عن العمري في مسالكه. ويرى عباس العزاوي، انهم كانوا في الاصل بمحل يسمى (دول كلال)، اي وادي كلال بشهرزور فسموا بأسمه^٥.

حدد العمري عدد من هم في أشنه في أيامه -النصف الاول من القرن الثامن الهجري- بمئتي رجل، وكانوا قبلاً ((أكثر من ذلك عدداً، وأوفر مدداً)) حسب قوله، ثم ذكر عدد من هم بقرب شهرزور، فكانوا الف رجل مقاتل، وهذا العدد نفسه كان لطائفة أخرى منهم تقيم بدقوقاء (داقوق)^٦. وماتزال الجلالية موجودة في العراق^٧.

^١ ابن الاثير ٣٦٠/٧؛ ١٦٣/٨.

^٢ مروج الذهب، طبعة بيروت، ١٩٦٦، ٢/٢٥١؛ التنبيه والاشرف، طبعة بيروت، ١٩٦٥، ص ٨٩.

^٣ معجم البلدان، مادة شهرزور، ٣/٣٠٤، اوردها ياقوت، نقلاً عن مسعر بن مهلهل من رجال النصف الاول من القرن الرابع الهجري.

^٤ السلوك، ط١، ق١، ص ٤.

^٥ مايزال في محافظة السليمانية في ناحية شهربازار، ومايزال معروفاً بهذا الاسم. ينظر: عشائر العراق الكردية، ٨٢ و ٨١.

وتسكن عشيرة الجلالية ايضاً في وقتنا الحديث في منطقة أكرى وماكو: د. وليد حمدي، الكرد وكردستان في الوثائق البريطانية، دراسة تاريخية وثائقية، كتاب جريدة الاتحاد، الحلقة الخامسة والاربعون، العدد ٤٣٨، الجمعة ١٤/٩/٢٠٠١، ص ١٤.

^٦ عباس العزاوي، ن.م السابق، ص ٨٢ نقلاً عن مسالك الابصار، ج ٣.

^٧ ن.م. ص ٢٧، واوردنا دلائل عديدة على ان الجلالية هي غير الجلالية، ينظر بحثنا: الرسالة الثانية لمسعر بن مهلهل وشهرزور، مجلة: زانكوى سليمانى، العدد ٨، سنة ٢٠٠١م، صص(٢١٨-٢١٩).

قبائل كُردية أخرى:

ذكر المسعودي الما جُردان ضمن اجناس الاكراد، وقال: ((هم من الكنگور ببلاد اذربيجان))، ولم يرد لهم ذكر في أي مصدر آخر، كذلك عُدَّ "الشُرَاة" من ضمنهم أيضاً^١ علماً بأن هؤلاء لم يكونوا جنساً من اجناس الكُرد، وإنما هم فرقة من الخوارج، الذين خرجوا بادئ بدء على الامام علي (رض)، وظهرت منهم جماعات في اذربيجان، لاسيما في الجهات المحيطة ببحيرة أرمية، التي سميت ايضاً ببحيرة الشُرَاة، وكان ابو سالم ديسم بن ابراهيم الكُردِي الذي استولى على اذربيجان سنة ٣٢٦هـ/٩٣٨م، ((يقول بمذهب الشُرَاة هو وابوه)) وكان معظم جيشه من الكُرد^٢.

وعُدَّت "السولية" التي كانت تقيم بين شهرزور وبين اشنه من قبائل اذربيجان، فقد ذكر العمري بأن عددهم نحو الفي رجل^٣، وقال ياقوت عن القبيلة انها في شهرزور^٤، ويبدو ان مساكنها في الاصل كانت في شهرزور، ثم اخذت تنتقل بينها وبين اشنه. يرى عباس العزاوي، ان موطنها مايزال يعرف في شهرزور في ناحية (سيويل) والتسمية يبدو انها مشتقة من هذا الموضع^٥، وجاء رسمها في مسالك الابصار بلفظ (السيولية) وكذلك في السياحتنامة^٦.

^١ الكنگور (قصر اللصوص)، مدينة قديمة، وكنگور الاسم الفارسي لها، سماها العرب بقصر اللصوص، وما زالت تعرف بكنگور لحد الآن، اذ هي اليوم قرية كبيرة في سفح جبل الوند الى الجهة الجنوبية، تتبع آسد آباد ضمن ولاية كرمنشاه، وسكانها من الاكراد.

ينظر عنها: ابن رسته ١٦٦/١٦٧؛ الطبري ١٤٧/٤؛ مسعر بن مهلهل ٢٦؛ ابن حوقل، ٣٠٦؛ الاصفهاني، تاريخ سني ملوك الارض والانبياء، طبعة بيروت ١٩٦١/١٨؛ معجم البلدان ١٢٠/٤.

^٢ مروج الذهب، ٢٥١/٢؛ التنبيه، ٨٩.

^٣ مسكويه ٤٠٤/١، ٣١/٢-٣٣؛ ابن الاثير ٣٥١/٨، ٣٨٦.

^٤ صبح الاعشى ٣٧٤/٤، نقلاً عن مسالك الابصار.

^٥ معجم البلدان، مادة شهرزور ٣٠٤/٣، نقلاً عن مسعر بن مهلهل في الرسالة الثانية.

^٦ عشائر العراق الكُردية، ٢٥، عنها ينظر بحثنا: الرسالة الثانية لمسعر بن مهلهل وشهرزور، مجلة زانكوي سليمان، العدد (٨)، سنة ٢٠٠١م، ص ٢١٩-٢٢٠.

^٧ ن.م السابق نقلاً عن مسالك الابصار، ج ٣؛ سياحتنامه حدود، ص ٢٥٤.

وتكلم العمري عن بلاد مرگوان، وانها ((متاخمة لارمية من بلاد أذربيجان، وفيها طائفة من الاكراد، تبلغ عدتهم (في ايامه) ثلاثة الاف رجل))^١ ولم يذكر العمري اسم الطائفة بل ذكر المكان الذي كانوا فيه.

٣. الديالمة:

سكن المتكلمون باللغة الفارسية في أذربيجان، في المناطق المجاورة لبلاد الديلم وطبرستان (تعرف الان بـمازندران)، اي في الجهة الجنوبية الغربية من بحر الخزر (قزوين) (ينظر الخارطة) ويبدو انهم من الديلم، هاجروا الى هذه المناطق، بدليل انهم يتكلمون اللهجة القزوينية، على حد قول مينورسكي^٢، وفي الحقيقة فان المناطق القريبة من جبل سَبَلان (سَوَلان)، المجاورة لاردبيل (غربي بحر قزوين)، تمتاز بكثرة اللهجات فيها، فطبقاً لابن حوقل^٣، فان كل قرية بالقرب من الجبل المذكور تملك لهجة خاصة، وحدد المقدسي هذه اللهجات بسبعين لهجة^٤، الا ان لغة اكثر اهل أذربيجان (في النصف الاول من القرن الرابع الهجري) كانت الفارسية، ومع ذلك فان العربية مستعملة بينهم، والقلة منهم لم يكن يفهمها، على حد قول ابن حوقل^٥، ولا غرابة فان العربية هي لغة القرآن الكريم وبها تقام شعائر الدين، اضافة الى انها كانت لغة الثقافة والكتابة آنذاك، ولم تظهر اولى المؤلفات بالفارسية، الا في اواخر القرن الرابع واولئ القرن الخامس الهجري، ومنها الشاهنامه للفردوسي (ت ٤١١هـ/١٠٢٠م)^٦.

شاعت اللغة الفارسية في أذربيجان -على ما يظهر- في الحقبة البويهية (٣٣٤-٤٢٠هـ)، او على وجه ادق بعد ظهور بني مسافر من الديلم وتأسيسهم الامارة المسافرين او السلارية (نسبة الى مؤسسها مسافر بن السلار الديلمي) فيها سنة

^١ صبح الاعشى ٣٧٧/٤.

^٢ Studies in Caucasian History, P. ١١٢.

^٣ صورة الارض ٢٩٧.

^٤ احسن التقاسيم، ٣٧٥.

^٥ الاصطخري ١١٣؛ صورة الارض ٢٩٩.

^٦ يرى د. طه ندا، ان الفردوسي بدأ بنظم الشاهنامه سنة ٣٧٠هـ واتمها سنة ٤٠٠هـ، حسب اشهر الروايات وهي اقرب الى الصواب برأيه. ينظر: دراسات من الشاهنامه، الدار المصرية للطباعة، الاسكندرية، ١٩٥٤، ١٠٠.

٣٣٠هـ/٩٤٢م، وحتى سقوط البويهيين، ومجئ الغز السلاجقة -وهم من التركمان- واحتلالهم الاقليم في مستهل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، واختفى دور الديالمة والفرس فيه ولم يعد لهم ذكر، طوال حقبة البحث (٤٢٠-٦٢٨هـ).

٤. التركمان:

سكن "الترك" و "التركمان" اذربيجان في اوقات مختلفة. يوجد فرق في المعنى بين المصطلحين، فالمصطلح "الترك" يطلق على مجموعة من القبائل الرُحل التي كانت تقيم في آسيا الوسطى^١، اما متى استعمل هذا المصطلح لأول مرة، فأُن (بارتولد) يرى: أن الشعب التركي وان كان موجوداً منذ أقدم العصور، إلا أن كلمة "ترك" لم تستعمل -في رايه- على هذا الشعب قبل القرن السادس (الميلادي)، ويرجح ان تكون هذه اللفظة "ترك" اصطلاحاً اسلامياً^٢.

واستعمل هذا المصطلح في العهد الاسلامي -اول ما استعمل- اثناء الفتح العربي لقوهستان^٣، اذ التقى القائد العربي الاحنف بين قيس سنة ثلاثين للهجرة بـ"الترك" الذين استنجد بهم أهل قوهستان، فهزمهم^٤.

اما معنى مصطلح "التركمان"، فقد جاء في ديوان لغات الترك (الف سنة ٤٦٦هـ) ان "التركمان" قبيلة من الترك وهم الغز، وأول من اطلقها عليهم -حسب قوله- هو ذو

^١ زامبور: معجم الانساب والاسر الحاكمة، ٢٧٥/١؛ محمد امين زكي، تاريخ الدول والامارات الكردية، ٢٩/٢.

^٢ اي في بلاد تركستان وهي موطن الترك في آسيا الوسطى التي تمتد من بحر الخزر (قزوين) غرباً الى حدود التبت ومنغوليا شرقاً، وتشتمل على اقاليم ماوراء النهر (جيحون) (آموداريا حالياً) وفرغانه والصغد وخوارزم وجزء من خراسان (معجم البلدان، ٣٧٨/٢).

وتنقسم تركستان حالياً الى قسمين: تركستان الشرقية او الصينية وتركستان الغربية او الروسية. (النرشخي، تاريخ بخارى، ص ١٩ ح ٢).

^٣ تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: احمد السعيد سليمان، ص ٢٩، ٣٠؛ ينظر: مادة الترك في دائرة المعارف الاسلامية لبارتولد ايضاً، الطبعة القديمة، ٣٤/٥.

^٤ قوهستان (كوهستان): تعني البلاد الجبلية، وكوهستان العجم: ولاية من ولايات ايران تحدها شمالاً خراسان وشرقاً افغانستان وجنوباً كرمان وغرباً اقليم الجبال. النرشخي، تاريخ بخارى، ص ١٤٧ ح ٣. ^٥ البلادذري، الفتوح ٣٩٤.

القرنين (الاسكندر الكبير ٣٥٦-٣٢٤ ق.م)، فقال: "تركمان اند" معناه هؤلاء مشابهيون للترك^١. ويعني قول المؤلف هذا، ان التسمية كان ظهورها لأول مرة في القرن الرابع ق.م، كما ان مصطلح "الترك" كان موجوداً قبل ذلك، وهذا ينفي قول بارتولد السابق بأنه مصطلح اسلامي.

اما اقدم نص اسلامي، استعمل مصطلح التركمان، فهو كتاب احسن التقاسيم (الف سنة ٣٧٥هـ)^٢، اي انه استعمل لأول مرة في أواخر القرن الرابع/العاشر الميلادي، ثم كثر استعماله في اوائل القرن الخامس الهجري، عند ظهور الغز السلاجقة وانحدرهم غرباً، ثم استقرارهم في تركستان الغربية واذربيجان وبلاد القفقاس وبلاد الاناضول وشمالى العراق^٣، واستعمل المصطلح أولاً بصيغة الجمع الفارسية "تركمانان"، كما في كتاب الكرديزى، -الذي يتناول تأريخ الخلافة الاسلامية الى عام ٤٣٢هـ/١٠٤١م^٤، ثم لم يعد في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، فرق بين الاوغوز او الغز (الاول لفظ تركي والثاني عربي) والتركمان، فكان يطلق كل هذين الاسمين على هذا الشعب او ذاك^٥.

سكن الترك اذربيجان -كما يبدو- قبل الفتح العربي، فقد ذكر اليعقوبي (ت اواخر القرن الثالث الهجري)، ان ((اهل اذربيجان وكورها اخلاط من العجم الاذرية والجاودانية، اصحاب مدينة البذ ثم نزلتها العرب لما افتتحت))^٦، والاذرية هي لغة اذربيجان التركية القديمة^٧، وذكر ابن حوقل (لسان الاذرية) من بين اللهجات العديدة التي يتكلم بها سكان الاقليم^٨، ولكنها "لغة لا يفهمها غير اهل اذربيجان" على حد قول ياقوت^٩. هذا ويجدر ذكره هنا ان الترك دخلوا في الاسلام، في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي^{١٠}.

^١ الكشغري، طبعة مطبعة عامرة، استنبول، ١٣٣٣هـ، ٥٦/١، ٣٠٤/٣-٣٠٧.

^٢ المقدسي ٢٧٤/٣ وما بعدها من المكتبة الجغرافية العربية.

^٣ بارتولد، دائرة المعارف الاسلامية، مادة: الترك ٤٦/٥.

^٤ زين الاخبار (فارسي)، بسعى واهتمام وتصحيح محمد ناظم، طبعة برلين، ١٩٢٨.

^٥ بارتولد، المرجع السابق، ٤٦/٥.

^٦ كتاب البلدان، ٣٦.

^٧ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، مادة اذربيجان ٢٣/١؛ احمد جعفر اوغلي،

ن.م ٣٥/١ مادة اذري (آزري).

^٨ صورة الارض ٢٩٧.

وفي أيامنا هذه نتحدث الغالبية من السكان باللهجة المحلية المعروفة بالتركية الأذربيجانية، ويرى مينورسكي أن المتكلمين بها ينتمون إلى أصل غير تركي، لأن ((السمات المميزة لهذه اللهجة هي التنغيمات الفارسية ومجافاة تاليف الحركات، مما يدل على أن الأهالي المستتركين ينتمون إلى أصل غير تركي))^٢، ويرى بارتولد أن أهل أذربيجان قد استتركوا شيئاً فشيئاً منذ عهد السلاجقة، شأنهم في ذلك شأن أهل الران وشروان والدريند (باب الأبواب)^٣.

لم تبين المصادر المتيسرة المناطق التي استوطن فيها الترك أو التركمان في أذربيجان، عدا ياقوت الحموي الذي ذكر بأن أكثر أهالي موقان (شمالي شرقي أذربيجان، والتي اعتبرها من ضمن الأقليم) هم من "التركمان" الذين استغلوا سهول ومروج الولاية الواسعة لرعي حيواناتهم^٤، أما في أيام الباكوي (ت سنة ١٨٣٦هـ) فقد ((أخذها التتر مشتاة لهم وجلّى عنها تركمانها))^٥. وفي وقتنا الحاضر فإن التركمان يكوّنون غالبية سكان الأقليم ويستقرون في جهاته الشمالية الشرقية^٦.

٥. الأرمن:

امتد سكن الأرمن الجهات الغربية والشمالية الغربية من أذربيجان تلك التي تتاخم إقليم أرمينية، ولاسيما غربي بحيرة أرمية، في أشنو وأرمية وسلّماس والأطراف المحيطة بهذه المدن.

^١ معجم البلدان ١/١٧٣.

^٢ بارتولد، المرجع السابق، ٥/٥٢.

^٣ مينورسكي، المرجع السابق ١/٣٣.

^٤ بارتولد، المرجع نفسه، مادة الرّان، ١٠/٦.

^٥ معجم البلدان ٤/٦٨٦.

^٦ كتاب تلخيص الآثار، طبعة موسكو، ١٩٧٠.

^٧ شترك، دائرة المعارف، الطبعة القديمة، مادة أذربيجان ١/٥٦٥؛ مينورسكي، دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة الجديدة، مادة أذربيجان ١/٣٣.

ويرى مينورسكي، ان اسماء بعض الاماكن في اقليم اشنه (الذي يسمى بالارامية: اشنوخ) كسرجيف ودفهه وبمزرتة تشير الى وجود عنصر مسيحي كان يسكن الاقليم^١.

ووجد الارمن في (أرم وبلوانكرج)^٢ اثناء الفتح العربي لاذربيجان، فقد اجتمع خلق منهم لقتال المسلمين، فتوجه اليهم جرير بن عبدالله البجلي فهزمهم وصلب رئيسهم^٣، وورد ذكر لاسقف أرمية في سنتي ٤٦٧هـ/١٠٧٤-١٠٧٥م و ٥٠٤هـ/١١١٠م، مما يدل على وجود عناصر مسيحية فيها، ومايزال يسكن الارمن والنساطرة في النواحي الواقعة الى الغرب من بحيرة أرمية^٤، لاسيما في منطقة مدينة أرمية، ويذكر (شترك) أنه وجد فيما جاور البحيرة مستعمرات كثيرة يقطنها مسيحيون من اهل الشام^٥، كما توجد قرى في اطراف سلماس (شمالي غربي البحيرة) يسكنها الارمن والسريان والكلدان^٦، وتسكن عدد كبير من العوائل الارمنية في تبريز^٧.

^١ دائرة المعارف الاسلامية، مادة اشنه، الطبعة القديمة ٢/٢٢٢-٢٢٣.

^٢ قال ياقوت عن: أرم: بانه صقع (ناحية) في اذربيجان، ونرى ان أرم هي عين أرمية، لان المصادر الارمنية تطلق عليها: أرم، ينظر دائرة المعارف الاسلامية، مادة أرمية. اما (بلوانكرج) الذي انفرد البلاذري بذكرها، فلم نجد لها ذكر في المصادر الجغرافية او التأريخية.

^٣ فتوح البلدان ٣٢٤؛ ياقوت ١/٢١٦.

^٤ ماري بن سليمان، كتاب فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجلد طبعة رومية الكبرى، ١٨٩٩، ص ١٣٠، ١٥٢.

^٥ مينورسكي، مادة اذربيجان، ١/٣٣.

^٦ شترك، مادة اذربيجان، الطبعة القديمة ١/٥٦٥.

^٧ المنجد، ٣٦٢.

^٨ Hon George N. Curzon, Persia and Persian question, London, ١٨٩٢, Vol. ١, P. ٥٣٢.

الباب الثاني
الاحوال السياسية في أذربيجان
(٤٢٠-٦٥٤هـ/١٠٢٩-١٢٥٦م)



www.zheen.org

الفصل الاول

الرواديون

(٣٣٧-٤٦٣هـ / ٩٤٨-١٠٧٠-١٠٧١م)

تكلمنا فيما سبق عن الرواديين الهذبانيين^١، وبيننا الادلة والشواهد التاريخية التي تظهر انه لا توجد علاقة او رابطة تجمع بين عائلتي بني (الرواد)، الاوائل الذين حكموا تبريز وأذربيجان، والذين يرجعون في نسبهم الى قبيلة الازد العربية، وبين بني (الرواد) المتأخرين الذين ينتمون الى عائلة الرواد الهذبانية الكردية^٢.

ورد اول ذكر لاسرة الروادية الهذبانية -التي حكمت اجزاء من أذربيجان- بعيد سنة ٩٤٨هـ/٩٤٨م، لذا يجدر تقديم عرض عام لحكم هذه الاسرة من بداياتها حتى سقوطها في سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠-١٠٧١م.

لم تتناول المصادر العربية او الفارسية -المعروفة لدينا- بني الرواد واحداث أذربيجان خلال المدة من سنة ٣٥٠ الى سنة ٤٢٠هـ لذلك بقي تأريخ أذربيجان وبني الرواد مظلماً، لا يوجد عنها اي خبر خلال السبعين السنة المذكورة^٣، فلا نعلم على

^١ يراجع الباب الاول، الفصل الثاني، صص ٨١-٨٤.

^٢ ولبنى الرواد الهذبانية سلالة اخرى -عدا السلالة الحاكمة في أذربيجان- سميت بالسلالة الشذادية والتي تكونت في اقليم آران، أسسها محمد بن شذاد الروادي الكردي، استمرت في الحكم من سنة ٣٤٠ حتى سنة ٥٩٥هـ (٩٥١-٩٥٢/١٩٩م) والتي اتخذت من كنجه ثم اني حاضرة لها.

^٣ ذكر حاجي خليفة كتاباً لابي الهيجاء الروادي بعنوان: تأريخ أذربيجان، يتناول فيه الحوادث التي وقعت جنوب نهر الرس (اراس) وكان يعد من الكتب المفقودة، إلا انه عثر عليه اخيراً وحقق ونشر في كتاب بعنوان: تأريخ ابو الهيجاء، وكان معاصراً لصلاح الدين، وطبع مع تأريخ القضاء (ت٤٥٤هـ/١٠٦٢م) وبتحقيق من قبل حمد فريد المزيدي، اصدار دار الكتب العلمية بيروت، سنة ٢٠٠٤م، اما كتاب التبريزي الواعظ عن تأريخ أذربيجان، والمتوفى في حدود سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، فيعتبر من الكتب المفقودة، ولو وجد لأثار لنا بدون شك، الظلام الذي يخيم على تأريخ أذربيجان خلال الحقبة (٣٥٠-٤٢٠هـ)؛ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، ج٢، ص١٠٧، الرقم ٢١٣٢-٢١٣٣؛ ابن الفوطي، معجم الالقب، ج٢، صص ٥٦٣-٥٦٤.

وجه التحديد متى تأسست امارة بني الرواد الهذبانية او الاحداث التي مرّت بهم ووضعهم، على الرغم من أن أذربيجان شهدت خلالها أحداثاً على جانب كبير من الأهمية، منها بوادير ظهور قبائل الغز السلجوقية وتوغلهم في الاقليم، مما أدّى الى تغيير في احواله السياسية والاجتماعية والادارية والعسكرية، كذلك شهدت تلك الحقبة ازدياد وتعاضم نفوذ الامارة السالارية (او المسافرين) حيث خضع حكام ارمينية وأذربيجان والرّان لسيطرتهم، واذ كان يدفع كل واحد منهم ضريبة سنوية الى السالار مرزبان، إلا أن نفوذهم تقلّص بعد سنة ٤٢٠هـ، فلم يعد (ابن الاثير) يذكرهم، في الوقت الذي شهد الاقليم ازدياد نفوذ بني الرواد وسيطرتهم عليه.

تمكنا ان نلم ببعض المعلومات عن بني الرواد خلال تلك الحقبة، الا انها معلومات شحيحة ويسودها الاضطراب والغموض، وذلك من مؤلفين اثنين: الاول: الجزء المتبقي من تأريخ (الباب والابواب) لمؤلف مجهول، يعود الفضل في نشره للمستشرق مينورسكي، والثاني تأريخ آسوغيك دارونيجي، باللغة الارمنية، نقل عنه احمد كسروي، في كتابه المؤلف بالفارسية: "شهرياران كُمنام"، فأفدنا منه كثيراً لاسيما مايتعلق بالامير (ابو الهيجاء الروادي).

حكام الروادية:

١. محمد بن الحسين الروادي:

جاء في تأريخ "الباب والابواب" أن أول من حكم من بني الرواد هو محمد بن الحسين الروادي، وكان يحكم بعض مناطق ارمينيا، ثم استولى على بعض اجزاء أذربيجان اثناء أسر السالار مرزبان^١.

٢. ابو الهيجاء حسين بن محمد:

بعد وفاة محمد بن الحسين الروادي تولى ابنه: (حسين) الحكم. فأستولى على تبريز سنة ٣٤٥هـ/٩٥٦م، ونظّم احوالها وبني اسوارها، ثم اتخذها مركزاً لحكمه في

^١ بقي السالار مرزبان في سجن قلعة سميرم (الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي من فارس)، من سنة ٣٣٧هـ الى سنة ٣٤٢هـ، ومن ذلك يظهر لنا ان محمد بن الحسين الروادي كان يحكم اجزاء من ارمينيا قبل سنة ٣٣٧هـ وهو تأريخ أسر المرزبان، وحكم بعض اجزاء أذربيجان اعتباراً من هذا التاريخ.

سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م، وسارت أموره بانتظام وقوى مركزه في تبريز والمناطق المجاورة لها بسبب حالة الفوضى التي انتابت أمور إبراهيم بن السالار مرزيان، الذي تولى الحكم سنة ٣٤٦هـ/٩٥٧م.^١

ذكر ابن حوقل في حوادث سنة ٣٤٤هـ/٩٥٥م، اسم "أبو الهيجاء بن الرواد" ووصفه بصاحب (أهر وورزقان) وقال أنه كان يدفع في كل سنة خمسين ألف دينار ضريبة على الأرض إلى السالار مرزيان (٣٣٠-٣٤٦هـ/٩٤٠-٩٥٧-٩٥٨م)، صاحب أذربيجان.^٢ وذكر مسكويه، أن وهسوذان بن محمد بن مسافر (٣٣٠-٣٣٥هـ/٩٤٠-٩٦٦م) وهو أخو السالار مرزيان، أرسل إلى "حسين بن محمد بن الرواد"، أن يقوم بمساعدة ابنه اسماعيل في حربه ضد ابن أخيه إبراهيم بن السالار مرزيان بن محمد بن مسافر، حيث جرت المعركة بالقرب من أردبيل سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م.^٣

من هو "أبو الهيجاء بن الرواد"؟ وما اسمه الكامل؟ هل هو "حسين بن محمد بن الرواد"؟، ولا سيما أنه يرد اسمهما في فترة زمنية متشابهة، أم هو شخص آخر؟ يرى أحمد كسروي، أن "حسين بن محمد بن الرواد" المذكور، ما هو إلا أبو الهيجاء نفسه، وأن رواداً هو جدّ أبو الهيجاء، إذ كانت العادة عند الناس قديماً - حسب رأيه - أن يذكر اسم الجد بعد اسم الشخص بدلاً من اسم الأب، وعلى هذا الأساس جاء الاسم عند ابن حوقل، هكذا: "أبو الهيجاء بن الرواد"، وإذا كان رأي كسروي صائباً، ففي هذه الحالة، ليس المقصود بـ "الرواد" أن يكون اسم شخص إنما هي نسبة إلى بني الرواد (الروادي).

أورد أحد مصادر التأريخ الأرمني حادثة عن أبي الهيجاء، مفادها: أنه بعد أن تولى "ديرنيق الأرجروني بن غاغيق حكم واسپورگان - بسفرجان-^٤ (نواحي وان واردة) ونخچوان في أرمينيا) بعد وفاة والده سنة ٣٣٢هـ/٩٤٤م، عزل الأصهبذ "أبو

^١ Minorsky, Studies in Caucasian History, P. ١٦٨.

^٢ صورة الأرض ٢٩٠، ٣٠٣.

^٣ تجارب الأمم ١٨٠/٢.

^٤ شهرياران گمنام، طبعة ١٩٥٧، ١٦١/٢.

^٥ واسپورگان - فاسبورگان، وهو اسم إمارة بسفرجان الأرمينية، وتسمى أيضاً بالامارة الأرزنونية (الأرجرونية).

الخریب" لكبر سنه، ووضع مكانه المدعو "سركيس"، فصعب على ابي الخريب ذلك، وحقد على ديرنيق وارسل سراً بعض الاشخاص الى ابي الهيجاء حاكم "هيو زاروند" (نواحي سلّماس) لتحريضه على الهجوم على واسبورگان، فجاء ابو الهيجاء بجيش كبير وهجم عليها، واستطاع اسر ديرنيق وجلبه معه الى خوي حيث سجنه هناك. غضب اهل ارمينيا من خيانة ابي الخريب هذا، وحقد عليه القس ولعنوه في الكنائس، فندم ابو الخريب على عمله، ولازالة هذه التهمة عنه واستعادة ثقة اصحابه به، حاول العمل على إخراج ديرنيق من السجن، فأرسل اليه يخبره أن ينتهز فرصة ذهابه مع أبي الهيجاء للصيد، فيوجه فرسه باتجاه البحر حيث ينتظره ابو الخريب هناك. وفي اليوم الموعد خرج ابو الهيجاء للصيد ومعه ديرنيق، فعمل هذا حسب خطة ابي الخريب، فتعقبه رجال ابي الهيجاء، وكان ابو الخريب قد كمن لهم، فلما وصلوا اليه هاجمهم، وطرحهم تحت اقدامه -بحسب ادعاء المؤلف- وفج راس كل واحد منهم، اما ابو الهيجاء ورجاله فقد انهزموا ودخلوا المدينة واقفلوا باب السور وراءهم، وكان ابو الخريب، قد تعقب المؤخرة وقتل قسماً منهم، ثم رجع الى ارمينيا ومعه ديرنيق^١.

وتظهر الصنعة واضحة في هذه الرواية، وكذلك التهويل والمبالغة في اظهار قوة ابي الخريب الذي صورّ وكأنه بطل من ابطال الاساطير ومهما يكن مقدار الصحة في هذه الرواية، فإن الذي يهمنا منها هو ورود اسم ابو الهيجاء، ومن يكون؟ يرى كسروي^٢، انه ابو الهيجاء الروادي، بدليل انه وصف بصاحب "هيو زاروند" اللتان توضعان موضع (اهر وورزقان)، وقد وصف ابن حوقل -كما مرّ بنا ذلك- ابا الهيجاء الروادي بأنه صاحبهما. اما متى جرت هذه الحادثة، فإن كسروي يرجّح حدوثها خلال الحقبة من سنة ٣٣٧ الى سنة ٣٤٢هـ، على اساس ان السالار مرزبان كان يملك سطوة ونفوذاً كبيرين على أنريبيان وأران وارمينيا، وان ديرنيق كان خاضعاً له، حيث كان يدفع له الضريبة -شأنه شأن الحكام الاخرين- فلا يمكن والحالة هذه -حسب رأيه- ان يتجرأ ابوالهيجاء على توجيه الجيوش الى ديرنيق

^١ شهريران گمنام ١٦٢/٢، نقلاً عن تاريخ ميكائيل چامچيان ٨٢٦/٢.

^٢ شهريران گمنام ١٦٢/٢.

ومحاربته، إلا بين السنوات ٣٣٧ و٣٤٢هـ، حيث كان السالار اثناءها سجيناً في قلعة سميرم، فتحرر الحكام من سيطرته وأصبح بإمكانهم التصرف بحرية ومن بينهم أبو الهيجاء، هذا وكان ديرنيق قد استمر في الحكم إلى سنة ٣٤٩هـ^١.

ولكننا نشك في صحة رواية المؤرخ الأرمني، لأن الحادثة -إن وقعت فعلاً- فيقتضي أن يكون حدوثها بعد تولي ديرنيق الحكم سنة ٣٣٢هـ، بمدة قليلة، حيث عزل فيها أصهبذه، أبا الخريب، وأن تحريض هذا لأبي الهيجاء وتوجه الأخير بجيشه، يفترض أن يكون قد حدث، أن لم يكن في العام نفسه، ففي الأعوام القليلة التي تعقبه، كأن يكون في عام ٣٣٣ أو ٣٣٤هـ على أكثر الاحتمال، لا أن يحدث بعد تولي ديرنيق الحكم بخمس إلى عشر سنين، في الوقت الذي لم يكن أبو الهيجاء الروادي -اصلاً- في الحكم خلال المدة من سنة ٣٣٢ وحتى سنة ٣٤٢هـ، بدليل أن صاحب تأريخ الباب والابواب -كما رأينا- يذكر صراحة أن محمد بن الحسين الروادي -وهو ليس أبا الهيجاء بل هو والده- كان قد استولى على بعض أجزاء أذربيجان أثناء أسر السالار مرزبان الذي كان بين سنتي ٣٣٧ و٣٤٢هـ، ولذلك فإن أبا الهيجاء يكون قد تولى الحكم في سنة ٣٣٧ أو بعدها.

لا تتوفر أية معلومات عن أسر إبراهيم بن المرزبان آخر حاكم سالاري في أذربيجان سنة ٣٧٠ أو ٣٧١هـ، ويرى كسروي أنه من المحتمل أن يكون الذي أسره هو أبو الهيجاء (الحسين بن محمد) نفسه، الذي كان آنذاك أقوى حاكم من بين حكام أذربيجان، ومن المحتمل أيضاً أنه حل محل إبراهيم بعد أسره في حكم أكثر أجزاء أذربيجان فأزدادت بذلك مناطق نفوذه^٢.

لأنعلم تأريخ وفاة أبي الهيجاء الحسين بن محمد الروادي هذا، فقد قال كسروي أنه توفي في سنة ٣٧٨هـ/٩٨٧-٩٨٨م، حيث ذكر أسوغيك ذلك في تاريخه^٣، ولكن صاحب تأريخ الباب والابواب الذي -لم يكن قد اطلع عليه كسروي- ذكر ابنه "محمد بن حسين" الذي خلفه في الحكم بعد وفاته، ومنه نستشف أنه توفي قبيل سنة

^١ ن.م. ج ١٦٢-١٦٣.

^٢ شهر ياران گمنام ١٦٣/٢.

^٣ ن.م. ج ١٦٤/٢، نقلاً عن تاريخ أسوغيك، ص ١٨٦ و ١٨٧.

٣٧٧٣هـ/٩٨٣م، وكان قد اطلق على ابنه محمد بن حسين، لقب "ابو الهيجاء"، ولم يكن قد اطلقه على والده: "الحسين بن محمد"، حيث كانت المصادر الاخرى -كما سبق ان ذكرنا- قد اطلقت هذا اللقب عليه، فقد ذكر صاحب تأريخ الباب ان "ابا الهيجاء محمد بن حسين" اصبح يحكم اكثر اجزاء اذربيجان، الا انه بعد وفاة ابراهيم بن المرزبان السالاري سنة ٣٧٣هـ، بقيت بعض اجزاء اذربيجان بيد المرزبان بن اسماعيل بن وهسودان من بني مسافر، الذي قبض عليه ابو الهيجاء واسره سنة ٣٧٤هـ/٩٨٤م، فضم اليه ممتلكاته ايضاً، وبذلك اصبح يحكم كل اذربيجان^١.

يقول صاحب تأريخ الباب: ان ابا الهيجاء، الذي ذكره اسوغيك في حوادث سنة ٣٧٧ و٣٧٨هـ/٩٨٧-٩٨٨م، هو غير "ابي الهيجاء الحسين بن محمد"، بل هو ابنه: "ابو الهيجاء محمد بن الحسين" ولذا فان وفاة ابي الهيجاء الحسين كانت قبيل سنة ٣٧٣هـ، وان ابنه "ابا الهيجاء محمد"، قد تولى الحكم بعده، اي قبيل وفاة "ابراهيم بن المرزبان".

واذا سلمنا بصحة رواية صاحب تأريخ الباب، فماذا يكون موقفنا مما اورده اسوغيك، الذي يذكر اسم "ابو الهيجاء" في تواريخ السنوات ٣٧٠ و٣٧٧ و٣٧٨هـ، ولكنه في حوادث ما بعد سنة ٣٨٠هـ، يذكر اسم ابنه مملان (محمد)^٢، وهذا يؤيد ما اورده في ان وفاة ابي الهيجاء الحسين كانت في سنة ٣٧٨هـ.

وللتوفيق بين الروايتين المتناقضتين حول اسم ذلك الامير وتأريخ وفاته، فأنا سنكتفي بذكر الاسم "ابي الهيجاء الروادي" في ذكرنا لحوادث سنتي ٣٧٧ و٣٧٨هـ،

^١ Minorsky, Studies in Caucasian History, P. ١٦٨.

^٢ ورد الاسم على شكل "محمد" تارة وعلى شكل "مملان"، تارة اخرى. فيذكر ابن الاثير الاسم "وهسودان بن محمد" في مكان (٩/٥٩٨ حوادث سنة ٤٤٦) ويذكر "وهسودان بن مملان" في مكانين آخرين (٩/٤٣٧ حوادث سنة ٤٢٥، ٩/٦٥٠ حوادث سنة ٤٥٠)، وقال ناصر خسرو، انه كان يطلق عليه في الخطبة "وهسودان بن محمد" (سفرنامه، ٥ طبعة القاهرة، ١٩٤٥)، كذلك ذكر حمدالله المستوفي هذه التسمية نفسها، اي "وهسودان بن محمد" (نزهة القلوب، ٨٦ طبعة طهران، سنة ١٣٣٦ شمسية).

ويسمى محمد في اذربيجان بـ (ممي) واحياناً (ممل) على وزن (عمل)، فالالف والنون في آخر الاسم (مملان) مراده وكان شائعاً مثل هذا الاسم بين الايرانيين آنذاك، ومن جملة ذلك: فيروزان، روزبهان، مهران، سهران، فضلان.. والاصل هي: فيروز، روزبه، مهر.. الخ. ومن المحتمل ان جستان ووهسودان ايضاً يعتبرانه في عداد ذلك. وهكذا فَمَمْلان (بفتح الميم) محرف عن محمد، ينظر: شهرپاران گمنام: ١٦٧/٢.

حيث ان هذه التسمية لاتناقض أيا من الروايتين، ولكن في حوادث بعد سنة ٣٧٨هـ، سنذكر الاسم هكذا "ابو الهيجاء محمد (مملان) بن حسين"، لان صاحب تأريخ الباب لقّبه بـ"ابي الهيجاء محمد بن حسين"، بينما اكتفى أسوغيك بذكر اسم مملان (محمد) بعد حوادث تلك السنة.

ويبدو ان ابا الهيجاء الروادي امتد نفوذه وسلطانه الى بعض مناطق ارمينية، حيث كان يدفع حكامها الضرائب السنوية له، وصادف ان امتنع "ابو دلف" امير كولتن^١، عن دفع الضرائب المستحقة عليه منذ سنوات عدة الى ابي الهيجاء، فوجّه هذا اليه في سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧-٩٨٨م، جيشاً مكوناً من مئة الف جندي -حسب ادعاء أسوغيك- وانتزع منه المدن التي كانت من ضمن ممتلكات ابي الهيجاء السالاري، ثم نهب كورة كولتن واستولى على دوين، كما انه طالب الارمن بارسال الضرائب المستحقة للسنوات السابقة، ويبدو ان حاكم باكراتوني المدعو سنباد -وهو من كبار الحكام في ارمينيا- رأى انه لا قدرة له على مواجهة قوة ابي الهيجاء، فأرسل اليه الضرائب مع هدايا ثمينة وكثيرة^٢.

ويذكر (أسوغيك) حملة ثانية لابي الهيجاء الروادي وجّهها في السنة التالية (اي سنة ٣٧٨هـ) الى واسبورگان وذلك بعد طلب صاحب خوي النجدة منه للتأثر من مقتل ابنه، وتفصيل الحملة: ان صاحب خوى -الذي لم يذكر أسوغيك اسمه- ارسل ابنه مع بعض الرجال الى امير ابا هونيك^٣: باذ الكردي، وفي طريق رجوع الابن صادف في الطريق، عدداً من الاولاد يلعبون، فاخذهم معه، رأى هذه الحادثة رجل شجاع - حسب قول أسوغيك- من الارمن يدعي: سر كيس، فتعقبهم واستطاع قتل ابن صاحب خوى واصحابه، ورجع بالاطفال معه الى أهلهم، فلما علم صاحب خوى بالخبر، طلب النجدة من الامير ابي الهيجاء للاخذ بثأر ابنه ووعدته باعطاءه (خوي) مكافأة له على معاونته.

^١ ينتمي "ابو دلف" الى قبيلة بني شيبان العربية، ليست لدينا معلومات عن كيفية توليه الحكم واسم والده، وكان قد وجّه حملة على واسبورگان سنة ٣٧٣هـ، وحكم دوين ونواحيها حتى سنة ٣٧٧هـ. شهر ياران گمنام ١٧٢/٢-١٧٣ نقلاً عن أسوغيك، ص ٢٤٦.

^٢ شهر ياران گمنام ١٦٤/٢، نقلاً عن تأريخ أسوغيك، ص ١٨٦.

^٣ ابا هونيك: التسمية التي اطلقها الارمن على نواحي ديار بكر والجزيرة، وكان الامير باذ الكردي قد بسط نفوذه على هذه الانحاء. شهر ياران گمنام ١٦٥/٢.

واستجاب ابو الهيجاء لندائه، فتوجه بجيش كبير الى واسبورگان، وعندما وصل الى المكان نصب جيشه الخيام، ثم نام الامير في خيمته بانتظار الصباح، وفي فجر اليوم التالي وجد ميتاً في خيمته، وبذلك انتهت هذه الحملة بالفشل^١.

تظهر رواية آسوغيك هذه، أن أبا الهيجاء قد توفي سنة ٣٧٨هـ (٤٣٧ ارميني) ويذكر في مكان آخر بأن مملان (محمد) تولى الحكم من بعد والده ابي الهيجاء^٢.

٣. مملان (محمد) بن ابي الهيجاء حسين بن محمد:

ذكر آسوغيك حادثتي هجوم قام بها الامير مملان (محمد) على ارمينيا، يستشف منهما انه كان يتمتع بقوة ونفوذ كبيرين، ولم تكن حروبه مع الارمن والگرج^٣ فقط، بل مع الروم ايضاً، الذين كانوا يسيطرون -آنذاك- على القسم الغربي من ارمينيا، وكان العداء شديداً بينهم وبين المسلمين والحروب مستمرة بينهما.

وكانت حملات الجهاد والغزوات ترسل كل عام من قبل الخليفة العباسي الى اطراف الدولة الاسلامية، بدفعات في فصل الصيف ومن مختلف انحاء العالم الاسلامي، وكان المسلمون يتوقون الى الشهادة باشتراكهم في حملات الجهاد هذه، اما الروم فكانوا يتعاونون باستمرار وبدافع من التعصب الديني والمذهبي مع الارمن والگرج في حروبهم مع الدولة العباسية.

وتعد الحملتان اللتان شنهما مملان على ارمينيا من معارك الجهاد الاسلامي هذه. ويرى كسروي، طبقاً لبيت شعر قاله الشاعر قطران^٤، بأن مملان كان من اكثر

^١ شهر ياران گمنام ١٦٤/٢-١٦٥، نقلاً عن آسوغيك ص ١٨٦، ١٨٧.

^٢ ن.م. ج/١٦٥.

^٣ الگرج: وهم أمة من النصاري كانت تسكن في بلاد الابخاز، وتشمل هذه المنطقة الممتدة من سلسلة جبال القوقاز الى شاطئ البحر الاسود، واطلقت المصادر الاسلامية حتى عصر المغول على بلاد الابخاز ببلاد الگرج والسبب في ذلك، ان اسرة حاكمة خرجت من ابخازيا وحكمت بلاد الگرج في صدر العهد العباسي، وتكون ابخازيا الان جمهورية مستقلة استقلالاً ذاتياً مكونة جزءاً من الجمهورية الجورجية (الگرجيه). ينظر: الاصطخري ١٩١؛ ياقوت ٧٨/١؛ مينورسكي وبارتولد، دائرة المعارف الاسلامية، مادة الابخاز، الطبعة القديمة ٢٢/١، الطبعة العربية الجديدة، ١٣٧/١-١٤٠.

^٤ قطران: (٤٢٥-٤٦٥هـ/١٠٣٤-١٠٧٢م): هو الحكيم شرف الزمان ابو منصور قطران التبريزي الازدي، اكثر المدح في بني الرواد لاسيما: ابي منصور وهسودان وولديه: ابي النصر محمد وابي

الحكام الروادية مقدرة وامتلاكاً للأرض، مع ان القصيدة قيلت في مدح الاميرين وهسودان بن مملان وابي الحسن الشداذي. يقول قطران:
يكي بگيرد جند انكه اشتهى مملان يكي بگيرد چند انكه داشتي فضلون^١

حملة مملان الاولى على ارمينيا:

كان داود كيورا آباغاد، احد مقدمي ارمينيا الكبرى والموالي الى الروم، شهماً محارباً شجاعاً وشخصاً مجرباً -على حد قول آسوغيك- فقد توجه بجيشه الى مدينة منازگرد (ملاذگرد) -شمال بحيرة وان- وحاصرها، وبعد مدة اخذت المدينة تعاني من الجوع، وأساء المحتلون الى سكانها واخرجوهم منها، ثم وزعوا منازلهم على الارمن والگرج الذين كانوا تحت امرة داود.

تأثر الرؤساء المسلمون القريبون من المدينة، بهذه الاعمال تأثراً بالغاً، فأرسل بعضهم رسالة الى داود بإعادة المدينة الى المسلمين، والآ فعليه ان يستعد للحرب. لم يعر داود اهتماماً بهذه الرسالة، فتهياً المسلمون من كل مكان، واجتمعوا باعداد كبيرة تحت راية الامير مملان، وتوجهوا الى ارمينيا واغاروا على كورة (جاغكويود) -في نواحي آارات-. اما داود فقد طلب المساعدة من حكام الگرج وارمينيا: من غاغيق

الهيچاء منوچهر (له كتب عدّة وديوان شعر مطبوع، ديوانه المطبوع: انتشارات ققنوس، تهران، ١٣٦٢، يبحث عن امراء الروادية في الصفحات ٣، ٩، ١٤، ١٧، ٦٧، ٧٠، ٨٢.

محمد عوفي، لباب الالباب، تحقيق سعيد نفيسي، طهران ١٣٣٥، جلد ٢، ص ٤٠٤؛ ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات در ايران ٤٢١/٢، ٤٣٠؛ د. محمد غنيمي هلال، مختارات من الشعر الفارسي، ص ١٠٧.

^١ شهرياران ١٦٨/٢. وينشد قطران، مادحاً الامير مملان بن وهسودان الروادي، فيقول:

حبش از عجم وقدره شاهان عجم نسبش از عرب و قبيله مميزان عرب

اي بالعربية:

حبه من العجم وهو قدوة لملوك العجم نسبه من العرب وهو قبلة لميزان العرب

رسالة ماجستير حيدر لشكري خضر: الكرد في المعرفة التاريخية الاسلامية، دراسة تحليلية - نقدية، اربيل، ٢٠٠٤م، ص ٦٨، نقلاً عن: حسين حزني موكرياني: كردستان موكريان، يان اتروپاتين، رواندوز، ١٩٣٨، ص ٢٥٤.

(گاگیک) باکراتونی، حاکم آنی^۱، واباس باکراتونی حاکم قارص ویاکرات حاکم بلاد الگرج، وتوجه بجیش کبیر الی مدینة ولاشگرد^۲، لمواجهة المسلمین، ویذکر آسوغیک ان هذه الجموع ادخلت الرعب في قلوب المسلمین، وفقدوا الجرأة للبدء في القتال، فرجعوا الی بلادهم وتفرقوا تماماً^۳.

ویضیف مؤرخ ارمني آخر وهو (ماتیوس الاورفہیی) الی ذلك، قوله ان احد قواد جيش داود تعقب المنهزمین واستطاع اسر زوجة مملان وأخذها الی داود^۴.

لیست لدينا سوى هذه المعلومات عن هذه الحملة التي لم تذكرها المصادر الاسلامیة. ویرى (کسروی) ان الحملة كانت في سنة ثلاثمئة وثمانین ونیف، لان آسوغیک قد ذکر وفاة الامیر باذ الکردی قبل هذه الحادثة بعدة سنوات^۵، علماً بأن گاگیک -احد المشترکین في جيش داود- تولى الحكم سنة ۹۸۸م وتوفي سنة ۱۰۱۹م (۳۷۸-۳۷۹هـ/۴۱۰-۴۱۱هـ).

وذكر صاحب تأریخ الباب والابواب، انه ازدادت مناطق نفوذ (ابی الهیجاء محمد بن حسین الروادی)، الا انه واجه معارضة من قبل اخیه مرزبان بن حسین فقبض علیه مملان في سنة ۳۸۶هـ/۹۹۶م^۶.

^۱ آنی: حاضرة ارمنيّة النصرانيّة قديماً، ذكرت بوصفها قلعة منذ القرن الخامس قبل الميلاد، انتهى حكم الروم فيها على يد السلطان الب ارسلان الذي فتحها ودّمها سنة ۴۵۶هـ/۱۰۶۴م واعطاها لبني شدّاد في سنة ۴۶۴هـ/۱۰۷۲م، وبقيت المدينة حتى نهاية القرن السادس الهجري مقراً لفرع من هذه الاسرة -عدا فترات قليلة-. وبقي اسم آنی ماثلاً في محلة اسلامية تقوم بالقرب من اطلالها الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الرس، وهي الآن في تركيا في قضاء اريه جان من اعمال ولاية (قارص). لسترنج: بلدان الخلافة الشرقيّة، ۲۱۷؛ مينورسكي وبارتولد، دائرة المعارف الاسلامیة، الطبعة العربيّة الجديدة، ۱۱۳/۱.

^۲ ولاشگرد، قريية من خلاط غربي آسيا الصغرى وتعرف الآن بـ(آلاشگرد) شهریاران، ۱۶۸/۲.

^۳ شهریاران گمنام ۱۶۸-۱۶۹، نقلاً عن آسوغیک، طبعة شاه نظریان، ص ۲۵۷ و ۲۵۸.

^۴ ن.م. ص، ۱۶۹، نقلاً عن چامچیان، المجلد ۲، ص ۸۷۸.

^۵ الامیر باذ الکردی، هو مؤسس الامارة المروانية (الدوستکیة) في دياربكر والجزيرة، وكان واحداً من المجاهدين ومن حماة الثغور الاسلامیة على حدود الروم، الروذراوري، ذیل تجارب الامم، ۱۷۶.

^۶ Minorsky, Op. cit, P. ۱۶۸ نقلاً عن تأریخ الباب والابواب.

الحملة الثانية للامير مملان على أرمينيا:

لم ترد اخبار هذه الحملة سوى في تأريخ آسوغيك الارمني^١، ويظهر بوضوح تعصبه الديني وانحيازه الى بني جنسه ومبالغته في تصوير تغلبهم على جيش الامير مملان. ونحن نوردها هنا بتحفظ، لاسيما انها لم تذكر في المصادر الاسلامية او في اي مصدر محايد آخر.

يقول آسوغيك: انها وقعت في سنة ٤٤٧ من التأريخ الارمني (٣٨٨هـ)، وبحسب ادعائه، فإن جيش مملان كان كبيراً جداً هذه المرة، وقد جمع افراده من كل صوب بأسم الجهاد، واشترك فيه أناس من أذربيجان والعراق وفارس اضافة الى الخراسانيين^٢. وكانت هذه الحملة انتقاماً لمملان من النصاري لتهديمهم جامع المسلمين في منازل كرد وليبنييه ويبني مدينة غارنى (ارضروم)^٣، وليخضع -حسب قول آسوغيك- كل ارمينيا وبلاد الكُرج لمشيئته، وليذهب كورة دايك -حيث كانت اراضي ومزرعة داود فيها-.

سار مملان بجيشه من تبريز واتجه الى واسبورگان عن طريق خوي، واتخذ من كورة اباهونيك (دياربكر والجزيرة) مقراً لجيشه. ومن المحتمل ان حكام ارجروني (امارة واسبورگان) كانوا تحت امرة مملان^٤. اما داود فقد طلب المساعدة من الحكام الارمن والكُرج، فأرسل غاغيق، حاكم آني جيشاً مكوناً من ستة الاف رجل، وقدم اباس، حاكم فارس جيشاً ايضاً، وكان باركارت ملك الكُرج قد توفي في هذه الاثناء،

^١ وردت الرواية ايضاً ولكن باختصار في كتاب مختصر تواريخ الارمن (طبعة ١٨٦٨، ص ١٩١-١٩٢)، الذي اقتطعه واستخرجه من الارمنية الى العربية القس انطون خانچي، ولعله نقلها عن تأريخ آسوغيك.

^٢ يشك كسروي بتوجه المساعدة من خراسان، لانها كانت آنذاك مهددة من قبل رؤساء السامانيين ومحمود الغزنوي، فلا يستطيع اميرها والحالة هذه ارسال جيش لمساعدة مملان؛ ولكن يحتمل ان تكون جماعات الجهاد التي كانت ترسل الى الثغور من خراسان في كل سنة، قد التحقت بجيش مملان. شهرياران گمنام ١٧٠ ص ٢/ح ٣٤.

^٣ يبدو من قول آسوغيك ان ارضروم كانت متهدمة آنذاك، ومن المحتمل ان الارمن او الروم هم الذين هدموها. شهرياران ١٧٠ ص ٢/ح ٣٥.

^٤ وهذا يفسر لنا عدم وجود اسمائهم من بين حكام الارمن والكُرج الذين اشركوا جيوشهم في محاربة مملان.

فجلس مكانه ابنه (گورگين)، الذي ارسل ايضاً ستة الاف رجل^١، ونظراً لتقدم داود في السن، فقد أوكل أمره جيشه الى قائده المسمى: جبرائيل، فأسرع هذا ووضع جيشه قبالة جيش المسلمين، يقول (آسوغيك): خيم الخوف على الارمن والگرج من كثرة عدد المسلمين، الذين يقدرّون بمئة الف من الفرسان والمشاة -حسب ادعاء آسوغيك وغيره من مؤرخي الارمن^٢، فوقفوا مكانهم رافعين ايديهم الى السماء متضرعين الى الله عزوجل ان ينجبيهم من هذه المحنة ووعد حكامهم، انه اذا تحقق ذلك فأنهم سيوزعون الاموال على الفقراء والمحتاجين، وبدأ القسيس بقراءة الادعية في الكنائس.

شعر المسلمون بالخوف المسيطر على الارمن والگرج بسبب قتلهم وكثرة المسلمين، فدعوه الى القتال والمنازلة، ولكنهم لم تكن لديهم الجراءة على الاستجابة لنداء المسلمين، واضطر عدد من المحاربين الشجعان من الگرج الى مبارزة المسلمين، فقتل خمسة منهم، ثم هجم المسلمون عليهم فجأة، ولخوف الارمن والگرج على انفسهم وشعورهم بقلّة عددهم، فقد قاتلوا قتالاً مستميتاً، ولهذا كانت نتيجة المعركة انكسار المسلمين. ويستمر (آسوغيك) بشرح تفاصيل المعركة ويصف شجاعة بني جنسه وانهم اغرقوا الانهر بالدماء، فلم يبق من جيش مملان الضخم سوى القليل الذي لم يلبث ان ولي هارباً، وغنم الارمن والگرج منهم الكثير من الخيل والبغال والسلاح والاموال^٣.

ان التعصب والمبالغة والتحيز واضحة في الرواية، ويبدو لنا ذلك جلياً عدم ذكر آسوغيك لخسائر الارمن والگرج في الارواح، عدا الخمسة الذين قتلوا نتيجة المبارزة^٤، اضافة الى تضخيمه لجيش المسلمين وتقليله من جيش بني جلدته، لذلك علينا ان ننظر اليها بتحفظ.

^١ في مختصر تواريخ الارمن (تعريب القس انطوان خانجي، طبعة ١٨٦٨ م. ص١٩١) ان گاگيك (غاغيق) وگورگين، ارسلوا له خمسة الاف، فاصبح عدد الجنود عشرين الفا، وفيه ص١٩٦، ان گورگين تولى الحكم سنة ٩٧٢م.

^٢ جاء في مختصر تواريخ الارمن (ص١٩١) ايضاً مثل هذا العدد.

^٣ شهر ياران گمنام ١٧٠/٢-١٧٢، نقلاً عن تاريخ آسوغيك ص٢٦١-٢٦٥، وذكرت الرواية في مختصر تواريخ الارمن، ص١٩١-١٩٢، ولكن بقليل من المبالغة.

^٤ في مختصر تواريخ الارمن، ص١٩٢، انه لم يقتل منهم سوى ستة جنود فقط.

يقول كسروي، انه لانعلم مصير مملان لأن تاريخ اسوغيك يتوقف عند سنة ٣٩٤هـ/١٠٠٤م وهل انه انتقم لهذه المعركة ام لا؟^١، ولكن صاحب تأريخ الباب يحدد وفاة ابي الهيجاء محمد (مملان) بن حسين بسنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م.^٢

٤. ابو نصر حسين بن محمد (مملان):

لم يذكر هذا الامير في اي مصدر عدا ما بقي من تأريخ الباب الذي جاء فيه ان "ابا نصر حسين بن محمد الروادي" تولى الحكم بعد وفاة والده "ابي الهيجاء محمد بن حسين الروادي، وقد توفي ابو نصر في سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م.^٣

٥. ابو منصور وهسودان بن محمد الروادي:

تولى هذا الحكم بعد وفاة والده: مملان -حسب قول كسروي- ولكن ماجاء في تأريخ الباب ينفي قوله هذا، ففيه ان ابا منصور وهسودان بن محمد حكم بعد اخيه ابي نصر حسين بن محمد.^٤

قلنا ان المصادر الاسلامية لم تذكر شيئاً عن بني الرواد حتى سنة ٤٢٠هـ، اذ ذكر ابن الاثير -في حوادث هذه السنة- لأول مرة اسم الامير وهسودان بن محمد^٥، الذي عاصر حملات الغز لاذربيجان ويرى كسروي، من شرح ابن الاثير لحوادث مجيئهم اليها. ان وهسودان كان يحكم اذربيجان في سنة ٤١٠هـ/١٠١٩-١٠٢٠م، وان مملان توفي قبل هذا التاريخ^٦، ولكن صاحب تأريخ الباب وضع حداً لمثل هذا

^١ شهريران ١٧٢/٢.

^٢ Minorsky, Op. Cit., P. ١٦٨.

^٣ Minorsky, Ibid.

^٤ أطلق وهسودان على اسماء ثلاث حكام معروفين آنذاك وهم: وهسودان بن جستان (٢٥٠-٢٥٢هـ)، وهسودان بن محمد بن مسافر (٣٣٠-٣٥٥هـ) وهسودان بن محمد الروادي. ويبدو ان (الالف والنون) في وهسودان هي للجمع (الكثرة) فقطران الشاعر كثيراً مايطرحهما في اشعاره. وهسودان من اسماء الديالمة، ولكن عندما يشتهر شخص ما، فإن الناس قد يسمون ابناءهم باسمه، فعندما عرف واشتهر اسم ابو منصور وهسودان بن محمد بن مسافر، سمي مملان ابنه باسمه وكناه به. ينظر: شهريران گمنام ١٧٥/٢-١٧٦.

^٥ Minorsky, Ibid.

^٦ الكامل ٣٧٨/٩.

^٧ شهريران ١٧٤/٢.

الاستنتاج، فقد رأينا انه حدد وفاة أبي الهيجاء محمد (مملان) بسنة ٣٩١هـ/١٠٠٠م،
وانه حكم بعده ابنه "ابو نصر حسين بن محمد"، كما تولى اخوه وهسودان بن محمد
الحكم بعد وفاته في سنة ٤١٦هـ/١٠٢٥م.

ذكر "ناصر خسرو" لقب وهسودان بن محمد، الذي كان يذكر في الخطبة وهو:
الامير الأجل، سيف الدولة وشرف الملة، ابو منصور وهسودان بن محمد، مولى امير
المؤمنين^١. وكان ناصر خسرو قد زار تبريز سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م^٢. وتدل الالقاب التي
كان يوصف بها، الشاعر قطران الازدي التبريزي هذا الامير، على علو همته وازدياد
نفوذه، فقد لقبه في اشعاره بـ "سير دولت" اي ترس او امين الدولة، و "ستون دين
ودولت" بمعنى عماد الدين والدولة و "جراغ گرگريان شهريار ابو منصور" اي:
مصباح العروش الملك ابو منصور^٣.

ولما عاصر وجود وهسودان، حملات الغز على اذربيجان -كما قلنا-، نرى من
الاصوب ان نتناول اولاً الكلام عن الغز ومن هم^٤، وحملاتهم المتكررة على اذربيجان،
وتواريخها، ومن خلالها نتناول البحث عن وهسودان وبقية أسرة بني الرواد.

حملات الغز على اذربيجان:

يعتبر مجيئ الغز التركمان^٥ الى اذربيجان واستقرارهم فيه، من اهم الاحداث التي
شهدها الاقليم، لما كان لهم من اثر كبير في تغيير الواقع السياسي والاجتماعي
والحضاري - كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد -.

^١ سفرنامه ٥، وينظر: عن مدلولات هذه الالقاب، النظام الاداري.

^٢ شهرياران ١٢٤/٢، ١٧٦.

^٣ الغز: هو اللفظ العربي الذي كان يطلقه العرب على قبائل البدو الترك الذين كانت منازلهم في بداية
ظهورهم، في الصحراء الواسعة والسهوب التي تبدأ عند حدود الصين وتمتد حتى شواطئ بحر الخزر.
(ارمينوس فاميري: تاريخ بخارى، ص ١٢٧)، وهو من اللفظ التركي: اوغوز او الطوغوز، اي تسعة،
مأخوذ من عدد قبائلهم او اسرهم المتفرقة، ولم يكن هناك تفريق بين الاوغوز والتركمان في القرن
الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، فكان يطلق كل من هذين الاسمين على هذا الشعب او ذاك.
بارتولد: (دائرة المعارف الاسلامية، مادة الترك، الطبعة العربية القديمة، ٤٦/٥، والطبعة الجديدة، ط
١٩٦٩، ٦٠/٢).

كان الغز السلجوقية - وهم من الغز الاتراك، ونقصد بهم اصحاب ارسلان بن سلجوق بن تقاق^١ في بلاد ما وراء النهر، فراسل السلطان الغزنوي يمين الدولة محمود بن سبكتكين (٣٨٨-٤٢١هـ/٩٨٨-١٠٣٠م) رئيسهم ارسلان، واستمالة ورغبة لما راه من قوة السلاجقة وكثرة عددهم، فعبر نهر جيحون مع اهله وعشيرته، وحضروا اليه لكنه قبض عليه واعتقله في قلعة بالهند، ثم قتل الكثير من اصحابه، وسلم منهم الكثير ايضاً^٢.

ويظهر على رواية ابن الاثير حول هذه الحادثة التشوش والاضطراب فذكر في مكان^٣، انهم هربوا منه بعد هذه الحادثة والتحقوا بخراسان، بينما يقول في مكان آخر^٤، انه هو الذي فرقهم في نواحي خراسان. وعلى كل حال فأنهم وصلوا الى خراسان وفرض عليهم السلطان محمود دفع الخراج، ولكنهم حاربوا من قبل العمال، الذين امتدت اياديهم الى اموال واولاد هؤلاء الغز، فأضطروا ان ينفصل عنهم اكثر من الفي رجل توجهوا الى كرمان، ثم الى اصبهان ومنها الى اذربيجان بعد تصادمهم مع علاء الدولة بن كاكويه^٥. ولكن يورد ابن الاثير نفسه رواية ثانية عن سبب جلائهم خراسان

^١ يطلق الاتراك الاسم "ارسلان" ليعني الاسد، أما "سلجوق" فيرى (فاميري) ان قواعد اللغة التركية قد امتهنت في رسم هذه الكلمة على هذا الوجه، فهي: أما سيلجيق او سالجوق، ذلك ان مقطعي: جييق وجوق، يفيدان التصغير، ويستعمل الاول مع الكلمات التي تقع الياء في مقطعها الاخير، ويستعمل الثاني مع التي تقع الالف، او الواو في مقطعها الاخير. ورسم الكلمات التركية التي وصلتنا عن طريق العرب او الفرس شديد الغلط، لجهل هؤلاء التام بالتركية عموماً، وهم لا يستطيعون حتى اليوم نطقها نطقاً صحيحاً (تاريخ بخارى، ص ١٢٧ ح ١) ويذكر بارتولد ان النطق الصحيح هو "سالجوك" (تاريخ الترك في اسيا الوسطى، ص ١٠٠) وتقاق: تعني القوس الجديد.

^٢ الكامل ٤٧٥/٩، ولمزيد من المعلومات عن محمود الغزنوي والسلاجقة، يراجع: بارتولد، تركستان من الفتح العربي الى الغزو والمغولي، وكذلك M. Nazim-The Life and Times of sultan Mahmud of chazna :

^٣ ن.م ٣٧٧/٩.

^٤ ن.م ٣٧٦/٩.

^٥ ن.م، ج ٣٧٦.

وعلاء الدولة بن كاكويه هو ابو جعفر محمد بن شمنزيار، وكاكويه بمعنى خال بالفارسية، والظاهر باللغة الكردية المستعملة بفارس، سمي بذلك لانه ابن خال مجد الدولة الديلمي، ودام حكمه من سنة ٣٨٩هـ/١٠٠٧م الى ان توفي سنة ٤٤٣هـ/١٠٤١م. ابن الاثير ٢٠٧/٩، ٣٣٠، ٤٩٥، لينبول، طبقات سلاطين الاسلام، ١٣٩؛ زامباور، معجم الانساب والاسر الحاكمة، مطبعة فؤاد الاول، القاهرة، ١٩٥٢، ٣٢٣/٢.

تخالف روايته الاولى، فقال انهم في سنة ٤٢٠هـ، أفسدوا ونهبوا الاموال في خراسان، فأرسل اليهم يمين الدولة جيشاً، فسباهم واجلاهم عن خراسان، وسار منهم ((اهل الفي خرگاه)) (خيمة)، والتحقوا باصبهان^١.

وكان البيهقي (حوالي ٣٨٥-٤٧٠هـ/٩٩٥-١٠٧٧م) قد ذكر ان السلطان محمود اجلى التركمان عن خراسان بحد السيف^٢، ولما كانت الرواية الثانية لابن الاثير قد تأيدت، من مصدر آخر، فأننا نرجحها على الرواية الاولى في كيفية خروج الغز عن خراسان.

يذكر ابن الاثير -كما راينا- ان عدد الذين تركوا خراسان والتحقوا باصبهان كانوا ((اكثر من الفي رجل)) ولكنه قال في مكان آخر ان عددهم هو ((اهل الفي خرگاه)). ويمكن التوفيق بين الروايتين بالقول ان الذين جلوا عن خراسان كانوا اكثر من الفي رجل مع عوائلهم من ساكني الخيام من نساء واطفال وشيوخ، فاذا قدرنا عدد نفوس كل خيمة بالمتوسط، بخمسة انفس فعددهم يكون حوالي عشرة الاف شخص. هذه الطائفة التي جاءت الى خراسان في مقدمة حملات الغز السلجوقية، هي اول جماعة تركمانية تحضر الى بلاد (ايران)، وقبل اكثر من ثلاثين سنة من توجه طغرل^٣ واخوانه من جيحون وانتشارهم فيها^٤.

اختلفت اقوال المؤرخين الذين ارخوا للسلاجقة كأبن الاثير والعماد الكاتب والراوندي ومؤلف العراضة وغيرهم، عن حقيقة رواية جلب السلطان محمود للغز الى نواحي خراسان وتأريخ ذلك، حتى ان الغريزي الذي كان معاصراً للسلطان محمود واولاده، قد ضل الطريق، فذكر ان احضاره لهؤلاء الغز كان في سنة

^١ الكامل ٣٧٧/٩-٣٧٨.

^٢ تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٦٨.

^٣ طغرل: يرى فامبري (تاريخ بخارى، ص ١٢٩) بانه لفظ تركي وهو مُصَغَّر دوغانول، اي القصاب، وهو مشتق من فعل "دغرافق" اي ان يذبح. اما ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٦٨/٥ فقد ذكر في تفسيره لمعنى الاسم، انه مركب من: طغرل، وهو بلغة الترك لطائر معروف عندهم وبه سمي الرجل وبك معناه الامير. وتفسير ابن خلكان اقرب الى المنطق من تفسير فامبري.

^٤ شهريران گمنام ١٧٧/٢، واخوان طغرل هما: داود وبيغو.

٤١٥هـ/١٠٢٤م، بينما ذكر ايضاً انه في هذه السنة نفسها، قام اسرائيل بن سلجوق بتقديم العون الى الغزنويين^١.

وتشير كتابات المؤرخين الروم والارمن -كما يذكر كسروي- الى مجيئ الغز الى اذربيجان وارمينيا قبل سنة ٤١٠هـ/١٠١٩-١٠٢٠م^٢، ويشير ابن الاثير الى قيام ايلك خان- الذي ملك ماوراء النهر -بحملتين الى خراسان في سنتي ٣٩٦ و٣٩٧هـ/١٠٠٤-١٠٠٥م^٣، وفي كلتا الروايتين يرد اسم عشيرة الاتراك الخلجية الذين جمع منهم السلطان محمود اعداداً كبيرة، وحسب ما جاء في ديوان لغات الترك، فإن الخلع كانوا من الغز او التركمان^٤، ولكن يحتمل ان يكونوا قد انفصلوا عنهم في وقت متأخر وجاءوا الى خراسان فاستقروا قرب مرو، واصبحوا اصدقاء لمحمود، ولما كان هؤلاء موجودين في خراسان في سنتي ٣٩٦ و٣٩٧، فلا بد ان يكونوا قد جلبوا الى هذه البلاد قبل هذين التاريخين.

رواية ابن الاثير من ان السلطان محمود قد جلب الغز، يؤيدها البيهقي الذي ذكر على لسان السلطان مسعود ان اياه السلطان محمود قد اتى بالتركمان الغزية من بلاد ماوراء النهر، واتاح لهم عبوره واقامهم في خراسان^٥، والى وقت متأخر فأنهم بقوا مطيعين واصدقاء لمحمود -وكتابات الكرديزي والبيهقي تؤيدان ذلك-^٦، ولكنهم بعد مدة من الزمن بدأوا بالسلب والنهب والتمرد، واصطدموا مع جيش محمود، فتفرقت جماعات منهم في بلاد الجبال واذربيجان وارمينيا ودياربكر^٧. كان عدد فرسان الغز، عندما جاءوا الى خراسان، حوالي عشرة الاف^٨، ومجموعهم مع الاطفال والنساء والرجال والشيوخ يزيد على خمسين الفاً، وعندما

^١ شهريران ١٧٧/٢-١٧٨، نقلاً عن زين الاخبار، طبعة ايران شهر، ٨٤-٨٥.

^٢ شهريران ١٧٨/٢، ١٨٠.

^٣ الكامل ١٨٨/٩-١٨٩، ١٩١-١٩٢.

^٤ شهريران ١٧٨/٢ نقلاً عن الكاشغري.

^٥ تاريخ البيهقي ٥٠٦.

^٦ زين الاخبار، طبعة ايران شهر، ص ٨٤-٨٥؛ تاريخ البيهقي، ص ٦٨.

^٧ شهريران ١٧٨/٢.

^٨ البيهقي ٥٠٣.

يصلون الى ارض، فأنها كانت ترتجف من تحت اقدامهم، فهم كالسيل الجارف او النار المحرقة التي لاتبقي على شيء: ينهبون ويسلبون ويقتلون بدون توقف، ولم يكن لاحد من الحكام القدرة والشجاعة على دفعهم^١.

ولم يتناول المؤرخون -كما يلاحظ-، عدا ابن الاثير، حوادث واخبار هذه الطائفة من "الغز" (اي عشيرة ارسلان بن سلجوق) وكل تواريخ السلاجقة تناولت مايتعلق بطغربك واخوانه -داود وبيغو-، حتى ان البيهقي الذي كان معاصراً لاحداث هذه الطائفة -ولهذا السبب تكون رواياته ذات قيمة كبيرة- لم يتناولهم الا في فقرات مقتضبة، كما ان الكرديزي -الذي عاش في الحقبة نفسها- (الف كتابه في حدود سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م)، لم يرد عنده عن هؤلاء الغز، الا خبران قصيران^٢. ولعل هذا الاهمال ناتج عن عدم وجود ضرورة عندهم لتدوين اخبارهم، لاسيما ((وان دولتهم - على حد تعبير ابن الاثير- لم تطل، انما كانت سحابة صيف تقشعت عن قريب))^٣، او ان المعلومات عنهم اصبحت ضمن الكتابات المفقودة.

وكما قلنا فان ابن الاثير هو المؤلف الوحيد الذي نقل لنا احداث واخبار تلك الطائفة من الغز سواء في خراسان او في العراق واذربيجان وارمينيا ودياربكر، على الرغم من انه تناولها مرة واحدة وليست متفرقة بحسب السنين، كما فعل بالنسبة الى السلاجقة من جماعة طغربك واخوانه، ومع ذلك فكتاباتة عنها (اي عن طائفة الغز) يشوبها التناقض والاضطراب - كما ذكرنا امثلة لها- ويبدو ان ذلك ناتج من اقتباس ابن الاثير لها من اكثر من مصدر واحد، لذلك اصبح من الصعوبة التحقق من الخبر الصحيح عن غيره، لاسيما انه لم ترد تلك الروايات في اي مصدر آخر، ومع هذا فأئنا سنحاول فيمايتي ان نلقي الاضواء على هذه الطائفة التي نرحت الى اذربيجان واستقرت فيها^٤.

^١ عن اخبارهم وفضائلهم، ينظر: ابن الاثير، الكامل ٤٧٣/٩-٤٨٤، ضمن حوادث سنة ٤٣٢.

^٢ ينظر: شهريران ١٧٩/٢.

^٣ الكامل ٣٩١/٩.

^٤ كسروي، شهريران كُمنام ١٧٩/٢.

توجه الدفعة الاولى من الغز الى اذربيجان:

بعد جلاء الغز عن خراسان ووصولهم الى اصفهان في سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م، اراد السلطان محمود قتل المزيد منهم، واستئصال شأفتهم، لذلك راسل علاء الدولة بن كاكويه -صاحب اصفهان- طالباً منه ارسالهم الى خراسان او ارسال رؤوسهم اليه، ولتنفيذ ابن كاكويه مؤامرة لقتلهم، فانه استدعاهم اليه واخبرهم انه يريد بذلك اثبات اسمائهم ليستخدمهم عنده، ولكن وصلت الى مسامعهم خبر هذه المكيدة قبل ان يصلوا اليه، ولما انكشفت المؤامرة، ارسل علاء الدولة اليهم الديلم الذين التحق بهم اهالي المدينة، فجرت معركة بينهما، انهزم الغز على اثرها، وفي طريق هزيمتهم، لم يتركوا قرية الا ونهبوها، الى ان وصلوا الى اذربيجان^١.

كما رأينا، فأن ابن الاثير يذكر توجه هؤلاء الغز الى اذربيجان في سنة ٤٢٠هـ، ولكن المؤرخ كسروي، يرى ان قسماً منهم كانوا في اذربيجان وارمينيا قبل سنة ٤١٠هـ حسب ماجاء في مدونات المؤرخين الروم والارمن^٢.

كان حاكم اذربيجان آنذاك -كما يقول ابن الاثير- هو الامير وهسودان بن مملان الروادي، الذي رحب بالغز عند وصولهم اذربيجان ورعاهم وصاهرهم، بأن تزوج من ابنة احد امرائهم. ويرجع سبب ذلك الى مشاهدته من قوة الغز، وانه لاطاقة له بمنازلتهم^٣، كما انه كان يتأمل منهم المساعدة لمواجهة اعدائه الكثيرين وهم الروم والارمن والكُرج المحيطين بأذربيجان من الشمال والغرب، علاوة على ان قسماً من الامراء الشداديين كانوا يظهرون له العداء، وذلك لكون الغز محاربين اشداء ولهم مهارة فائقة في القتال بالنبال. وظهر الشاعر قطران في قصيدة له في معرض مدحه لوهمسودان، ان قوته تكمن بالاعتماد على هؤلاء، حيث وصف ميقاتهم القتالية^٤.

^١ ابن الاثير ٣٧٨/٩ و ٤٧٦.

^٢ شهرياران گمنام ١٧٨/٢، ١٨٠.

^٣ ابن الاثير ٣٧٨/٩، ٣٨١.

^٤ شهرياران گمنام ١٨١/٢، حسين حزني موكرياني، آتروپاتين يا كوردستانى موكريانى (بالكردية) ٢٥٨/١.

توجه الدفعة الثانية من الغز إلى أذربيجان:

توجه الغز إلى الري - بعد أن أوقع بهم في نيسابور، تاش فراش، حاجب السلطان مسعود - متذرعين بأنهم يريدون اللحاق بمن سبقهم من الغز في أذربيجان، واطلق ابن الأثير على هذه الطائفة التي سارت إلى الري واستقرت في العراق (بلاد الجبال) بالغز العراقية وامرائهم هم: كوكتاش، وبوقا وقزل ويغمر وناصرغلي^١.

سار تاش فراش بجيش في أثرهم وجرت المعارك بينه وبينهم في الري، قتل فيها تاش فراش، وكان ذلك في سنة ٤٢٧هـ/١٠٣٦م، وبعد ذلك ترك الغز الري إلى أذربيجان، فتوجه علاء الدولة بن كاكويه إلى الري وأرسل إلى الغز يستدعيهم وليمنحهم الاقطاعات كي يتقوى بهم ضد علي أبي سهل الحمدوني - وزير السلطان مسعود - والذي كان قد تغلب في إحدى المعارك على ابن كاكويه، فعاد إليه منهم نحو ألف وخمسمئة، مقدمهم قزل، وتوجه البقية إلى أذربيجان^٢.

استقرت كل جماعة من الغز في زاوية من أرض أذربيجان، وكعادتهم فأنهم بدأوا بالسلب والنهب والقتل، فقد اغار الغز الذين كانوا في أرمية على بلاد الأرمن وقاموا بمثل هذه الأعمال الشنيعة تجاه سكانها وممتلكاتهم^٣.

وأخذ الخوف من هؤلاء الغز ينتشر بين صفوف ملوك الكرج، فقد كان ملك الابخاز (الكرج): باكارت، وملك كاخت غاغيك قد حاصرا في سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م، مدينة تفليس^٤، التي كان يحكمها الأمير أبو الفضل جعفر بن علي واشتد الحصار على المدينة، وأخذت تعاني من المجاعة لانقطاع التموين عنها، فأرسل أهلها الرسل إلى أذربيجان ليلتمسوا من مسلميها النجدة والانقاذ، وعندما وصل الغز إلى أذربيجان وسمع الابخاز بقرّبهم وبما فعلوه بالأرمن، خافوا منهم، ففكوا الحصار عن المدينة ورجعوا إلى بلادهم^٥.

^١ الكامل ٣٧٩/٩.

^٢ ابن الأثير ٣٨٠/٩، ٣٨١.

^٣ ن.م.ج ٣٨٣.

^٤ تفليس: تسمى الآن، تبليسي، وهي عاصمة جمهورية جورجيا، في جنوب غربي جمهورية روسيا الاتحادية.

^٥ ابن الأثير ٤٥٧/٩، حوادث سنة ٤٢٩هـ.

وَأَدْعَى الْمُؤَرِّخ (جوانشیر)، الَّذِي كَتَبَ تَارِيخَ الْكُجَرِ، أَنَّ الْإِبْخَازَ قَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَى الْمَدِينَةِ ثُمَّ أَعَادُوا تَسْلِيمَهَا إِلَى جَعْفَرٍ^١. وَلَكِنْ هَذَا الْقَوْلُ يَشُوْبُهُ الشَّكُّ، وَإِنْ مَاوَرَدَ عِنْدَ ابْنِ الْأَثِيرِ هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الصَّحَّةِ، إِذْ أَنَّهُمْ تَرَكُوا حَصَارَ الْمَدِينَةِ خَوْفًا مِنَ الْغُزِّ.

صَاهِرُ الْأَمِيرِ وَهَسُوذَانَ، الْغُزَّ عَلَى أَمَلٍ مَنَاصِرَتَهُمْ لَهُ وَكَفِّ شَرِّهِمْ، ((وَكَانَ مَا أَمَلَهُ بَعِيدًا فَأَنَّهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا الشَّرَّ وَالْفُسَادَ، وَالْقَتْلَ وَالنَّهْبَ)) - عَلَى حَدِّ قَوْلِ ابْنِ الْأَثِيرِ^٢ -، فِي الْعَامِ نَفْسِهِ (أَيَّ عَامٍ ٤٢٩ هـ) أَغَارُوا عَلَى مَرَاغِهِ، وَاحْرَقُوا مَسْجِدَهَا الْجَامِعَ وَقَتَلُوا مِنْ أَهْلِهَا وَمِنْ الْأَكْرَادِ الْهَذْبَانِيَّةِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، فَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ^٣. الْعَمَلُ نَفْسَهُ قَامَتْ بِهِ طَائِفَةُ الْغُزِّ الَّذِينَ كَانُوا فِي أُرْمِيَّةِ (وَرَمِيَّ)، فَبَعْدَ أَنْ قَتَلُوا وَسَلَبُوا وَغَنَمُوا فِي بِلَادِ الْأَرْمَنِ - كَمَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ - رَجَعُوا إِلَى أُرْمِيَّةِ وَالْبِلَادِ التَّابِعَةِ لِحُكْمِ أَبِي الْهَيْجَاءِ بْنِ رَبِيبِ الدَّوْلَةِ الْهَذْبَانِيَّةِ - وَهُوَ ابْنُ أُخْتِ الْأَمِيرِ وَهَسُوذَانَ بْنِ مَمْلَانَ -، وَجَرَى الْقِتَالُ بَيْنَ أَكْرَادِهَا وَالْغُزِّ، فَقَتَلَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْكُرْدِ وَنَهَبَ الْغُزُّ سَوَادَ تِلْكَ الْبِلَادِ^٤.

الْبَلَاءُ الشَّدِيدُ الَّذِي أَصِيبَ بِهِ الْكُرْدُ عَلَى يَدِ هَؤُلَاءِ، حَمَلَ حُكَّامَهُمْ عَلَى أَنْ يَفْكُرُوا فِي تَرْكِ الْخُصُومَاتِ وَعَقْدِ الصَّلْحِ وَالْإِتِّفَاقِ بَيْنَهُمْ لِلتَّصَدِّي لِهَذِهِ الْهَجْمَةِ الشَّرْسَةِ مِنَ الْغُزِّ وَوَضْعِ حَدِّ لَهَا، وَذَلِكَ بِطَرْدِهِمْ مِنَ الْبِلَادِ، لِذَا اصْطَلَحَ أَبُو الْهَيْجَاءِ بْنُ رَبِيبِ الدَّوْلَةِ الْهَذْبَانِيَّةِ، زَعِيمُ الْهَذْبَانِيَّةِ، وَوَهَسُوذَانَ بْنُ مَمْلَانَ صَاحِبُ أَذْرَبِيْجَانَ - وَكَانَا عَلَى غَيْرِ وَفَاقٍ - فَأَتَّفَقَتْ كُلُّمَتْهُمَا، وَانْضَمَّ إِلَيْهِمَا أَهْلِي الْبِلَادِ لِقِتَالِ الْغُزِّ وَالْإِنْتِقَامِ مِنْهُمْ، وَكَانَ وَهَسُوذَانَ حَتَّى ذَلِكَ الْوَقْتُ لَمْ يَبْدِ نَفُورُهُ مِنْهُمْ، وَلَكِنْ عِنْدَمَا اشْتَدَّ طَلِبُ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ لِمَقَاتَلَتِهِمْ، عِنْدَئِذٍ أَظْهَرَ النُّفُورَ مِنْهُمْ. وَلَمَّا عَلِمَ الْغُزُّ بِاتِّفَاقِ الْأَهَالِيِّ وَحُكَّامِهِمْ، تَعَذَّرَ عَلَيْهِمُ الْبَقَاءُ فِي أَذْرَبِيْجَانَ فَتَرَكُوهَا وَتَفَرَّقُوا وَانْقَسَمُوا إِلَى طَوَائِفَ عَدَّةٍ، طَائِفَةٌ مِنْهُمْ تَوَجَّهَتْ إِلَى الرِّيِّ وَمَقْدَمِهِمْ بَوْقًا، وَطَائِفَةٌ أُخْرَى إِلَى هَمْدَانَ وَمَقْدَمِهِمْ مَنْصُورَ وَكُوكْتَاشَ، وَثَالِثَةٌ إِلَى قَزْوِينَ وَمَقْدَمِهِمْ نَاصِغْلِي، وَكَانَ ذَلِكَ فِي عَامٍ ٤٣٠ هـ / ١٠٣٩ م^٥.

^١ شهریاران ١٩٢/٢، نقلًا عن جوانشیر، طبعة ونيس، ص ١١٢.

^٢ الكامل ٣٨٢/٩.

^٣ ن. م. ٣٨١/٩ - ٣٨٢؛ ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، طبعة بيروت، ١٩٥٨، ص ١٨١.

^٤ الكامل ٣٨٣/٩.

^٥ ابن الأثير ٣٨٢/٩.

ويظهر لنا -مما أورده ابن الاثير- بأن الغز تركوا البلاد بدون قتال، ولكن كسروي يروي لنا قصيدتين قالهما الشاعر قطران، يذكر فيهما انه جرت معركة شديدة بين وهسودان والغز وانه قتل منهم عدداً لا يحصى. ويبدو ان القصيدة الثانية نظمت في نوروز في فصل الربيع وان المعركة حدثت في الشتاء، وانتصر وهسودان على الغز وخرجهم من البلاد^١.

بقيت -على ما يظهر- جماعة من الغز العراقيين في أذربيجان، ومن المحتمل ان تكون هذه الجماعة، تلك التي تنتمي بصلة النسابة الى الامير وهسودان، فبقي هؤلاء في طاعتهم، الا انهم لم يستمروا على طاعتهم، فبدأوا -علي ما يبدو- بالتمرد والعصيان والتخريب، فقتل وهسودان في سنة ٤٣٢هـ/١٠٤١م، عدداً كبيراً منهم في مدينة تبريز، وذلك بان اقام لهم مأدبة طعام كبيرة، وبعدها ألقى القبض على ثلاثين من مقدميهم، واكثر القتل في الباقيين. فلما سمع الغز الذين كانوا في أورمية، بما فعله وهسودان، تركوا المدينة وتوجهوا نحو بلاد الهكارية من أعمال الموصل، فقاتلهم كردها، ولكنهم انهزموا امام الغز، وملك الغز حُللهم وأموالهم ونساءهم وأولادهم، واحتلوا بالجبال ومضايقها وتبعهم الغز فانقض عليهم الكرد، وقتلوا منهم ألفاً وخمسمئة رجل واسروا سبعة من امرائهم ومئة من وجهائهم، وتفرق الباقيون في الجبال. وعندما سمع ابو الهيجاء بن ربيب الدولة الهذباني الخبر، ارسل من يقني بقيتهم^٢.

توجه الدفعة الثالثة من الغز الى أذربيجان:

قلنا بأن جماعة الغز الذين تركوا أذربيجان في سنة ٤٣٠هـ، توجهوا الى قزوین والري وهمدان، ويذكر ابن الاثير المآسي والفواجع التي ارتكبوها في تلك المدن وفي مدن: اصفهان وأسد آباد والدينور^٣، وكانت هذه الجماعات التفت كلها حول قزل الذي عرف آنئذ بأسم: ((امير الغز العراقية)) والذي كان يقيم في الري، ولكن صادف ان توفي في سنة ٤٣٢هـ^٤، فوضع -في هذه الاثناء- طغرل بك واخوانه اساس حكمهم لخراسان

^١ شهریاران گمنام ١٩٣/٢-١٩٤؛ کردستان موکریان ٢٦٨/١-٢٦٩.

^٢ ابن الاثير ٣٨٤/٩-٣٨٥.

^٣ ينظر: ابن الاثير ٩/ صص ٣٨٢-٣٨٤.

^٤ ن.م ٣٨٥/٩، ٤٩٤.

وخوازم، وتوجه ابراهيم ينال، وهو اخو طغرل بك من جهة امه، بحملة للسيطرة على الري، فلما سمع الغز بذلك، تركوا الري خوفاً منه، وقصدوا اذربيجان، وكان ذلك في سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٢م، ولكنهم لم يستطيعوا البقاء فيها، نظراً لما ارتكبوه فيها قبل ذلك من الفواجع، فتركوها الى جزيرة ابن عمر ودياربكر.^١

لانعرف عن احوال الغز واخبارهم، هذه المرة، في اذربيجان سوى ما ذكره كسروي من انه توجد في ديوان الشاعر قطران قصيدة مطولة حول حرب وهسودان مع الغز، وان المعركة حدثت في سهل سراب (سراو)، انكسر فيها الغز وقتل منهم عدداً كبيراً، وفتحت قلعتهم ويقول: ان الاتراك اجتمعوا مع بعضهم وقاتلوا وهسودان بأعداد كبيرة. ومن هنا يبدو -على حد قول كسروي- ان المعركة حدثت بعدما حضر الغز هذه المرة الى اذربيجان.^٢

توجّه الغز للمرة الرابعة الى اذربيجان:

بعد خروج الغز من اذربيجان سنة ٤٣٣هـ، وتوجههم الى جزيرة ابن عمر ودياربكر، تقدموا الى الموصل -وكان صاحبها آنذاك هو الامير قرواش العقيلي-، فأحتلوها واكثروا القتل والنهب فيها، الا ان قرواش استطاع ان يحصل على مساعدة امراء العرب والكرد، فأغاروا على الغز وفتكوا بهم في رمضان سنة ٤٣٥هـ/ نيسان ١٠٤٤م، فتركوها وقصدوا دياربكر ونهبوها، ثم مالوا على الارمن والروم، وبعدها قصدوا بلاد اذربيجان في هذه السنة نفسها، وكتب قرواش رسالة يبشّر فيها ابن ربيب الدولة الهذباني -صاحب أرمية- بالفتح، ويذكر له فيها انه قتل منهم ثلاثة آلاف رجل، وتعجب أبو الهيجاء ابن ربيب الدولة من ذلك، فقد عدّهم في المرة السابقة، عندما اجتازوا قنطرة في بلاده فكانوا نيفاً وثلاثين الفا، فلما رجعوا بعد هزيمتهم لم يبلغوا خمسة الاف رجل، فأما ان يكونوا قتلوا او هلكوا.^٣

^١ ينظر: حول ذلك المصدر السابق ٩/ صص ٤٧٩-٤٨٤ في حوادث سنة ٤٣٢هـ.

^٢ ن.م ٣٨٥/٩-٣٨٦.

^٣ شهر ياران ١٩٦/٢-١٩٨.

^٤ ابن الاثير ٣٩١/٩.

نستطيع من هذه الرواية ان نخمن عدد الغز العراقيين في البداية، فحسب قول ابي الهيجاء ان عددهم كان في المرة الثالثة من حضورهم الى اذربيجان، اكثر من ثلاثين الفا، وهم كل مابقي منهم، ونحن نعلم ان الكثير منهم قد قتلوا في حروبهم وغاراتهم، ومنها حروبهم في الري مع تاش فراش وابي سهل الحمدوني، كما ان جماعات منهم قتلوا على يد وهسودان وابو الهيجاء^١، وعلى يد سكان مدن قزوین وهمدان واصفهان، وفي غاراتهم على الروم والارمن، وفي معاركهم مع جيش صاحب الجزيرة ودياربكر الامير سليمان بن نصر الدولة بن مروان، واخيراً فقد قتل منهم قرواش صاحب الموصل ثلاثة الاف، وبعد هزيمتهم على يده ورجوعهم الى اذربيجان لم يبق منهم سوى خمسة الاف رجل، ولذلك نستطيع ان نخمن عدد الغز الذين جاء بهم السلطان محمود عبر جيحون بأكثر من خمسين الف رجل^٢.

العلاقات الخارجية في عهد وهسودان:

(١) علاقاته مع الروم:

تقع مدينة برگرى^٣، شمال شرقي بحيرة وان، ولها قلعة متأخرة لبلاد الارمن، وكانت تحت سيطرة ابي الهيجاء بن ربيب الدولة الهذباني، ابن اخت وهسودان بن مملان، وحدث ان تصادم هو وخاله، فأرسل وهسودان الى الروم يُحرضهم على مهاجمة المدينة وانتزاعها من يد ابن اخته، نكايةً به، وارسل ملك الروم، بناء على هذا التحريض، جيشاً كبيراً. استطاع احتلال المدينة سنة ٤٢٥هـ/١٠٣٤م. وصل هذا الخبر الى الخليفة العباسي، فأحزنه ذلك، وارسل رسولاً الى ابي الهيجاء ووهسودان بوجوب الصلح بينهما، وتعاونهما لاستعادة برگرى من الروم، فتصالحا حسب طلب الخليفة، وارسلا جيشهما الى القلعة وانضم اليهما المتطوعون من المجاهدين، الا انهم لم يتمكنوا من استعادتها، لان الروم كانوا قد ثبتوا اقدامهم فيها^٤.

^١ إذ قتل ابو الهيجاء منهم: الفين وخمسمئة فارس.

^٢ تجد تفاصيل ذلك عند ابن الاثير ٩/ صص ٣٨٥-٣٩١، ينظر: ايضاً شهر ياران گمنام ٢/ ٢٠٠.

^٣ جاءت عند ابن الاثير ٩/ ٤٣٧؛ بركوى: خطأ، وتعرف (برگرى) حالياً بـ(المرادية).

^٤ ابن الاثير ٩/ ٤٣٧.

لم يذكر ابن الاثير متى بدأ حكم (ابي الهيجاء) صاحب ارمية ورئيس الكُرد الهذبانية المنتشرين فيها وفي اطرافها، وكذلك حكم ابيه (رييب الدولة) وكيف تم لهما الحصول عليها؟ ومتى سيطر ابو الهيجاء عليها والتي كانت من ضمن مدن واسپورگان؟ ان هذه الاسئلة تبقى بدون اجابات، مالم نعثر على مصدر او مصادر اخرى توضح لنا ذلك.

يقول كسروي: بحثت تواريخ الارمن هذه الحادثة بشيئ من التفصيل اكثر مما وردت عند ابن الاثير، الا ان هذه التواريخ اطلقت اسم: "خديق" على صاحب برگری، ولم تذكر اسم وهسودان وابي الهيجاء، ولكن كسروي يرى ان خديق، ما هو الا ابو الهيجاء نفسه. اختلفت هذه التواريخ في ذكر تأريخ الحادثة، فيذكر (چامچيان) انها حدثت سنة ۱۰۳۹م، وهي تطابق سنة ۴۳۰-۴۳۱هـ، في الوقت الذي ذكر فيه ابن الاثير انها حدثت سنة ۴۲۵هـ.^۱

أورد چامچيان الحادثة في حوادث سنة ۱۰۳۸م، فذكر: ان اليونانيين عینوا -في هذه الاثناء- نیکوگوس قاواسيلاس او مايسمی بـ"خريسليوس" حاكماً على واسپورگان، الذي حمل على نواحي بحيرة اختامار (وان)، ومدينة برگری التي كان قد انتزعها المسلمون من يد الارمن منذ أمد بعيد، واستطاع خريسليوس احتلال المدينة وأسر اميرها "خديق"، ووضعه في السجن، ثم استبدل حاكم المدينة بحاكم اخر. استطاع خديق ان يجد فرصة فأرسل اشخاصاً يطلب النجدة من الامراء المسلمين المجاورين، فجمع هؤلاء جيشاً وتوجهوا الى برگری فحاصروها، وكانت محصنة بسور فقتلوا اربعاً وعشرين الف رجل من الارمن واليونانيين -على حد قول چامچيان- واستولوا على المدينة. سمع بهذا الامر رئيس الارمن المدعو (گنجی)^۲ فرافق ابنه (داجاد) في جيش كبير، واتجه نحو برگری ودخلوها من منفذ في السور، وهجموا بصورة مباغتة على المدينة، فأكثروا القتل في المسلمين، الا ان خديق استطاع ان يفسر عبر ممر سرى يؤدي الى خارج المدينة، واتصل بالامراء يغر المسلمين القريبين طالباً العون والغوث منهم، ولم يكن الارمن على علم بطلب المساعدة هذه، ففاجأتهم جيوش

^۱ شهریاران گمنام ۲/۲۰۱؛ ابن الاثير ۴۳۷/۹.

^۲ في مختصر تواريخ الارمن، ص ۱۹۸: الشيخ كانصي.

هؤلاء الامراء واكثروا القتل فيهم، وقتل گنجی وانهزم ابنه داجاد مع جماعة وعاد (خديك) الى حكم المدينة. سمع قيصر الروم بهذه الحادثة، فأرسل في العام التالي، اي ١٠٣٩م، جيشاً كبيراً واستعاد المدينة^١.

بعد هذا وحسب ما جاء عند ابن الاثير وكما ذكرنا في البداية، هاجم وهسودان مع ابن اخته ابا الهيجاء المدينة، الا انهما لم يستطيعا استعادتها من الروم.

(٢) علاقة الامير وهسودان مع بني شدّاد:

لم يظهر لنا ابن الاثير ولا المؤرخون الاخرون نوع العلاقة التي كانت سائدة بين بني الرواد وبني شدّاد حكام أرّان، ولكن يبدو ان العلاقة بينهما كانت تسوء احياناً، ثم يعود امرأوها الى السلام والوثام، فقد اورد كسروي قصيدة نظمها الشاعر قطران، تبرز العداة والخصام الذي كان قائماً بين الاميرين وهسودان وابي الحسن علي لشكري الشدّادي الذي كان قد تولى حكم أرّان سنة ٤٢٥هـ^٢.

كما اورد قصيدة ثانية للشاعر نفسه، نظمها عندما كان في گنجه، في الوقت الذي وصل فيه الامير وهسودان الى المدينة، للقاء الامير ابي الحسن الشدّادي. وكانت القصيدة معنونة باسم "السلام"، حيث كان الغرض من هذا اللقاء عقد الصلح والوثام بين الاميرين المتخاصمين، ولا يعلم سبب هذا الخصام، كما لا يعلم تأريخ هذه الوساطة التي قام بها وهسودان، ولكن كسروي استنتج تاريخها من قرائن اوردها، فالشاعر قطران قام بسفرة واحدة فقط الى گنجه وفي عهد الامير ابي الحسن^٣، وان سفر وهسودان كان في الوقت الذي كان فيه قطران في گنجه، وتيقن كسروي: ان سفر قطران لها كانت قبل حدوث زلزال تبريز سنة ٤٣٤هـ بسنوات عدّة، ولما كان ابو الحسن قد

^١ مختصر تواريخ الارمن، ص ١٩٨-١٩٩؛ شهرياران گمنام ٢/٢٠٢، نقلاً عن چامچيان، المجلد الثاني، ص ٩١٧-٩١٨.

^٢ شهرياران ٢/١٨١-١٨٢.

^٣ قام كسروي بتحقيق هذا الامر في كتابه الموسوم: قطران.

تولى الحكم سنة ٤٢٥هـ، وان العداء بين الاميرين قد مضى عليه سنتان، ان لم يكن اكثر من ذلك - ولهذا يرى ان سفر وهسودان الى گنجه كان خلال السنوات ٤٢٧-٤٣٢هـ^١. وتظهر أبيات القصيدة ان السفارة كانت في الشهر الثاني من فصل الصيف، وفي باب المقارنة بين الاميرين، يذكر الشاعر ان الامير ابا الحسن لشكري الشدادي كان اكثر مالا ورجالا، بينما الامير وهسودان ابو منصور الروادي كان اكثر منه ملكاً وارضاً. ومنها يظهر انه كانت تحت سيطرة وهسودان اجزاء واسعة من بلاد اذربيجان^٢.

زلزال تبريز:

ازدادت اهمية مدينة تبريز عندما انتقل المركز الاداري لاقليم اذربيجان اليها من اردبيل، واصبحت حاضرة الامارة الروادية. تعرضت المدينة لاكثر من زلزال، فتذكر المصادر الزلزال الذي تعرضت له سنة ٨٥٨-٨٥٩م، فأعاد الخليفة المتوكل العباسي تعميرها^٣، وكما تعرضت لزلزال مدمر سنة ٤٣٤هـ/١٠٤٢م، بحيث هدم قلعتها وسورها ودورها وحماماتها واسواقها واكثر دار الامارة، وهلك تحت الانقاض حوالي (٥٠) الف انسان، كما ورد في بعض المصادر^٤، اما الرحالة ناصر خسرو الذي زار تبريز بعد الحادثة بربع سنوات -اي في

^١ ن.م. ٢٠٣-٢٠٤، وفي ديوان الشاعر قطران التبريزي، اشارة الى وجود علاقات بين الامراء الشداديين والرواديين قبل وبعد السنوات (٤٢٧-٤٣٢) بين وهسودان وابي الحسن الشكري. اسماعيل شكر رسول: الشداديون في بلاد اَران (٣٤٠-٥٩٥هـ) دراسة سياسية حضارية، رسالة ماجستير، جامعة صلاح الدين-اربيل، ١٩٩٠، ص ٦٤.

^٢ ن.م. ٢٠٤/٢، حسين حزني، كوردستاني موكريان، ٢٨٥/١.

^٣ حمدالله المستوفي، نزهة القلوب ٨٦.

^٤ المنتظم ١١٤/٨؛ ابن الاثير ٥١٣/٩؛ العسجد المسبوك، (مخطوط) و١٢٦.

وتحدث هزات زلزالية في تبريز كل يوم تقريباً، ويعزيها مينورسكي الى النشاط البركاني لجبل سَهَنَد المجاور لها، بينما يرى خانيكوف ان سببها يعود في الغالب الى اختلاف طبقات الارض، الا ان الدكتور وديعي مدرس الجغرافيا في كلية آداب - تبريز، يرى ان السبب يعود الى وقوع تبريز على خط زلزال شمال ايران وبهذا يدحض نظرية خانيكوف ومينورسكي، ينظر: مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، مادة تبريز، طبعة ١٩٦٩، ج ٩/١٧٤؛ تاريخ تبريز، ترجمة: عبد العلي كارنگ، تبريز چاپخانه شفق، ١٣٣٧، ص ٥ ح١، والكراس ترجمة فارسية لمقال مينورسكي مع اضافات في الحواشي.

سنة ٤٣٨هـ - فقد ذكر ان عدد من هلكوا - كما قيل له - جراء الزلزال اربعين الف نسمة، وانه خرب جزء من المدينة وسلم الجزء الآخر، وإيده في ذكر هذا العدد من الضحايا حمد الله المستوفي، إلا انه قال بأنها ((هُدِمَتْ كُلِّيًّا))، مستنداً على ماجاء في كتاب القاضي ركن الدين الجويني: (مجمع ارباب الملك)^١. ونرى ان تقدير ناصر خسرو للخسائر في الارواح والممتلكات هو اقرب الى الصحة ، لانه -كما قلنا- شاهد المدينة بعد مرور اربع سنوات على الحادثة، وقوله بعيد عن التهويل والمبالغة. كانت هذه الحادثة ذات وقع كبير على الامير وهسوذان، بحيث لبس السواد والملابس المصنوعة من نسيج الشعر تقشفاً، كذلك ترك شرب الخمرة ومالذ من الطعام، وتوجه الى احدى القلاع الحصينة القريبة خوفاً من استغلال الغز السلجوقية للحادثة فيهمجون على المدينة، لاسيما ان القلعة والسور قد تهدما. وكان هو قد سلم من الزلزال لوجوده آنذاك في احد البساتين، كما سلم جيشه الذي كان قد ارسله الى اخيه^٢. لم تذكر المصادر لو هسوذان أخاً، عدا اشارة ابن الجوزي تلك، ولانعلم ماهو اسمه وما الغرض من ارسال وهسوذان الجيش اليه، واين كان يقيم آنذاك؟ اعاد الامير وهسوذان في العام التالي للزلزال، بناء المدينة المتهدمة من جديد^٣، بحيث وصفها ناصر خسرو عند زيارته لها في صفر سنة ٤٣٨هـ/آب ١٠٤٦م، بأنها ((مدينة عامرة))^٤.

^١ سفرنامه، طبعة القاهرة، ١٩٤٥، ص ٥.

^٢ نزهة القلوب ٨٦.

^٣ المنتظم ١١٤/٨؛ ابن الاثير ٥١٣/٩؛ شهر ياران گمنام ٢٠٧/٢-٢٠٨، حيث اورد كسروي قصيدة لقطران قالها بمناسبة هذه الكارثة، بناكتي: روضة اولى الالباب في معرفة التواريخ والانساب (تاريخ بناكتي) بالفارسية بكوشش جعفر شعار، چاپ داود پناه، انتشارات بهمن، تهران ١٣٤٨هـ.ش، صص ١٥٢-١٥٣.

^٤ نزهة القلوب ٨٦.

^٥ سفرنامه ص ٥.

(٣) علاقته مع أصْبَهْبَذ موغان^١:

وصف الشاعر قطران في قصيدة طويلة له المعركة التي حدثت بين وهسوذان واسبهبذ موغان (موقان)^٢، في حين لم تذكر كتب التاريخ حدوث هذه المعركة. وكان اسبهبذ موغان يحكمها مستقلاً عن امير اذربيجان، وكان اسبهبذا في بداية القرن الرابع الهجري هو: ((ابن دلولة))^٣.

امتنع اسبهبذ موغان عن الخضوع لحكم الامير وهسوذان، فأرسل اليه هذا جيشاً لاختصاعه، تحت قيادة ابنه الاكبر ابي نصر مملان، انهزم على اثرها جيش الاصبهبذ ووقع هو في اسر مملان. وبعدها امر وهسوذان ببناء قلعة في اردبيل، بالغ قطران في وصف حصانتها وعلوها، ولوعورة مسالكها فانه لايمكن لاحد الصعود اليها ولاسيما في فصل الشتاء^٤.

توجه طغرل بك الى اذربيجان:

استولى طغرل بك السلجوقي واخوانه على خراسان وانتزعوها من يد السلطان مسعود الغزنوي، كما انهم وضعوا اساس حكمهم لنيشابور، وبعد ذلك اخضعوا الري وهمدان واصفهان وزنجان لحكمهم، واستولوا في سنة ٤٣٤هـ على بلاد الديلم وطارم المجاورتين لاذربيجان^٥، الا انهم ابقوا اذربيجان على حالها حتى سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤-١٠٥٥م، ولاتعرف الروابط والعلاقات بين طغرل وهسوذان خلال تلك الحقبة -اي من سنة ٤٢٩هـ حتى سنة ٤٤٦هـ-، فلم تتحدث عنها المصادر ولا حتى اشعار قطران،

^١ الاصبهبذ: فارسي معرب من اسپهبد: بمعنى قائد الجيش ويقال له السالار ايضاً، واسپهبد كان لقباً عاماً لملوك طبرستان ولحكام موغان، عنه وعن الاصفهسالار. ينظر: معجم البلدان، ٢٣٩/١، ٢٩٨؛ صبح الاعشى ٧/٦، ٨؛ ادي شير، الالفاظ الفارسية المعربة، ٨٣، ١٠٧، حسن الباشا، الالقب الاسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٥٧، ١٣٩، ١٥٦.

^٢ عن موغان (موقان)، ينظر: الفصل الجغرافي.

^٣ شهرياران گمنام ٥٦/١-٥٧، ٢/٢٠٩.

^٤ شهرياران ٢/٢٠٩-٢١١.

^٥ ينظر حول ذلك: ابن الاثير، حوادث السنوات ٣٢٩-٤٣٤هـ، وللمزيد عن المعلومات عن طغرل بك واستيلائه على خراسان، ثم التوسع غرباً، يراجع: M. Nazim, The Life and Times of Sultan Mahmud of Chazna

عدا عبارة واحدة لابن الاثير جاءت في معرض كلامه عن زلزال تبريز، حيث ورد ان وهسوذان خاف من هجوم السلاجقة على تبريز فأحترز من ذلك، وليست لنا معلومات حول كيفية مجيئ طغرل سنة ٤٤٦هـ، بلا حرب وقتال الى اذربيجان، ولعلّه قبل ذلك كانت هناك مراسلات بينهما، فقبل وهسوذان بطاعة طغرل^١. وكان ابن الاثير قد ذكر في حوادث سنة ٤٤٦هـ، ان طغرل بك توجه الى اذربيجان، فقصص صاحب تبريز الامير ابو منصور وهسوذان بن محمد الروادي، فأطاعه هذا وخطب له وقدم له الهدايا والاموال بما يرضيه، وقدم اليه ولده رهينة، فرضى طغرل عن وهسوذان وأقره على امارته شريطة ان يظل على طاعته، وتركها طغرل الى جنزه (گنجه)، ثم عاد الى اذربيجان عندما هجم الشتاء، ولما انقضى، توجه طغرل الى الري فأقام بها الى سنة ٤٤٧هـ، وعاد الى العراق^٢. ويبدو ان طغرل كان يأخذ الرهائن من الامراء ليضمن طاعتهم ويأمن جانبهم.

وهكذا اصبحت الامارة الروادية خاضعة لحكم طغرل بك السلجوقي وفقدت بذلك استقلالها الذي كانت تتمتع به قبل ذلك.

نهاية حكم الامير وهسوذان:

لم ترد معلومات عن وهسوذان -بعد ذلك الخبر- ولا عن اعماله ولا عن نهاية ايامه، سوى ان ابن الاثير ذكر انه في سنة ٤٥٠هـ: ١٠٥٨م: ((أقر السلطان طغرل بك، مملان بن وهسوذان بن مملان على ولاية ابيه بأذربيجان))^٣، ولكنه لم يبين لنا هل ان وهسوذان كان مايزال على قيد الحياة، حينما اقر ولده بمكانه؟ ام انه كان قد توفي؟ ويظهر لنا مما ذكره صاحب تأريخ الباب، ان وهسوذان كان مايزال حياً في تلك السنة، ان حدّد وفاته بيوم الخميس من شهر صفر سنة ٤٥١هـ/ ١٩ آذار الى ١٦ نيسان

^١ شهر ياران ٢/ ٢١١؛ ويقول عباس اقبال في كتابه الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة: د. احمد كمال الدين حلمي، الكويت، ١٩٨٢، ص ٣٣: ((والتزمت الاسر الصغيرة التي تحكم هذه البلاد [اي البلاد الايرانية] امثال... والرواديون في اذربيجان بتأدية الخراج لطغرل، ودانت له بالولاء والطاعة)).

^٢ ابن الاثير ٩/ ٥٩٨-٥٩٩؛ تأريخ ابن الوردي، طبعة ١٩٦٩، ج ١، ٤٩٣.

^٣ الكامل ٩/ ٦٥٠.

١٠٥٩م^١. ولا ندري هل كان وهسوذان مريضاً خلال المدة من تولي ابنه مملان الحكم في سنة ٤٥٠هـ الى وفاته في سنة ٤٥١هـ، بحيث اقعه المرض عن ادارة شؤون امارته فتولاه ابنه ام انه كان خلالها سجيناً أو ربّما اسيراً؟.

من الغريب ان الشاعر قطران لم يذكر وفاة الامير وهسوذان ولم يرثه في شعره، على الرغم من انه عاش بعده بسنوات عدة - توفي قطران سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م، ونظم القصائد العديدة في مدح ابنائه ولكن توجد اشارات في اشعاره، الى الحوادث التي وقعت في عهده، ولكن ماهي حقيقة هذه الحوادث وكيفية وقوعها، فأنها غير واضحة، وكل ما ذكره الشاعر ان وهسوذان كان له ملوك اعداء، نال منهم العذاب والشقاء وجرت بينه وبينهم معارك عديدة^٢.

ومما يجدر ذكره هنا، انه حدث في عهده وفي سنة ٤٤٩هـ/١٠٥٧م، ان طاعونا اجتاحت اذربيجان وغيرها من الاقاليم، لم يسلم منه الا العدد القليل^٣.

٦. ابو نصر مملان:

كان لوھسوذان ثلاثة اولاد: ابو نصر محمد (مملان) وابو الهيجاء منوچهر وابو القاسم عبدالله. وكان الشاعر قطران، قد نظم قصائد عدّة في مملان ومنوچهر، وفي عبدالله قصيدة واحدة فقط، وذكره في بعض ابیات اشعاره^٤. وكان يعتمد وهسوذان على ابنه الاكبر مملان اكثر من ولديه الآخرين، فكان معاونه وموكلاً لاهم اعماله، كما كان يعهد اليه بقيادة الجيش، كما رأينا عندما ارسل وهسوذان جيشاً لمقاتلة اصبهبذ موغان.

معلوماتنا عن مملان قليلة جداً، فلم يذكر ابن الاثير عنه شيئاً سوى قوله بان السلطان طغرل قد اقره على ولاية ابيه لاذربيجان سنة ٤٥٠هـ، كما مرّ بنا.

^١ Minorsky, Studies in Caucasian, P. ١٦٨.

^٢ اورد له كسروي قصيدتين، ينظر: شهریاران گمنام ٢/٢١٢-٢١٤؛ وينظر: ديوان قطران التبريزي، ص ١٤ وما بعدها.

^٣ ابن الجوزي، المنتظم ٨/١٨٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، طبعة القاهرة، ٦١/٥.

^٤ شهریاران ٢/٢١٤.

وكان الغز السلاجقة بقيادة السلطان طغرل بك قد اغاروا على اذربيجان، فخرّبوا المدن وسلبوا ونهبوا وانتشرت المجاعة بينهم. وكان السلطان قد حاصر تبريز - حاضرة الامير مملان بن وهسودان - مدة من الزمن، ولكنه ترك حصارها في شهر شعبان من سنة ٤٥٢هـ/ ايلول ١٠٦٠م، الى ان ينتهي الشتاء وتنحسر الثلوج، عندها يعاود محاصرتها، غير انه لم يفعل نظراً لما كان يعانيه جيشه من التعب لكثرة الاسفار مع قلة التموين^١.

لانعلم السبب الذي دعا طغرل الى توجيهه الجيوش لمقاتلة الامير مملان، ولعل ذلك - كما يبدو لنا - يعود الى امتناع مملان من دفع الضريبة السنوية اليه، بعد توليه الامارة وكان طغرل قد فرض على والده - كما علمنا - دفع ضريبة سنوية له.

عاود السلطان طغرل التوجّه الى تبريز في سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م عندئذ سافر مملان الى بغداد ليشكو عند الخليفة القائم بأمر الله مما فعله الغز السلاجقة في اذربيجان، فوجهت الرسائل الى السلطان طغرل من ديوان الخلافة تطلب منه الامتناع من الحاق الاذى والتخريب بالبلاد. ولكن هذه الرسائل لم تمنع من توغّلهم^٢، فاضطر الامير ابو نصر محمد بن وهسودان^٣، ان يحضر الى السلطان مستسلماً اليه في تلك السنة - اعني سنة ٤٥٤هـ - ففرض هذا عليه ضريبة باهظة، لم يتمكن من دفعها بأجمعها، فدفع اكثرها، وسلّم ولده اليه رهينة على باقيها، فترك السلطان تبريز وانتقل منها الى مدينة نقيجوان^٤.

تظهر قصائد قطران انه جرت للامير مملان معركة مع عدو له، انتصر فيها مملان، ولكننا لا نعلم متى حدثت هذه المعركة، هل كانت في عهد وهسودان، ام انها كانت بعد وفاته؟ وتوجد اشارة في قصيدة اخرى لقطران تشير الى خوض مملان حرباً مع الارمن والروم، وفيها يطلق الشاعر عليه لقب: شاهنشاه، -اي ملك الملوك- و"سرياد شاهان"،

^١ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، طبعة علي سويم، انقره، ١٩٦٨، ص ٧٤-٧٥.

^٢ Minorsky, Op. Cit., P. ١٦٨.

وذلك نقلاً عن تأريخ الباب والابواب

^٣ جاء في مرآة الزمان، طبعة انقره، ص ٩٤، انه كان يعرف بمملان الرازي، ولعل كلمة الرازي من اخطاء الناسخ، وهي تحريف لكلمة: الروادي.

^٤ مرآة الزمان، ص ٩٤.

-اي رأس ملك الملوك-. لانعلم تأريخ هذه القصيدة ولكن من اطلاق اللقيين: شاهنشاه و سرياد شاهان، عليه نعلم انها قيلت بعد موت والده وهسودان^١.
ويظهر في بيت للشاعر المذكور ان مملان، كان يقول الشعر، وفي اشعار قطران الاخرى مايشير الى انه كان له ولد، لعل هو الذي سلمه مملان الى طغرل رهينة سنة ٤٥٤هـ^٢.
وبقى مملان حاكماً على اذربيجان حتى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م^٣.

٧. ابو الهيجاء منوچهر:

هو الابن الثاني لوهرسودان. لم نجد له ذكراً في تواريخ السلاجقة، لذا بقي امره مجهولاً لدينا. الا ان قطران نظم خمس قصائد في مدحه، يفهم منها انه لم يتول حكم اذربيجان، فقد كان منوچهر في خراسان ورجع منها الى اذربيجان، مؤملاً ان يكون اميراً عليها، ورغم محاولاته لم يستطع ان يتولاها، لان رقيباً وحاسداً كان يقف في طريقه^٤، ولايعلم متى رجع الى اذربيجان، ومن هو العدو والحاسد له، هل كان مملان اخاه ام شخصاً غيره؟

ويبدو ان منوچهر هو الذي جعله وهسودان رهينة لدى طغرل بك، عندما كان في اذربيجان سنة ٤٤٦هـ -كما مرّ بنا- لانه حسب قول قطران، لم يكن في اذربيجان، ولما رجع اليها كان يحاول ان يتولى الحكم.
اكتنف تأريخ اذربيجان الغموض في بداية العصر السلجوقي فلم تذكر اذربيجان وحوادثها في كتب التاريخ او غيرها -حتى الى وقت متأخر- عدا بعض النتف النادرة والتي لاتجلي لنا غوامض تلك الحقبة.

^١ شهريران ٢/٢١٥-٢١٦.

مدح قطران مملان ووالده وهسودان في قصيدة بقوله:

نه هيچ كس پسرى همجو مير مملان ديد نه ديد كس پدرى همجو مير وهسودان (ن.م ٢١٦).

اي: لم ير شخص قط ابناً كالامير مملان

وكذلك لم ير شخص اباً مثل الامير وهسودان

^٢ شهريران ٢/٢١٦.

^٣ Minorsky, Op. Cit, P. ١٦٩.

^٤ شهريران ٢/٢١٦-٢١٨.

٨. ابو القاسم عبدالله:

لم تتحدث عنه كتب التاريخ، عدا قطران الذي ذكره في قصيدتين، وذكر كاملاً وهو "الامير ابو القاسم عبدالله بن وهسودان"، وتناول الشاعر في القصيدة الثانية مجلس الطرب الذي اقامه مملان - وحضره قطران - وفيها يمدح الامير عبدالله وابا المعمر الكنجي - وهو احد مقربي الامير ابي الحسن الشدادي، امير اران -، ولكنه لانعلم سبب مجئ ابي المعمر هذا الى تبريز، وما سبب اقامة مجلس الطرب المذكور؟ ويبدو من القصيدة ايضاً ان الامير عبدالله كان قد رجع تَوّاً من سفرة^١.

لم تذكر المصادر -بعد ذلك- هذه الاسرة، ولكن صاحب تأريخ الباب والابواب يذكر انه بعد رجوع السلطان الپ ارسلان^٢ - تولى السلطنة سنة ٤٥٦هـ - من معركته التي انتصر فيها على الروم سنة ٤٦٣-١٠٧٠م، سجن مملان واولاده^٣، وبذلك انتهى حكم بني الرواد في اذربيجان، حيث استمر حكمهم لمدة تزيد على ١٢٥ سنة (٣٣٧-٤٦٣).

ابو دلف، امير نقجوان:

كان هذا الامير معاصراً لويسودان ولديه: ابي الهيجاء منوچهر، والامير مملان ليست لدينا معلومات عن اسمه الكامل وتأريخه ومايتعلق باسرتة، عدا ان الشاعرين اسدي الطوسي^٤ وقطران الازدي التبريزي، قد امدانا بمعلومات قليلة عنه وعن اسماء اخيه ووالده وابنه، كما وافتنا كتب التواريخ الارمنية بذكر بعض اعماله.

كان ابو دلف، عربياً من بني شيبان، فقد اطلق عليه الاسدي لقب العربي، والشيباني، وانه من نسب النبي ابراهيم^٥. وتؤكد الكتابات الارمنية نسبه العربي

^١ كسروي ٢١٩/٢-٢٢٠.

^٢ الپ ارسلان، وهو اسم تركي، معناه: الاسد الشجاع وارسلان: اسد على عادة الاتراك في تقديم الصفة على الموصوف، وفيات الاعيان ٧١/٥.

^٣ Minorskry, Op. Cit, P. ١٦٩.

^٤ وهو حكيم ابو نصر علي بن احمد الاسدي الطوسي، ولد في اواخر القرن الرابع او اوائل القرن الخامس الهجري، وتوفي كما يذكر هدايت في مجمع الفصحاء، في سنة ٤٦٥هـ، واقام في اواخر حياته في نقجوان حيث كان اميرها يشجع الادب والشعر. د. ذبيح الله صفا، تأريخ ادبيات ايران ٢٥٥/١-٢٥٦.

^٥ شهر ياران ٢٢١/٢؛ د. ذبيح الله صفا؛ ن.م. ٢٥٥-٢٥٦.

هذا^١. ويطلق اسدي على والده اسم "صفر" وعلى ابنه محمود وعلي اخيه ابراهيم، ولكننا -حسب قول كسروي- ليست لدينا اية معلومات عنهم^٢.

ويظهر لنا من اشعار قطران، ان ابا دلف كان في الحكم في اواخر عهد الامير وهسودان (ت سنة ٤٥١هـ)، وكانت العلاقات بين هذين الحاكمين، يسودها التعاطف، فكنا يعضدان بعضهما في مقاتلة الاعداء، اذ ارسل ابو دلف جيشه على عجل لمساعدة وهسودان في قتاله مع اعدائه، وعندما هاجم الروم والگرج والارمن المدن الاسلامية رأى وهسودان وابو دلف ان يتصالحا مع عدو وهسودان المسلم والمندحر دون ان يذكر قطران اسمه - ويتحالفهم استطاعوا رد هجوم هؤلاء الاعداء^٣.

ومما يجدر ذكره هنا، ان ابن الاثير ذكر، ان ملكشاه بن السلطان الب ارسلان السلجوقي سلم الى امير نقجوان، في سنة ٤٥٦هـ/١٩٦٤م، قلاع عدة، كان قد استولى عليها في قتاله مع الروم^٤، دون ان يذكر اسم هذا الامير، ولكن يحتمل كثيراً ان يقصد به الامير ابا دلف، دون ان يذكر اسم هذا الامير، ولكن يحتمل كثيراً ان يقصد به الامير ابا دلف، الذي كان في الحكم اثناء تلك السنة، لاسيما ان الشاعر اسدي نظم ملحمة "كرشاسب نامه"^٥، في سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م، يأمر من ابي دلف ووزيره محمد بن اسماعيل حصني واخيه ابراهيم، كما يذكر اسدي^٦، ومن ذلك يظهر لنا ان ابا دلف كان حياً في تلك السنة.

وتظهر اشعار قطران ان الشاعر كان يعيش في بلاط ابي دلف قبل ان يرتبط ببلاط وهسودان، وانه اراد الرجوع من نخجوان الى تبريز^٧.

^١ شهر ياران ٢/٢٢١.

^٢ ن.م ٢/٢٢١.

^٣ شهر ياران ٢/٢٢١-٢٢٢.

^٤ الكامل ٣٨/١٠ (حواش سنة ٤٥٦هـ).

^٥ ذكر كسروي ٢٥ بيتاً من اشعار الملحمة ٢/صص ٢٢٤-٢٢٥.

^٦ شهر ياران ٢/٢٢٠، ٢٢٣.

^٧ ن.م ٢/٢٢٣.





www.zheen.org

الفصل الثاني

الأحمديلية

(٥٠١-٦٢٤هـ/١١٠٧-١٢٢٧م)

احوال أذربيجان من دخول السلطان طغرل بك

لها حتى نشوء الامارة الاحمديلية (٤٤٦-٥٠١هـ):

لم تذكر المصادر التاريخية -الا قليلاً جداً- من احداث أذربيجان وحكامها، في الخمسين سنة التي أعقبت دخول السلطان طغرل بك اليها سنة (٤٤٦هـ/١٠٥٤م)، ويعود ذلك الى تماسك دولة السلاجقة في اوائل تكوينها، ولاسيما في زمن السلاجقة العظام: طُغُرْلُ وألپ ارسلان وملكشاه وسُنْجُرْ، فلم يكن لحكام أذربيجان المحليين التأثير والنفوذ في تسيير شؤون الاقليم، بل كانوا خاضعين خضوعاً مباشراً لسيطرة السلاجقة القوية، لذلك كان الامن والاستقرار سائدين -الى حد ما- في أذربيجان، عدا الحروب التي نشأت بين افراد البيت السلجوقي للاستحواذ على السلطة والنفوذ، في أواخر القرن الخامس الهجري، تلك الحروب التي نشبت بين تُشْشُ بن أُلپ ارسلان وبركياروق ابن أخيه، وانتهت بمصرع تُشْشُ سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م، بعد ان سيطر على أذربيجان في السنة السابقة على قتله. ثم جرت معارك عديدة بين السلطان محمد بن ملكشاه واخيه بركياروق خلال السنوات (٤٩٣-٤٩٧هـ/١١٠٠-١١٠٣م)، انتهت بالاتفاق على ان تكون الاقاليم الشمالية -ومنها أذربيجان- من نصيب محمد والاقاليم الجنوبية من حصة بركياروق. لكن هذه الدولة تجزأت منذ عهد السلطان بركياروق -الذي توفي سنة ٤٩٨هـ/١١٠٤م- وصار كل جزء منها يتبع والياً يكاد يكون مستقلاً، نتيجة للضعف والتفكك^١.

^١ سمّوا بالسلاجقة العظام، لان الدولة السلجوقية كانت اجزاؤها في عهدهم تخضع لنفوذ سلطان واحد وغير ممزقة الاوصال، وبموت السلطان سنجر انقرضت دولة السلاجقة العظام نهائياً. ينظر: د. عبدالنعم محمد حسنين، نظامي الكنجوي، طبعة مصر، ١٩٥٤، ص ١٩-٢٠.

^٢ لمزيد من المعلومات عن الحروب التي نشبت بين سلاطين السلاجقة. ينظر:

اقتسم أذربيجان عدد من الأمراء في أواخر القرن الخامس ومطلع القرن السادس، وقد نظم الشاعر قطران الأزدی التبریزی، أكثر من ثلاثين قصيدة في مدح الأمير (أبو الخليل جعفر)، الذي حكم أذربيجان، وجرت بينه وبين الكرج والارمن معارك عديدة، وسار مع جيشه الى حضرة السلطان السلجوقي ملكشاه^١. وأما كتب التأريخ، فقد اغفلت ذكر اسم هذا الأمير وأعماله، وهنا يظهر لنا مدى النقص الذي نعانيه منه في ذكر وقائع الاقليم واحداثه.

يذكر ابن الاثير من امراء أذربيجان: اسماعيل بن ياقوتي بن داود، خال بركياروق وابن عم ملكشاه، ويبدو انه منح هذه الامارة من قبل ألب أرسلان او ملكشاه، وكانت ترکان خاتون- زوجة ملك شاه- قد ارسلت بعد موت زوجها، تحرضه على قتال بركياروق، بعد ان وعدته بالزواج منه، فأستجاب لمطلبها، وجمع عدداً كبيراً من التركمان وغيرهم غير انه انهزم هو وجيشه، ثم القي القبض عليه وقتل في سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م^٢. ثم آل حكم "طائفة من اعمال أذربيجان" الى ابنه مودود غير انه توفي في سنة ٤٩٦هـ/١١٠٣م^٣.

وكان قوام الدولة كربوقا -احد قواد السلطان بركياروق- قد استولى على اكثر أذربيجان في عام ٤٩٤هـ/١١٠١م، الا انه توفي في خوى في العام التالي^٤، وعندما تصالح

ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، طبعة بيروت، ١٩٠٨، ص١٤٧؛ المنتظم ١٠٩/٩، ١٣١، ١٣٤؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، طبعة ١٩٣٣، ص٧٨؛ العماد الكاتب الاصفهاني، تواريخ آل سلجوق، اختصار البنداري، ٨٥؛ ابن الاثير ٢٢٢/١٠، ٢٢٣، ٣٣١، ٣٥٩-٣٦١، ٣٦٩-٣٧٠؛ ابن خلكان، ٢٦٤/١؛ الذهبي، دول الاسلام ١٥/٢، ٢٤، العبر ٣/٣، ٣١٠-٣٢، ٣٤-٣٦؛ د. عبدالنعيم محمد حسنين، سلاجقة ايران والعراق، طبعة ١٩٧٠، ص٨٥-٨٨، ٩٤-٩٥؛ د. احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، طبعة ١٩٧٥، ص٥١.

^١ كسروي، شهریاران گمنام ٢٢٨/٢.

^٢ الراوندي، راحة الصدور ١٤١-١٤٢؛ ابن الاثير ٢٢٤/١؛ ابن خلدون ٩٩٦/٣، ٣٠/٥، (طبعة بيروت، ١٩٥٧)، د. احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ٤٧.

^٣ ابن الاثير ٣٦٠/١٠؛ ابن خلدون ١٠١٨/٣.

^٤ ابن الاثير ٣٤٢/١٠.

الاخوان السلطان بركياروق والسلطان محمد، كانت تبريز من نصيب محمد، فعين هذا سعد الملك وزيراً عليها سنة ٤٩٨هـ/١١٠٥م.^١

ووصف فلك الدين، ابا شجاع محمد الديلمي، وقيل هو تركي الاصل، في سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، بـ((صاحب سراه وميانج))^٢ وهما مدينتان في أذربيجان، ويبدو ان السلطان محمد قد اقطعها لفلك الدين نظير خدماته التي قدمها للسلطان في معاركه بالعراق. وكان سلاطين السلاجقة يوزعون الاقطاعات على الامراء والقواد الذين كانوا يقدمون الخدمات والمساعدات لهم، وكانت هذه الاقطاعات تدر مبالغ كبيرة، فقد بني الامير محمد بن باغي سيان، المتوفى سنة ٥٠١هـ مدارس عدة في أنطاكية من اقطاعه بأذربيجان.^٣

توغل القبائل التركمانية في أذربيجان:

بعد مجيئ طغرل بك الى الاقليم سنة ٤٤٦هـ، ازداد توغل القبائل التركمانية في الاقليم وبأعداد كبيرة، مما غيّر من الواقع السكاني لأذربيجان، فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، انه عندما كان السلطان ألب ارسلان في مدينة مرند بأذربيجان جاءه امير من امراء التركمان اسمه طغديكين "ومعه من عشيرته خلق كثير"^٤. ويذكر قطران في قصائده الاذى والتعسف والخراب الذي كان يلحقه هؤلاء باهالي البلاد، اضافة الى انهم كانوا يختارون الاماكن التي تعجبهم فيقيمون فيها، ويبداون بالضغط على السكان المحليين، الى درجة انهم لم يعد بإمكانهم مزاوله الزراعة من كثرة اذائهم، فأخذوا يتدمرون منهم ومن اعمالهم.^٥

^١ ابن الاثير ٣٨٣/١٠؛ ابن خلدون ١٠١٨/٣؛ مينورسكي، مادة تبريز، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، ٥٤٢/٤.

^٢ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب، ج ٤، ق ٣، ص ٥١٥.

^٣ ابن الاثير ٢٨١/١٠، ٤٤٥.

^٤ الكامل ٣٧/١٠.

^٥ شهرياران گمنام ٢٢٩/٢.

أمراء الاحمديلية:

١. الامير احمديل^١ بن ابراهيم بن وهسوذان الروادي الكردي:

ذكر ابن الاثير نسبه وسماءه: ((احمديل بن ابراهيم بن وهسوذان الروادي الكردي صاحب مراغه وغيرها من اذربيجان))^٢، وهذا يدل على، انه ينتمي الى السلالة الروادية الكردية الهذبانية، التي كانت قد حكمت اذربيجان واتخذت من تبريز حاضرة لها، -وقد تناولناها بالتفصيل في الفصل السابق -ورواية ابن الاثير بانتساب الامير احمديل الى الرواديين الكردي، يعتمد عليها نظراً لموقع مؤرخنا كواحد من المؤرخين الثقات، لاسيما انه قريب عهد لتأريخ حكم هذه الاسرة، وللايوبيين الذين ينتمون في الاصل الى الاسرة الروادية نفسها، وكانت الهذبانية -الروادية بطن منها- مازال في ايامه تسكن اطراف الموصل -وابن الاثير عاش في الموصل لمدة طويلة والف كتابيه: الكامل والباهر فيها-.

ليست لدينا معلومات عن والد احمديل، ولكن يسترعي انتباهنا اسم جده: وهسوذان، وقد يكون هو الامير ابو منصور وهسوذان بن مملان الروادي، احد امراء الامارة الروادية الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق^٣، وقد ذكر قطران الشاعر اسماء ثلاثة من اولاده فقط، هم: ابو منصور مملان وابو الهيجاء منوچهر و ابو القاسم عبدالله، ولم يذكر ان له ابناً باسم: ابراهيم، وكان ابن الاثير قد ذكر ان الامير وهسوذان كان قد وضع ابنه رهينة لدى طغرل عندما توجه هذا الى اذربيجان سنة ٤٤٦هـ، وهنا يتبادر الى الذهن سؤال وهو: من كان الرهينة من اولاده؟ اننا رجحنا في الفصل السابق ان تكون الرهينة هو ابو الهيجاء منوچهر، غير ان المصادر لاتمكننا ان نعطي رأياً جازماً حول ما اذا كان وهسوذان جد الامير احمديل هو نفسه الامير ابو منصور وهسوذان ام هو غيره؟ ولا تمدنا باية معلومات عن ابراهيم والد احمديل ولا عن جده

^١ يبدو ان الاسم: "احمديل" قد دخلت تركيبه لاحقة التصغير الايرانية (الكردي): ايل، وهذه شائعة في المناطق الكردية من اذربيجان.

^٢ الكامل ٥١٦/١٠ حوادث سنة ٥١٠هـ.

^٣ صص ١٠٩-١١٠.

وهسودان، لذلك من غير الصواب ان نقول ان الامارة الاحمديلية هي امتداد للامارة الروادية السابق ذكرها، كما توهم بعض مؤرخينا^١.

ورد اسم الامير "احمديل" لأول مرة في حوادث سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، ويبدو انه كان في طاعة السلطان محمد بن ملكشاه، وشارك السلطان في معاركه فكان يرسل جيوشه اليه، كلما طلب منه العون والمساعدة، ومقابل ذلك اقطعه مراغة وغيرها من بلاد اذربيجان، ولما استجار سرخاب الديلمي -صاحب ساوه- بالامير صدقة بن مزيد- صاحب الحلة- خوفاً من السلطان محمد، طلب هذا من الامير صدقة تسليمه، فلم يستجب لطلبه، فأرسل اليه السلطان جيشاً مكوناً من عساكر الامير احمديل وجماعة من الامراء، اما جيش صدقة فقد اشترك فيه بنو خفاجة وجماعة من الكرد، وجرت معركة بين الطرفين، اسفرت عن قتل صدقة واسر سرخاب الديلمي^٢.

واشترك الامير احمديل، ايضاً، بجيش ضخم في الحملة التي جهزها السلطان محمد بن ملكشاه على الصليبيين سنة ٥٠٥هـ/١١١م، واثناء الحصار الذي فرض على تل باشر^٣، عقد صاحبها جوسلين مع احمديل اتفاقاً يقضي بسحب جيشه- الذي يكون الاكثرية في الجيوش المحاصرة- مقابل مال وهدايا، وتحالف معه، فانسحب احمديل من البلدة المحاصرة، واستنكر عمله هذا، بقية الامراء، وصادف ان مرض الامير قطب الدين سكرمان القطبي^٤، صاحب ارمينية وخلاط ودياربكر- وكان قد شارك في الحملة ايضاً بجيش-، ثم توفي، فأراد احمديل العودة والتوجه الى السلطان والطلب منه ان يقطعه ما كان لسكرمان من البلاد، وكان سكرمان قد اخضع تبريز لحكمه بعد

^١ كمحمد امين زكي في كتابه، تأريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي، الترجمة العربية، ١٩٤٨، ج٢/٤٨، ٥٦؛ وحسين حزني الموكرياني في كتابه: كوردستاني موكريان يا اتروپاتين، باللغة الكردية، طبعة ١٩٣٨، ج١/٣١٢.

^٢ سبط ابن الجوزي، مراة الزمان، طبعة حيدر اباد الدكن، ١٩٥١، ج٨، ق١ ص٢٧.

^٣ تل باشر: ((قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب، واهلها نصارى ارمن))، معجم البلدان ٨٦٤/١.

^٤ سكرمان القطبي، هو مؤسس اسرة شاه ارمن التي حكمت خلاط ودياربكر من سنة ٤٩٣ هـ حتى سنة ٦٠٤ هـ.

موت صاحبها مودود بن اسماعيل بن ياقوتي سنة ٤٩٦هـ، وتربطه باحمديل صلة المصاهرة، حيث انه زوّج بنته لاحمديل^١.

ويبدو ان الجيوش المحاصرة لتلّ باشر لم تكن لديها العزيمة على مواصلة الحصار، فكان الخلاف قد وقع بينها لمرض الامير برسق بن برسق صاحب همذان، الذي كان يُحمل في محفة، اضافة الى مرض سكمان، لذلك لم يجد الاتابك طغتكين في المهاجمين، والذي وصلهم من دمشق بطلب من السلطان: ((عزيمة صادقة في جهاد ولا حماية بلاد)) على حد قول ابن القلانسي^٢.

ذكر ابن العديم ان الملك رضوان صاحب حلب، استنجد بهذه الجيوش لانقاذه من الصليبيين، فكتب الى الامير مودود صاحب الموصل والى احمديل وغيرهما بـ((اني قد تلفتُ واريد الخروج من حلب فبادروا الى الرحيل))، فرحلوا الى حلب^٣. وهكذا تخلّى احمديل عن مواصلة الحصار، لاسبب مهادنته مع جوسلين فقط، وانما للعوامل الاخرى التي ذكرناها والتي مهّدت امامه لتثبيط عزمته على مواصلة الحصار ومن ثم قبوله للعرض الذي قدّمه اليه جوسلين بالانسحاب.

لم يذكر لنا المؤرخون بعد ذلك ما اذا كان السلطان قد اقطعه تبريز وما حولها التي كانت بحوزة سكمان المتوفي؟ ام انه اعطاها لشخص غيره؟ يبدو ان الامير احمديل كان ذا نفوذ واسع، له جيش ضخم وارض واسعة تدر عليه دخلاً كبيراً، حيث مكّنه من ان يحشد خمسة الاف فارس، وكان دخله من اقطاعه اربعمئة الف دينار لكل سنة، وكان جواداً شجاعاً^٤.

^١ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ١٧٤؛ ابن الاثير ٤٨٧/١٠؛ ابن العديم، زبدة الحلب، طبعة ١٩٥٤، ١٥٩/٢، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٣٦؛ الكتبي عيون التواريخ، طبعة ١٩٧٧، ج ١٢، ص ١، تاريخ ابن خلدون، ٤١/٥.

^٢ ذيل تاريخ دمشق، ١٧٦.

^٣ زبدة الحلب ١٥٩/٢.

^٤ ابن الجوزي، المنتظم ١٨٥/٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، طبعة ١٩٧١، ج ٣٠٣/٨؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١/٥٣٠؛ الذهبي، العبر ١٥/٤.

مقتله:

ذكرت المصادر كيفية قتل الامير احمديل، فقد كان الاتابك طُغتكين صاحب دمشق، في دار السلطان محمد بن ملكشاه في بغداد، وكان يجلس الى جانبه الامير احمديل، فجاءه رجل باكياً متظلماً ويبيده رقعة، ملتمساً من احمديل ان يوصلها الى السلطان، وما ان تناول منه الرقعة حتى طعنه بسكين، ولكن الامير استطاع قتله، فتقدم اليه آخر وطعن الامير، وظهر ثالث قطعنه طعنة قاضية فخر صريعاً، مع "وجاهته وتزايد حشمته ووفور عُدته" كما يقول ابن القلانسي^١، وكان القتل من الاسماعيلية (الباطنية)^٢، حيث كان احمديل قد الحق بهم ضرراً كبيراً، ويبدو ان الامير كانت له مكانة كبيرة عند الناس، حيث انهم بكوه كثيراً عندما سمعوا بمقتله، واثنى عليه سبط بن الجوزي، بقوله: انه ((كان شجاعاً جواداً))^٣، ووصف انه ((كان اقرب الامراء الى السلطان محمد وارقاهم منزلة عنده))^٤.

اختلف المؤرخون في تحديد سنة قتله^٥، اننا نرجح سنة ٥١٠هـ/١١١٧م، تاريخاً لذلك، لان معظم المؤرخين الذين حددوا هذا التاريخ لقتله، هم من المعاصرين او من

^١ ذيل تأريخ دمشق ١٩٨.

^٢ يقول ابن خلدون عن اختلاف تسميات هذه الجماعة واسباب ذلك، ان ((الباطنية قد ظهوروا في العراق وفارس وخراسان، وسموا بالباطنية والاسماعيلية والملاحدة والفداوية، وكل اسم منها باعتبار: فالباطنية لانهم يبطنون دعوتهم، والاسماعيلية لانتساب دعوتهم في اصلها لاسماعيل الامام بن جعفر الصادق (ع)، والملاحدة لان بدعتهم كلها الحاد، والفداوية: لانهم يفدون انفسهم بالمال على قتل من يسلطون.. ثم نشأ هؤلاء بالمشرق ايام ملك شاه، فأول ماظهروا بأصبهان.. واستولوا على القلاع ببلاد العجم)). العبر ٥٥/٥، (طبعة ١٩٥٧م).

^٣ مرة الزمان، ج ٨، ق ٥٣؛ الذهبي، العبر، ١٥/٤، الصفدي الوافي بالوفيات، ج ٨، ص ٣٠٣.

^٤ الاشرف الغساني، العسد المسبوك، مخطوطة، و٤٦، ب.

^٥ عن مقتله، ينظر: علاوة الى ما ذكر، المنتظم ١٨٥/٩، مجمل التواريخ والقصص، لمؤلف مجهول (بالفارسية)، ص ٤١١؛ ابن الاثير ٥١٦/١٠؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٠٤/٨؛ الكتبي، عيون التواريخ ٦٤/١٢؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، طبعة القاهرة ٢١٨/٥؛ ذيل ابن القلانسي ١٧٤؛ عبر الذهبي ١٥/٤؛ شذرات الذهب ٢١/٤. وعن معادات احمديل للاسماعيلية التي كانت سبباً في قتله، فقد أتى على ذكرها ايضاً: الكاشاني، زبدة التواريخ (بالفارسية)، ص ١٦٢، ١٧١؛ ابن ابي الهيجاء، تأريخه، طبع مع تأريخ القضاء، تحقيق احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢١٦.

القرييين لعهد الامير احمديل كأبن القلانسي (ت ٥٥٥هـ)، وابن الجوزي (ت ٥٧٠هـ)، وابن الاثير (ت ٦٣٠هـ).

٢. آق سنقر الاحمديلي^١:

كان احمديل -كما رأينا- من الاسرة الروادية الكرديّة اما خلفاءه فهم من المماليك الاتراك، وقد خلفه احمد مماليكه ويسمى "آق سنقر الاحمديلي" ولُقّب بالاحمديلي نسبة الى سيّده احمديل، وهو ليس بأبن له^٢، فقد جاء في نص للنيشابوري^٣ ان ((آق سنقر أتابك مراغه واذربيجان كان غلاماً لآحمديلي بن ابراهيم وهسوزان حاكم اذربيجان وعندما قتل احمديلي، تولّى آق سنقر تدبير أمر مراغه وتبريز)). وهكذا يتضح ان آق سنقر -إضافة الى اسمه التركي- كان من الغلمان الاتراك، كما ان تلقيبه بـ"الاتابك" يؤكد نسبة التركي، فالسلطين السلاجقة -خلال حقبة البحث- لم يكونوا يمنحون هذا اللقب إلا للماليك الاتراك -باستثناء وزير ملكشاه: نظام الملك (٤٦٥هـ-٤٨٥هـ)، وكان اول من لقب بهذا اللقب^٤، حيث كان السلطين يعتمدون على وفائهم لهم، وقد ربّوا ونشأوا في البلاط على مقربة من سلطين السلاجقة^٥، وكان هؤلاء يجلبون وهم صغار السن من بلاد القفجاق^٦، ثم يربون تربية خاصة وصفها الوزير نظام الملك في كتابه: "سياسة نامه" ارشاداً للحكام السلاجقة^٧.

^١ يرى فامبري (تأريخ بخارى /١٣٩)، ان الكلمة آق سنقر يجب ان ترسم على شكل آقسنقر او آقشنقر، على الاصح وتعني بالتركية: الصقر الابيض.

^٢ توهم كل من "هيوار Cl. Huart" وكسروي بأن آق سنقر الاحمديلي هو امير كردي خلف أباه احمديل على اماره مراغه (دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة العربية القديمة، مادة آق سنقر الاحمديلي ٤٧١/٢، شهر ياران كُمنام ٢٢٢/٢).

^٣ سلجوقنامه (باللغة الفارسية)، ص ٧٦.

^٤ صبح الاعشى ١٨/٤.

^٥ Lane-poole, Saladin, P. ٩-١٥.

^٦ بلاد القفجاق او القبجاق او القبشاق: الكلمة چركسيه الاصل معربة من "كپچك Kipchik" بمعنى النازح من سفح الجبل، واعتبر الكشغري، قفجاق من القبائل التركية التي تكون بحذاء الروم ممتدة الى الشرق (ديوان لغات الترك ٢٧-٢٨) وكانت تقطن صحراء واسعة تسمى بأسمها (دشت قيجق) تقع شمال جبال القوقاز بين بحر بنطش (بونتوس او كسينوس Pont. Euxin: الاسود، وبحر الخزر حتى

هذا وانفرد صاحب تلخيص مجمع الاداب باطلاق لقب "الامير ابن المظفر الاحمديلي" على آق سنقر^٢.

نشبت الصراعات بين أبناء السلطان محمد بن ملكشاه المتوفى سنة ٥١١هـ/١١١٧-١١١٨م، وهم: طغرل، ومسعود وسلجوق ومحمود- وكان كل واحد منهم يطمع في ان تكون السلطنة له-، وانحاز آق سنقر الى السلطان محمود- الذي كان السلطان سنجر قد ولّاه العراق- واصبح من اتباعه، وصحب السلطان محمود في اكثر حركاته، فمنحه ما كان لسيّده، احمديل -بعد مقتله- من اقطاع في مراغه وتبريز وغيرها من اراضي اذربيجان، وكان السلطان محمود قد اقطع اذربيجان في سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م أخاه الملك مسعود، ويبدو ان مسعوداً قد انتزع مراغه من آق سنقر ومنحها اقطاعاً لاتابكة السابق قسيم الدولة البرسقي^٣.

كان الامير آقسنقر في بغداد ٥١٦هـ/١١٢٢م، عند السلطان محمود، فلما علم بموت كنتغدي، اتابك الملك طغرل (أخو السلطان محمود الاصغر) -وكان اتابكاً لاذربيجان- استأذن من السلطان محمود الذهاب الى اقطاعه في مراغه، فأذن له بذلك، وكان آقسنقر يرمي الى ان يحل محل الاتابك كنتغدي لدى طغرل وان يستولي على ماكان بيده من اقطاع في بلاد اذربيجان، فوصل الى طغرل- وكان هذا قد شق عصا الطاعة على اخيه السلطان محمود- وحرّض طغرل على المسير الى مراغة، وامّده آقسنقر بجيش مكوّن من عشرة الاف فارس وراجل، فتحرّكا مع الجيش الى أردبيل، ولما وصلا اليها، أقفل اهلها ابواب السور بوجههما ومنعهما من الدخول اليها، فتركاهما وسارا نحو تبريز، وهنا وصلهما خبراً بان السلطان محمود وجّه الامير جيوش بك -امير جيوش الموصل- الى اذربيجان وانه منحه اقطاعها، فوصل هذا الى مراغه مع

نهري الفولكا في الجنوب الشرقي من روسيا الحالية. والقبحاق، قبائل بدوية متنقلة وكانت بلادهم
فرضة عظيمة للتجارة وقيق الترك. يراجع:

القلقشندي، صبح الاعشى، ٤/٥٥٨؛ يوسف عزت باشا، تاريخ القوقاز، تعريب عبدالحميد غالب بك،
طبعة ١٩٣٣، ص ١٠٢٢، ٤٦٦، ١٩٢٧، Vol. ١١، El,

^١ Schefer, Siaset nameh, Par Nism Oul-Mulk, P. ١٣٨-١٤١.

^٢ ابن الفوطي، ج ٤ ق ١٧٣/١.

^٣ ابن الاثير ١٠/٥٦٢-٥٦٤.

جيش كثيف، فغير طغرل وآق سنقر -مرة أخرى- اتجاه جيشهما وتوجّها نحو خونج (خونا) الواقعة جنوبي أذربيجان، وراسلوا -من هناك- الأمير انوشتكين شيركير^١ صاحب ابهرورنجان يطلبون نجده، فأستجاب إلى طلبهما وسارا معه إلى أبهر، ولكنهم عندما ايقنوا بعدم استطاعتهم مواجهة جيش السلطان محمود الذي كان مع جيوش بك، رجعوا وأعلنوا طاعتهم للسلطان، فقبل منهم السلطان محمود طاعتهم وتصالحو، وهكذا فشل آق سنقر فيما كان يبتغيه من استمالة طغرل والخروج عن السلطان محمود، وهو الاستيلاء على ماكان بيد كنتغدي من اقطاع في أذربيجان^٢.

وردت في التأريخ الاخباري الغرجي في حوادث عام ٥١٦هـ/١١٢٢م، هزيمة أتابك^٣ أران أغسنغل "آق سنقر" الذي كان قد سيره طغرل -اثناء تحالفه معه- ليغير على شروان^٤، ولكن المصادر الاسلامية لم تذكر انه كان أتابكاً على أران.

اصبح آق سنقر، بعد ان تصالح مع السلطان محمود، موضع اعتماد، فعهد اليه بتربية ابنه داود الطفل، ولم يكن السلطان يعفو عن الأمير دبيس بن صدفة -صاحب الحلة- لولا تدخل آقسنقر وشفاعته وكفالته عند السلطان، ولكن دبيساً عاد إلى العصيان، فدخل الحلة وطرد منها بهروز الخادم فس سنة ٥٢٣هـ/١١٢٩م، وكان السلطان قد ولّاها له، ثم توجه دبيس إلى العراق، فلما سمع السلطان ذلك، طلب من الأمير آق سنقر احضار دبيس، لانه قد تكفله، فجهّز جيشاً، وقبل ان يتوجه به إلى الحلة، عرج على بغداد في شوال عام ٥٢٣هـ/ تشرين الاول ١١٢٩م، وقبل يد الخليفة

^١ شيركير: وتعني بالفارسية، صائد الاسد وتقابلها بالتركية: ارسلان آبه. وقتل انوشتكين شيركير من قبل السلطان محمود سنة ٥٢٥هـ -قبل وفاته- ابن الاثير، ١٠/٦٧٠.

^٢ ابن الاثير ١٠/٥٩٧-٥٩٨؛ ابن خلدون (طبعة بيروت، ١٩٥٨)، ٣/١٠٣٥، ٥١/٥.

^٣ عن معنى اللقب وظهور النظام الاتابكي، يراجع الفصل الاداري. وعن توسع سلطاتهم، ينظر: كلود كاهن، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة العربية الجديدة، طبعة ١٩٦٩، مادة (تابك)، ٤٥/٤٩. د. احمد مختار العبادي، في التأريخ العباسي والفاطمي، طبعة ١٩٧١، ص ١٩٤-١٩٧؛

Senauallah, The Decline and Fall of the Saljuke Empire, kalkuta, ١٩٣٨.

^٤ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، مادة الاحمديلية، ١٦٩/٢، نقلاً عن: M. F. Brosset; Histoire de Geopgie, Vol., ١, P. ٣٦٨.

العباسي المسترشد بالله ثم سار نحو الحلة قاصداً ديبساً، غير ان الاخير تركها وتوجّه الى الصحراء^١.

عهد السلطان محمود -قبل وفاته- لابنه داود بوصاية الاتابك آق سنقر، فلما توفي السلطان محمود في شوال من عام ٥٢٥هـ/ ايلول ١١٣١م، في همذان، أُجلس داود على العرش باتفاق من وزير السلطان محمود ابي القاسم قوام الدين الانساباذي وأتابكة آقسنقر، وخطب له في جميع بلاد الجبل واذريجان^٢.

عظم شأن اقسنقر في عهد داود واصبح مركزه اهم مركز في الدولة السلجوقية، تعرّز مركزه هذا عندما تزوّج من أم داود، ارملة السلطان محمود^٣، فاصبح بمثابة والده، اضافة الى انه مربيه والوصي عليه.

قامت في همذان فتنة فرأى آقسنقر ان يأخذ داود الى مكان آمن، فرحل به، الى تبريز، ولما وصلا زنجان، جاءت الاخبار بان السلطان مسعود حين علم ب وفاة اخيه محمود، اسرع متوجّهاً الى تبريز، واستولى عليها فتوجّه، اليها الملك داود وآق سنقر وحاصراها، واستمر الحصار الى اواخر محرّم من عام ٥٢٦هـ/اواخر كانون الاول ١١٣١م، حيث عقد صلح بينهم على ان يترك جيش السلطان مسعود تبريز، فتركها وتوجّه الى همذان^٤.

شقّ الملك داود عصا الطاعة على عمّه طغرل، وانحاز السلطان سنجر -وهو اكبر امراء السلاجقة واقواهم- الى الملك طغرل، واجلسه على السلطنة، فلما علم بذلك، الملك داود، استغل عودة السلطان سنجر الى خراسان، فأعلن عصيانه على طغرل، وجمع الجيوش من اذريجان وكنجه، وتوجّه مع آق سنقر حتى وصلا الى القرب من همذان، فخرج لهما طغرل في رمضان من عام ٥٢٦هـ/تموز -آب عام ١١٣٢م، والتحم

^١ المنتظم ١٢/١٠-١٣؛ ابن الاثير ٦٥٥/١٠؛ ابن خلدون ١٠٣٥/٣، ٦١٨/٤.

^٢ المنتظم ٢١/١٠؛ ابن الاثير ٦٧٠/١٠؛ العسجد المسبوك، (مخطوطة) و ٥١ب؛ ابن خلدون ٤٦/٣، ١٢١/٥؛ النجوم الزاهرة، ٢٤٧/٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب ٤٧/١.

^٣ الاصفهاني، اختصار البُنْداري، تاريخ دولة آل سلجوق، طبعة ٢، ١٩٧٨، ص ١٤٩؛ ابن الاثير ٦٨٢/١٠؛ النجوم الزاهرة ٢٤٧/٥.

^٤ ابن الاثير، الكامل ٦٧٤/١٠؛ التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، ص ٤٣؛ ابن خلدون، ١٤٤/٥؛ ابن واصل، مفرج الكروب ٤٧/١.

الجيشان، غير ان الفتنة دبّت بين عدد من امراء داود الاتراك فركن الى الفرار مع اتابكه آقسنقر، ثم توجّها بعد هذه الهزيمة الى بغداد^١.

ذكر الشاعر عماد الغزنوي^٢ هذه الحادثة في قصيدة طويلة له^٣، لكنه هاجم آقسنقر وذمّه ووصفه بطول اللسان وشكر فيها اعداءه ومنهم الامير بيشكين^٤، الكرّجى الاصل والامير قراسنقر^٥، قائد جيش طغرل واتابكه.

وعندما علم السلطان مسعود بهرب داود وتوجّهه الى بغداد، سار هو اليها ايضاً في صفر من سنة ٥٢٧هـ/ كانون الاول ١١٣٢م، وتقابلا هناك وتحالفاً، ودخلا سوياً على الخليفة المسترشد فأكرمهما، وكان يؤيدهما -بينما كان في عداة مع طغرل- وخلع عليهما، وعلى الامير آقسنقر، واستقر الامر على ان تكون الخطبة لمسعود ومن بعده لداود. ولما انتهى الامر على هذه الحال توجّها الى اذربيجان، وعندما وصلا مراغه، نهض آقسنقر لمساعدتهما، فقدم لهما امولاً كثيرة وعدداً كبيراً من الرجال الاتراك، ولما توجّهوا لمقاتلة خصومهم، تراجع هؤلاء وتحصنوا في القلاع، فقراسنقر -اتابك طغرل-، والامير بيشكين تحصنوا بمدينة اردبيل، وتحصّن الامير الحاجب تثار بأرمية^٦.

^١ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٠٢؛ المنتظم، ٢٦/١٠؛ الاصفهاني، اختصار البنداري، تأريخ دولة آل سلجوق، ٤٩؛ ابن الاثير ٦٨١/١٠-٦٨٢؛ العسجد المسبوك، (مخطوطة)، و١٥٢.

^٢ عماد الغزنوي: استاذ الائمة عماد الدين الغزنوي واشتهر بعماد الشرياري، مدح جهان بهلوان (٥٦١-٥٨١هـ)، احد اتابكة ايلدگز ومدح ايضاً فخرالدين عبدالرحمن طغايرك، من اكابر امراء السلطان مسعود السلجوقي وحكم خلخال وجزءاً من اذربيجان، وسيأتي ذكره ضمن هذا الفصل.

محمد عوفي، لباب الالباب، بكوشش سعيد نفيسي، چاپ اتحاد، طهران، ١٣٣٥هـ، جلد ٢، ص ٤٣٠.

^٣ ن.م السابق والجزء ص ٤٣١، ٤٣٥؛ كسروي، شهرياران گمنام ٢/٢٣٤.

^٤ بيشكين، وهو امير الكورة التي سميت بأسمه، وكانت تسمى قبل ذلك: (وراوي)، وتقع في شمال غربي اذربيجان، ويموجب اللغة الاذرية فان الباء تعوض بالميم، فتسمى بيشكين او مشكين، كسروي، شهرياران گمنام ٢/٢٣٤ ح ٨.

^٥ قراسنقر: وتعني بالتركية، الصقر الاسود.

^٦ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ٢٣٧-٢٣٨؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٠٢-١٠٣؛ العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ١٥٤؛ العسجد المسبوك، مخطوط، و١٥٢؛ ابن الاثير ٦٨٦/١٠؛ المنتظم ٢٩/١٠؛ مرآة الزمان، ج ٨ ق ١٤٥.

وَحَرَّضَ -اثناء الحصار- قوام الدين الانساباذي الدركزيني، وزير طغرل، قراسنقر اتابك طغرل على مقاتلة آقسنقر الاحمديلي ومبارزته بنفسه، الا ان قراسنقر اخذ يتلكأ في هذا الامر، ولكن بعض الامراء حثوه على القتال، فسار مكرهاً، ولما وصل الى باب اردبيل كانت خيول جيشه تشكو التعب، في حين ان خيول آقسنقر كانت جانحة، فتلاقى الجيشان، ودارت معركة طاحنة بينهما، انتهت بانهزام قراسنقر وجيشه، بعد ان قتل منهم عدداً كبيراً، واستولى آقسنقر على ماكان معهم من اموال وضياح، وتوجّه الفارون من جيش قراسنقر الى همدان، فتتبعهم آقسنقر اليها، وعلى اثره هرب السلطان طغرل نحو الري^١.

رأى الامير آقسنقر انه لا فائدة ترجى له من تعلقه بدادود، فأنضم الى السلطان مسعود، وخرج معه في جيش كثيف، وعندما سمع السلطان طغرل بتحرك جيشهما، يمم وجهه شطر اذربيجان ودخل مراغه، ولما هجم الشتاء اختار الاقامة في تبريز الى ان ينحسر وتنفتح الطرق. وكان السلطان مسعود قد قصد بغداد ومر في طريقه على اصبهان، ثم اتجه غرباً حيث احل الهزيمة بجند اخيه طغرل ثم عاد الى همدان^٢.

مقتل آقسنقر:

انقض رجال الباطنية (الاسماعيلية) على آقسنقر وهو بخيمته بالقرب من همدان سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م^٣، فأردوه قتيلاً، وكانوا قد قتلوا سيده احمديل من قبل في بغداد، وذكرت بعض المصادر^٤، ان قتله كان بتدبير من وزير طغرل: قوام الدين الدركزيني، فقد رأي السلطان طغرل ان ما اصابه من هزائم كانت بسبب النصائح التي كان يقدمها وزيره وبسبب ظلمه للعباد، فلقى القبض عليه، ولما سألته السلطان: اين العسكر؟ واين الجند؟ أجابه بأن لايهتم بذلك، لأنه قد ندب جماعة من

^١ الحسيني ١٠٣؛ العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ١٥٤.

^٢ تاريخ دولة آل سلجوق ١٥٠-١٥١؛ ابن الاثير ٦٨٦/١٠-٦٨٧.

^٣ جاء في تاريخ حبيب السير لخواندمير: انه قتل في ذي الحجة من عام ٥٢٨هـ على يد علي وابو عبيدة محمد هستاني، ج٤، مجلد٢، ص٤٧٠.

^٤ تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار البنداري ١٥٨؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٠٣-١٠٤.

الحشيشية لقتل آقسنقر وسائر اعدائه، وانهم توجهوا فعلاً للقيام بذلك، ولكن طغرل اصر على قتله، فقتل.

وذكرت مصادر اخرى^١ ان قتله كان بتدبير السلطان مسعود، الذي ارسل الباطنية لقتله، وضربت الطبول في بغداد للبشارة بقتله. انهزم جند آق سنقر بعد هذه الحادثة وتركوا السلطان مسعود، الذي توجه الى الري لتعقيب اخيه طغرل^٢.

حروب الملك داود مع السلطانين مسعود وطغرل في أذربيجان:

اعلن الملك داود تمردہ على عمه السلطان مسعود، فتوجه هذا الى أذربيجان سنة ٥٢٨هـ، بعد عودته من قتاله مع اخيه طغرل، فحاصر قلعة روئين دز^٣، وكان داود قد تحصن فيها، ولكن الحصار لم يدم بسبب تقدم طغرل واحتلاله للمدن، فتوجه لمحاربته^٤. تعرض الملك داود الى هجوم اخر من قبل قراسنقر، اتابك السلطان طغرل، بتحريض من طغرل، وجرت معركة بينهما في مراغه، اسفرت عن هزيمة داود، فصفا الجو لطغرل وملك بلاد الجبال كلها، الا انه توفي في اوائل محرم من سنة ٥٢٩هـ/اوائل كانون الاول ١١٣٤م^٥.

^١ المنتظم ٢٩/١٠؛ الكامل لابن الاثير ٦٨٦/١؛ العسجد المسبوك، (المخطوط)، ج ٢ و ٥٢ ب.

^٢ تاريخ دولة آل سلجوق، ١٥٨.

^٣ روين دز: فسرها الحسيني: بأنها تعني قلعة النحاس (اخبار الدولة السلجوقية، ١٠٨)، وجاءت عند النيشاپوري، على شكل روئين دز (سلجوقنامه، ٦٥). والاصل في المقطع الثاني من الاسم هو: دز بكسر الدال، ولكن كسروي يرى انه حسب اللهجة الانرية، يُقرأ: دز، دوز، بالضم او الواو المفردة، مثل: ارسلان دوز، سولدوز، براندوز، وتوهم كسروي حين عدّها هي مدينة رواندوز، التابعة لمحافظة اربيل الحالية (شهرباران گمنام ٢/١٩٠٢)، ولكنها قلعة تقع قرب مراغه، في شمالها وعلى بعد ١٥ كيلومتراً منها، ووصفها ابن الاثير انها ((من احسن القلاع وامنعها، لا يوجد مثلها))، (الكامل ٣٢٢/١٢).
^٤ ابن الاثير ١٢/١١.

^٥ ابن الاثير ١٩/١١، ويذكر العماد الاصفهاني (تاريخ دولة آل سلجوق، ١٥٩)، والحسيني (اخبار الدولة السلجوقية، ١٠٥) ان وفاته كانت في اوائل محرم سنة ٥٢٨هـ، ونحن اثبتنا تحديد ابن الاثير لوفاته، لان طغرل قام في سنة ٥٢٨هـ بعمليات عسكرية عديدة وقاتل السلطان مسعود، كما ارسل اتابكه قراسنقر لمقاتلة الملك داود -كما هو مذكور في النص- وبقي مدة بعد هذه الانتصارات الى ان توفي، وكل ذلك لا يتفق مع ما ذكر بان وفاته كانت في اوائل محرم سنة ٥٢٨هـ، اي في بداية السنة.

مقتل الخليفة المسترشد بالله:

توجّه السلطان مسعود -وكان في بغداد- الى همدان، اثر سماعه بخبر وفاة اخيه طغرل، فتوافد عليه الامراء وبايعوه على ملك اخيه وجلس على العرش^١. ولكن بعض هؤلاء الامراء كانوا يتوجسون خيفة من السلطان مسعود، فتركوا همدان وتوجّهوا الى بغداد حيث قابلوا الخليفة المسترشد وذكروا له بأن السلطان مسعود عازم على خلعه، فجهز الخليفة جيشاً كبير العدد وتوجّه ومعه الامراء لملاقاة السلطان مسعود، وكان الملك داود ومعه جيشه وجيش آقسنقر، في الدينور، فاشار على الخليفة، ان يميل اليها كي يضم جيشه اليه، ولكن الخليفة لم يستجب لدعوته^٢، والتقى جيشا الخليفة والسلطان مسعود في سهل (وداي مرك) ولكن بعض الامراء الاتراك من السلاجقة تركوا صفوف جيش الخليفة، وانضموا هم وافراد جيشهم الى جيش السلطان مسعود، فقلّ جيش الخليفة، فحوصر وأسّر وتوجّه به السلطان الى أذربيجان، حتى وصل الجميع الى قرب مراغة، وهناك جاء جيش ارسله السلطان سنجر^٣. وتقدم رسولان برسالة الى السلطان مسعود، واثناء ماكان السلطان يستقبل الوفد، اغتتم الباطنية (الاسماعيلية) فرصة خلو الخليفة من الحراسة، فهجموا عليه وهو في خيمته وارادوه قتيلاً بعد ان مثّلوا به تمثيلاً فظيعاً، وكان استشهاداه في شهر ذي القعدة من عام ٥٢٩هـ/آب ١١٣٥م^٤.

^١ النيشاپورى ٥٥-٥٦؛ البُنْدَارِي ١٦٢؛ الحسيني ١٠٦-١٠٧.

^٢ النيشاپورى ٥٦؛ المنتظم ٤٥/١٠.

^٣ سنجر: (بفتح السين)، وتعني بالتركية: اسم طائر من طيور الصيد من فصيلة الصقر، ويطلق على الاشخاص كما هو شائع عند السلاجقة من تسمية اولادهم بأسماء الحيوانات المفترسة. وحكم السلطان سنجر، من سنة ٤٨٥ حتى سنة ٥٥٢هـ/١٠٩٢-١١٥٧م، ويُعدّ موته نهاية لعهد السلاجقة العظام في ايران. براون، تاريخ الادب في ايران، ج ٢، ص ٣٧٩ ح ٢؛ حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، ج ٤، ص ٣٤، ح ١.

^٤ اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ قتل الخليفة المسترشد، فالنيشاپورى (سلجوقنامه ٥٦)، -وهو اقدم مصدر عن تاريخ السلاجقة- ذكر انه كان في ذي القعدة من عام ٥٢٧هـ، ولعلّ تحديد هذه السنة كان من وهم الناسخ، اذ ان المصادر جميعها اتفقت على مقتله في سنة ٥٢٩هـ، وحدّد ابن الجوزي، المنتظم ٤٩/١٠؛ وابن الاثير ٢٧/١؛ وابن خلدون: ط بيروت، ١٩٦١، ١٠٥٥/٣، وطبعة ١٩٥٧، ١٢٩/٥ -الذي نقل عن ابن الاثير- الوفاة بيوم الخميس ١٧ من ذي القعدة، اما ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ٢٥، والعماد الاصفهاني، تاريخ

ذكر الذهبي ان قتل الخليفة المسترشد كان بتدبير من السلطان مسعود، وقال، ان السلطان سنجر ارسل وفداً الى مسعود يخوفه من عاقبة ما اقدم عليه من اسر الخليفة ويأمره ان يتلافى الامر ويعيده الى مقر عزه، فسارع السلطان مسعود الى خدمة الخليفة بما يليق بمنزلته، وقبل الارض وسأله الصفيح وضرب له سرادقاً، وارسل حاجبه الخاص فقدم لامير المؤمنين فروض الطاعة والولاء، ورثب له كل ما يتعلق برسوم الخلافة، ولكن السلطان مسعود في الوقت نفسه كان يدبر لقتله، فتواطأ مع الباطنية، ولم يترك حراساً لحراسة الخليفة، حتى يبعد الشبهة عنه، فقتل المهاجمين ونسب قتل الخليفة الى دُبَيْس بن صدقة الاسدي، صاحب الحلة، فأرسل من يقتله، كي يظهر انه اخذ بثأر الخليفة. اما سنجر -حسب قول الذهبي- فلم يكن له علم بمؤامرة الاسماعيلية (الباطنية)^١.

والارجح ان مؤامرة قتل الخليفة كانت بتحريض من السلطان سنجر، وبتواطؤ من السلطان مسعود، وان قصة ارسال سنجر وفداً الى السلطان مسعود ومطالبته اياه بعدم ايقاع الاذى به والاعتذار منه وارجاعه الى حاضرة الخلافة كانت خدعة، ولو كان يريد ذلك حقاً، لكان قد اقنع السلطان مسعود منذ البداية بمطاوعة الخليفة كي لا يقع القتال بينهما، هذا ويلاحظ ان السلاجقة كانوا يتواطئون مع الباطنية على اراحة كل من يقف في طريقهم وذلك بقتله، -كما فعلوا مع احمديل وخليفته اق سنقر، والخليفة المسترشد، وبعده مع ابنه الراشد، وكان المسترشد قد قاوم الباطنية.

ومما يدل على تورط السلطان سنجر في قتل الخليفة، ان المسترشد كان قد فضح زوجة ابيه اخت السلطان سنجر، عندما رأى اتصالها بأحد الشبان بعد وفاة ابيه اتصالاً محرماً، وهتك عرض البيت المالك السلجوقي.

وكان الخليفة المسترشد قد أعاد سيرة الخلفاء المباشرين للحرب بأنفسهم، فقد بدأ يسلك سلوكاً مستقلاً منذ عهد السلطان محمود، فتجرأ على قتاله وازداد جرأة

دولة آل سلجوق ١٦٥، فحدّث تاريخ الخميس ١٨ من الشهر ذاته، اما ابو الفرج الملقب، (تاريخ الدول السرياني ٣٩٧) فذكر تاريخ (١٦) منه، اي ان كل هؤلاء اتفقوا على مقتله في النصف الثاني من شهر ذي القعدة، في حين انفرد الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية ١٠٧، بتحديد يوم الاحد ٤ من ذي الحجة.

^١ الذهبي، العبر ٧٧/٤-٧٨؛ دول الاسلام ٥٠/٢؛ الصفي، الواقي بالوفيات، المخطوطة المصورة، ج ٨، ١٥١.

على مسعود، فهو أول خليفة عباسي خرج مجاهداً منذ العهد البويهي من أجل استقلال الخلافة وإعادة هيبتها ومقاومة السلاجقة واضعاف نفوذهم^١، أما السلاطين السلاجقة، فقد أرادوا أن يكون الخليفة أداة طيعة في أيديهم، وأن لا يقود الجيوش، لذلك اشترط السلطان مسعود على الخليفة -بعد أن استرّ- ووفق الاتفاق الذي تم بينهما- على أن لا يعود الخليفة إلى جمع العساكر وأن لا يخرج من داره^٢.

لذلك كله نرجح تواطؤ السلاجقة مع الباطنية على قتل الخليفة حيث مهدوا السبيل إلى ذلك بإخلاء خيمته من الحراس فقتلوه ومثلوا به -كما قلنا- عقاباً على هتكه عرضهم، غير مباليين ما كان للخليفة من حرمة واجلال لدى المسلمين. وكانوا قد أبقوا المسترشد بعد قتله، مطروحاً على الأرض يوماً وليلة، إلى أن جاء أهل مراغة فحملوه إلى البلدة وكفّنوه ودفنوه في مقبرة أق سنقر الاحمديلي^٣، وهذا دليل آخر يضاف إلى ما ذكرناه من تواطؤ السلطان مسعود في قتله^٤.

أثار ما عمله السلطان مسعود مع الخليفة استنكار المسلمين واشمئزازهم من السلطان، فقد قال عماد الدين الأصفهاني، بهذا الصدد أنه ((قُبِّحت سيرة السلطان مسعود وذكرته اللسن بالسوء بعد هذه الحادثة))^٥.

٣. نصرة الدين أرسلان آبه خاصبك بن آقسنقر:

تباينت المصادر في ذكر اسمه ولقبه، فبعضها تطلق على ابن آقسنقر وخليفته اسم "آقسنقر" أيضاً^١، لذلك نجد من المؤرخين المحدثين من يسميه "آقسنقر الثاني"

^١ ينظر: د. حسن أحمد محمود و د. أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط ١٩٧٧، القاهرة، ص ٦٣٠.

^٢ ابن الأثير ٢٧/١١.

^٣ ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص ٥٠.

^٤ إضافة إلى ما ذكرناه من مصادر عن مقتل الخليفة المسترشد، يراجع أيضاً:

الراوندي، راحة الصدور، طبعة ١٩٦٠، ص ٣٣٠؛ ابن النظام الحسيني، الغراسة في الحكاية السلجوقية، طبعة ١٩٧٩، ص ١١٩؛ الكازروني، مختصر التاريخ، طبعة ١٩٧٠، ص ٢٢١-٢٢٢؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الآداب، ج ٤، ق ٢، ص ٧٥١؛ الكتبي، عيون التاريخ، ج ١٢، ص ٢٩٣-٢٩٤؛ ابن واصل، مفرج الكرب ٦٠/١.

^٥ تاريخ دولة آل سلجوق ١٦٦.

للتفريق بينه وبين ابيه^٢، ولكن المصادر لم تتفق على هذه التسمية بل ذكرت له اسماء مختلفة، فالحسيني، اضافة الى ما اسماه بـ"آق سنقر الاحمديلي"، يعود فيسميه في مكان آخر بأسم "ارسلان بن آقسنقر الاحمديلي"^٣، اما عمادالدين الاصفهاني فيسميه: نصره الدين خاصبك^٤ بن آقسنقر تارة ويسميه "نصرة الدين ارسلان آبه"^٥ تارة اخرى.

اما ابن الاثير فتحاشى ذكر اسم هذا الامير، واقتصر على ذكر اسم ابيه: "ابن الاحمديلي" او "ابن آقسنقر الاحمديلي"^٦، ولعل ابن الاثير تعمد في ذلك، لأنه قد اختلط عليه الامر، فأكتفى بهذه التسمية. اما النيشاپوري (ت حوالي ٥٨٢هـ) -وهو اقدم مصدر عن تأريخ السلاجقة - فيسميه: "خاص بيگ ابن آقسنقر"^٧، ويذكره الراوندي بأسم: "الاتابك ارسلان آبه"^٨.

يختفي اسم هذا الامير من سنة ٥٣٠هـ حتى سنة ٥٤١هـ، ثم يذكر خلال السنوات ٥٤٧هـ-٥٧٠هـ، تحت اسم "نصرة الدين خاصبك بن آقسنقر" تارة، وتحت اسم: "ارسلان آقسنقر الاحمديلي" تارة اخرى. وكانت مدة حكمه تزيد عن (٤٠) عاماً، من سنة ٥٢٧هـ وحتى سنة ٥٧٠هـ، مما قد يدل -اضافة الى اختلاف اسمه ولقبه- على انه لم يحكم خلال تلك المدة شخص واحد، انما اكثر من ذلك.

ويلاحظ انه في الوقت الذي يختفي فيه اسمه، سنة ٥٣٠هـ، يظهر اسم شخص آخر، هو "الاتابك قراسنقر" والذي توفي سنة ٥٣٥هـ، حيث وصف بـ(صاحب

^١ النيشاپوري، سلجوقنامه (بالفارسية)، ص ٥٥؛ الحسيني اخبار الدولة السلجوقية، ١١٨؛ العماد الاصفهاني، تأريخ دولة آل سلجوق، اختصار البنداري، ١٩٩.

^٢ امثال مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، طبعة سنة ١٩٦٩، ٤٠١/٢-٤٠٢؛ امين زكي، تأريخ الدول والامارات الكردية، ٥٢/٢.

^٣ اخبار الدولة السلجوقية، ص ١٠٨، ١٤٢.

^٤ خاصبك لقبه ونصرة الدين كنيته.

^٥ البنداري ٢١٣، ٢٢٤.

^٦ الكامل ٣٦/١١، ٢٥١، ٢٦٨، ٢٧٠، ٣٣٢.

^٧ سلجوقنامه، بالفارسية، ص ١٧٦.

^٨ راحة الصدور، ٣٥٢، ٣٧٦.

أذربيجان)^١. إذن ماذا حل بالأمير ابن آقسنقر خلال تلك المدة؟ هل عزل عن الحكم؟ أم اعتقل؟ أم توفي؟، إن المصادر لا تمدنا بمعلومات تمكننا من الإجابة عليها. ومما حدث في عهد الأمير ابن آقسنقر الأحمديلي، إن السلطان مسعود، توجه بعد أن سيطر على العراق، إلى أذربيجان، فحاصر مراغه سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م، وفيها الأمير (ابن) آقسنقر الأحمديلي لمدة شهرين كاملين، ولم يتمكن السلطان خلالها من احتلالها لحصانة قلعتها، فاضطر إلى عقد صلح مع الأمير، فوَّض بموجبه إليه ولاية مراغه وتبريز واستلم منه قلعة روين دن، ثم عاد إلى همدان^٢. ويبدو أن سيطرته على تبريز لم تدم، فقد وصفت في حوادث أواخر عام ٥٣١هـ، أنها كانت اقْطاعاً للامير غُرْ أَعْلَى، الذي اساء اليها كثيراً فزادها تخريباً وسام أهلها الظلم والعذاب^٣.

مقتل الخليفة الراشد:

شق عصا الطاعة على السلطان مسعود، عدد كبير من الأمراء وتوجهوا في صفر سنة ٥٣٠هـ/تشرين الثاني ١١٣٥م، إلى بغداد ومنهم الملك داود والأمير ابن الأحمديلي مع جيش من أذربيجان، ولما علم السلطان بأن الخليفة الراشد قد قطع الخطبة له، وخطب -بدلاً منه- للملك داود، ابن أخيه: السلطان محمود، وإن الخليفة كان يفكر في الخروج على رأس جيش كبير، قاصداً الانتقام لأبيه، توجه إلى بغداد على رأس جيش كبير، ثم حاصرها، ولكن الأمراء تفرقوا، وعاد الملك داود إلى أذربيجان في ذي القعدة من العام نفسه (آب من عام ١١٣٦م) أما الخليفة فقد توجه إلى الموصل، فعزل السلطان مسعود وعيّن مكانه المقتفي بالله^٤.

^١ ابن الأثير، ٦١/١١.

^٢ الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ١٠٨.

^٣ العماد الأصفهاني، ١٧٢؛ الحسيني، ١١١.

^٤ البُنْدَارِي ١٦٧؛ الراوندي ٣٣١؛ ابن الأثير ٣٦/١١-٣٧، ٤٠-٤١؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ٦٤/١.

بقي الخليفة الراشد في الموصل الى رجب من سنة ٥٣١هـ/نيسان ١١٣٧م، ولكن الامير زنكي^١، اخرج الخليفة المخلوع من الموصل، فتوجّه الى أذربيجان وقصد مراغه، وعندما كان الخليفة الراشد في اصفهان وثب عليه جماعة من الخراسانية الباطنية وقتلوه في رمضان من عام ٥٣٢هـ/حزيران ١١٣٨م، كما كانوا قد قتلوا والده قبله^٢.

الاتابك قره سنقر:

اختلف اسم الامير ابن آق سنقر الاحمدي بعد سنة ٥٣٠هـ الى سنة ٥٤١هـ وعاد اسمه خلال المدة من سنة ٥٤٧هـ وحتى سنة ٥٧٠هـ - كما ذكرنا ذلك قبل قليل - إلا انه ظهر اسم الاتابك قره سنقر، وهو مملوك قديم لطغرل الاول، ثم اصبح اتابكاً للسلطان مسعود.

بعدما هرب الملك داود من بغداد، اثناء حصار السلطان مسعود لها، توجه الى أذربيجان، ووصل مراغة، فوجه السلطان مسعود الاتابك قره سنقر اليه في جيش كبير، ثم جرت معركة حامية، اسفرت عن هزيمة داود، وبعدها اتخذ قره سنقر من اردبيل عاصمة له، ونجد ان ابن الاثير يصفه بعد هذه الحادثة، في سنة ٥٣٢هـ بصاحب أذربيجان.

عاد السلطان مسعود الى قتال السلطان داود الذي اجتمع حوله جيش أذربيجان وعدد من الامراء بينهم عبدالرحمن طغايك - صاحب خلخال - واشتبك الطرفان، فهزّمهم السلطان مسعود، ولكن جماعة السلطان داود^٣ عادوا فكروا على اتباعه من الامراء، وقتل الامير بوزابه عدداً من الامراء، ومنهم محمد ابن الاتابك قره سنقر وابن

^١ هو عماد الدين زنكي مؤسس اتابكية الموصل والجزيرة و حلب وغيرها، حكم للحقبة من ٥٢١ حتى سنة ٥٤١هـ/١١٢٧-١١٤٦، اشتهر بمواهبه العسكرية والسياسية والادارية.

ينظر: حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي، طبعة ١٩٦٧، ج ٤، ٦٨-٧٦؛ د. عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، رسالة ماجستير، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

^٢ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ٢٦٧؛ البُنْداري ١٦٧؛ ابن الاثير ١١/٦٢؛ الفارقي، تاريخ ميفارقين، ص ٢٦١؛ الذهبي، العبر، ٩٠/٤.

^٣ ابن الاثير ١١/٤٦، ٥٢، ٦١؛ العسجد المسبوك، (المخطوط)، ج ٢، و ١٥٦.

^٤ اغتيل السلطان داود بتبريز في رمضان من سنة ٥٣٨ هـ/ آذار ١١٤٤م، حيث اغتالته الباطنية (البُنْداري ١٧٩؛ الحسيني ١١٤)؛ ولكن ابن القلانسي (ذيل تاريخ دمشق ٢٧٧) ذكر بأنه لا يعرف للمقتلة اصل.

ابنه، انتقاماً لمقتل صاحبه امير فارس، وتوجّه مسعود الى بغداد يجرّ اذيال الهزيمة،
وجرت هذه الحادثة في شعبان من سنة ٥٣٢هـ/ نيسان ١١٣٨م^١.

ثم ارسل السلطان مسعود في العام التالي، الاتابك قره سنقر الى بلاد فارس
لاجلاس سلجوقشاه اخو السلطان مسعود على عرش السلطنة فيها، وكان السلطان
قد عين كمال الدين محمد بن علي الخازن، وزيراً له سنة ٥٣٢هـ، وُصف بأنه كان عادلاً،
وذا كفاية، حسن السيرة، ازال المكوس ورفع المظالم، وكان لا يترك الامراء يتصرفون
كما يشاؤون، ويعطي الجيش مؤناً بقدر وحساب، كما كشف اشياء كانت مستورة
وجمع للسلطان اموالاً كثيرة. ان هذه الامور لم ترق للمتصرفين وارباب الاعمال فعملوا
على افساد العلاقة بينه وبين الامراء ولاسيما مع قراسنقر، واوغلوا صدره ضد
الخازن، فحقد عليه الى درجة انه طلب من السلطان اعدامه او ارساله اليه، والّا لن ينفذ
المهمة التي اوكل بها، فأضطر السلطان الى اجابة طلبه، للمحافظة على المملكة ودفعاً
للفتنة، فقتل الخازن في شوال من عام ٥٣٣هـ/ حزيران ١١٣٩م. عندئذ اخذ قراسنقر،
سلجوقشاه الى شيراز، وهزم الامير بوازبه، صاحب فارس، - وكان قد قتل ابن قراسنقر
في الموقعة التي جرت مع جيش السلطان مسعود في عام ٥٣٢هـ-، كما ذكرنا-، وكان
هذا احد العوامل الذي دفع قراسنقر الى السير لقتال بوازبه ورغبته في الانتقام لابنه^٢.
ثم سلم البلاد الى سلجوقشاه واجلسه على العرش. ورجع قراسنقر الى اذربيجان، ولكن
بوازبه استطاع في العام التالي -اي عام ٥٣٤هـ- ان يهزم سلجوقشاه ويوضعه في
السجن الى ان توفي فيه^٣.

^١ البُنْداري ١٧١؛ الحسيني ١١٠، وقد ذكرنا بأن الواقعة حدثت في اواخر سنة ٥٣١هـ، بينما يذكر ابن
الاثير (٦٠/١١-٦١) ان السلطان مسعود ترك بغداد، لمحاربتهم في ٤ شعبان من سنة ٥٣٢هـ، ونحن نميل
الى رواية ابن الاثير، لان قتل الراشد قد تم بعد هذه الحادثة بمدة قليلة (اواخر رمضان من سنة
٥٣٢هـ)، على ما اجمع عليه المؤرخون، وليس بعد مرور حوالي سنة عليها، ينظر ايضاً:
العمرائي، الانباء في تاريخ الخلفاء، طبعة ١٩٧٣، ص ٢٢٣؛ الذهبي، العبر ٨٤/٤؛ ابن خلدون، (طبعة
بيروت ١٩٦١)، مج ٣ ق ١٠٥٩، (طبعة بيروت ١٩٥٧)، مج ٥/١٣٤.

^٢ ابن الاثير ٧٠/١١.

^٣ النيشاپوري، سلجوقنامه ٥٧؛ العماد الاصفهاني ١٧٢-١٧٤؛ الراوندي ٣٣٣-٣٣٥؛ الحسيني،
اخبار الدولة السلجوقية ١٢٠-١٢١؛ المسجد المسبوك، ج ٢، و ٥٧-٥٨؛ خواند امير، تاريخ حبيب
السير، ج ٤، مج ٥٢٥.

زلزال گنجہ^۱:

وقع زلزال دمرّ مدينة گنجہ وغيرها من اعمال اذربيجان وأران، إلا أن زلزال گنجہ كان اشد، وذلك في سنة ۵۲۳هـ/۱۱۳۸-۱۱۳۹م^۲، ومات بسببه -في قول المقل- ۲۳۰ ألف انسان^۳، وكان من جملة الموتى زوجة قرانسنقر واثنان من ابنائه، واستغل ديمتريوس ملك الگرج هذه الفرصة، فأغار عليها ونهب جيشه الاموال، ونهب بابها وحمله معه ووضعها في مدينة جنزة التي بنوها، وعندما سمع قرانسنقر بخبر الزلزال اسرع بالمسير اليها، فوصلها وقتل الگرج وقتل الكثير منهم واجلاهم عن المدينة المدمرة، ثم هدم المدينة الجديدة (جنزة) واعاد الباب، واعاد قرانسنقر بناء المدينة من جديد، فاستعادت جمالها القديم^۴.

تقع مدينة گنجہ في اقليم اران، وكانت من ضمن ممتلكات قرهسنقر ودليلنا على ذلك وجود عائلة قرهسنقر فيها واعادته بناءها من جديد.

وفاة قرهسنقر:

استولى على الامير قرهسنقر الهم نتيجة الكارثة التي آلت بمدينة گنجہ وبعائلته، فأصيب بالسل الى ان توفي في سنة ۵۳۵هـ/۱۱۴۰-۱۱۴۱م، بأردبيل -ويبدو انه اتخذها

^۱ يقول ياقوت ان العامة تطلق على جنزة: گنجہ، وتعني الجديدة او الشابة، ويرى حمدالله المستوفي انها مدينة اسلامية بنيت سنة تسع وثلاثين للهجرة، وصفها ياقوت بانها اعظم مدينة بأران وهي بين شروان واذربيجان، وقضى على گنجہ نهائياً في عام ۶۲۲هـ، عندما استولى عليها المغول واحرقوها. وفي مكانها القديم وعلى بعد ثلاثة كيلومترات غرباً بنيت مدينة جديدة سميت "اليزابتيپول" Elizvetpoole، التي هي الآن كبروة آباد مدينة في قفقاسيا في جمهورية اذربيجان. ينظر: معجم البلدان ۱۳۲/۲؛ نزهة القلوب ۱۰۵؛ بارتولد، دائرة المعارف الاسلامية، مادة جنزة (گنجہ) ۱۱۲/۲-۱۲۴؛ دكتور عبدالنعيم محمد حسنين، نظامي گنجوى، ۷۹.

^۲ ذكر هذا التاريخ -وهو الصحيح برأينا- العماد الاصفهاني ۱۷۶؛ اما ابن الاثير فيذكر عام ۵۳۴هـ/۱۱۳۹-۱۱۴۰م، الكامل ۴۷۷/۱۱.

^۳ عند الاصفهاني ۳۰۰ ألف انسان، ص ۱۷۵.

^۴ العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق ۱۷۵-۱۷۶؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية ۱۱۳؛ ابن الاثير ۴۷۷/۱۱؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ۸ ق ۱ ص ۱۶۹؛ الكتبي، عيون التواريخ ۳۴۳/۱۲؛ بارتولد، دائرة المعارف الاسلامية، مادة جنزة (گنجہ)، الطبعة القديمة ۱۲۲/۷-۱۲۳؛ العسجد المسبوك، (مخطوط)، و ۵۸ب.

عاصمة له-، فبكى المسلمون عليه كثيراً- على حد قول العماد الاصفهاني^١- وهذا دليل على محبتهم له ومكانته بينهم، ولا غرابة في ذلك فقد كان مجاهداً، قاتل الكُرج واجلاهم عن گنجه، وكان شهماً شجاعاً، على الرغم من كونه ((ظالماً غشواً عظيم السطوة))، كما قال صاحب العسجد المسبوك^٢.

جاولي الجاندار وعبدالرحمن طغايرك، يُخلفان قره سنقر:

حينما اشتد المرض على قره سنقر، نصب جاولي الجاندار الطغرلي مكانه وسلم اليه ابنه -وهو الوحيد الذي نجا من زلزال گنجه، ولم يذكر المؤرخون اسمه - وجنوده وملكه، وبعث اليه السلطان مسعود الخلعة والعهد وجعله حاكماً على جميع اعمال قره سنقر في اذربيجان وارآن^٣.

جهّز جاولي جيشاً لمواجهة اعداء السلطان مسعود وذلك في سنة ٥٤٠هـ/١١٤٥-١١٤٦م، وانضم اليه الامير شيرگير بن آقسنقر، أخو ارسلان آبه^٤.

أثار ارتفاع نجم الامير جاولي وتفويض السلطان مسعود له سلطات واسعة، حسد بعض الامراء فاتفقوا على قتله، ومن بينهم الحاجب الكبير عبدالرحمن بن طغايرك، صهره، -صاحب خلخال وبعض اذربيجان- وكذلك خاص بگ بن بلنگري^٥، لانه انتزع منه تبريز واعطاها الى ارسلان آبه^٦. علم جاولي بمحاولة قتله،

^١ البُنْداري، ١٧٦؛ ابن الاثير ٧٩/١١؛ تاريخ حبيب السير، ج ٤ مج ٢/٥٢٢.

^٢ الاشراف الغساني، المخطوطة، و١٥٩.

^٣ البُنْداري، ١٧٦؛ ابن الاثير ٧٩/١١؛ خواند امير، ج ٤، مج ٢/٥٢٢.

^٤ ورد اسم الامير بصيغ مختلفة، فالعماد الاصفهاني، ص ١٨٣؛ الحسيني، ص ١١٥، - الذي ينقل عن العماد- يذكر انه بصيغة شيرين "ويسميه النيشاپوري (سلجوقنامه ٦٢) وخواند امير (تاريخ حبيب السير، ج ٤، مج ٢، ص ٥٢٤) - حيث ينقل عن السلجوقنامه- بالامير "شيرزاد"، اما الراوندي (راحة الصدور، النسخة الفارسية، ص ٢٤١) فيطلق عليه "شيرگير" ويقول انه أخو الاتابك ارسلان آبه، وتسميه الراوندي اقرب الى الصحة، لانه في الحوادث التالية تذكره المصادر بهذا الاسم.

^٥ خاص بگ بن بلنگري، قال عنه النيشاپوري، ((كان فتاً تركمانياً من نقباء الغز الذين جاءوا الى اذربيجان)) (سلجوقنامه، ٥٩)، واصبح غلاماً للسلطان مسعود، ورباه وقربه اليه (ابن الاثير، ١١٦/١١ حوادث سنة ٥٤١هـ).

^٦ ورد عنه الحسيني، "ارسلان" فقط (ص ١١٥) والمقصود به هو ارسلان آبه بن آقسنقر.

وتواطؤ السلطان مسعود معهم، فعاقبه الجاندار، فأعتذر له السلطان واستماله، ولكن جاولي لم يعد يثق به، فاتفق مع الامير بوزابه على مناهضة السلطان مسعود، إلا ان الجاندار توفي في جمادي الاولى سنة ٥٤١هـ/تشرين الاول- تشرين الثاني ١١٤٦م^١.
أقرّت أذربيجان وأران جميعها -بعد وفاة الجاندار- الى الامير الحاجب الكبير عبدالرحمن بن طغايرك، الذي قام بأبعاد خاص بك بن بلنغري عن السلطان، فاتفق هذا مع السلطان على قتل ابن طغايرك، فأرسلوا من قتله في سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م^٢.
لم يعاقب السلطان، فخرالدين -ابن عبدالرحمن- ولكنه عزله عن شحنة^٣ بغداد واسند اليه امر قلعة خلخال المشهورة بفيروز آباد^٤.
وكان السلطان مسعود -قبل مقتل ابن طغايرك- قد اجتمع مع الاميرين بوزابه صاحب فارس وخوزستان (عريستان)، وعباس، صاحب الري، وقررا معه ان يكون تاج الدين بن دارست كاتب بوازيه وزيراً للسلطان وان تكون معه بلاد آرائية وارمينية وأذربيجان، وبذلك اصبح السلطان اشبه مايكون تحت الحجر لايملك من الحكم شيئاً^٥.

^١ سلجوقنامه ٦١؛ البُنْداري ١٨٦؛ الحسيني ١١٥-١١٧؛ ابن الاثير ١١/١٠٤، ١١٨؛ الراوندي ٣٤١؛ مرآة الزمان ج ٨ ق ١٨٩/١؛ النجوم الزاهرة ٥/٢٧٨.

^٢ سلجوقنامه ٦٢؛ البُنْداري ١٩٧-١٩٩؛ الراوندي ٣٤٤؛ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب ق ٣ ص ٢٠٦ (وفيه انه قتل في كنج في شوال سنة ٥٤٢هـ).

^٣ الشحنة: وظيفة عسكرية اقرب ماتكون في (يامنا هذه الى وظيفة حاكم عسكري، يعتمد على الشرطة في حفظ النظام واستتباب الامن، ومن اجل ذلك يجب ان تتوفر في الشحنة الكفاية لضبط المدينة، ينظر:

ابن منظور، لسان العرب ١٣/٢٣٧؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط ٤/٢٣٩؛ الزبيدي، تاج العروس ٩/٢٥١؛ ابن الاثير ١٢/٤٣٣؛ د. نافع توفيق العيود، الدولة الخوارزمية، طبعة ١٩٧٨، ص ٢٠١؛ حسام الدين النقشبندى، الكُرد في الدينور وشهرزور، رسالة ماجستير، ص ٢٤٧، ح ٥، طبعت في كتاب بعنوان: الكُرد في لُرسْتان الصغرى (الشمالية) وشهرزور خلال العصر الوسيط، اصدار مؤسسة رَيْن - السليمانية، ٢٠١١، ص ٨٨٩.

^٤ الراوندي ٣٤٤؛ سلجوقنامه ٦٢.

^٥ ابن الاثير ١١/١٠٤؛ الحسيني ١١٨.

عودة ابن آق سنقر:

ذكرت المصادر أسماء حكام عديدين لأذربيجان خلال المدة التي اختفى فيها اسم ارسلان آبه بن آقسنقر الاحمديلي من سنة ٥٣٠هـ وحتى سنة ٥٤١هـ، وهذا يدل على ان الاقليم كان خلال ذلك مقسماً، يحكم كل قسم أمير، ويدل أيضاً ان ابن آقسنقر ابان تلك المدة، أما ان يكون حكمه ضعيفاً الى درجة انه لم تكن له تلك الاهمية بحيث يستوجب ذكره، واما انه لم يكن في الحكم اصلاً، او انه لم يبق على قيد الحياة وان الذي ظهر في سنة ٥٤١هـ شخص اخر غير ذلك.

والذين برزوا في تلك الحقبة الزمنية هم الاسماء: قره سنقر، الذي كان قد اطلق عليه "صاحب أذربيجان"، والامير الاتابك غرأغلي (اي ابن الغز بالتركية) السلاحلي، حيث اقطعت له تبريز في سنة ٥٣١هـ، والامير جاولي الجاندار الذي اصبح حاكماً على جميع اعمال قره سنقر في أذربيجان وأران، سنة ٥٣٥هـ والامير شيرغير بن آقسنقر حيث جهز جيشاً سنة ٥٤٠هـ لمقاتلة اعداء السلطان مسعود، ولابد انه كان يحكم جزءاً من أذربيجان - وان لم تذكر المصادر الجهة التي كان يحكمها - والأما كان بإمكانه تهيئة جيش كبير، ويبدو لنا ان شيرغير كان واسع النفوذ والسلطة، فقد جاء عند الباكوي بأن الاتابك شيرغير بنى قنطرة عجيبة على نهر عظيم بين مدينتي أوه وساوو مكوّنة من سبعين طاقاً، ((ليس على وجه الارض مثلها)) على حد قول الباكوي^١، فلو لم يكن واسع النفوذ لما امكنه بناء مثل هذه القنطرة الضخمة في ذلك الوقت.

ونذكر خلال تلك المدة: الامير عبدالرحمن طغايرك الذي كان صاحب خلخال وبعض أذربيجان في حوادث سنة ٥٤٠هـ، ثم بعد وفاة الجاندار سنة ٥٤١هـ أقرت اليه أذربيجان وأران جميعها ومن بينها تبريز، التي كانت من ضمن ممتلكات خاص بك بن بلنغري، كما ان أورمية في سنة ٥٤١هـ كان تحت هيمنة الملك محمد بن محمود وكان يقيم فيها^٢.

وظهر كذلك خلال تلك الحقبة: الاتابك ايلدگز الذي اسس الامارة الايلدغزيه سنة ٥٣١هـ، واستولى على اجزاء مهمة من أذربيجان، وسنتناول هذه الامارة بالتفصيل في الفصل الاتي.

^١ تلخيص الاثار وعجائب الملك القهار، موسكو، ١٩٧١ ان ص ٣٤٣.

^٢ سلجوقنامه ٦٤.

وبرز أيضاً اسم ابن آقسنقر في أوائل سنة ٥٤١هـ، حين انتزع الأمير جاولي الجاندار تبريز من خاص بك بن بلنگرى واعطاها الى "ارسلان آبه"، مما يدل على ان تبريز لم تكن خاضعة لنفوذه قبل سنة ٥٤١هـ، ثم ظهر في هذا العام أيضاً اسم الأمير "آق ارسلان"^١، -لعله ابن آقسنقر ارسلان آبه-، فقد توجه خاص بك بن لنگرى الى ارانية، فملكها -بعد مقتل ابن طغايرك-، ثم حاصر اردبيل وكان فيها الأمير "آق ارسلان" فاخرجه منها بعد ان اعطاه الامان ومنها توجه الى مراغه فحاصرها ولكن الحصار طال دون ان يتمكن من احتلالها^٢.

ويرد في العام نفسه أيضاً اسم الأمير شيرگير واخوه الاتابك ارسلان آبه، فبعد قتل عبدالرحمن طغايرك وعباس صاحب الري من قبل السلطان مسعود ارسل السلطان الى بوازبه - صاحب فارس وخوزستان (عريستان) - يهدده بعاقبة عصيانه معه، كما فعل بصاحبيه عبدالرحمن وعباس، عندئذ احتاط بوازبه لنفسه وجمع جيشاً توجه به الى اصفهان، ومعه الملك محمد واخاه ملكشاه ابنا محمود، ونصب الملك محمد على العرش. اما السلطان مسعود فقد أمر خاص بك بلنگرى بجمع جيوش كنجه واران، وامر يلدگزال والأمير شيرگير واخاه الاتابك ارسلان آبه بجمع جيوش اذربيجان، والتوجه الى همدان، لمقابلة بوازبه وجيشه، فالتقى الفريقان في مرج قراتكين -القريب من همدان-. انتهت المعركة بانتصار جيش السلطان مسعود^٣.

كان هناك عداة قديم بين الأمير خاص بك والاتابك ارسلان آبه، ويبدو ان العلاقات ساءت بين السلطان وبين ارسلان آبه، فقد وجدنا ان السلطان ومعه خاص بك بلنگرى يحاصران مراغه في عام ٥٤٥هـ/١١٥٠-١١٥١م ويتمكنا من احتلالها وتحطيم سورها القوي، ثم تدخل الامراء بينهما، فانهت الخصاص الى المصالحة بين خاص بك وارسلان آبه وذلك في لقائهما امام قلعة روين دن^٤.

^١ العماد الاصفهاني، الحسيني ١١٨، ويقول محقق كتاب الحسيني بأنه ورد في الاصل: آقسنقر.

^٢ العماد الاصفهاني، ١٩٩؛ الحسيني ١١٨.

^٣ سلجوقنامه ٦٣؛ الراوندي ٣٤٨-٣٤٩؛ المنتظم ١٢٤/١٠؛ العماد الاصفهاني ٢٠٠-٢٠٢؛ خواند

امير، تاريخ حبيب السير ج ٤ مج ٢/٥٢٤.

^٤ سلجوقنامه ٦٥؛ راحة الصدور ٣٥٢

توفي السلطان مسعود في عام ٥٤٧هـ/١١٥٢م، وبموته ضعفت دولة سلاجقة العراق واصبحت عرضة للفتن والحروب الداخلية، والعوبة في يد الامراء وقواد الجيش وأتابكة آذربيجان^١.

خلف ملكشاه عمه مسعود على العرش، وكان سليمان شاه بن محمد اخو السلطان مسعود، آنذاك مسجوناً، فلما سمع ب وفاة ابيه، هرب من السجن بمساعدة حافظ القلعة التي سجن فيها، وضم اليه الامراء كالاتابك ايلدگز والاتابك ارسلان آبه وغيرها^٢. اما ملكشاه فقد انصرف الى اللهو والشراب فخلعه الامراء، واجلسوا اخاه السلطان محمد على العرش، على كره منهم، وكان الاميران خاص بك بن بلنگرى وزنكى الجاندار -الذي وصف بصاحب آذربيجان- يميلان الى ملكشاه، فعندما استلم محمد السلطنة احضرهما لمأدبة اقامها، وأمر بجز راسيهما فقتلا^٣.

ويذكر العماد الاصفهاني في سنة ٥٤٧هـ، ابن آق سنقر، ويسميه "نصرة الدين خاصبك بن آق سنقر"^٤، صاحب مراغه، وذلك في رواية يقول فيها بان السلطان محمد ارسل رأس خاص بك بن بلنگرى الى الاميرين الكبيرين: شمس الدين اتابك ايلدگز ونصرة الدين خاصبك بن آق سنقر، وقصد بذلك تخويفهما حتى لايجران على عصيانه لكن هذا العمل اثار الاميرين، واصبحا لا يثقان به، لان السلطان كان قد حلف لخاصبك بن بلنگرى وابرم معه الموائيق، وكان هذا لوثوقه بالسلطان، فارسلوا اليه يقولان له: ان ثقتنا بك انعدمت وان يمينك وقسمك لنا سيكون كما اقسمت وحلفت لخاص بك^٥.

وكان الاميران مترددين في الانحياز الى السلطان سليمان بن محمد لانه كان سكيراً، ولكن فقدانهما الثقة بالسلطان محمد، جعلهما يميلان الى السلطان سليمان، فتوجها بجيشهما الى همدان سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣-١١٥٤م، ففر منها السلطان محمد واستقر سليمان على سرير الملك، الا ان ادمانه على الشرب، جعل الامراء ينفرون

^١ افضل الدين الكرمانى، عقد العلى للموقف الاعلى، طبعة طهران، ١٣١١ هـ. ش. ص ٧.

^٢ سلجوقنامه، ٦٨؛ الراوندي ٣٧٦-٣٧٧.

^٣ البنداري ٢١٢، الحسيني ١٢٧.

^٤ البنداري ٢١٣؛ واورد خواند امير اسمه هكذا: "نصرة الدين آقسنقر بن خاص بك"، تأريخ حبيب السير، ج ٤، مع ٥٢٧/٢.

^٥ البنداري ٢١٣.

منه، فأنفصل عنه شمس الدين ايلدگز ورجع الى اذربيجان، كما واعتزم نصره الدين آق سنقر على الرجوع الى ولايته وانضم اليه بقية الامراء وقرروا القبض على السلطان سليمان، فلما اردوا تنفيذ ذلك هرب^١.

ولما عاد السلطان محمد الى الحكم سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤-١١٥٥م، رأى من مصلحته ان يعقد صلحاً مع صاحبي اذربيجان ايلدگز و"نصرة الدين ارسلان آبه" (يذكره العماد هذه المرة بهذا الشكل)، فأوفد رسولاً منه الى اخيه الملك جغري شاه والى ايلدگز وارسلان آبه، لاصلاح ما بينه وبينهم، وتم الصلح وذلك باقتسام ايلدگز وارسلان آبه بلاد اذربيجان بينهما، وتوثق هذا الاتفاق بينهما اكثر بعقد مصاهرة بين الاميرين، فزوّج ايلدگز ابنته الى ارسلان آبه^٢، واعطيت اردبيل لامير اسمه: نصره الدين آغوش (آقوش)، واصطلاح الاخوان جغري والسلطان محمد، ولكن عندما وصل جغري الى همدان اعتقله، ولم يُسمع له خبر بعد ذلك، ويصف العماد الاصفهاني - وكان انذاك في همدان - هؤلاء السلاطين خير وصف، بقوله: ((فالرحم عندهم مقطوعة، والرحمة ممنوعة، والعزة في خدمتهم بالذل مشفوعة...، يقسمون ويحنثون، ويبرمون وينكتون))^٣.

واقام السلطان محمد عزاء، في العام نفسه، لوفاة خليلته^٤، بنت السلطان مسعود، فتوجه الاتابك ايلدگز بجيشه والامير شيرگير^٥ بن آق سنقر بجيش اخيه ارسلان آبه، الى همدان لحضور مجلس العزاء، فأظهر السلطان - وكان العماد الكاتب الاصفهاني حاضراً في المجلس - احتراماً كبيراً لهما، فمنحهما هذا الاحترام قوة وسلطة اكبر^٦.

ويبدو ان اكثر اذربيجان - ان لم يكن كلها - اصبحت خاضعة للامير ارسلان آبه الاحمديلي سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م، فقد فوض السلطان محمد في تلك السنة - بعد عقد

^١ البُنْداري ٢١٤-٢١٥؛ مرآة الزمان، ج ٨، ق/٤٤٥؛ تاريخ حبيب السير ٥٢٧-٥٢٨.

^٢ البُنْداري؛ الحسيني ١٣٣.

^٣ البُنْداري ٢٢٤.

^٤ هكذا جاء في النص عند العماد الاصفهاني، ينظر: ص ٢٢٥.

^٥ في المطبوع من تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٢٢٥: "شير بن آق سنقر"، جاء بهذا الشكل، لان الناسخ قد اسقط المقطع الثاني من الاسم: "گير" فالصحيح هو شيرگير.

^٦ تاريخ دولة آل سلجوق ٢٢٥.

الصلح مع الامير ايلدگز واعلان طاعته له - اليه ولاية أران، بينما ولى اذربيجان للامير ارسلان آقسنقر الاحمديلي^١.

توفي السلطان محمد بن محمود في أواخر سنة ٥٥٤هـ/أواخر سنة ١١٥٩م، وسلم -قبل وفاته- ولده الصغير: داود الى "آقسنقر الاحمديلي" كوديعة لديه - فقد قال له: ((أنا اعلم ان الناس لاتطيع مثل هذا الطفل وهو وديعة عندك فأرحل به الى بلادك))^٢. فرحل به الى مراغة، وهذا دليل على درجة اطمئنان السلطان محمد لآقسنقر، بحيث اودع لديه ولده الصغير الوحيد.

العلاقة بين ابن آقسنقر الاحمديلي وبني ايلدگز:

كانت العلاقات طيبة بين ابن آق سنقر وايلدگز، ولكنها توترت في سنة ٥٥٢هـ، عندما فوّض السلطان محمد اذربيجان للامير ارسلان بن آقسنقر، ثم ساءت بعد مقتل سليمان شاه، اذ كان وجود ابن السلطان محمد -داود- لدى ابن آق سنقر -وهو المنافس لارسلان شاه في السلطنة- سبباً في تجديد الخصومة بينه وبين ايلدگز، فعندما ارسل ايلدگز الى ابن آقسنقر يدعوه الى الاعتراف بسلطنة ارسلان شاه، امتنع واجاب بأنه لديه سلطان، ويقصد به ابن السلطان محمد، وكان ابن هيرة -وزير الخليفة المستنجد- لايميل في الخطبة لارسلان شاه، فراسل ابن آق سنقر ووعده بالخطبة لابن السلطان محمد، فسير اليه ايلدگز جيشاً بقيادة ابنه البهلوان وذلك في سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م، ولما وصل الخبر الى ابن آق سنقر طلب المساعدة من شاه ارمن صاحب خلاط، فأرسل هذا اليه جيشاً كبيراً، والتقى جيشا البهلوان وآق سنقر على نهر سبيز رود، اسفرت المعركة عن انهزام البهلوان، وطلب اكثر اصحابه الامان من ابن آق سنقر، ورجع هذا الى بلدته مراغه منتصراً^٣.

^١ الحسيني ١٤٢.

^٢ الصدي، تاريخ دول الاسلام، طبعة ١٩٠٧، ج ٢/١٠٩.

^٣ ابن الاثير ٢٦٩/١١؛ ابن خلدون ١٠٧٦/٣، ١٦٧/٥.

وقدّم ابن آقسنقر مساعدة عسكرية الى حسام الدين اينانج - صاحب الري وعدوّ ايلدگز- ومع هذه المساعدة فقد انهزم اينانج شرّ هزيمة وذلك في شعبان من سنة ٥٥٦هـ/آب ١١٦١م^١.

ولكن العداوة بين ايلدگز وابن آق سنقر كادت تتلاشى، ليحل محلها الوفاق، اذا ماهاجمها عدو مشترك، كالگرج مثلاً، فكانا يشتركان معاً في صده، وعندما هاجم الگرج في سنة ٥٥٧هـ/١١٦٢م، مدينة دوين، وقتلوا وسبوا عدداً كبيراً من سكانها واحرقوا الجامع والمساجد، اتّحد ابن آق سنقر مع ايلدگز للانتقام من الگرج، فسارا سوياً بجيش يزيد على خمسين الف مقاتل سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م، في حملة ضد الگرج، انتهت بانتصار المسلمين^٢.

وكان هذا الوفاق بين ابن آق سنقر وايلدگز كان مؤقتاً، اذ عاد التصادم بينهما في سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م، فقد ارسل "ابن آقسنقر الاحمديلي" التماساً الى الخليفة العباسي بالخطبة لداود الذي كان والده السلطان محمد بن طغرل قد اودعه لديه، وتعهد ابن آقسنقر مقابل ذلك بان لايطأ ارض العراق، فأجيب الى ملتسمه واعترف الخليفة بشرعية داود، فتوطد نفوذ ابن آقسنقر، واستاء ايلدگز من هذا الامر، لانه يريد ان تكون الخطبة لارسلان بن طغرل -وهو خاضع لسيطرته- وكان الخليفة قد امتنع عن الخطبة له، فجّهز ايلدگز جيشاً كبيراً وجعله تحت قيادة ابنه الپهلوان

^١ ابن الاثير ٢٧٠/١١؛ ابن خلدون ١٠٧٧/٣، ١٦٨-١٦٩.

^٢ اختلف المؤرخون في تأريخ الهجوم على بلاد الگرج، فالحسيني يذكر انها كانت في سنة ٥٥٦هـ (اخبار الدولة السلجوقية، طبعة ١٩٣٣، لاهور، ص ١٦٢)، والفارقي يقول: انها كانت في ٩ من شعبان سنة ٥٥٨هـ (ذيل تأريخ دمشق، طبعة ١٩٠٨، ص ٣٦١، نقلاً عن الفارقي في تأريخه)، ويقول ابن الاثير ان المسلمين توجهوا الى بلاد الگرج في صفر سنة ٥٥٨هـ (٢٨٧/١١). اما المؤرخون المتأخرون كابني الفدا وابن الوردي والذهبي فيذكرون تأريخ سنة ٥٥٧هـ. وتعد روايتا الفارقي (ولد سنة ٥١٠هـ، وكان معاصراً للحدث) وابن الاثير اقرب الى الصحة، اضافة الى ان الهجوم على بلاد الگرج حدث بعد نهب الگرج لمدينة دوين في سنة ٥٥٧هـ، على ما اجمع عليه المؤرخون، لذلك ان الهجوم على الگرج كان في السنة التالية (سنة ٥٥٨هـ). ينظر:

ابن الاثير ٢٨٦/١١؛ الفارقي في ذيل تأريخ دمشق ٣٦١؛ ابو الفدا، المختصر ٣٩/٣؛ تأريخ ابن الوردي ٩١/٢؛ الذهبي، العبر ١٦١/٤؛ دول الاسلام ٧٢/٢.

لمقاتلة ابن آقسنقر فأحتمد القتال بينهما واسفر عن هزيمة ابن آقسنقر وتحصنه في مراغه، ثم انتهى الامر بعقد صلح بينهما، وعاد الپهلوان الى ابيه^١.

لم يذكر ابن الاثير الاسس التي تم بها هذا الصلح، وماذا تم بشأن داود ابن السلطان محمد، الذي كان آقسنقر قد نجح في مسعاه فحصل على اعتراف الخليفة به، ولكننا، بعد هذا الصلح، لم نعد نسمع عن داود، وهذا يجعلنا نعتقد ان الصلح بين ابن آقسنقر والپهلوان قد تضمن اقرار ابن آقسنقر بسلطنة ارسلان بن طغرل.

تجدد القتال بين الاتابك ايلدگز ابن آقسنقر، فبعد مقتل اينانج صاحب الري- في سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨-١١٦٩م، سلم السلطان ارسلان الري الى الاتابك ايلدگز، وعلن ابن آقسنقر العصيان على السلطان وشن الحرب عليه، فأوعز السلطان الى ايلدگز بالتوجه اليه ومقاتلته، وانتهى القتال بانتصار ايلدگز، وفوض اقطاع مراغه الى الاخوين: علاء الدين وركن الدين، كما يقول حمدالله المستوفي^٢.

٤. فلك الدين بن آقسنقر:

لا نعلم ماذا حدث لابن آقسنقر، فقد اختفت اخباره حتى سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤- ١١٧٥م، ان يذكر ابن الاثير في حوادث تلك السنة، ان تبريز كانت تابعة لابن آقسنقر الاحمديلي، ولكن عندما توجه الپهلوان- وكان قد تولي الحكم سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م- بعد وفاة والده ايلدگز- الى تبريز قاصداً انتزاعها، وعدداً من قلاع ومدن اذربيجان من سيطرة الاحمديلية في سنة ٥٧١هـ، كان صاحبها ابن آقسنقر قد توفي، ويعني ذلك انه لم يكن حياً في تلك السنة، وكان قد اوصى -قبل وفاته- بولاية العهد لابنه فلك الدين^٣. استعصت قلعة روين دژ المنيعة على الپهلوان فتركها وحاصر مراغه القريبة منها، كما بعث اخاه قزل ارسلان في جيش الى تبريز فحاصرها، وعندما اسر اهالي مراغه عدداً من افراد جيش الپهلوان، اطلق القاضي سراحهم وارسلهم الى الپهلوان،

^١ ابن الاثير ٣٣٢/١١؛ تاريخ گزيده ٤٦٢.

^٢ تاريخ گزيده ٤٦٢.

^٣ ابن الاثير ٤٢٣/١١؛ وقد وقع في الوهم عندما حدد سنة وفاته ب(٥٦٨هـ) والصحيح ما اثبتناه في المتن، ابن خلدون ١٧٩/٥ (طبعة بيروت، ١٩٦١).

فأثر هذا العمل عليه وقبل بالتفاوض مع القاضي، وانتهت المفاوضات بالاتفاق على تسليم تبريز الى البهلوان، فأستلمها واعطاها الى اخيه قزل ارسلان وتخلي عن مراغه^١. تدل هذه الرواية على ان تبريز كانت من ضمن ممتلكات امراء مراغه الى سنة ٥٧١هـ، حيث انتزعها منهم البهلوان. لم تذكر المصادر معلومات عن فلك الدين، عدا الخبر الذي اوردناه لابن الاثير، ولانعلم عن مصير الامير شيرگير اخو ابن آق سنقر.

٥. علاء الدين كُريه ارسلان^٢:

ذكرت مصادر مختلفة اسماء اخوانه، ولكنها اختلفت في ذكر اسم والده، فحمدالله المستوفي يذكر انه اخو ركن الدين^٣، وابن الاثير يقول ان فلك الدين هو ابن ابن آقسنقر^٤، اي ابن نصره الدين ارسلان آبه بن آقسنقر، في حين اشار الشاعر نظامي الكنجوي في بيت شعر له الى اخ لعلاء الدين وهو فلك الدين، فيقول:

ان بلندی بردار فلك است در بزرگی مقابل ملک آست^٥

واذا صح ما قاله الكنجوي، فإن علاء الدين وفلك الدين وركن الدين هم اخوان، وابناء نصره الدين ارسلان آبه بن آقسنقر، ولكن ابن الاثير يذكر في مكان آخر -في حوادث سنة ٦٠٤هـ) ان علاء الدين هو ابن قراسقر^٦، وأيده في ذلك المؤرخون الذين نقلوا عنه: كالذهبي^٧ (ت ٧٤٨هـ)، والاشرف الغساني^٨ (ت ٨٠٣هـ) وابن خلدون (ت ٨٠٨هـ). وفي رأينا

^١ ابن الاثير ٤٢٣/١١؛ ابن خلدون ١٧٩/٥؛ ابو الفداء، المختصر ٥٧؛ تاريخ ابن الوردي ١٢١/٢.

^٢ كُريه ارسلان: وتعني بالتركية الاسد الصغير او الشبل، فكريا: الصغير او الشبل، وارسلان: الاسد، وكان بعض سلاطين السلاجقة وامرائهم يتلقبون بالقاب الحيوانات ولاسيما الاسود، دلالة على الشجاعة والاقدام مثل: ارسلان (الاسد) ارسلان آبه (صائد الاسود)، قرا ارسلان، الاسد الاسود، آق ارسلان (الاسد الابيض)، فلج ارسلان (الاسد الاحمر)، قتلغ ارسلان (الاسد المبارك)، قنچ ارسلان (الاسد السيف).. الخ. شهرياران كُمنام ٢٤١/٢ ح ٢٢.

^٣ تأريخ گزيده ٤٦٢.

^٤ الكامل ٤٢٣/١١.

^٥ شهرياران كُمنام ٢٤١/٢.

^٦ الكامل ٢٧٥/١٢.

^٧ تأريخ الاسلام (المخطوط)، و ٨٤ ب.

^٨ العسجد المسبوك، العبر ٢٤٥/٥.

ان ورود اسم الأب على انه "قرانسقر" وليس "آقسنقر"، هو من وهم الناسخ، او ان ابن الاثير، قد نقل عن مصدر ورد فيه سهواً "قراسنقر" بدلاً من آقسنقر، فالشاعر نظامي الكنجوى، وقد عاش في بلاط علاءالدين، ينصّ في شعره على انه نسل "آقسنقر".^١

ويذكر صاحب كتاب تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، اسم علاءالدين كاملاً ومفصلاً، ويؤيد ما ذهبنا اليه من انه ابن لارسلان آبه، ونص الاسم هو: "علاءالدين ارسلان بن كُريه بن نصرةالدين آبه ارسلان بن أتابك قراسنقر الاحمديلي المراغي، ملك مراغه"^٢، وبذلك يؤيد ابن الاثير انتساب علاءالدين الى قراسنقر، ويبدو ان "بن" قبل "كُريه" مقحمة في النص والصحيح في اسمه هو: "علاءالدين ارسلان كُريه"، فالشطر الثاني من الاسم "ارسلان كُريه" هو لقب لـ "علاءالدين" وليس اسماً لوالده، ويؤيد قولنا هذا تسمية الشاعر نظامي الكنجوى له بـ "علاءالدين كُريه ارسلان"، وذلك في قصيدته التي نظمها سنة ٥٩٣هـ،^٣ وكذلك سمّاه حمدالله المستوفي بـ "علاءالدين كُريه"^٤.

^١ شهرياران گمنام ٢/٢٤٥.

^٢ تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، المنسوب الى ابن الفوطي خطأ، ج٤، ق٢، ص ١٠٧٠.

^٣ جاء في بعض قصيدته الطويلة اسم علاءالدين ولقبه وسنة نظمه لها منها:

ان بس پانصد ونود وسه قران	گفتم اين نامه راجو ناموران
عمدة المملكت علاءالدين	حافظ وناصر زمان و زمين
شاه كُريه ارسلان كشوركير	به از الپ ارسلان بتاج وسرير
نسل آقسنقر مؤيد ازوست	اب وجدهم كما أبجد ازوست؟
نقشبند طراز افسر وجاه	نصرت الدين ملك محمد شاه... الخ.

ينظر: شهرياران گمنام ٢/٢٤٤-٢٤٥.

ترجمة الابيات الثلاث الاولى:

"في سنة ثلاث وتسعين وخمسائة	نظمت هذه القصيدة العظيمة
نظمتها لعلاءالدين عماد المملكة	حافظ وناصر العهد والارض
ان الملك كُريه ارسلان فاتح الاقطار	خير من الپ ارسلان بالتاج والسرير

ينظر: د. رضا زاده شفق، تاريخ الادب الفارسي، طبعة ١٩٤٩، ص ١٠٧.

^٤ تاريخ گزيده ٤٦٢.

اما الاحداث التي شهدها علاء الدين، فيروي ابو حامد^١، ان علاء الدين -ويلقبه تلاس برسي- مال الى قتلغ اينانج^٢ -من بني ايلدگز- الذي استاء من قتل السلطان طغرل بك -آخر سلاطين السلاجقة- لـ (آي آبه وازابه)^٣ في جمادي الاولى سنة ٥٨٤هـ/تموز ١١٨٨م، ولكن السلطان استطاع ان ينال عطف علاء الدين وان يجعله يميل اليه، واعطاه عهداً بعدم التعرض له، فرجع علاء الدين الى مراغه، وتحسنت علاقته معه، ثم قرر التوجه الى همدان لتقديم فروض الطاعة الى السلطان، فلما وصل اليه: اعزه واکرمه الى ابعد حد، الى درجة انه عهد اليه بتربية ابنه بركياروق، وعلى هذا الاساس فقد منحه لقب الاتابك^٤.

العلاقة بين علاء الدين وبني ايلدگز:

اختلف اسم علاء الدين حتى سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥م، عندما حاول التحالف مع مظفر الدين گوگري، صاحب اربل، بأسترداد تبريز من ابي بكر بن الپهلوان اللدگزي^٥ -خليفه قزل ارسلان-، وكان الپهلوان قد انتزع تبريز من الاحمديلية سنة ٥٧٠هـ، واعطاها الى اخيه قزل ارسلان. وكان علاء الدين يهدف من ذلك خلع ابي بكر بحجة ضعفه وانشغاله بالشرب واهماله لامور الرعية، وهذا السبب -على ما يبدو- هو الذي جعل كوكگري يشارك علاء الدين في الحملة عليه، نظراً لاشتهاره بالورع والتدين، اما دافع علاء الدين الى هذه الحملة فهو خلافه مع ابي بكر بن الپهلوان على احدى القلاع^٦.

^١ ذيل سلجوقنامه ٨٧.

^٢ قتلغ: كلمة تركية وتعني: كل ((شيئ مبارك وبه يسمى الرجل)) (الكشغري، ديوان لغات الترك، ٢٧/١)، واينانج، اصلها: "إننج"، وتعني "المبارك"، اما محمد بن عبد الوهاب القزويني فيفسر كلمة "قتلغ" بمعنى: ((مبارك وسعيد)) (سعدى نامه، مجموعة مقالات في العيد السبعماوي للگلستان، طبعة سنة ١٣٦٥هـ، ص ١٠٦، مقال القزويني، ممدوحين شيخ سعدي شيرازي)، بينما يرى قاميري (تأريخ بخارى ١٥١)، ان قتلغ اينانج، يعني "المؤمن السيد".

^٣ كانا عبيدين كبيرين قديمين، قتلها لمحاولتهما السيطرة، (ذيل سلجوقنامه، لابي حامد، ٨٧).

^٤ ذيل سلجوقنامه ٨٧؛ الرواندي، راحة الصدور، ص ٤٨٣.

^٥ سماه مينورسكي بـ "الطروب" (مادة تبريز، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، ٥٢٤/٤)، ولاندري من اين اقتبس هذا اللقب.

^٦ الكامل ٢٤٢/١٢.

وظن ان ضعفه وانشغاله بالشرب واللهو، يُسهّل الانتصار عليه. توجه جيش اربل الى مراغه واجتمع مع علاءالدين وقصدا تبريز، فلما سمع ابوبكر بذلك وادرك عجزه عن مواجهتهما، ارسل الى شمسالدين آيْدُغْمِش^١، احد ممالك ابيه (الپهلوان) وصاحب بلاد الجبل: همذان واصفهان والري، يطلب النجدة منه، فلبى هذا طلبه، وتوجه اليه بجيش كثيف وعندما وصل، حاول الاتصال بكوگبری وتهديده، والتأثير عليه ليسحب جنده ويعود الى بلاده، لذا بعث برسالة اليه بذلك، وينبئه الى ضعف عسكره وكثرة جيشه هو -أي ايدغمش- وسعة البلاد التي يحكمها، وانه اي كوگبری، رجل يحب العلم والخير فما له بمقاتلة المسلمين؟ والافضل العودة الى بلاده، فلما وصلت اليه الرسالة وما سمعه من كثرة جيش ايدغمش، قرّر العودة الى اربل على الرغم من الحاح علاءالدين عليه بالبقاء، وكان قد سهّل له احتلال تبريز، وقال له ان امرأ ابن الپهلوان قد راسلوه بانهم سيكونون معه ويتخلون عن ابن الپهلوان اذا قصدهم، ولكن كوگبری عاد مسرعاً الى بلاده، للتخلص من هذه الورطة قبل ان يلحق به جيش اغدمش، وسلك اوعر الطرق واصعب المسالك كي يصل بلاده باقصر طريق واقل وقت. ان تخلي كوگبری عن علاءالدين وسحب جيوشه، شجع ابوبكر وايدغمش على محاصرة مراغه، الا ان الحصار انتهى بالصلح مع علاءالدين، بتسليم قلعة من حصونه الى ابي بكر، واقطع بدلاً من ذلك مدينتي آشنه (شنو) وارمية (ورمى)، ثم رجع كل منهما الى بلاده، وهكذا خرجت مدينة تبريز منذ سنة ٥٧٠هـ من حكم الاحمديلية واصبحت نهائياً من ممتلكات بني ايلدگز^٢.

توفي علاءالدين سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧-١٢٠٨م، وخلف طفلاً، فتعهد خادم له بتدبير امور دولته، واستطاع هذا الخادم الجري والوفي، الدفاع عن مراغه، وأن يصدّ جيشاً كبيراً بقيادة امير من امرأ سيده علاءالدين، ولكن الطفل توفي بعد ذلك بسنة -أي سنة ٦٠٥هـ- فلما سمع نصرالدين ابوبكر بذلك توجه الى مراغه، واستولى عليها وعلى جميع ممتلكات الاحمديلية، عدا قلعة روين دن المستحكمة (القريبة من مراغه)

^١ كذا ورد عند ابن الاثير، وعند الراوندي، راحة الصدور ٥٤٨: آيْدُغْمِش، وتعني الكلمة بالتركية: (طلّع

القمر)، ينظر: الجويني، تاريخ جهانگاشي، تحقيق محمد عبدالوهاب القزويني، جلد ٢، ح ١٦.

^٢ ابن الاثير ٢٣٦/١٢-٢٣٧؛ ابن الساعي، الجامع المختصر ١٧٥؛ ابن خلدون ١٨٣/٥-١٨٤؛ ينظر:

محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي، طبعة ١٩٧٦، ص ١٧٦-١٧٩.

والتي تحصن بها الخادم، محتفظاً فيها بخزائن سيده، فوقفت القلعة صامدة امام محاولات ابي بكر لاحتلالها^١.

الشعراء وامراء الاحمديلية:

نستدل من ذلك ان حكام مراغه، قد ضعفوا في السنوات الاخيرة من حكمهم، ولكن الشاعر نظامي الغنجوی، حين اهدى الى علاء الدين كربه ارسلا منظومته، "هفت بيكر"^٢ - وكان حاكماً ضعيفاً لاحول له ولا قوة - اضاف عليه صفات البطولة والعظمة وسعة النفوذ في سبيل الحصول على الجائزة، واخذة يشوق الحاكم على منحه بسخاء، وانه جعل المنظومة باسمه، وبذلك سيخلد اسمه ابد الدهر، ثم بين الشاعر حاجته الى العطاء^٣. وقال: ((ان علاء الدين عمدة المملكة وحاكم الارض، والزمان وحاضرها، هو الملك كُرب ارسلا الفاتح، وهو احسن من آلب ارسلا تاجاً وعرشاً، انه الهادي، لانه شمس هذه الارض ودولته خاتمة الدول العظيمة، فهو عظيم يمنح العظمة، وقرين للسماء في الرفعة وللحساب في الكرم، جسمه كالأسد في قوته واسمه أسد))^٤.

ويذكر الشاعر انه من نسل آقسنقر، فقال: ((اعتز به نسل آقسنقر وبلغ ابوه وجده - بفضل - ذروة المجد))^٥.

واخذ يُضيف عليه صفات الجلال والعظمة في قوله: ((كل ولاية لها ملك مثلك، يحفظها الله من كل سوء، حتى انهم ليسمّونك مَعَز الاقاليم السبعة، لما يحسونه منك،

^١ ابن الاثير ٢٧٥/١٢؛ ابن الساعي، الجامع المختصر ٢٤٢/٩-٢٤٣؛ ابن خلدون ١٨٤/٥؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (المخطوطة)، و٨٤ب؛ العسجد المسبوك، (الجزء المطبوع)، ص ٣٢١.

^٢ يادداشتهاي قزويني، نشر ايرج افشار، طبعة طهران ١٣٤١، جلد ٦، ص ٤٥-٤٦. هفت بيكر، معناها "الصور السبع"، ويقول "د. عبدالنعم محمد حسنين": ولعل الشاعر يقصد صور بنات ملوك الاقاليم السبعة التي رأها بهرام گور (او بهرام الخامس) الذي حكم من عام ٤٢٠ حتى عام ٤٣٨م، مرسومة على حيطان قصر الخورنق: نظامي الغنجوی، طبعة ١٩٥٤، ص ٣٢٣ ح ١.

^٣ د. عبدالنعم محمد حسنين، المرجع السابق، ص ٣٢٤-٣٢٥، نقلاً عن: نظامي، هفت بيكر، نشر وتصحيح وحيد دسكردی، طبعة طهران، ١٣١٧، ه. ش، ص ٣٢-٣٤.

^٤ د. عبدالنعم، المرجع نفسه، ص ٤١، عن نظامي، هفت بيكر، ص ٢٢، وينظر: شهرياران گمنام ٢٤٤/٢. ^٥ د. عبدالنعم، المرجع السابق نفسه، وقد ترجمه عن: هفت بيكر، ص ٢٣، وانظر: هذه الابيات في شهرياران گمنام، ٢٤٥/٢.

من اسعاد.. فكل ولاية تتمنى ان تكون ضمن حدودك حتى تظفر بعطفك، وقد حكم منكم اربعة ملوك بأربعة اساليب وانت خامسهم بعمر مديد))^١.

عرف علاء الدين بعد له ونصرته للأدب، وله مكانة مرموقة في عالم الادب الفارسي على الرغم من انه لم يكن فارسياً، وكان الشاعر نظامي الكنجوى قد نظم "بهرام نامه" بأسمه، اضافة الى انه كان قد اهداه "هفت بيكر".

وصور نظامي عدل علاء الدين وحبه للعلم، فقال مخاطباً له: ((انت حرم للعدل والعلم، فمن غيرك يضع الكرم في موضعه؟.. وانني انا الذي عرفت هذه الحقيقة، وادركت انك ترعى اهل العلم، فلا تأبه لكلام المموهين ولا تقبل خدعهم))^٢.

وكان الراوندي -الذي عاصر علاء الدولة وينتهي كتابه بحوادث سنة ٥٩٥هـ- قد وصف علاء الدولة - صاحب مراغه- بالامير العادل^٣.

وختم نظامي مديحه بالدعاء لعلاء الدولة، فقال: ((عظمتك مقررة ولتكن اكثر علماً وعظمة واطول عمراً من الجميع، ولتبعد يد الزوال عن حدود دولتك وتهجرها في جميع الاحوال))^٤.

وانتهت منظومة "هفت بيكر" بزم الدنيا وغدورها، ثم مدح الشاعر حاكم مراغه، وان يرتفع شأنه وتكون خاتمته سعيدة، وذكر تأريخ اتمام المنظومة في ١٤ رمضان من سنة ٥٩٣هـ/٣٠ تموز ١١٩٧م، وانه ارسلها الى علاء الدولة في قلعة روين دن، واشاد باستحكاماتها ومنعتها^٥.

وكان نظامي قد اشار الى ابني علاء الدين: نصره الدين محمد وفلك الدين احمد، وربما كان واحد منهما هو الابن الذي ذكر ابن الاثير انه توفي في سنة ٦٠٥هـ، ويبدو ان الآخر قد توفي في حياة علاء الدين، اذ أن ابن الاثير -كما قلنا- ذكر بأنه توفي ولم

^١ د. عبدالنعميم، المرجع نفسه، مترجماً الابيات عن هفت بيكر ص٣١، وتجد الابيات في شهرياران گمنام ايضاً ٢/٢٤٧.

^٢ د. عبدالنعميم، المرجع نفسه ٤٢، نقلاً عن هفت بيكر، ص٣٢.

^٣ راحة الصدور، النسخة الفارسية، ص٤٤؛ العربية ص٩٠.

^٤ د. عبدالنعميم، المرجع المذكور ص٤٢، عن هفت بيكر ص٣٥.

^٥ المرجع السابق، ص٣٥٩، عن هفت بيكر، ص٣٦٧، والابيات المذكورة ايضاً في شهرياران گمنام ٢/٢٤٧-٢٤٨.

يخلف سوى طفل واحد، ويفهم من شعره ان فلك الدين احمد كان اصغر عمراً من أخيه نصر الدين محمد، وان علاء الدين قد ورّع الملك بينهما، وأشار الى امرأة سمّھا "بلقيس" ولكن لم يبين لنا هل هي امرأة علاء الدين ام هي زوجة امير آخر^١.

آخر شجرة نسب الاحمديلية:

عندما احتل المغول: المراغة في شهر صفر من سنة ٦١٨هـ/ آذار سنة ١٢٢١م، لم يكن فيها صاحب، لان صاحبها كانت امرأة من اسرة الاحمديلية، وهي حفيدة علاء الدين كُريه- تقيم في قلعة روين دن، فقاوم اهل مراغة المهاجمين، وكما هي العادة عند التتر في حروبهم فقد وضعوا الاسرى في الصفوف الامامية وامروهم بالهجوم فأَن عادوا قتلوهم، فكانوا بين نارين، واصبحوا كبش الغداء فقتل الكثير منهم وبعد ايام عدّة، استطاع التتر احتلال المدينة، ولكنهم وجدوا ان اهاليها قد اختفوا في داخل دروب المدينة، لجأوا عندئذ الى حيلة لاجراجهم، فأَمروا الاسرى بأن ينادوا ويعلنوا رحيل التتر، فاطمأن السكان، ولما خرجوا من مخابئهم، القوا القبض عليهم واعملوا السيوف في رقابهم وابادوهم عن آخرهم ونهبوا الاموال واحرقوا الاشياء التي لا يستفادون منها^٢.

ومما يدل على مدى خوف المسلمين ورعبهم من التتر، مما ادى الى دخول اليأس في نفوسهم وتخاذلهم، الرواية التي اوردها ابن الاثير في هذا المعنى، والتي سمعها بنفسه، ذلك ان امرأة مغولية قتلت جماعة من المسلمين ظناً منهم انها رجل، فلما كشف أمرها قتلها احد اسراها، كما ان رجلاً تترياً، وجد في احد الدروب مئة رجل فأخذ يقتلهم الواحد تلو الآخر، حتى أبادهم جميعهم، ووصلت بالناس الذلة الى درجة ان احداً منهم لم يجراً على منعه او قتله، وعلى الرغم من ان هذه الرواية لا تخلو من مبالغة، الا انها تدل على ماكان عليه المسلمون آنذاك من رعب وذعر، وقال ابن الاثير

^١ شهر ياران گمنام ٢/٢٤٥؛ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، مادة الاحمديلية ٤٠٢/٢.

^٢ الكامل، ١٢/٣٧٧-٣٧٨؛ النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي، طبعة ١٩٥٣، ص ٢٢٣، حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، طبعة القاهرة، ١٩٤٩، ص ١٣٥.

في هذا الصدد: ((وضعت الذلة على الناس، فلا يدفعون عن نفوسهم قليلاً ولا كثيراً، نعوذ بالله من الخذلان))^١.

وكان ابن الاثير قد ذكر انه بعد وفاة الابن الطفل لعلاء الدين سنة ٦٠٥هـ، ((انقرض اهل بيته، ولم يبق منهم احد))^٢. ان قوله هذا غير صحيح، لانه -كما رأينا- بعد سنوات عدة، حكمت امرأة من احفاده، مراغه وروين دز، وان ابن الاثير هو نفسه قد ذكر ذلك.

وكان اهالي مراغه، قد بعثوا برسالة الى شرف الملك، وزير السلطان جلال الدين خوارزمشاه -عندما قارب السلطان ازربيجان في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م- يطلبون فيها من السلطان التوجه الى المدينة لتخليصهم من الظلم وحكم النساء وتشبث اظفار الكرج بها، ومن المعلوم ان المقصود بـ(حكم النساء) هو حكم حفيدة علاء الدين للمدينة، وكان من نتيجة هذه الشكوى ان دخل السلطان المدينة بسهولة وبدون مقاومة فأقام بها أياماً ثم رحل منها^٣.

وحاصر شرف الملك روين دز في سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، وكانت صاحبته حفيدة علاء الدين قد تزوجت من الاتابك خاموش^٤ ابن أوزبك من بني ايلدگز صاحب ازربيجان، ومن المرجح انها افترقت عن خاموش واقامت في روين دز، لانه كان قد انضم الى السلطان جلال الدين ثم افترق عنه بسبب اهماله له وعدم التفاته اليه، فتوجه الى الاسماعيلية وتوفي في قلعة الموت (اهم وامنع حصونهم في فارس) بعد ذلك بشهر^٥. وليس من المعلوم انه كان قد رزق ابنه الاتابك نصرة الدين^٦ من الاميرة الاحمدية ام لا؟

لم يذكر ابن الاثير ولا النسوي اسم هذه الاميرة ولكننا عثرنا على نص ورد عند صاحب كتاب "تلخيص مجمع الاداب" -وكان قد نقله عن القاضي افضل الدين في كتابه "تاريخ بيشكين" الذي يعد الان من الكتب المفقودة - جاء فيه: ((وفي هذه القبة

^١ الكامل ٣٧٨/١٢، حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٣٥.

^٢ الكامل ٣٧٨/١٢.

^٣ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ص ١٩٤.

^٤ سمي خاموشا -اي الهامد الخامد- لانه كان اصماً اي كما لا يفهم ولا يستفهم منه الا بالاشارات.

النسوي، سيرة منكبرتي، ص ٢٢٣.

^٥ النسوي ٢٢٤.

^٦ الجويني، تاريخ جهانگشاي (بالفارسية) ٢٤٨/٢.

(اي القبة التي بناها علاء الدين غربه في المدرسة التي تنسب اليه في مراغه) دفنت سلافة خاتون زوجة الاتابك خاموش^١.

وهذا النص يحملنا على الاعتقاد بأن "سلافة خاتون" هي اسم صاحبة مراغه وروين دن، حفيدة علاء الدين، لانها كانت زوجة الاتابك خاموش، ودفنت في القبة الموجودة في مراغه والتي كان قد دفن فيها جدها.

ولما طال حصار شرف الملك لروين دن، ارادت الاميرة الاحمديلية انهاء الحصار فعرضت عليه الزواج منه، وانها على استعداد لتسليم القلعة اليه بعد الزفاف، وقبل ان يتم ذلك وصل السلطان جلال الدين خوارزمشاه الى المدينة، ورغب بالزواج منها بدلاً من وزيره، وتم له ما اراد، فزقت اليه، واقام بعد ذلك خادمه الخاص سعدالدين الدويدار^٢، والياً على القلعة، ونظراً لقوة استحکامات القلعة ومناعتها فقد بني اهالي المدينة الاف الدور داخل القلعة يلتجئون اليها عندما تحاصر المدينة^٣.

ويبدو ان سعدالدين الدويدار لم يستمر على حكمه لروين دن، اذ عادت المدينة الى العصيان على السلطان جلال الدين، فحاصرها في سنة ٦٢٧هـ/١٢٣٠م، فلما طال الحصار اضطر سكانها الى الاستسلام، فارسل السلطان احد خواصه، وطلب منه ان يوزع الخلع والاموال على من في القلعة، ولكن هذا وزعها على البعض وحرّم البعض الاخر منها، فارسل المحرومون من الهدايا والاموال الى شمس الدين سونج -وهو امير من امراء التركمان- يطلبون منه التوجّه الى القلعة لاستلامها، فجاء هذا واستلمها بكل سهولة وبدون قتال، وهي القلعة المستحكمة التي استعصت على الكثيرين، وكان يضرب بها المثل لمناعتها وحصانتها، حتى ان السلطان جلال الدين عجز عن اقتحامها وهو الذي كان ((كل ملوك الارض تهابه وتخافه)) حسب قول ابن الاثير،

^١ المنسوب الى ابن الفوطي، ج ٤، ق ٢، ص ١٠٧٨.

^٢ الدويدار او الدواندار او الدوادار او الدودار، اسم مركب من لفظين، احدهما عربي وهو الدواة، والثاني دار ومعناه ممسك، وصاحب وظيفة، الداودارية، ((هو الذي يحمل دواة السلطان او الامير، ويتولى امرها مع مايلحق ذلك من المهمات نحو تبليغ الرسائل عن السلطان او الامير وابلاغ عامة الامور، وتقديم البريد وغير ذلك)). النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي، ص ٢١٨هـ.

^٣ النسوي ٢٦٤؛ ابن خلدون ٢٨٥/٥؛ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، مادة الاحمديلية، الطبعة العربية الجديدة، ٤٠٢/٢.

وعندما تملكها سونج، استغل هذا ما اصاب جلال الدين من ضعف نتيجة لهزيمته على يد التتر، فأغار على مراغه القريبة منها وحاصرها، ولكنه قتل بسهم اصابه، فامتلك القلعة: اخوه، وقام هذا باعمال السلب والنهب وخرن الاموال المتجمعة من ذلك في القلعة خوفاً من التتر، فصادف جماعة منهم فقتلوه واخذوا ما معه من اموال السلب والنهب، وبعده استملك القلعة ابن اخت له^١.

ثم وقعت روين دز ومراغه في ايدي التتر سنة ٦٢٨هـ/١٢٣١م، وعندما كانوا يحاصرون مراغه طلب سكانها من المغيرين الامان، فأمنوهم، فاستسلموا، الا ان التتر قتلوا جماعة منهم ولكنهم لم يكثروا القتل فيها^٢.

وهكذا سقطت مراغه حاضرة الاحمديلية في ايدي المغول التتر، واستوطنت جماعات منهم فيها وفي غيرها من مدن اذربيجان.

^١ ابن الاثير ١٢/٤٩٣-٤٩٤؛ العسجد المسبوك، طبعة ١٩٧٥، ص ٤٤١/٤٤٢.

^٢ ابن الاثير ١٢/٤٩٧.



www.zheen.org

الفصل الثالث

الاتابكية الايلدگزيه

(٥٣١-٦٢٢هـ/١١٣٦-١٢٢٥م)

تمتع الاتابكة والامراء وقواد الجيش بنفوذ كبير في دولة السلاجقة، ولاسيما سلاجقة العراق، ولكن هذا النفوذ كان يتستر وراء السلاطين في وقت قوتهم، وبعد موت السلطان مسعود عام ٤٧٥هـ/١١٥٢م، الذي كان قوياً مرهوب الجانب، وضعف ولاه العهد به، ومنهم ملكشاه الذي اهتم تدير مهام الدولة وانصرف الى اللهو والشراب، ضعفت دولتهم، واصبحت مسرحاً للفتن والحروب الداخلية، فبرز الاتابكة والامراء والقواد على المسرح السياسي، واصبح السلاطين أدوات في أيديهم، يأتزمون بأوامرهم وينفذون رغباتهم^١.

وظهر عدد من الاسر المحلية في أوائل القرن السادس الهجري، نتيجة لهذا التفكك في السلطة السلجوقية، انشأها جميعاً عدا بضع امارات نائية- الاتابكة او القواد الاتراك الموالي، ومنهم: الاسرة الايلدگزيه او اتابكة آذربيجان، الذي استطاع مؤسسها (ايلدگن)، ان يحكم معظم الشمال الغربي للهضبة الايرانية، أي انه ضم الى حكمه قسماً كبيراً من املك السلاجقة التي تشمل: اقليم الرآن، واغلب آذربيجان وبلاد الجبال وهمذان واصفهان والري، وبالغ (ابن الاثير) في قوله ان حكمه امتد من تغليس الى مكران^٢، الواقعة شرق كرمان، فمن سير الحوادث ظهر لنا انه لم يصل حكمه الى كرمان ذاتها، فكيف وصل الى مكران؟

^١ الكرمانى، عقد العلى ٧؛ العماد الاصفهاني، تأريخ دولة آل سلجوق ٢١٠؛ اليزدي، العراضة في الدولة السلجوقية، طبعة ليدن، سنة ١٩٠٩، ص ١٢٨؛ عبدالنعم محمد حسنين، دولة السلاجقة، ١١٨؛ سلاجقة ايران والعراق ١٢٦-١٢٧، ١٣٦؛ نظامي الكنجوى، ٢٢؛ احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، طبعة ١٩٧٥، ص ٧٥.

^٢ ابن الاثير ٣٨٨/١١ حوادث سنة ٥٦٨هـ، بورزورث، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، مادة الايلدگزيه ٣٨٥/٥؛ هاملتون جب، دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة: د. احسان عباس وجماعته، ط ٢، ١٩٧٤، ص ١٢٦؛ حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي، ط ١٩٥٠، ص ١٠٨.

وحكم الايلدگزيون الاماكن المذكورة على اساس تبعيتهم للسلطين نظرياً، يعترفون بهذه التبعية على مناطق سكنهم ويخطبون بأسمهم، واستمروا على هذه الحالة حتى مقتل السلطان طغرل بن ارسلان، آخر سلاجقة العراق سنة ٥٩٠هـ/١١٦٤م، حيث استقلوا بعد ذلك، الى ان سقطت دولتهم نتيجة لتوسع المغول في فتوحهم غرباً^١.

حُكام الاسرة

١. الاتابك الاعظم: شمس الدين ايلدگز (٥٣١-٥٧١هـ):

أ. نشأته:

يعتبر ايلدگز مؤسس اتابكية آذربيجان، وأورد خواندامير قصة ارتقاء هذا الرجل من عبد مملوك مهمل الى اتابك يسيّر دولة سلاجقة العراق حسب هواه، في حين اصبح السلطان لاحول له ولا قوة، يأتّم بأوامر الاتابك. والقصة يبدو عليها التصنع، ذكرها خواندامير بالشكل الذي ورد فيها كي يظهر اسباب ارتقاء بعض الناس فيصنعون تأريخهم، ويبدو انه نقلها من مصدر لم يصل الينا، ونذكرها هنا لطرافتها، وأوردتها مؤرخون آخرون غيره، ولكن ليست بهذا الشكل من التفصيل، كما جاءت عند هذا المؤرخ. تقول القصة: كانت العادة في الازمنة السابقة -كما يروي ذلك المؤرخون الثقة- ان التاجر في ولاية القبجاق، اذا اشترى اربعين غلاماً بصفقة واحدة، يقدم البائع له غلاماً بدون مقابل، وفي عهد السلطان مسعود السلجوقي^٢ (٥٢٩-٥٤٧هـ/١١٣٤-١١٥٢م)، قام احد التجار في تلك الولاية بمثل هذه المعاملة، ونظراً لان ايلدگز ذا شكل قبيح ومنظر كريه، فأن البائع عدّه الغلام الذي يقدم دون مقابل، فلم

ومُكران: ناحية واسعة، تقع بين كرمان غرباً وسجستان شمالاً والبحر جنوباً (بحر عُمان) والهند شرقاً. ياقوت، معجم البلدان ٦١٢/٥، اي انها تشمل حالياً مقاطعة بلوچستان التي تتقاسمها ايران وباكستان، وتقع في جنوب شرقي ايران وصحراء كرمان وعلى حدود السند والبنجاب الغربية.

^١ يوزورث، دائرة المعارف الاسلامية، مادة الايلدگزيه، ج٥، ص٣٨٥.

^٢ كذا عند خواندامير، وفي ابن الاثير ٣٨٨/١١ ان هذا الشراء كان في عهد السلطان محمود، وهو الصحيح، لان عملية الشراء تمت قبل سنة ٥١٥هـ، وهي السنة التي قتل فيها الوزير السمرمي، وكان السلطان محمود آنذاك في الحكم، اما السلطان مسعود فأنه تولى السلطنة سنة ٥٢٩هـ.

يطلب عنه ثمناً، فوضع التاجر الغلمان في العربات، واتجه بهم نحو بلاد الجبال، وفي احدى الليالي، غلب ايلدگز النعاس وسقط من العربة، فأعيد اليها، وتكرر ذلك للمرة الثانية، فأعيد هذه المرة ايضاً، ولكنه عندما سقط للمرة الثالثة، لم يهتم به وترك، وواصلت العربات سيرها بدونه، فلما استيقظ وجد نفسه وحيداً، وجرى للحاق برفاقه الغلمان، فوصل اليهم وتعجب سيده من ذلك، وعندما وصلوا الى المكان المقصود، عرض التاجر الغلمان للبيع، فأشتراهم "كمال الدين السميرمي" وزير السلطان محمود، عدا ايلدگز لقبه، فبكى هذا واخذ يتضرع من الوزير بان يشتريه لوجه الله، فلما سمع الوزير ذلك اشتراه ايضاً، وحين قتل الاسماعيليون، السميرمي في بغداد سنة ٥١٥هـ/١١٢١م، انتقل ايلدگز الى خدمة السلطان محمود، وساعدت شخصيته المرححة على الوصول الى حضرة السلطان مسعود، بعد ان تولى السلطنة سنة ٥٢٩هـ، في صورة مضحك ونديم له، واوصى السلطان بايلدگز الى الامير نصر، كي يعلمه آداب الفروسية ورمي السهام، واستطاع هذا الغلام بمدة قصيرة ان يكون ماهراً في هذا الفن، وقام السلطان بتربيته عندما رأى منه آثار الرشد ورجاحة العقل، وكانت خدماته للسلطان مرضية، فقد اشتغل في مطبخه، واخذ يصنع من اطراف الغنم واحشائه وماغه، اكلة لذيذة لم تكن تعرف في قصر السلطان ويقدمها له، فأعجب به، واخذ يترقى في وظائف البلاط، حتى اصبح مقدماً في الجيش، ثم منح درجة اتابك^١ - كما سنرى ذلك فيما بعد -.

اسمه ولقبه وتعاضم شأنه:

غلب رسم اسمه في المصادر العربية والاسلامية: "ايلدگز" او "الدگز" - وتعني بالتركية - كما يرى فأمبري^٢: المشرف على الناس - على ان مينورسكي^١، يرى ان قراءته

^١ خواندامير: تاريخ حبيب السير ٥٧؛ النيشاپوري، سلجوقنامه، ٧٥؛ ابن الاثير ٢٦٧/١١ حوادث سنة ٥٥٦، وص ٣٨٨ حوادث سنة ٥٦٨، الصفدي، الوافي بالوفيات، طبعة بيروت، ١٩٧٣، ٣٥٨/٩؛ ابن خلدون ١٧٨/٥؛ بوزورث وميرزا بالا، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، مادة ايلدگز، ٣٨٣/٥ - ٣٨٤؛ ديوان ظهير فاريابي، بسعي تقي بينش، المقدمة ٥٥، طبقات ناصري، طبعة افغان، باهتمام حبيبي، ٣١٦/١؛ د. احمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ط الكويت، ١٩٧٥، ص ١٤٩، حافظ احمد حمدي، الشرق الاسلامي قبل الغزو المغولي، طبعة مصر، ١٩٥٠، ص ١٠٨.

^٢ تاريخ بخاري، ص ١٥١ ح ١.

"الـ دينز El-Deniz" كما جاء عند (طوغان)^١، تظهر بجلاء على انها قراءة عصرية مستحيلة واقتراح الصيغة: (ايلدگوز Elduguz) بدلاً من ايلدگز، استناداً الى رسمه في المصادر الجرجية والارمنية^٢.

لقبه ابن الاثير بـ "ايلدگز المسعودي"^٣، لانه كان مملوكاً للسلطان مسعود، ونال لقب "الاتابك" بعدما عهد اليه السلطان مسعود تربية الطفل ارسلان، ابن اخيه: السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه الذي توفي سنة ٥٢٩هـ، واقطعه السلطان ولاية اران وبعض آذربيجان في سنة ٥٣١هـ، فأسس اتابكية استمرت اكثر من تسعين سنة (٥٣١-٦٢٢هـ)، عرفت باسم "اتابكية آذربيجان"، ووسع رقعة الاراضي التي يملكها، فضم اليه اجزاء من آذربيجان في سنة ٥٣٥هـ، بعد وفاة الامير الاحمديلي: قره سنقر، ومنح لقب "شمس الدين" بذلك اصبح يطلق عليه: الاتابك شمس الدين ايلدگز.

ثم زوجه السلطان مسعود: مؤمنة خاتون، وهي ام ارسلان ارملة اخيه طغرل بن محمد، وكان السلطان قد عهد لايلدگز بتربيته، فزاد هذا الزواج من الوشائج التي تصله بالاسرة الحاكمة السلجوقية، ومكنه من التدخل في الخصومات التي دارت حول ولاية عرش السلطنة، بعد وفاة السلطان مسعود سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م، وكان تدخله لصالح ابن زوجته، ارسلان، فأجلسه على عرش السلاجقة في العراق - كما سيأتي بيان ذلك -، وهكذا اصبح يمسك بزمام الامور في يده، وعظم شأنه، وقوى امره، فأخذ لقب "الاتابك الاعظم" وصار من اعظم الشخصيات التي سيطرت على بلاد الجبال وآذربيجان.

اصبحت وظيفة الاتابك الاعظم، ارفع قدراً واوسع نفوذاً من وظيفة الاتابك، لانها تهئ لصاحبها الاشراف على الجيش وعلى اعمال الوزير وحكام الاقاليم، وصار هو الحاكم الفعلي، اما السلطان ارسلان فلم يكن له الا الاسم والخطبة، وذكره اسمه على السكة، فكان رمزاً يملك ولا يحكم، بل كانت له ((جراية تصل اليه)) - على حد قول

^١ تعليق V. Minorsky, Studies in Caucasian History, p. ٩٢.

^٢ A. Z. Validi-Togan, "Azerbaijan yurt bilgisi, Istanbul, ١٩٣٢.

^٣ بوزورث: دائرة المعارف الاسلامية، ط ١٩٦٩، مادة ايلدگز ٣٨٦/٥. واسترعى انتباهنا ان شكرالله بابان في مخطوطته، ميژووي كوردو كوردستان (بالكردية)، ص ٣٥٠، رسم اسم ايلدگز، على شكل ايلدوگوز: شمس الدين ابوبكر، ولاندري على اي مصدر اعتمد في تسميته بـ (شمس الدين ابوبكر)؟
^٤ الكامل ١٣٢/١١ (حوادث سنة ٥٤٣).

ابن الاثير^١ - وتمكن ايلدگز ان يحقق لنسله المكانة الغالبة في شمالي غرب الهضبة الايرانية فحوّلها الى ولاية وراثية فيهم، حيث استطاعوا الاحتفاظ بمكانتهم هذه وتمكنت دولة ايلدگز ان تقف بثبات امام الدول المنافسة لها^٢.

العلاقات الخارجية في عهد ايلدگز:

١. علاقة ايلدگز بالسلطان مسعود:

توطدت العلاقة بين الاتابك ايلدگز وبين سيّده السلطان مسعود الذي ربّاه ورّقاه حتى أوصله الى درجة رفيعة، واشتهر ايلدگز بأنه كان اكثر الامراء طاعة لولي نعمته السلطان مسعود. وتجلّت هذه الطاعة، عندما تعاهد عدد من الامراء فيما بينهم على العصيان والوقوف بوجه السلطان مسعود في سنة ٥٤٠هـ/١١٤٦م، لعدم رضاهم عنه، والامراء هم: بوزابه صاحب فارس و خوزستان (عربستان) والامير الحاجب عبدالرحمن بن طغايرك وعباس صاحب الري. وحرّض هؤلاء الملكين: محمد وملکشاه، ولدي محمود بن محمد بن ملكشاه على المطالبة بالسلطنة، ولم يكتفوا بذلك بل اجلسوهما على العرش في اصفهان، وكونوا جيشاً كبيراً لمواجهة جيش السلطان مسعود، الذي لم يكن من القوة بحيث يستطيع به مواجهتهم، فارسل يطلب من عبده المخلص الاتابك ايلدگز ان يتوجه بجيش كبير يضم الامراء والابناء وانضم اليه الامير جاولي الجاندار، وتوجهوا لملاقاة السلطان الذي خرج من بغداد باتجاه آذربيجان، فألتقوا جميعهم في مدينة ميانه^٣.

ولكن ما لبث ان تفكك عقد جماعة الامراء المتمردين، وعادوا الى خدمة السلطان فعفا عنهم، واتفقوا على ان يسند الى كل واحد منهم وظيفة تليق به، فعين الامير

^١ الكامل ٣٨٩/١١ (حوادث سنة ٥٦٨).

^٢ ابن الاثير ٢٩٣/١١ (حوادث سنة ٥٥٨)؛ راحة الصدور ٣٩٦؛ العماد الاصفهاني، تأريخ دولة آل سلجوق ٢٧١؛ الصديقي، تأريخ دول الاسلام، طبعة ١٩٠٧، ٢/١١٠؛ خواند امير، تاريخ حبيب السير، ٥٥٧؛ تاريخ گزيده ٤٧٠؛ د. عبدالنعميم محمد حسنين، دولة السلجوقية ١٢١-١٢٢؛ سلاجقة ايران والعراق، طبعة ١٩٧٠، ١٤٠.

^٣ ظهير الدين النيشاپوري، سلجوقنامه ٥٨؛ راحة الصدور ٣٣٧؛ ابن النظام الحسيني، العراضة في الحكاية السلجوقية ١٢١-١٢٤؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١١٤-١١٥.

عبدالرحمن بن طغايك اتابكا لابنه، واسند اليه ولاية آذربيجان وأران، وذلك بعد وفاة الامير جاولي الجاندار في سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م^١، وزوج السلطان مسعود ابنته "گوهر خاتون" للملك محمد، وجعله ولياً لعهد، وعيّن بوزابه حاجباً واتبكاً له (اي للملك محمد)، وكذلك اسند للعبّاس وظيفة نائب الحاجب. اما اخوه الملك سليمان فقد عفا عنه، ثم مالبت ان اودعه السجن من باب الاحترار، وبأسناد تلك الوظائف لهؤلاء، استطاع السلطان مسعود ان يستميلهم الى جانبه، ولو الى حين، لأن موالاتهم هذه كانت مؤقتة، اذ ما لبثوا ان عادوا واتفقوا فيما بينهم سرّاً على مخالفته، واصبح وجودهم خطراً على السلطان، فقتلهم، الواحد بعد الآخر^٢، كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد.

وعزم على قتل عبدالرحمن بن طغايك عندما ازداد نفوذه واصبح الحاكم الفعلي في دولة السلطان، وتم ذلك حينما اراد ابن طغايك الذهاب الى ولايته لاستلامهما، فالتمس من السلطان ان يبعث معه الامراء شمس الدين ايلدگز وخاص بگ بلنگرى، وزنگى الجاندار، لانه لم يكن يطمئن اليهم في بقائهم مع السلطان بعد ابتعاده عنهم، فأرسلهم معه بعد ان اتفق معهم على قتله في الطريق، وقبل ان يصلوا الى كنج، ضربه زنگى واجهز عليه خاص بگ فقتله سنة ٥٤١هـ.

اما الامير عباس فكان قد اتفق مع الخليفة المقتفي على القبض على السلطان، ولكن امره اقتض، فأمر السلطان بالقبض عليه، وقتل بعد شهر واحد من مقتل عبدالرحمن^٣. ثم ان الامير بوزابه شق عصا الطاعة عن السلطان، واجلس الملك محمد على العرش، وعندما طلب السلطان العون من ايلدگز، اسرع بتوجيه جيش كبير نحو

^١ ابن الاثير ١٠٤/١١؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١١٧؛ العماد الاصفهاني، ١٨٦.

^٢ سلجوقنامه ٦١؛ ارحه الصدور ٣٤٠-٣٤٣؛ العماد الاصفهاني، ١٨٢، ١٩٧؛ ابن الاثير ١٠٤/١١؛ العراضة في الحكاية السلجوقية ١٢٤.

^٣ سلجوقنامه ٦٢-٦٣؛ الراوندي ٣٤٤-٣٤٥؛ العماد الاصفهاني، ١٩٩؛ ابن الاثير ١١٦/١١-١١٧؛ العراضة ١٢٤-١٢٦؛ العسجد المسبوك، المخطوطة، ج ٢ و ٥٩، الحسيني ١١٨.

بوازبه سنة ٥٤١هـ، فلم يتمكن من الوقوف بوجه جيش ايلدگز، فانتصر ايلدگز وقتل بوزابه، وهكذا تخلص السلطان من عدو آخر له^١.

ان ما فعله السلطان بالامراء، عبدالرحمن وعباس وبوزابه، اثار حفيظة ايلدگز وامراء السلاجقة الكبار الاخرين كالامير قيصر من آذربيجان والبقش گون خر من الجبل وتتر الحاجب -من ممالك السلطان مسعود-، واخذوا يتوجسون منه الغدر، كما غدر بالامراء المذكورين، لاسيما عندما اهلهم، وانحاز الى خاص بك بن بلنغري التركماني، الذي كان قد رباه، واخذ يقربه اليه ولم يعد يفارقه، وكان هذا يكنّ العداء ليلدگز، فأضطر هؤلاء - ومنهم الاتابك ايلدگز- الى الاتفاق بينهم، بالخروج عن طاعة السلطان خوفاً على انفسهم، وهكذا فأن طاعة ايلدگز للسلطان، لم تستمر حتى النهاية، فتوجّهت جيوشهم الى بغداد في ربيع الآخر^٢ سنة ٥٤٣هـ/ايلول ١١٤٨م، وانضم اليهم في الطريق علي بن دبيس -صاحب الحلة-، والملك محمد بن السلطان محمود وقاموا بمحاصرة بغداد، واشتد القتال بين المهاجمين وعامة بغداد، فقتل من العامة عدداً كبيراً ونهبت العساكر الاموال الخاصة بالسلطان، فتدخل الخليفة لاييقاف المعارك، وتمكن من إقناع الامراء بالرجوع، فتركوا بغداد والعراق.

ومما يجدر ذكره هنا، ان السلطان الاعظم: سنجر هدّد ابن اخيه السلطان مسعود بأبعاد خاص بگ، والا فسيزيله عن السلطنة، فلما تماهل مسعود بالوصول اليه، سار سنجر بنفسه الى مسعود واجتمعا سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، ولكن مسعود استطاع ارضائه^٣.

^١ سلجوقنامه ٦٣؛ الراوندي ٣٤٨-٣٤٩؛ خواند امير، تأريخ حبيب السير، ج ٤ مج ٢/٥٢٤؛ وفي المنتظم ١٢٤/١٠؛ وتاريخ دولة آل سلجوق للعماد الاصفهاني ٢٠٠-٢٠٢؛ ابن الاثير ١١/١١٩، ان قتل بوزابه كان في سنة ٥٤٢هـ.

^٢ كذا عند ابن الاثير، وعند العماد: ربيع الاول، ص ٢٠٤ وكذلك في المنتظم ١٣٢/١٠.

^٣ العماد الاصفهاني ٢٠٤؛ المنتظم ١٣٢/١٠؛ ابن الاثير ١١/١٣٤-١٣٤؛ مخطوطة المسجد المسبوك، ج ٢ و٦٣-٦٣ب؛ ابن خلدون ٣/١٦٤، ٥/١٤٦.

صفت الامور للسلطان مسعود ، بعد ذلك، الى ان توفي في رجب من سنة ٥٤٧هـ/تشرين الاول ١١٥١م^١، فقدت بموته سلطنة السلاجقة في العراق شخصية قوية وبدأت الفتن والاضطرابات تلعب دورها في هدم كيان دولة السلاجقة، وبعد ان كان الاتابكة يتسترون وراءه، اخذوا بعد وفاته يظهر على المسرح السياسي، ويتدخلون في شؤون الدولة والنزاعات التي تحصل بين السلاطين، ويصف ابن الاثير ذلك بعبارة موجزة فيقول: ((وماتت معه سعادة البيت السلجوقي، فلم تقم لهم بعده راية يُعتد بها ولا يلتفت اليها))^٢.

٢. العلاقة بين ايلدگز والسلطان محمد:

ذكرنا في الفصل السابق، ان ملكشاه خلف عمه مسعود في الحكم، ولكن الامراء عزلوه بعد بضعة أشهر، ووضعوا بدلاً منه أخاه الملك محمد بن محمود، اما الاتابك ايلدگز، فقد اعتزل في أران، وظل مقيماً في نخجوان، منتظراً انجلاء الوضع وانكشاف الامور، فلما استقرت السلطنة للملك محمد، بعث اليه برسالة بين فيها استعداده للانقياد الى اوامره، والتوجه اليه لتقديم فروض الطاعة له، او اذا رأى بقي في أران وأذربيجان للدفاع عن حدود الدولة الاسلامية ضد الاعداء من الكرج والارمن، فأجابه السلطان بأنه ليست هناك حاجة الآن لحضوره، بل البقاء في مقره ليكون حصناً للمسلمين^٣.

لم تقابل رغبة الاتابك ايلدگز بتقديم الطاعة بما يجب من قبل السلطان محمد، بل قام بعمل استفزه وأمات فيه تلك الرغبة، فبعد ان قتل السلطان الاميرين خاصبگ بن بلنگرى وزنكى الجاندار -على ما مر بنا- في المحرم من سنة ٥٤٨هـ/نيسان ١١٥٣م^٤، بعث السلطان رأس خاصبگ الى الاتابك ايلدگز بقصد ترويبه، كي لا يتجرأ على مخالفته، ولكن عمله هذا أدى الى عكس النتيجة التي كان يتوخاها السلطان، فقد قرّر ايلدگز بالاتفاق مع الامير الاحمديلي: نصره الدين خاصبگ بن

^١ سلجوقنامه ٦٥؛ وفي راحة الصدور ٣٥٤؛ العراضة ١٢٦، خطأ انه توفي سنة ٥٤٦هـ؛ ابن الاثير، ١١٠/١٦٠؛ العماد الاصفهاني ٢٠٨ (وفيه انه توفي في جمادي الاخرة).

^٢ ابن الاثير ١١٠/١٦٠.

^٣ الحسيني، اخبار دولة السلجوقية ١٢٨.

^٤ راحة الصدور ٣٧٥.

آقسنقر على انتهاز الفرصة للثورة عليه وعزله وتنصيب عمه سليمان شاه مكانه، لانه أصبح سلطاناً لا يؤتمن جانبه، واستغلوا فرصة حربه مع الخليفة المقتفي لأمر الله، واعلنوا ماكانوا قد بيّتوه ضده، مما اضطره الى فك الحصار عن بغداد والتوجه الى همدان، حيث التقى بجيش الاميرين ايلدگز وخاصبگ في العام نفسه (أي سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م)، لكنه لم يقو على الوقوف امامهما ففرّ، واستقر سليمان في الحكم، غير ان الاخير بقي على ادمانه في الشرب، فأنفصل عنه ايلدگز وعاد الى أَران، التي كانت تحت سيطرة رودي ابن عم خاصبک بن بلنگری، فانتزعها منه.

وعندما عاد السلطان محمد الى الحكم مرة ثانية في سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤-١١٥٥م، بعد تخلي ايلدگز عن سليمان شاه، رأى انه من الحكمة مصالحة ايلدگز وخاصبگ الاحمديلي، واسفرت المصالحة، عن إقتسام آذربيجان بين ايلدگز والاحمديلي، وتوثقت اكثر بعقد مصاهرة بين الاميرين، فزوج ايلدگز ابنته الى ارسلان آبه - كما ذكرنا ذلك في الفصل السابق.

توثقت بعد ذلك العلاقة بين السلطان محمد وايلدگز، بحضور الاخير -ومعه جيشه- مجلس العزاء الذي اقامه السلطان في همدان لوفاة خليلته^١ بنت السلطان مسعود، وذلك في السنة ذاتها (أي سنة ٥٤٩هـ)، فاحترمه السلطان كثيراً، ممازاد من مكانة وحرمة الامير ايلدگز.

توترت العلاقات بين الخليفة المقتفي لأمر الله وبين السلطان محمد، لان الخليفة حاول ان يستعيد استقلاله وحريته المسلوبة، فانتهاز فرصة موت السلطان مسعود القوي، ورفض الخطبة للسلطان محمد، فحرّض السلطان بعض امرائه الذين كانوا في تكريت على اخراج الملك الطفل ارسلان شاه بن طغرل -وهو ابن زوجة ايلدگز- من قلعتها -وكان اسيراً فيها- والتوجه به مع جيوشهم المتكونة من التركمان الى بغداد كي يهابهم الناس ويعلموا انه معهم ملك، ثم العمل على محاصرتها والاستيلاء عليها، وكان ايلدگز قد ارسل الفي فارس ليكونوا في خدمة الملك ارسلان ويحافظوا عليه، فسار اليهم الخليفة ومعه جيوش اصحابه والكرد الجاوانية، وجرت معركة بين الجيشين سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م، انهزم على اثرها جيش امراء السلطان محمد، اما الطفل

^١ كذا جاء عند العماد الاصفهاني، ص ٢٢٥.

الملك ارسلان فقد حمل الى الجبل، وكان السلطان محمد يخشى ان يصل الصبي الى زوج امه: ايلدگز، فيجعله ذريعة لانتزاع الملك، فبعث اشخاصاً للمجئ به، ولكن بعض اصحاب ايلدگز استطاعوا ان ينقلوا الصبي الى آذربيجان ويسلموه لـ ايلدگز، ومما يجدر ذكره هنا، ان ام ارسلان كانت قد ولدت لـ ايلدگز ولدين هما: محمد نصر الدين جهان پهلوان، وعثمان مظفر الدين قزل ارسلان، وبنثاً تزوجت من الامير نصر الدين خاصبك بن آقسنقر الاحمدي^١.

استمال الخليفة، سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملكشاه الى جانبه، وخطب له وخلع عليه خلع السلطنة، وذلك نكاية بالسلطان محمد وتحريض سليمان شاه على محاربته، فأمدّه -لهذا الغرض- بجيش كبير، سار به في سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م، لمقاتلة ابن اخيه السلطان محمد، وتوجّه الى آذربيجان، فمرّ على معسكر الاتابك ايلدگز، وكان "آقسنقر بيروزكوهي" مستاءً من الامير حسام الدين اينانج والي الري، الذي كان على عداء شديد مع ايلدگز، فأنضم آقسنقر الى جيش السلطان سليمان شاه، واصبح لزاماً على الاتابك ايلدگز معاونته، وبذلك انفضحت عُرى المصالحة التي كانت قد عقدت سنة ٥٤٩هـ بين السلطان محمد والامير ايلدگز.

سمع السلطان محمد بخبر السلطان سليمان شاه وتوجهه بجيش كبير وانضمام ملكشاه ابن السلطان محمود وايلدگز اليه، فسار بجيش ضخم لملاقاته، وجرت معركة ضارية بين الطرفين على شاطئ نهر الرس قرب نخجوان، وذلك في سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م، انتهت بانهزام جيش سليمان شاه ومن معه، وانفصل سليمان شاه عن ايلدگز، ولكنه وقع في الاسر وهو في طريقه الى بغداد، فأودع سجن قلعة الموصل^٢.

^١ الحسيني ١٣١-١٣٣؛ المنتظم ١٥٨/١٠؛ ابن الاثير ١٩٤/١١-١٩٦، (في المصدرين الاخيرين ان الحادثة وقعت سنة ٥٤٩هـ).

^٢ في راحة الصدور ٣٨٣؛ العراضة (ص ١٤٠) انها وقعت سنة (٥٥٠هـ).

^٣ راحة الصدور ٣٨٢-٣٨٣؛ المنتظم ١٦٥/١٠؛ ابن الاثير ٢٠٦/١١-٢٠٧؛ العراضة ١٤٠؛ تأريخ حبيب السير، د٤، مجلد ٢/٥٢٨.

اعلن الاتابك ايلدگز -بعد هزيمته- طاعته للسلطان محمد وطلب منه الصفح عما بدر منه، فقبل منه ذلك، وفوض اليه ولاية اَران، واستماله السلطان، فجعل ابنه جهان يسير في ركابه السلطاني الى العراق^١.

ولما طال امتناع الخليفة المقتفي بالخطبة للسلطان محمد، وبعد ان اَمَن ناحية اذربيجان وانشغال ايلدگز بمقاتلة الكُرج، توجه الى بغداد بجيش كبير، فوصلها في اواخر سنة ٥٥١هـ/اوائل عام ١١٥٧م، وحاصرها مدة من الزمن على امل ان يستجيب الخليفة فيخطب له، ولم يفعل، فطال الحصار. اما وزير الخليفة فكان يحرض الامراء الذين مع السلطان محمد على مناهضته، وفي الوقت نفسه كان يجزل لهم الوعود، وذلك منذ ان بدأ الحصار، فقد راسل الاتابك ايلدگز بأن يتوجه بجيشه الى همذان ويأخذ معه الملكين: ملكشاه وارسلان شاه، واطمعه بأن الخليفة، ان فعل ذلك فإنه سيوافق على تنصيب ارسلان شاه سلطاناً.

علم السلطان محمد ان اخاه ملكشاه قد تحالف مع ايلدگز وانهما قد دخلا همذان بجيشهما ومعهما الملك ارسلان، واستوليا عليها، فشدد السلطان حصاره لبغداد، لكنه لم يستطع دخولها، اما جنده، فلما سمعوا بالهجوم على همذان، اسرعوا هاربين ليصلوها فيحافظوا على اهلهم واموالهم، ولاسيما انهم ملوا من طول حصارهم لبغداد، واشتداد الحر عليهم، وايقنوا بعدم تمكنهم من احتلالها، فأضطر السلطان محمد الى فك الحصار عنها والتوجه الى همذان في ربيع الاول من عام ٥٥٢هـ/مايس ١١٥٧م، بعد ان ظل محاصراً لها قرابة ستة اشهر.

ويفك الحصار عن بغداد وزوال الخطر عنها، استقر نفوذ المقتفي لأمر الله، ويُعدّ هذا نصراً للخلافة العباسية، لأن المقتفي اصبح بذلك اول من حكم مستقلاً -عن سيطرة الاتراك والديلم- منذ عهد الخليفة المنتصر بن المتوكل (٢٤٧-٢٤٨هـ)^٢.

وأراد السلطان محمد التوجه الى همذان، لمحاربة ايلدگز وملكشاه واخماد الفتنة التي كانت تهدد عرشه تهديداً مباشراً، وكان ايلدگز قد دخل همذان واستولى

^١ الراوندي ٣٨٢.

^٢ ابن الاثير ٢٥٦/١١ (حوادث سنة ٥٥٥هـ)، ابن العربي، تاريخ مختصر الدول، ٣٦٣؛ د. عبدالنعيم محمد حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ١٣٩.

على ذخائر الملك فيها ونقلها، واجلس ملكشاه على العرش، واستولت جيوشه على المنازل والغلات، ولكنه عندما اقترب السلطان محمد بن همذان تركها متوجهاً الى آذربيجان، بينما سلك ملكشاه طريق خوزستان (عربستان)، واسترد السلطان نفوذه في همذان، غير انه كان قد استولى عليه التعب، فمرض، ثم توفي في ذي الحجة من سنة ٥٥٤هـ/كانون الاول ١١٥٩م^١.

ازدياد نفوذ ايلدگز بتولية ارسلان شاه الحكم:

اختلف الامراء في من يولونه عرش سلاجقة العراق بعد وفاة السلطان محمد، وترشح لذلك ثلاثة من المتنافسين على الحكم هم: اخوه ملكشاه وعمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه- الذي كان سجيناً في الموصل -وارسلان بن طغرل- الذي كان مقيماً عند الاتابك ايلدگز^٢، وتدخل الامراء لحسم الامور، فقتلوا ملكشاه، ثم اجتمعوا واختاروا سليمان شاه، فجئ به من الموصل بعد ان اطلق سراحه واجلس على العرش، فعهد سليمان شاه بولاية العهد للملك ارسلان بن طغرل، ليسترضي بذلك الاتابك الاعظم ايلدگز الذي كان يتمتع بنفوذ كبير^٣، وارسل اليه (اي الى ايلدگز) منشوراً بتوليته اران ليكسب عطفه ومودته، وكان ذلك في سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م. تأمر الامراء على قتل الامير شرف الدين موفق گردبازو الخادم، لانه كان مقرباً من سليمان شاه، فحسدوه على مكانته، فرأى گردبازو ان يستدعي ايلدگز الذي وصف في تلك الحقبة بـ(صاحب اران واكثر بلاد آذربيجان)، ومعه ابن زوجته ارسلان شاه، لتنصيبه على عرش سلاجقة العراق، وكان گردبازو يعتقد ان ذلك سيقضي على فتن وتآمر الامراء، لقوة شخصية ايلدگز، وكذلك كان گردبازو تربطه صداقة قديمة به، فكلاهما كانا مملوكين للسلطان مسعود، فراسله ووعده بعزل سليمان شاه وتنصيب

^١ سلجوقنامه ٧١-٧٢؛ المنتظم ١٠/١٧١؛ الراوندي ٣٨٣-٣٨٧، ٣٨٥؛ العماد الاصفهاني ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٦٠؛ الحسيني، تاريخ الدولة السلجوقية ١٣٤-١٤٢؛ العراضة ١٤٠-١٤١؛ د. عبدالنعم محمد حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ١٣٨-١٣٩؛ دولة السلاجقة ١١٩.

^٢ ابن الاثير ١١/٢٥١-٢٥٠؛ العسجد المسبوك ٧٣؛ تاريخ ابن الوردي، النجف، ١٩٦٩، ١٧/٢؛ ابن خلدون ٣/١٠٧٤، ١٦٢/٥.

^٣ سلجوقنامه ٧٦.

ارسلان على العرش بدلاً منه، وحلف له وعاهده على ذلك، عندئذ حضر ايلدگز يرافقه ارسلان، وجلب معه الخيل والسلاح والعُدَدَ والمال فوق حاجته، وجيشاً كبيراً، وقبل ان يصلا همذان، اودع گردبازو، سليمان شاه السجن، وعندما وصلا المدينة خطب لارسلان فيها بالسلطنة، وذلك في رمضان من سنة ٥٥٥هـ/ ايلول ١١٦٠م، وكان الامراء قد وافقوا گردبازو على عمله، لأنهم ملّوا من سليمان شاه لادمانه على الشرب واللهو ولعدم احترامه لهم، فلم يكن يستطيع تدبير شؤون الدولة، فوزّع ارسلان شاه اعلى المناصب على زوج امه ايلدگز واخويه من امه: جهان پهلوان وقزل ارسلان، فصار ايلدگز اتابكه، ونعت بالاتابك الاعظم اعترافاً منه لجميله، وابنه نصره الدين محمد جهان پهلوان امير الحجاب، وابنه الآخر مظفرالدين قزل ارسلان عثمان امير السلاح، وجعل ايلدگز كل امير من امرائه يتولى منصباً من المناصب السلطانية^١.

اصبح ايلدگز منذ تولي ابن زوجته الحكم، المتنفذ في الدولة والحاكم الفعلي فيها، وكان يميل في الظاهر الى طاعة السلاطين، وبذلك تمكن من التدخل في شؤون سلاجقة العراق وابداء النصيح لهم عندما يطلب منه ذلك، بل السيطرة عليهم وتوجيههم وفق ارادته، وظل ايلدگز قوياً طيلة مدة حكمه^٢، واشاد "الراوندي" به كثيراً فقال ما نصه: ((واستراحت الرعية في ظل عطفه وعدله، فتزّين به عرش السلطنة، فكان يحكم الدنيا بالعدل والعطاء، ويقضي العمر حسن السمعة، طيّب الجزاء))^٣، والحق ان من تدبير ايلدگز وعظم مساعدة ابنيه: جهان پهلوان وقزل ارسلان، قد مكّنا ارسلان شاه من الانتصار على اعدائه والمحافظة على دولة سلاجقة العراق^٤.

^١ سلجوقنامه ٧٢-٧٤، ٧٦؛ راحة الصدور ٣٩٥-٣٩٦، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤٠٩؛ ابن الاثير ١١/٢٦٧-٢٦٨؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٤٤؛ العراضة ١٤٢-١٤٣؛ العماد الاصفهاني ٢٦٢-٢٧٠، ٢٦٧، ٢٦٣؛ تاريخ ابن الوردي ٨٩/٢؛ ابو الفدا، المختصر، ٣٦/٣؛ العسجد المسبوك ٧٤ب؛ الذهبي، العبر ٤/١٥٦؛ دول الاسلام ٧١/٢؛ تاريخ گزيده ٤٦٠-٤٦١؛ ابن خلدون ٣/١٠٧٥، ١٦٧/٥؛ خواند امير، تاريخ حبيب السير، ج ٤، مج ٢/٥٢٩، ٥٥٧؛ ديوان ظهير فاريابي، باهتمام تقى بينش، مشهد ١٣٣٧ هـ.ش، المقدمة، ص ٥٩-٦٠.

^٢ ابن الاثير ١١/٢٩٣؛ تاريخ گزيده ٤٧٠؛ الصديقي، تاريخ دول الاسلام ١١٠/٢.

^٣ راحة الصدور ٤٠٩.

^٤ محمد بن ابراهيم، تاريخ سلجوقيان كرمان ٥١؛ كرمانى، تاريخ افضل، طهران، ١٣٢٦ هـ.ش/ص ٤٣.

ولم يكد يمضي شهر واحد^١، على تولي ارسلان الحكم، حتى توجه وبصحبه الاتاك ايلدگز لفتح اصفهان^٢.

اما سليمان شاه، فقد بقي مسجوناً، الى ان قتل مسموماً في السنة التالية، اي في ربيع الاخر من سنة ٥٥٦هـ/نيسان ١١٦١م^٣.

٣. العلاقة بين ايلدگز والخليفة العباسي:

كان كل سلطان سلجوقي يحاول ان يكسب حكمه الصفة الشرعية كي يتخلص من منافسيه، لذلك كان لابد من اعتراف الخليفة بالسلطان وقبوله الخطبة له، فقد تكررت محاولات السلطان محمد -كما رأينا- من اجل ان يخطب له الخليفة بالسلطنة، وحاصر بغداد مدة طويلة دون ان ينال اعتراف الخليفة به كسلطان، اما ايلدگز، فعندما خطب ارسلان شاه في همذان -كما ذكرنا- اخذ يسعى عند الخليفة المستنجد بالله -الذي تولى الخلافة في مستهل ربيع الاول من سنة ٥٥٥هـ/ آذار ١١٦٠م، بعد وفاة والده الخليفة المقتفي لامر الله- بالخطبة لارسلان شاه ايضاً، وان تعاد القواعد الى ما كانت عليه ايام السلطان مسعود، ولكن سياسة الخلافة كانت قائمة على ابقاء الفرقة بين المتنافسين على الحكم من السلاجقة، لأن اجتماعهم يجعل منهم قوة، لذلك اهان الوزير عون الدين ابو المظفر يحيى بن هبيرة رسول ايلدگز واعاده اليه على اقبح حالة^٤.

ثم ان الوزير اخذ يرسل اعداء ايلدگز ويتودد اليهم، ويوعد المنتصر منهم بأن الخلافة ستخطب له وتناصره، وبذلك اثار الامراء الآخرين عليه، واشغل ايلدگز بجملته حروب بينه وبينهم، فقد راسل الوزير ابن هبيرة، الامير ابن اقسنقر الاحمدلي يطمعه في الخطبة لابن السلطان محمد بن محمود شاه، الذي كان عنده، وأدى ذلك الى نشوب معركة طاحنة بين جيش ايلدگز بقيادة ابنه پهلوان وجيش ابن اقسنقر الاحمدلي

^١ عند العماد الاصفهاني، ص ٢٧١: شهران.

^٢ العراضة ١٤٣؛ الراوندي ٣٩٩.

^٣ سلجوقنامه ٧٤؛ الراوندي ٣٩٩؛ ابن الاثير ٢٦٦/١١-٢٦٧؛ العراضة ١٤٤؛ خواند امير، تاريخ حبيب السير ٥٢٩؛ العسجد المسبوك و٧٤ب؛ العماد الاصفهاني ٢٦٧.

^٤ ابن الاثير ٢٦٨/١١؛ اخبار الدولة السلجوقية ١٥٣؛ ابو الفداء، المختصر، ٣٧/٣؛ العسجد المسبوك و٧٤ب.

بمساعدة من شاه ارمن صاحب خلاط، انهزم جيش الپهلوان على اثرها شرّ هزيمة^١. وعلى الرغم من هذا الفشل، فقد واصل ايلدگز ارسال الحملات ضد ابن الاحمديلي واستطاع ان يتغلب عليه في عام ٥٦٣هـ/١١٦٨-١١٦٩م.

استمر الوزير ابن هبيرة في إثارة امراء الاطراف على ايلدگز، فكاتب زنگي بن دگلا السلغري- صاحب بلاد فارس- يستميله ويغريه بالخطبة للملك الذي عنده وهو محمود ابن ملكشاه، شريطة ان ينتصر على ايلدگز، فخطب ابن دگلا للملك ابن ملكشاه وجمع جيشه وراسل عدو ايلدگز: الامير حسام الدين اينانج -صاحب الري- يطلب منه الاتفاق معه ومعاونته، وكان ذلك في سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م^٢.

استجاب اينانج لطلب زنگي بن دگلا فاتفق معه، وحشد زنگي جيشاً، فلما سمع ايلدگز بهذا الخبر، حشد جيشاً ضخماً يتكون من اربعين الفا -حسب رواية ابن الاثير-^٣، وبعث ايلدگز برسالة الى زنگي طلب منه ان يخطب لارسلان شاه، فرفض، وبيّن له بأن الخليفة قد اقطعه بلاده وانه متوجه اليه، فتركه ايلدگز^٤.

ولكن زنگي بن دگلا بدأ بنهب بعض الجهات، فأرسل ايلدگز جيشاً بلغ تعداده (١٠) آلاف فارس لمنعه، غير ان هذا الجيش انهزم امام جيش زنگي، فبعث ايلدگز الى آذربيجان يطلب المدد، فجاءه بصحبة ابنه قزل ارسلان^٥.

لم يكتف الوزير ابن هبيرة بإثارة امراء الاطراف على ايلدگز، بل أراد ان يثير أمراء ايلدگز على سيدهم، فكاتبهم ووبّخهم على طاعتهم له، وزرع بذور الشك في نفوسهم تجاهه، وحرّضهم على مساعدة زنگي واينانج.

وأدرك ايلدگز بأنه مهما انتصر على الاعداء وفتح البلدان، فإن حكمه عن طريق السلطان ارسلان شاه، يبقى غير شرعي ما لم ينل موافقة الخليفة على الخطبة لارسلان، لذلك كاتب دار الخلافة وقدم الطاعة والخضوع للدولة العباسية، فأرسل انواع اللطائف الى دار الخلافة، وقال في رسالته الموجهة لها ما نصّه: ((اني مملوك

^١ ابن الاثير ٢٦٩:١١؛ ابن خلدون ٣/١٠٠٧٦، ٥/١٦٧-١٦٨.

^٢ ابن الاثير ٢٦٩/١١؛ ابن خلدون ٣/١٠٧٧، ٥/١٦٨.

^٣ ابن الاثير ٢٦٩/١١.

^٤ ن.م ٢٦٩/١١؛ العماد الاصفهاني ٢٧١.

^٥ العماد الاصفهاني ٢٧١.

الدولة العباسية، افترض طاعتها واجتنب معصيتها، وكل ما تم لي من الاستظهار والنصر على الاعداء هو بركات انتماي الى الدولة العباسية، ثبتها الله تعالى^١.
ويبدو أن ايلدگز بقي على طاعته للخليفة العباسي حتى مماته، ولم يحاول الهجوم على دار الخلافة، على الرغم من ازدياد تعاظم قوته، فقد صادف انه كان يتعقب بجيشه (برجم الايوائي) الذي خرج سنة ٥٦٨هـ في جمع من التركمان، فذهب الدينور واستباح الحريم، فهرب برجم الى ان اقترب من بغداد، وظن الخليفة المستضي بنور الله (تولي الخلافة سنة ٥٦٦هـ بعد وفاة المستنجد)، انها حيلة من ايلدگز كي يأخذ بغداد على حين غرة، فأخذ يجمع الجند ويحكم السور، وفي الوقت نفسه ارسل الخليفة اليه الخلع والالقاب الكبيرة، ولكن ايلدگز اعتذر له وبيّن انه لم يكن يقصد بغداد، بل كان يريد قطع دابر المفسدين ومنهم برجم الايوائي لذلك لم يتعد قنطرة خانقين وعاد الى بلاده^٢.

٤. العلاقة بين ايلدگز واينانج - صاحب الري - :

كان الامير حسام الدين اينانج -صاحب الري- يطمع ان يكون هو المهيمن على البلاد، لا ايلدگز الذي ازداد نفوذه، لذلك اضمم الشر لايلدگز واصبح من اشد اعدائه^٣، فعندما سمع اينانج بالخطبة في همذان لارسلان شاه، جمع جيشه واخذ ينهب البلاد، وطلب من الامير گردبازو ان يتهيا لمقاتلته، الا ان گردبازو رفض ذلك، واخبره بأنه لن يقاتله الى ان يصل الاتابك الاعظم ايلدگز^٤. وعندما وصل، رأى ايلدگز ان يستعمل المداينة مع عدوه اينانج، وان يهادنه ولو لمدة من الزمن، فتحالف معه وصاهره، بأن زوج ابنه الاكبر (الپهلوان) بأبنة اينانج، المسماة "قتيبة خاتون" وعاشت معه في همذان وولدت منه، قتلغ اينانج^٥.

^١ سلجوقنامه ٧٦-٧٧؛ الرواندي ٤١٠؛ الحسيني ١٤٦-١٤٧؛ العماد الاصفهاني ٢٧٢٠٢٧٣؛ العراضة ١٤٨.

^٢ ابن الاثير ٣٩٥/١١.

^٣ العماد الاصفهاني ٢٧١.

^٤ ابن الاثير ٢٦٧/١١.

^٥ ن.م ٢٦٨/١١؛ العماد الاصفهاني ٢٧١؛ تاريخ گزيده ٤٦٢؛ تاريخ حبيب السير، ج ٤ مج ٢/٥٣١.

ولكن الامير اينانج كان يتحين الفرص لمحاربة ايلدگز، فتحالف مع بعض الامراء ومنهم، عزالدين صتمان، والي اصفهان، والي ارغو، صاحب قزوین، وسنقر، اتابك شيراز، وتعاهدوا على عدم اطاعة ايلدگز والسلطان ارسلان شاه، فوقع اختيارهم على الملك محمد بن طغرل اخو ارسلان شاه، وطلبوا من سنقر ارساله الى اصفهان، وجمعوا جيشاً كبيراً واتجهوا لملاقاة جيش ايلدگز، فالتقوا قرب همذان وجرت معركة طاحنة في سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م، قتل فيها الكثير من جيش الامراء ووقع اينانج في قبضة ايلدگز الا انه لم يقتله بل سمح له بالفرار، فانهزم الملك محمد واينانج واصحابهما وتفرقوا، وقصد اينانج الري، وغنم جيش ايلدگز اموال والات الحرب التي كانت في حوزة جيش اينانج واصحابه^١.

على الرغم من هزيمة اينانج وعدم قتله من قبل ايلدگز، فإنه استمر في عداائه له ومحاربتة، حيث جمع هذه المرة جيشاً من عشرة آلاف فارس وامده ابن آقسنقر الاحمديلي بخمسة آلاف، وزوده الامير زنگي بجيش كبير، وازاء هذه الحشود توجه ايلدگز بجيشه لمواجهتها، فجرت معركة شديدة بينهما، اسفرت عن هزيمة اينانج وقتل كثير من رجاله ونهب امواله، وذلك في شعبان من سنة ٥٥٦هـ/آب ١١٦١م، وتحصن اينانج في قلعة طبرك^٢، فحاصره ايلدگز وانتهى الحصار بالصلح، على ان يكتفي اينانج بالري، وعاد السلطان ارسلان الى همذان، وايلدگز وابناءوه وصحبه منتصرين الى آذربيجان^٣.

ازداد نفوذ الاتابك الاعظم ايلدگز بعد انتصاره على الامير اينانج، فاصبح صاحب الامر والنهي والحاكم الفعلي لجميع البلاد التي صارت تحت نفوذه^٤.

جعل ايلدگز، الري - بعدما استولى عليها - اقطاعاً لابنه الامير نصرة الدين پهلوان، اما الامراء الذين حاربوا الى جانب اينانج، فقد راسلوا ايلدگز، معلنين ندمهم مطالبين العفو عن زلاتهم، ومنحهم اماناً يثقون به كي يعودوا الى خدمة وطاعة

^١ سلجوقنامه ٧٦-٧٧؛ الراوندي ٤١٠؛ الحسيني ١٤٦-١٤٧؛ العماد الاصفهاني ٢٧٢-٢٧٣؛ العراضة ١٤٨.

^٢ طبرك: قلعة على رأس جبل صغير بقرب مدينة الري؛ ياقوت، معجم البلدان ٥٠٧/٣.

^٣ العماد الاصفهاني ٢٧٢-٢٧٤؛ ابن الاثير ١١/٢٧٠-٢٧١؛ ابن خلدون ٣/١٠٧٧، ١٦٨/٥-١٦٩.

^٤ العماد الاصفهاني ٢٧٤.

السلطان والاتابك الاعظم، وانهم مايزالون ممالك السلطان وأبائه واجداده، وبيئوا عذرهم فيما فعلوه بسبب مبالغة الامير شرف الدين كردبازو في ذكر مساوئهم، فقبل السلطان والاتابك عذرهم، وكتبت لهم عهود يثقون بها، فرجعوا الى الطاعة والخدمة، وعاد السلطان الى العراق واقام الاتابك ايلدگز في آران^١.

اخذ الامير اينانج -بعد هزيمته في الري- يراسل تكش بن ارسلان، ملك خوارزم، معلنا له الطاعة وطالبا منه العون والمساعدة، وبعد ان وصلتته حاصر قلعة طبرك في سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م، الا انه لم يتمكن من فتحها، لأن "عمر بن علي بار"^٢، الذي اسندت اليه ولاية الري، اقام استحکامات عظيمة في القلعة، وكان قد راسل الاتابك ايلدگز يستغيثه -قبل وصول اينانج- ودعاه الى المجئ بسرعة.

ترك اينانج طبرك، وتوجه بجيش خوارزم يذهبون ابهر وزنجان ويختطفون الصبيان، الا ان جند خوارزم رجعوا الى بلادهم، بعدما سمعوا بانباء وصول الاتابك ايلدگز.

تعقب السلطان ارسلان شاه والاتابك ايلدگز والامراء اثر اينانج وجيشه الى الري، فتوجه هذا الى جرجان. اما عمر بن علي فقد استهوته قلعة طبرك وولاية الري فأخذ يتهاون في تنفيذ أوامر الاتابك ويشترط شروطاً صعبة، فدعاه السلطان اليه، ولما وصل اودعه السجن.

توجه اينانج الى الري في صيف سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م، بعد اعتقال عمر بن علي، ووصول مساعدة اليه من ملك مازندران وحاكم طبرستان، فتكون لديه جيش ضخم، وسار اليه الامير الحاجب الكبير نصره الدين پهلوان ((والامراء الى مدينة الري))، فالتحم الجيشان بالقرب منها، وفر جيش اينانج في البداية، ولكن عم جيش پهلوان، الاضطراب والضعف بسبب الطيش وعدم النظام، فأندحر وانتصر جيش اينانج^٣.

توجه الامير الحاجب پهلوان والامراء بعد هذه الهزيمة -الى همدان، اما اينانج، فتقدم الى ساوه ومزدقان يحدث فيها خراباً شديداً، الا انه لم يجرو على مهاجمة همدان فرجع الى الري^٤.

^١ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٤٨.

^٢ عند ابن الاثير ٣٤٨/١١: "عمر بن علي ياغ".

^٣ سلجوقنامه، ٧٩-٨٠؛ راحة الصدور، ٤٢٠-٤٢٣؛ الغرصة، ١٥٣-١٥٤؛ تاريخ كزيده، ٤٦٢.

^٤ سلجوقنامه، ٨٠.

رأى ايل ارسلان، ملك خوارزم، ان الفرصة مواتية له لاختضاع اجزاء من بلاد الجبال الى نفوذه -بعد هزيمة الپهلوان من ايلدگز-، فأرسل معظم جنده الى اينانج، الذي توجه بهم الى العراق. ولما سمع ايلدگز بما عمله اينانج بساوه ومزدقان، من نهب وتخريب ووصول جيوش خوارزم شاه اليه، ولامتناعه عن إرسال المال الذي كان قد تقرّر ان يدفعه اينانج الى ايلدگز قبل سنتين (أي في سنة ٥٦٢هـ)، بحجة كثرة غلمانه وحاشيته، وإيقان ايلدگز بأنه لايمكن العيش بسلام بوجود اينانج ولايمكن الوثوق به، قرّر ان يتّجه اليه ويقاتله، وذلك في بداية سنة ٥٦٤هـ/ أواخر سنة ١١٦٨م، وسار الى الري، وكانت ماتزال تحت تصرف اينانج الى ان انتزعت منه في أواخر العام المذكور^١.

وصل جيش اينانج الى الري قبل وصول جيش ايلدگز، ونشب القتال بين جيش اينانج وجيش السلطان ارسلان والپهلوان بن ايلدگز والامراء العراقيين -اذ لم يكن جيش ايلدگز قد وصل بعد- فأظهر امراء العراق، مقاومة كبيرة، وبعد وصول الاتابك ايلدگز وجيشه، فرّ جيشا اينانج وخوارزم وتعقبهما ايلدگز فتركا الري. اما اينانج فإنه تحصن في قلعة طبرك، ولكنه ايقن بعدم تمكنه من تحمل الحصار الذي استمر اربعة اشهر، فأرسل يطلب الصلح، وتوسط وزير اينانج: سعدالدين اسعد الاشلي^٢، بينهما، فلما وصل الوزير الى شمس الدين ايلدگز، اقسم هذا للوزير قسماً غليظاً: بالقرآن الكريم وبالطلاق والعتاق والصدقات والحج حافياً، بأنه لن يعقد الصلح مع اينانج ولا بد ان يقتله، فأن ربط الوزير نفسه باينانج، سيكون له المصير نفسه، واعطى له العهود والمواثيق، بأنه سيحكم الري واصفهان وأذربيجان بالاشتراك مع ولده الپهلوان، اذا دبر مقتل اينانج. وازاء هذا العرض فكر الوزير بالأمر، وأدرك بأنه لانجاة لاينانج المحاصر في القلعة وقد تخلّى عنه اصحابه وجيشه وجيش خوارزم شاه، فأن استطاع الهرب، فإنه سيهرب وحده، وفي هذه الحالة فإنه لن يتمكن مرة اخرى ان يجمع الجيوش لاستعادة ملكه، مع قوة خصمه. فوافق الوزير على عرض ايلدگز، وذهب الى القلعة، واتفق سراً مع عدد من غلمانه الاتراك الموثوقين، بعد ان وعدهم بالاقطاعات والاموال والاحسان العظيم، على قتل اينانج، فدخلوا عليه ليلاً

^١ الغرّاضة، ١٥٤.

^٢ عند العماد اصفهاني، ص ٢٧٧: "الامثل".

وقتلوه، وكان ذلك في اواخر سنة ٥٦٤هـ / اواسط سنة ٢٢٦٩م. وذهب الوزير الاشلي الى ايلدگز ليحمل اليه خبر نعي اينانج، فسلمت القلعة واستولى ايلدگز على مافيها من خزائن وسلاح وخيل وغلماں وجوار، وخلع ايلدگز على الوزير الخلع الفاخرة، وجعل الري اقطاءً لولده الامير الحاجب الكبير نصره الدين پهلوان، بينما جعل من الاشلي حاكماً في البلاد ووزيراً للپهلوان.

واستمر الوزير الاشلي في مكانته البارزة ومركزه الجليل عند ايلدگز الى ان توفي، اما الغلماں الذين نفذوا عملية قتل اينانج وسلموا القلعة، فإن ايلدگز لم يف بوعده لهم، ورأى انه لا يمكنه استخدامهم، فأبعدهم عن البلاد، اما الشخص الذي نفذ عملية القتل فقد التجأ الى خوارزم شاه، الذي ما ان وصل اليه حتى أمر بصلبه، جزاءً خيانتة لسيده. وهكذا تخلص ايلدگز من عدوٍ لدود، كلفه الكثير من الوقت والجهد والمال والرجال، وبمقتل اينانج ضاعت آمال ايل ارسلان خوارزم شاه، بالاستيلاء على العراق والري وضمهما الى ممتلكاته^١.

٥. علاقة ايلدگز مع الكرج والاسماعيلية:

نظراً لمتاخمة آذربيجان وأران لبلاد الكرج والارمن، ولطمع هؤلاء في الاستيلاء على ممتلكات المسلمين، فأنهما كانتا عرضة لهجماتهم بين فترة واخرى، ولكون الاتابك ايلدگز اقوى حاكم آنذاك مجاور لبلاد الكرج والارمن، انشغل مدة طويلة في مقاتلتهم، وقد استغل ملك الكرج انشغال الاتابك ايلدگز بحروبه مع الامراء المنشقين عليه وابتعاده عن أران وآذربيجان مدةً من الزمن، فطمع ببعض ممتلكات ديار الاسلام، وتوجه في شعبان من سنة ٥٥٧هـ/تموز ١١٦٢م، على رأس جيش كبير، عدده (٣٠) ألف مقاتل -حسب رواية ابن الاثير^٢- الى بلاد الاسلام، فأستولى الكرج على مدينة دوين -التابعة لايلدگز في ذلك الوقت- ونهبوها وعملوا الفضائع فيها، فقتلوا من

^١ سلجوقنامه ٨٠-٨١؛ راحة الصدور ٤٢٤-٤٢٥؛ العماد الاصفهاني ٢٧٧ (وفيه ان قتل اينانج كان في شهور سنة ٥٦٥)؛ اخبار الدولة السلجوقية ١٤٨-١٥٣ (اورد الحسيني حادثة الحصار ومقتل اينانج بتفصيل واف)؛ ابن الاثير ٣٤٨/١١؛ العراضة ١٥٤؛ تاريخ گزيده ٤٦٢؛ ابن خلدون ١٧٦/٥؛ ابو الفدا، المختصر ٤٨/٣؛ تاريخ ابن الوردي ١١٠/٢. د. نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية ٦١. ^٢ الكامل ٢٨٦/١١.

اهاليها واطرافها- على ما قيل حوالي (١٠) آلاف، وسبوا النساء وقادوهن حفاة عراة، وأسروا كثيراً واحرقوا جامع المدينة ومساجدها وهدموا الكثير من دورها، ثم اغاروا مرة ثانية على مدينة جنزة (گنجه) ونهبوا وأسروا عدداً من اهاليها، ولما عادوا الى تفليس وسمعت نساءوها ما فعل الگرج بنساء المسلمين، انكرن منهم هذا العمل^١.

سمع ايلدگز -الذي كان آنذاك قد امتدت سيطرته على ممتلكات واسعة، اذ وصف بصاحب آذربيجان والران والجبل واصفهان^٢- بما فعله الگرج فعاد الى آذربيجان، ولما وصلها جاءتته رسل الگرج مطالبة اياه ارسال خراج گنجه وبيلقان الى الخزانة بعدما انقطعت لسنين عدة، فأجابهم بما معناه: انه لم يتوجه الى بلادهم، الا لأخذها وانه سيحاصر تفليس الى ان يستولى عليها، وطلب منهم ان يظهروا مآلديهم من قوة، فانهم لن يستطيعوا النجاة من عساكره. ثم اخذ ايلدگز يحشد الحشود، وارسل الى السلطان ارسال شاه بالقدوم مع عساكر العراق، فقدم الى آذربيجان، ووصل گنجه ومعه جيوش كثيرة، وجاءته ايضاً جيوش شاه ارمن بن سكرمان القطبي، صاحب خلاط، وابن آقسنقر صاحب مراغة، وجيش فخرالدين صاحب ارزن، وغيرها حتى زاد عددها على خمسين الف مقاتل، فتوجهت هذه الجيوش الكبيرة الى بلاد الگرج في سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م^٣، بنية الجهاد والاستشهاد في سبيل الله، فلما سمع ملك الگرج بقدوم جيوش ايلدگز، تنازل وارسل اليه، يعلمه انه تنازل عمّا طلبه، وانه مستعد لتلبية طلبات السلطان، وتعهّد بان لايقوم باي عمل يسئ اليه، فجمع ايلدگز الامراء وتشاور معهم حول الجواب الذي سيبيعهوه الى ملك الگرج، فلما راي منهم تصميمًا واصراراً على ملاقاته العدو، والانتقام من غارته على دوين وما فعله باهلها، ولردعه عن تكرار ذلك، تهيأ للهجوم وارسل جواباً ليّنا الى ملك الگرج، واجتمع مع ايلدگز "من التراكمة ما ليس لهم عدد ولايحصرهم لكثرتهم احد" حسب قول الحسيني^٤، وتأهب ملك الگرج لملاقاة المسلمين بجيوش لجة وعدة وافرة، وجرى

^١ سلجوقنامه ٧٧؛ راحة الصدور ٤١١؛ ذيل تاريخ دمشق ٣٦١، نقلاً عن تاريخ الفارقي، ابن الاثير ٢٨٦/١١؛ تاريخ ابن الوردي ٩١؛ ابو الفدا، المختصر ٣٩/٣.

^٢ ابن الاثير ٢٨٧/١١.

^٣ اختلف المؤرخون في تاريخ حدوث المعركة، يراجع الفصل السابق، ص ١٦٠ ح ٣.

^٤ اخبار الدولة السلجوقية ١٥٩.

قتال شديد بين الفريقين دام شهراً، كان الظفر فيه لجيش ايلدگز وانهزام الكُرج بعد ان قتل منهم زهاء عشرة آلاف رجل، واسر عدداً كبيراً -بحسب رواية الحسيني^١،- ونجا ملك الكُرج بنفسه، وأستولى جيش ايلدگز على غنائم كبيرة، ثم غادر بلاد الكُرج، فرجع السلطان والاتابك ايلدگز الى همذان، وشاه ارمن الى دار ملكه^٢.

ويذكر ابن الاثير، ان سبب هزيمة الكُرج يعود الى اسلام كُرجي على يد ايلدگز، فأمدّه الاتابك بجيش وسلك طريقاً يعرفه، وفي يوم القتال بين جيشي ايلدگز والكُرج، جاء الى الكُرج وحمل عسكره عليهم من الخلف دون ان يشعروا فأنهزموا وكثر القتل فيهم^٣.

غير اننا نرى سببان آخران لهذا الانتصار: اولهما يعود الى وحدة جيوش الامراء والقتال تحت قيادة واحدة تعمل من اجل هدف سام وهو الجهاد في سبيل الله، وثانيهما: الخطط العسكرية البارة التي وضعها ايلدگز وطبقها اثناء القتال، ولذلك يرى الراوندي^٤، انه لولا الهجوم المباغت على الكُرج وتفكير الاتابك الاعظم واحتياطه -اي خططه العسكرية التي طبقها، فأفشلت خطط العدو بالبداية بالهجوم- لما نجا احد من الجند ولما هزم ملك الابخاز، الذي كان قد جمع جيشاً هائلاً، زوده بكل ما يحتاجه من مؤن وعتاد، فلم يكن يدر بخلده، انه سيهزم في هذه المعركة^٥.

لم يكف الكُرج عن غاراتهم واعتداءاتهم على الدولة العباسية، على الرغم من هزيمتهم المنكرة على يد ايلدگز والامراء المتحالفين معه، فهاجموا مدينة آنه -التي كانت من ممتلكات الامير شداد وفضلون ابني منوچهر- وذلك في جمادى الاولى من سنة ٥٥٩هـ/ نيسان ١١٦٤م، غير انهما خرجا منها، فوصلها ايلدگز وامتلكها، وعاد

^١ ن.م ١٦١.

^٢ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية ١٥٧-١٦٢؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق ٣٦١-٣٦٤، نقلاً عن الفارقي في تاريخه، ابن الاثير ٢٨٧/١١؛ تاريخ كزیده ٤٦١؛ تاريخ ابن الوردي ٩١/٢؛ الذهبي، العبر ١٦١/٤؛ دول الاسلام ٧٢/٢؛ ابو الفدا، المختصر ٣٩/٣.

^٣ الكامل ٢٨٧/١١؛ ابن خلدون ١٧١/٥-١٧٢.

^٤ راحة الصدور ٤١٣.

^٥ ن.م ٤١٢-٤١٣.

اليها من جلى عنها، واعاد ايلدگز بناءها ثم غادرها معتزماً ملاقة الكُرج، بعد ان سلمها الى الامير شاهنشاه الشدادي اخي الاميرين شداد وفضلون^١.

وعاد الكُرج في سنة ٥٦١هـ/١١٦٦م، للاغارة مرة اخرى على ممتلكات المسلمين في ارمينية وآذربيجان فقتلوا وسبوا الكثير^٢، وازاء تكرار الهجمات، توجه اليهم الاتابك ايلدگز في سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م، وجرى قتال عنيف بينهما، غير ان جيش ايلدگز هُزم هذه المرة وأُسر الكُرج عدداً منهم، ونهبوا الشئ الكثير، ثم عاد ايلدگز وقد أحضر جيشاً كبيراً، وتقابلا في سهل دوين، ولكن لم يجر بينهما قتال، لأن الكُرج عادوا الى مواطنهم^٣.

لم تتوقف تهديدات الكُرج لحدود الدولة الاسلامية في ايام ايلدگز، فقد عادوا الى الهجوم في شتاء سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م، فأستدعيت مؤمنة خاتون والدة السلطان ارسلان من آذربيجان الى همذان على اثر ذلك. وتوجه السلطان الى آذربيجان بعد ان اعتدل الجو، وبعد ان قضى عيد الاضحى في نخجوان من سنة ٥٧٠هـ/١١٧٥م، الا ان مرض السلطان وانتشار الوباء بين الجند وموت الكثيرين منهم بسببه، ادى الى عدم اشتراك السلطان في الحملة، فتحرك الاتابك الاعظم ايلدگز وذلك في المحرم من سنة ٥٧١هـ/آب سنة ١١٧٥م، ومعه جيش ناصرالدين سكرمان صاحب خلاط وجيوش دياربكر، والپهلوان ابن ايلدگز وبمعيته جيوش آذربيجان وهمذان، فكُون جيشاً ضخماً، وذلك لمواجهة جيش الكُرج، ولكن لم تحصل مواجهة بين الجيشين بسبب احتماء الابخان بالغابة والجبل ولضيق المنطقة، فلم يكن هناك منفذاً لتوغل المسلمين، غير انهم اغاروا على مدينة آق شهر (المدينة البيضاء)، التي كان قد اتخذها ملك الابخان ملجأً يغير منها على حدود الدولة الاسلامية، فأحرقها ايلدگز وخرّب الولاية انتقاماً لما فعلوه في عام ٥٦٩هـ. وعاد بعد ذلك الى نخجوان، وعاد سكرمان وجيوشه الى دياربكر وخلاط فوصلوها، في ربيع الاول سنة ٥٧١هـ/ايلول ١١٧٥م^٤.

^١ ذيل تأريخ دمشق ٣٦٤، نقلاً عن تاريخ الفارقي.

^٢ الذهبي، العبر ١٧٤/٤.

^٣ ذيل تأريخ دمشق ٣٦٥، نقلاً عن تاريخ الفارقي.

^٤ سلجوقنامه ٨١-٨٢؛ راحة الصدور ٤٢٧-٤٢٨؛ ذيل تأريخ دمشق ٣٦٥، نقلاً عن الفارقي في تاريخه.

استغل الاسماعيليون انشغال ايلدگز والامراء بالجهاد ومقاتلة الكُرج، فاقاموا لهم ثلاث قلاع محكمة قريبة من قزوين ونصبوا المجانيق والعرادات^١، وذلك في سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م، فاستغاث اهل قزوين بشمس الدين ايلدگز، ولكنه كي يتجنب شر الاسماعيلية، تهاون في أمرهم، فهاجم الاسماعيليون المدينة وحاصروها، فقاومهم سكانها، ولما وصل الامر الى هذا الحد، دعا ايلدگز الى الجهاد الاكبر، لان القتال مع الكفار سيكون داخل ديار المسلمين، فتوجه اليها ارسلان، سلطان العالم، وايلدگز: الاتابك الاعظم وامراء الدولة بجيوشهم، فاستولوا على اكثر هذه القلاع وخرّبوها^٢. ومما يجدر ذكره هنا، ان الامير شرف الدين گردبازو توفي في الري في جمادي الاولى سنة ٥٦١هـ/آذار ١١٦٦م، فأقام الاتابك الپهلوان محمد العزاء له، وحزن الامراء على وفاته^٣، وعلى وفاة الامير عز الدين صتماز في سنة ٥٦١هـ/تشرين الثاني سنة ١١٦٥م^٤.

٦. العلاقة بين ايلدگز وخوارزم شاه:

كان بعض امراء الاطراف عندما يشعرون بوجود خطر عليهم، يلتجأون الى الاتابك الاعظم ايلدگز، الرجل القوي، كي ينجدهم، فقد اعتزم ايل ارسلان خوارزم شاه، الاستيلاء على نيسابور في سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧، وانتزاعها من المؤيد اي آبه^٥، فأرسل هذا الى الاتابك شمس الدين ايلدگز يخبره فيها بنية ايل ارسلان وادخل في روعه انه سوف لن يقتنع بنيسابور، بل سيتوجه الى العراق، (بلاد الجبال) ولا بد من تحركه قبل حدوث الكارثة، فرحل ايلدگز من همذان الى الري، وارسل الى خوارزم شاه ايل ارسلان يحذره من اخذ نيسابور التي هي ملك آباء واجداد السلطان، وهذبه بالتصدي له ان فعل ذلك، ولكن ايل ارسلان لم يعر هذا التهديد اهتماماً، واتجه الى نيسابور، غير انه لم يتمكن من الاستيلاء عليها، على الرغم من قتاله لها لمدة شهرين، فرحل عنها خائباً، بعد ان جاءت الاخبار

^١ العرادة: من آلات الحرب، اصغر من المنجنيق، الا انها ترمي بالحجارة المرمى البعيد، بطرس البستاني، محيط المحيط، بيروت ١٨٧٠م، مج ٢/١٣٦٦.

^٢ سلجوقنامه ٧٧؛ راحة الصدور ٤١٤؛ ابن الاثير ٣١٩/١١؛ تاريخ گزيده ٤٦١.

^٣ سلجوقنامه ٧٩؛ راحة الصدور ٤١٨.

^٤ سلجوقنامه ٧٨.

^٥ وهو من ممالك السلطان سنجر، وكان قد استولى على نيسابور سنة ٥٤٨هـ؛ ابن الاثير ١٨٣/١١.

بوصول جيش ايلدگز وعساكر العراق الى بسطام^١. ويبدو ان اي آبه كان يخشى عودة خوارزم شاه مرة اخرى للاستيلاء على نيسابور بعد رحيل جيش ايلدگز عنها، لذا أوفد رسولا الى خوارزم شاه، يخبره بانه يخطب له ويضرب السكة على الدنانير والدراهم بأسمه ايضا ويتصرف في البلاد بأمره ونهيه، ففرح ايل ارسلان واصطلحا على ذلك، وبعد ان سمع الاتابك ايلدگز بالصلح بينهما عاد الى الري وأذربيجان^٢.

٧. العلاقة بين ايلدگز واتابك الموصل:

يبدو مما تذكره المصادر ان رقعة الاراضي التي امتد اليها نفوذ ايلدگز، بلغت اقصى اتساعها خلال السنوات ٥٦٢-٥٦٦هـ، حين امتد نفوذه الى البصرة وواسط والحلة، فقد اقطع ايلدگز والسلطان ارسلان تلك الجهات في سنة ٥٦٢هـ الى الملك ابن ملكشاه الذي كان عند شملة صاحب خوزستان^٣. كما امتد نفوذهما في تلك السنة الى الموصل وسائر بلاد دياربكر والجزيرة، اذ خطب اتابك الموصل للسلطان ارسلان شاه عنها، وعن سائر بلاد دياربكر والجزيرة، اذ كان الاتابك الاعظم ايلدگز قد أوفد رسولا الى الموصل يطلب من اتابكها قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي الخطبة والسكة للسلطان ارسلان شاه، فأجابه بالسمع والطاعة، وارسل اليه التحف والهدايا فتأكدت المودة بين الاتابكين وصاروا يداً واحدة في خدمة السلطان ارسلان شاه^٤.

٨. العلاقة بين ايلدگز وابن صاحب كرمان:

من الشواهد الاخرى على تعاظم وتصاعد قوة ايلدگز، ان ارسلان شاه الثاني ابن الملك طغرل بن قاورت بك صاحب كرمان السلجوقي، استنجد به في سنة ٥٦٣هـ/١١٦٧م^٥، لارجاعه الى عرش كرمان، وكان والده قد اوصى اليه -وهو الابن

^١ بسطام: وهي بلدة كبيرة بقومس على الطريق الموصل الى نيسابور بعد دامغان، ياقوت ٦٢٣/١، وعن موقع دامغان، ينظر: ص ٢٢٦ ح ٤.

^٢ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٦٢-١٦٤؛ د. نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، ص ٥٧-٥٨.

^٣ ابن الاثير ٣٢٨/١١.

^٤ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٦٤.

^٥ هكذا ورد عند الحسيني، ص ١٦٤؛ اما ابن الاثير ٣٥٨/١١، فيحدّد تاريخ سنة ٥٦٥هـ.

الايوسط- بالملك دون اخويه: بهرام شاه و ترکان شاه، فلما توفي نازعه اخوه الاصغر بهرام شاه على العرش واغتصبه منه، وذلك بمساعدة من المؤيد اي ابيه صاحب نيسابور، فهرب ارسلان شاه والتجأ الى الاتابك ايلدگز باصفهان، مستنجداً به ليمدّه بجيش يعيده الى الحكم، فأجابه الى طلبه، وجهّز جيشاً الى الامير جمال الدين محمد بن ناصرالدين اقوش والي همدان الموصوف بالشجاعة والاقدام، فسار على رأس جيش نحو كرمان في سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م، واستولى على المدينة وسلّمها الى ارسلان شاه، وعاد هذا الى الحكم، وارسل ما في القلعة من الخزائن والاموال الثمينة الى السلطان والاتابك ايلدگز، وتعهّد بارسال الأموال كل سنة، وعدّ نفسه نائباً عن السلطان في بلاده، ورجع والي همدان، فأستقبله السلطان والاتابك احسن استقبال، وعيّنّه السلطان امراً للحجاب، تكريماً له لفتحته كرمان وتسليمها الى صاحبها الشرعي. اما بهرام -اخو ارسلان شاه الاصغر- فقد التحق بالمؤيد في نيسابور واقام عنده، الى ان توفي ارسلان شاه، فتوجه الى كرمان واستولى عليها، وحكمها بدون منازع^١.

٩. العلاقة بين ايلدگز ونورالدين محمود:

كان السلطان نورالدين محمود بن عمادالدين زنكي، يرى انه اولى من ايلدگز بمراعاة ملك ومصالح ابناء اخيه قطب الدين مودود اتابك الموصل والجزيرة (٥٤٤-٥٦٥هـ/١١٤٩-١١٧٠م)، وهذّده بشن حرب عليه، فبعد وفاة قطب الدين تحكّم فخرالدين عبدالمسيح -احد خواص قطب الدين والقيّم بأمور الدولة والمقدّم فيها - بأبن اخيه سيف الدين غازي، الذي نصبه فخرالدين على الملك بدلاً من اخيه الاكبر عمادالدين زنكي، لان عمادالدين كان يطيع نورالدين الذي هو عمّه ووالد زوجته فكان نورالدين يبغض فخرالدين، فتوجّه عمادالدين الى عمّه طالباً منه مساعدته في تولي الحكم^٢، فسار نورالدين بجيشه من بلاد الشام في مستهل عام ٥٦٦هـ/اواخر ١١٧٠م، اما سيف الدين وفخرالدين فقد اوفداً: عزالدين مسعود - اخو سيف الدين - الى الاتابك ايلدگز، يطلبان منه النجدة. ومن المعلوم ان ايلدگز قد اتسعت مناطق نفوذه اتساعاً

^١ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية ١٦٤-١٦٦؛ ابن الاثير، حوادث سنة ٥٦٥، ٣٥٨/١١، تاريخ ابن خلدون ١٧٧/٥.

^٢ ابن الاثير ٣٥٥/١١.

واسعاً آنذاك، حيث اطلق عليه ابن الاثير في حوادث العام المذكور بـ((صاحب همذان وبلد الجبل واذربيجان واصفهان والري وتلك الاعمال))^١، اضافة الى ارّان، فأوفد ايلدگز رسولاً منه الى نورالدين ينهاء عن التعرض للموصل، لأنها لابن زوجته: السلطان ارسلان شاه، ويقصد بذلك ان قطب الدين مودود كان قد خطب للسلطان ارسلان شاه عن الموصل وسائر بلاد دياربكر والجزيرة وذلك في عام ٥٦٢هـ/١١٦٧م -كما مرّ بنا.

لم يلتفت نورالدين محمود لتحذير ايلدگز، وارسل له جواباً عن طريق رسوله، ونصه هو: ((قل لصاحبك (اي لايلدگز) انا اصلح لاولاد اخي منك، فلم تدخل نفسك بيننا؟ وعند الفراغ من اصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همذان، فأنت قد ملكت نصف هذه المملكة العظيمة، واهملت الثغور حتى غلب الكُرج عليها، وقد بليت انا، ولي مثل ربع بلادك، بالفرنج، وهم اشجع الناس، فأخذت معظم بلادهم، واسرت ملوكهم، ولايحل لي السكوت عنك، فإنه يجب القيام بحفظ ما اهملت وازالة الظلم عن المسلمين))^٢.

يتبين من النص المذكور، ان نورالدين يعترف بسعة البلاد التي خضعت لحكم ايلدگز، حتى عداها تشمل نصف مملكة الاسلام، في حين لا يحكم هو ربع ممتلكات ايلدگز، الا انه مع ذلك اشجع واجراً منه، حيث دحر آلفرنج واستولى على معظم بلادهم، واتهم ايلدگز بالتخاذل تجاه الكُرج وتهاونه في حماية حدود الدولة الاسلامية، وهدّده بشن الحرب عليه واخضاعه لسيطرته.

لم تذكر المصادر ردّ ايلدگز على هذا التجريح والتهديد له، ويبدو انه لم يقيم بأي عمل ولم يتدخل في شؤون اتابكية الموصل او يمنع نورالدين من الدخول الى الموصل، فقد ذكر ابن الاثير على انه دخلها ووافق على تسليمها الى ابن اخيه سيف الدين بدلاً من عمادالدين شريطة ان يتركها فخرالدين ويتوجه معه الى الشام، اما عمادالدين فقد اقطعه نورالدين سنجاراً^٣.

^١ ن.م ٣٦٣/١١.

^٢ الكامل ٣٦٣/١١-٣٦٤؛ ابن النديم، زبدة الحطب ٢/٢٣١؛ ابن واصل، مفرج الكروب، طبعة ١٩٥٣، ١٩٢/١-١٩٣؛ تاريخ ابن الفرات، مج ٤، ج ١/١١٢؛ ابن خلدون ٥/٥٥٧.

^٣ الكامل ٣٦٤-٣٦٥.

ايلدگز والسلطان ارسلان:

صفت الامور للسلطان ارسلان شاه، وتزوج الاتابك الاعظم الامير شمس الدين ايلدگز والدة ارسلان، بعد مقتل عدوّه: اينانج، امير الرى في اواخر سنة ٥٦٤هـ/واسط سنة ١١٦٩م، وبعد وفاة ملك خوارزم: ايل ارسلان بن اتسز في سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م، الذي كان يطمع في الاستيلاء على بعض ممتلكات ايلدگز في العراق (بلاد الجبال)، وبموته زال التهديد عن هذه النواحي، واصبح ايلدگز يحكم مناطق واسعة من الامبراطورية السلجوقية، فقد خضعت لنفوذه اكثر انزبيجان والعراق (بلاد الجبال) واران وهمدان واصفهان والري وغيرها، حتى امتد ملكه من باب تفليس الى كرمان (على حد قول ابن الاثير) وكان يمتلك جيشاً ضخماً، وكان هو الحاكم الفعلي والمتنفذ لكل تلك الجهات، فكان يصدر الاحكام ويتصرف في الاقطاعات ويعطيها لمن يشاء ويتولى الخزائن وينقلها من مكان الى آخر كما يريد، اما السلطان فلم يكن يستطيع ان يناقشه في ذلك ولم تكن له سوى الخطبة والسكة وجراية تصل اليه، وكان السلطان يتضايق احياناً من استبداد الاتابك بالسلطة، وكان يبدي تدمره هذا لوالدته، زوجة ايلدگز وام ولديه: الپهلوان وقرل ارسلان، فكانت تطيب خاطره وتقول له، بان الرجل خاطر بنفسه واقتحم المنايا في الحروب مراراً، وانفق نفائس امواله واهلك غلمانته ورجاله حتى استطاع ان يقيم سلطاناً مع العلم ان الكثير من كبار السلاجقة هم في السجون لا يستطيعون ان يتحركوا من مكانهم وانت على سرير السلطنة، ويقوم هو وولده بخدمتك ويقارعون اعداءك، وانت هنى البال، اما تحكم ايلدگز في الامور فهو بقصد اصلاح دولتك وتثبيت ملكك، ومهما كان فهو مملوك، فكان اذا سمع مثل هذا الكلام يسكت^٢.

وبلغ من تحكم ايلدگز فيه، ان السلطان شرب ذات ليلة، فوهب ما في خزانته وكان كثيراً، فلما سمع ايلدگز، استعاده كله، وقال له: ((متى اخرجت المال في غير وجهه، اخذته ايضاً من غير وجهه وظلمت الرعية))^٣.

^١ ن.م. ٣٨٨-٣٨٩ (حوادث سنة ٥٦٨).

^٢ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٦٧؛ ابن الاثير ٣٨٩/١١.

^٣ ابن الاثير ٣٨٩/١١.

وبقي الاتابك ايلدگز الى سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤م، ينتقل بين العراق واذريجان وكان يأخذ معه السلطان تارة، او يسير بمفرده تارة اخرى^١.

وفاة ايلدگز والسلطان ارسلان:

لم يستطع السلطان ارسلان الاستمرار في الحملة الاخيرة ضد الغرج، فرجع الى تبريز ومنها توجه الى همذان، وكان خبر وفاة والدته: مؤمنة خاتون في نخچوان قد وصل الى الاتابك الاعظم ايلدگز، فأقام العزاء لها، واشاد النيشابوري كثيراً بهذه السيدة فقال عنها: ((ان نظام تلك المملكة وقوام تلك الدولة، كانا مرتبطين ببقاء تلك السيدة، وكان من شيمتها وسيرتها، رعاية العلماء وارسال الصدقات والصلوات الى الزهاد))^٢، و اضاف الراوندي: ((وكانت متدينة خيرة ونقية))^٣.

وبعد وفاتها بشهر واحد، جاءت الاخبار بوفاة الاتابك السعيد ايلدگز، ومن سير الاحداث التاريخية يظهر لنا ان وفاته -على الأرجح- كانت في منتصف شهر ربيع الآخر او منتصف جمادي الاولى (الشهر الرابع او الخامس) من سنة ٥٧١هـ/تشرين الثاني او كانون الاول ١١٧٥م، وليست في عام ٥٦٨هـ، كما ذهب اليه المؤرخون معتمدين على تحديد ابن الاثير لوفاته^٤، لأن كتاب السلجوقنامه للنيشاپوري (وهو اقدم من أرخ للسلاجقة -على علمنا- والمؤلف توفي حوالي ٥٨٢هـ، فهو معاصر لايلدگز)، يحدّد وفاة ايلدگز في سنة ٥٧١هـ، ولم يحدّد وفاته باليوم والشهر، ولكنه حدّد وفاة السلطان ارسلان في منتصف شهر رجب^٥، وحدّد الراوندي في منتصف شهر جمادي الاخرة^٦ من السنة المذكورة، واذا علمنا ان وفاة ايلدگز كانت قبله بشهرين^٧، فتكون وفاته في منتصف شهر جمادي الاولى او منتصف ربيع الآخر. مما

^١ الحسيني ١٦٨.

^٢ سلجوقنامه ٨٢.

^٣ راحة الصدور ٤٢٨؛ تاريخ حبيب السير، ج٤، مجلد ٥٣١/٢.

^٤ الكامل ٣٨٨/١١؛ اما الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٦٨: فيحدده سنة ٥٧٠هـ.

^٥ السلجوقنامه ٨٢.

^٦ راحة الصدور ٤٣٠؛ تاريخ حبيب السير، ج٤، مجلد ٥٣١/٢.

^٧ الحسيني ١٦٩.

يؤيد وفاته في سنة ٥٧١هـ، ان الفارقي (المولود سنة ٥١٠هـ) والمعاصر لايلدگز يذكر ان بدء الحملة الاخيرة على الكُرج كان في المحرم من سنة ٥٧١هـ، وان شاه ارمن وعساكره عادوا الى بلادهم في العشر الاول من ربيع الاول من العام المذكور^١، وذكر المؤرخون ان وفاة والدة السلطان ارسلان وايلدگز، كانت بعد رجوعهم من الحملة. ودفن ايلدگز في همذان في المدرسة التي كان قد بناها، كما دفنت زوجته ام السلطان ارسلان في همذان ايضاً^٢.

اشاد ابن الاثير بالاتبك الاعظم فوصفه بأنه كان: ((عاقلاً، حسن السيرة، يجلس بنفسه للرعية، ويسمع شكوايهم وينصف بعضهم من بعض))^٣، كما ترحم عليه الراوندي^٤.

توفي السلطان ارسلان -كما ذكرنا- في سنة ٥٧١هـ، بعد وفاة ايلدگز بشهرين، وذكر العماد الاصفهاني، ان اخاه الپهلوان -من جهة امه- قد سقاه سما -كما قيل- حتى ينفرد في الحكم ويعين الطفل طغرل ابن ارسلان في السلطنة^٥. اما (خواندامير) فيذكر ان سبب وفاته هو حزنه الشديد وتأثره من موت والدته مؤمنة خاتون^٦.

^١ ذيل تاريخ دمشق ٣٦٥؛ نقلاً عن تاريخ الفارقي.

^٢ سلجوقنامه ٨٢؛ راحة الصدور ٤٢٩؛ ابو الفدا، المختصر ٣/٣؛ الذهبي، العبر ٤/٢٠٣؛ تاريخ ابن الوردي ٢/٢١١٦؛ دولتشاه، تذكرة الشعراء، طبعة براون، ١١٧؛ تاريخ حبيب السير، ج ٤، مجلد ٢/٥٣١.

^٣ الكامل ١١/٣٨٩؛ ابن خلدون ٥/١٧٨.

^٤ راحة الصدور ٤٢٩.

^٥ تاريخ دولة آل سلجوق، ٢٧٥.

^٦ يذكر خواند امير (حبيب السير، ج ٤، مجلد ٢/٥٣١)، انه توفي بعد وفاة والدته بشهر واحد، وهذا القول يتعارض مع ما ذكرته المصادر الاولى الاساسية لتأريخ السلاجقة كسلجوقنامه وراحة الصدور واخبار الدولة السلجوقية للحسيني، اذ ذكروا -كما علمنا- ان ايلدگز توفي بعد موت زوجته ام ارسلان بشهر واحد، وتوفي السلطان ارسلان بعد موت ايلدگز بشهرين، اي ان ارسلان توفي بعد موت والدته بثلاثة اشهر.

الشعراء وايلدگز والسلطان ارسلان:

يبدو ان بلاط السلطان ارسلان وأتابكه شمس الدين ايلدگز، كان مرتعاً للشعراء والادباء، يفدون اليه ويلقون القصائد والخطب في مدحهما ومدح ولدي ايلدگز: جهان پهلوان وقزل ارسلان، وكان سلاطين وامراء الدويلات التي كانت تتمتع باستقلال ذاتي ضمن الدولة العباسية، يتنافسون فيما بينهم على اجتذاب اكبر عدد من الشعراء والادباء، لان مدح الشعراء الكبار لهم بمدايح غرة كان من اهم وسائل شهرتهم، وان وجودهم كان من متطلبات ولوازم الرئاسة والسلطنة^١. وكانوا يجزلون لهم العطاء، والشعراء مقابل ذلك يبالغون في مديحهم ويسبغون على ممدوحهم الكثير من صفات الرجولة والعظمة والفروسية والشجاعة والسخاء والعدل وغيرها، وقد يبالغون فيها، بل انهم احياناً يصفون ممدوحهم بصفات لم يتحلوا بها من اجل الحصول على نصيب اوفر من عطائهم وهباتهم، وقد نظم عدد كبير من كبار الشعراء الذين مدحوا السلطان ارسلان وايلدگز ولديه قصائد طويلة، وبرز في القرن السادس الهجري مثل هؤلاء الشعراء في اذربيجان ومنهم: اوحالدين انوري الابيوردي، السمرقندي، اثيرالدين أخسيكتي، النظامي العروضي، قوامي الكنجوي، نظامي الكنجوي، ظهيرالدين الفاريابي، مجيرالدين البيقاني، عمادالدين الغزنوي، شرفالدين شفروه الاصفهاني، سعدي الشيرازي، جمال الدين الاصفهاني، الخاقاني الشرواني، قوامي مطرزي، يوسف فضولي وغيرهم، وكل هؤلاء من شعراء القرن السادس، عدا سعدي الشيرازي من القرن السابع حيث مدح قزل ارسلان، وكان ابرزهم الشعراء: الخاقاني والنظامي، اللذان اثرا في الادب الايراني كثيراً ولحقة طويلة^٢.

ولاريب في ان الهبات والاموال والجوائز السخية التي كان يهبها هؤلاء الامراء لهم، والمنافسة بينهم لاجتذابهم، من الاسباب التي ادّت الى ظهور وبروز هذا العدد الكبير من الشعراء ابان تلك الحقبة، اضافة الى من هاجر من خراسان الى اذربيجان بعد حملة الغز عليها وكساد سوق الشعر والادب فيها، فاصبحوا في خدمة سلاطين وامراء

^١ د. ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات ايران، طهران، ٢٥٣٥ شاهنشاهي، جلد ٢٣١/١.

^٢ د. ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات ايران، جلد ١، ص ٢١٩.

العراق (بلاد الجبال)، وأذربيجان، أمثال: اثيرالدين اخسيكتي، واشهري نيسابوري وظهيرالدين فارياي وغيرهم^١.

لم تخل قصائد المديح هذه من فوائد، فمن ضمنها، تتبين لنا الالقاب التي كان يتلقب بها بنوايلدگز والمعارك التي خاضوها، علاقاتهم مع الامارات المجاورة لهم ومع الاسماعيلية والكرج وغيرهم. ونظم الشاعر مجيرالدين البيلقاني^٢ سبع قصائد طويلة في مدح السلطان ارسلان والاتابك الاعظم ايلدگز^٣، ذكر في احداها^٤: ان الاتابك الاعظم ايلدگز قد خضع له قيصر الروم كرهاً ودفع له ملك الخطا^٥ الخراج طوعاً، وهذين الحديثين لم نجد لهما ذكراً في المصادر التاريخية، وأشار الى حصول ملك كرمان على الملك بفضل الاتابك، ويقصد بذلك استنجاد ارسلان شاه الثاني بن الملك طغرل بن قاروت، بالاتابك ايلدگز لارجاءه الى تولي السلطة في كرمان، بعد ان اغتصبت منه، فارس ايلدگز جيشاً اعاده الى الحكم، وقد سبق ان تناولنا هذه الحادثة بالتفصيل.

^١ ن.م ٢٢٩/١.

^٢ مجيرالدين البيلقاني، وهو ابن المكارم مجيرالدين البيلقاني، ولد في بيلقان من توابع شروان شمالي أذربيجان، واختص الشاعر بمدح اتابكة أذربيجان كاييلدگز وولديه: جهان پهلوان وقرل ارسلان، كذلك مدح السلطان ارسلان شاه. وكان الشاعر مقرباً الى ايلدگز وينوب عنه، لذلك فقد اصبح محل حسد الشعراء، ولأجل الاحتفاظ به، ارسله الاتابك الى اصفهان كي يتولى فيها شؤون الديوان، وقتل مجير في اصفهان بتعصب من اهله، ويرى د. ذبيح الله صفا ان وفاته بالحدس القريب من اليقين كانت في سنة ٥٨٦هـ، واتفق على ذلك، ودفن بمقبرة الشعراء في تبريز، بينما يذكر د. رضا زاده شفق ان وفاته كانت في سنة ٥٩٤هـ - على ما يقال - ينظر:

د. ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات ايران، جلد ١/٣٣٥؛ د. رضا زاده شفق، تاريخ الادب الفارسي، ترجمة: محمد موسى هندواي، طبعة ١٩٤٧، ص ١١٤-١١٥؛ امين احمد رازي، هنت اقليم، جلد ٣، ص ٣٠٦؛ د. عبدالنعم محمد حسنين، نظامي الكنجوي، ص ٦٢؛ دولتشاه، تذكرة الشعراء، ص ٧٧.

^٣ اشغلت هذه القصائد حيزاً كبيراً في كتاب راحة الصدور، حوالي ٣٠ صفحة ٤٣١-٤٦١، وتوجد نسختان من ديوان الشاعر، احداها في برلين والثانية في مكتبة بودلين باكسفورد، راحة الصدور، ح ٣، ص ٤٣٠. ^٤ الراوندي، ٤٣٦.

^٥ الخطا: هم من الاتراك، خرجوا من الصين في بادئ امرهم ونزلوا تركستان ثم استقروا في بلاد ما وراء النهر (جيجون)، وكونوا دولة لهم هناك الى ان اخرجهم منها علاء الدين محمد ملك خوارزم سنة ٦١٠هـ. ابن الاثير ٨١/٨٦-٨٦ (حوادث سنة ٥٣٦هـ)، يراجع: بشأن دولتهم: الدولة الخوارزمية والمغول، حافظ احمد محمود، ص ٤٦-٦٦.

والايبات التي تناولت مذكرناه، قالها في قصيدة له مدح فيها السلطان ارسلان
والاتابك ايلدگز، وترجمتها هي:

((ومن مفاخره (اي مفاخر السلطان) ان الاتابك الاعظم الى جواره

وهو الاتابك الذي امتد نفوذه الى جميع الارحاء...!!

وخضع القيصر له كرهاً، ودفع ملك الخطأ الخراج له طوعاً

وبلغ ملك كرمان بفضلك كل مراده.

فحظى بالملك دون عناء وانتظار^١)

واشار الشاعر الى تقريب السلطان اليه، ابناء الاتابك جهان پهلوان بن ايلدگز،

فقال ما ترجمته:

((لقد قربت اليك محموداً^٢ وورثت

ملك سنجر ومحمود وهما ملكان عظيمان

واتخذت ابابكر^٣ رفيقاً لك فنال السعادة

فذاتك مشرقة كالشمس، ومنك استمد الاخرون^٤ السعادة^٥)).

اما الشاعر اثيرالدين اخسيكتي^٦ فقد مدح السلطان ارسلان بقصيدة قالها سنة

٥٥٥هـ^٧، كما مدح ايلدگز وابنيه ولاسيما قزل ارسلان^٨.

^١ الراوندي ٤٣٦.

^٢ المراد به اينانج محمود بن الاتابك جهان وپهلوان، الذي ذكر في كتب التاريخ باسم قتلغ اينانج.

^٣ المقصود به: نصره الدين ابوبكر بن جهان پهلوان.

^٤ يقصد بالاربعة: ايلدگز وابنه جهان وپهلوان، وابني الپهلوان: ابابكر ومحمود.

^٥ الراوندي ٤٣٩.

^٦ اثيرالدين اخسيكتي، نسبة الى اخسيكت من قرى فرغانه في بلاد ماوراء النهر وهو من شعراء القرن السادس، ويقول رضا قلي خان انه توفي في سنة ٦٥٧هـ (تذكرة رياض العارفين، طبعة طهران، ٢٧٢) وهذا التاريخ مشكوك فيه ولعل الصحيح هو سنة ٥٥٧هـ.

وكان قد اشتهر كشاعر في خراسان اثناء حكم السلطان سنجر (٥١١-٥٥٢هـ/١١١٧-١١٥٧م)، وبعد وفاته هاجر الى العراق واذربيجان

^٧ اورد الراوندي القصيدة على الصفحات ٤٥٧-٤٦١.

^٨ د. ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات ايران، جلد ١/٣٣٢.

ويجدر ان نذكر هنا ان براون قال بان: الشاعر نظامي گنجوي^١ قد اهدى مثنويته الاولى: "مخزن الاسرار" الى ايلدگز اتابك اذربيجان^٢، وهذا خطأ فاحش - ينظر مؤلف كتاب نظامي گنجوي^٣، لان الشاعر صرّح بان ممدوحه يحكم في آسيا الصغرى، ويقصد به بهرامشاه الرومي حاكم ارزنجان، لا ايلدگز حاكم اذربيجان، كما ان المثنوية نظمت في سنة ٥٨١هـ وليست في سنة ٥٦١هـ، كما ذهب براون الى ذلك^٤.

٢. محمد جهان پهلوان ابن ايلدگز: صراعه مع السلطان ارسلان شاه:

كان محمد جهان پهلوان -قبل ان يتوفى والده ايلدگز-، وهو الابن الاكبر له، يشغل وظيفة امير الحجاب والقائم بأمر السلطان، ويقيم معه في همذان، وعندما توفي والده، اخذت المخاوف تراود جهان پهلوان من نوايا السلطان ارسلان شاه تجاهه، لان والده -كما علمنا- كان هو المتحكم على السلطان، وبوفاته تحرر من هذا القيد، وكان قد ابدى تذمره من ذلك الى والدته قبل وفاتها مراراً، لذلك نرى جهان پهلوان يترك همذان ويتوجه الى اذربيجان، ليجلس هناك في مكان والده ويستلم الخزانة والاموال، ويجمع الرجال تحسباً لاي طارئ قد يطرأ، وبانتظار ما قد تسفر عنه الامور، وبالفعل كانت مخاوف جهان پهلوان في محلها، اذ ان السلطان بعد وفاة ايلدگز ورحيل پهلوان عنه، اخذ يجمع العساكر، وحمل اليه الامراء الاموال -لانه لم يكن يملك منها شيئاً في حياة ايلدگز- فأجتمع عنده عدد كبير من الجند، وكان امراء العراق (بلاد الجبال) قد قرروا ان يخرجوا السلطان من عزلته، واخذوا يحرضونه على غزو اذربيجان، وازاحة پهلوان، واخبروه انه متى مات له ذلك،

^١ نظامي گنجوي (٥٣٣-٥٩٩هـ/١١٣٨-١٢٠٣م): وهو جمال الدين ابو محمد الياس بن يوسف بن مؤيد، ولد في گنجه، عاصر اتابكة اذربيجان وامراء ارزنجان في ارمينية وامراء شروان ومراغه وatabكة الموصل، وكانت تربطه بهم جميعاً صلات الود من غير امتهان لنفسه بالتكسب بشعره، وانصرف في اواخر حياته الى العزلة وحياة التصوف، عنه ينظر:

د. عبدالنعم محمد حسنين، نظامي گنجوي، طبعة القاهرة، ١٩٥٤؛ رضا قلي خان، تذكرة رياض العارفين، ص ٢٤١ د. ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات ايران، جلد ١، ص ٣٥٤ د. رضا زاده شفق، تاريخ الادب الفارسي، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٣٥٧-٣٥٨.

^٢ تاريخ الادب في ايران، طبعة ١٩٥٤، ج ٢/٥٠٩.

^٣ د. عبدالنعم محمد حسنين، ص ١٥٦-١٥٧.

^٤ تاريخ الادب في ايران ٥٠٩/٢.

يستطيع ان يحتل بغداد ويجبر الخليفة على الخطبة له، عندئذ لن يكون هناك منازع له على السلطنة، لاسيما انه يستطيع ان ينال مساعدة صاحب الموصل سيف الدين غازي بن قطب مودود بن زنكي^١، وهو من المطيعين له، وصادف هذا الرأي هوى في نفسه، فتوجه بجيشه حتى وصل زنجان، ولكن القدر كان يقف حائلاً دون تحقيق ما ازمع عليه، فأنتابه المرض واشتد عليه، فنقل محمولاً الى همذان، وفي الطريق وافاه الاجل المحتوم، في منتصف شهر جمادي الاولى او منتصف ربيع الاخر من سنة ٥٧١هـ - كما مرّ بنا - اي بعد وفاة ايلدگز بشهرين^٢.

وقد ذكر العماد الاصفهاني ان جهان پهلوان هو الذي سمّاه^٣، ليتخلص منه ويولي مكانه ابنه الطفل، الذي يبلغ من العمر سبع سنوات، بسبب ما بدر من السلطان، من اتفاهه مع الامراء على ازاحتة، ويبدو ان ما قاله الاصبهاني صحيحاً، لان طغرل قد ايقن - عندما كبر - ان والده ارسلان شاه، لم يمت ميتة طبيعية فأثر هذا في سلوكه، وكذلك اورد (الراوندي) اعتراف الشخص الذي دس السم لارسلان شاه، انه قام به بموافقة من الاتابك محمد جهان، الى السلطان طغرل^٤.

جهان پهلوان والسلطان طغرل الثاني:

كان الملك الطفل: طغرل عند وفاة والده، يعيش عند الامير محمد جهان پهلوان في نخچوان، فأجلسه على عرش السلطنة دون مشقة، اذ كان مهيناً، والخزائن عامرة بالاموال. واصبح جهان پهلوان اتابكاً له مثلما كان والده اتابكاً للسلطان ارسلان شاه^٥، فأحاطه بعنايته ورعايته، وكان طبيعياً ان يصرف عمّه الپهلوان شؤون الحكم

^١ ورد عند الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٦٨، وفي حوادث سنة ٥٧٠هـ، ان صاحب الموصل هو قطب الدين، وهذا خطأ ظاهر، لانه كان قد توفي سنة ٥٦٥هـ، اما في سنة ٥٧١هـ، فكان يحكم ابنه سيف الدين غازي، ينظر: ابن الاثير ٣٥٥/١١، ٤٢٠، ٤٢٨.

^٢ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٦٨-١٦٩.

^٣ تاريخ دولة آل سلجوق، ٢٧٥.

^٤ راحة الصدور ٤٨٨؛ د. عبدالنعم محمد حسنين، دولة السلاجقة في العراق وايران، ١٢٣.

^٥ سمي السلطان طغرل بن ارسلان شاه بن طغرل، بطغرل الثاني تمييزاً له عن جده السلطان طغرل بن محمود بن محمد بن ملكشاه، الذي عُرف بطغرل الاول، وهؤلاء جميعهم عُرفوا بسلاجقة العراق.

^٦ الراوندي ٤٦٢-٤٦٣؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٦٩.

بدلاً منه ويكون هو المهيمن على الدولة، بينما لم يكن لطغرل حول ولا قوة، في الوقت الذي ازدادت فيه هيبة الپهلوان في قلوب الجند واصحاب الاطراف^١.

جهان پهلوان يثبت سلطة طغرل:

كاد الملك يفلت من يد السلطان طغرل الثاني في بداية عهده، ولكن جهان پهلوان استطاع بقوته وشجاعته وبمساعدة من اخيه قزل ارسلان ان يثبت حكمه ويقضي على الطامعين ويزيل خطرهم، وكان هناك خطران:

الخطر الاول، من ملك الابخاز، الذي قصد اذربيجان، فتوجه الپهلوان ومعه اخوه قزل ارسلان الى بلاد الابخاز، وكان الپهلوان قد جهّز جيشاً قوياً، لم يتمكن الابخاز من مواجهته، فأضطروا الى طلب الصلح، ووافقوا على ما أراد، فرجع الپهلوان الى العراق^٢.

اما الخطر الثاني، فهو من الملك محمد بن طغرل بن محمد بن ملكشاه الاخ الاكبر لارسلان شاه، الطامع في ان يكون هو السلطان، اذ طلب -بعد ان سمع ب وفاة اخيه- من الامير شرف الدين اميران بن شملة التركماني -الذي كان اتابكاً له والحاكم على خوزستان- ان يتوجه معه بجيشه الى العراق، فأمتنع شرف الدين الذهاب معه، واقنعه بأنه بمفرده لن يستطيع مقارعة الاتابك پهلوان، وان والده (شملة) لم يتمكن منه، بل كان قتله على يده، فكيف يمكنه الان منازلته ومعه جيوش العراق (بلاد الجبال) واذربيجان واران، وهم يزيدون على خمسين الف فارس -حسب قول شرف الدين-، و اشار اليه بأن يذهب الى اصفهان، لاحتمال ان ينحاز الى جانبه بعض الامراء، فيتمكن من جمع الجيوش. عمل الملك محمد بهذه النصيحة وتوجه الى اصفهان، وبالفعل فقد انحاز اليه امرأؤها، ونصب نفسه سلطاناً، الا ان الپهلوان توجه حالاً بجيشه من همذان وبمساعدة من اخيه قزل ارسلان، فهجم على اصفهان وانهزم الملك محمد ومن معه من الجند قاصدين خوزستان، فمنعهم الامير شرف الدين من الالتجاء الى بلاده خوفاً من الاتابك پهلوان، ولم يتمكن الملك محمد من الدخول الى واسط وبغداد، فأضطر ان يلتجأ الى مدينة شيراز وفيها صاحبها الاتابك زنكي بن مودود (٥٥٨هـ- ٥٧١هـ)، وعندما علم الپهلوان بوصولهم شيراز، هدّد زنكي بمحاربته وتدمير بلاده ان

^١ ابن الاثير ٥٢٦/١١؛ الحسيني ١٧١؛ تاريخ حبيب السير (بالفارسية)، ٥٥٧/٢.

^٢ الراوندي ٤٦٣؛ تاريخ گزيده ٤٦٤، ٤٧٣.

لم يرسل الملك محمد مخفوراً الى السلطان طغرل، فخاف زنگي عاقبة الامر فأرسله الى السلطان^١. ان خوف الاتابك زنگي هذا يدل على تعاظم قوة جهان پهلوان حيث ان امراء الاطراف كانوا يحسبون حسابه عند القيام بأي اجراء. اخذ الاتابك پهلوان، الملك محمد وسجنه في قلعة سرجهان الى ان توفي فيها. لم تستغرق الحملتان، على ملك الابخاز وعلى الملك محمد بن طغرل سوى شهرين فقط، وهكذا صفت البلاد للاتابك وللسلطان طغرل الثاني^٢، واستطاع الاتابك ان يوفر الامن والرفاهية لمدة عشر سنوات -وهي مدة حكم پهلوان- حيث تجمعت الاموال الكثيرة وضمن طاعة الاتباع والهاشمية، واستطاع ان يجمع حوله ما لم يستطع ان يحصل عليه السلطان سنجر ملكشاه -على حد تعبير الراوندي^٣، ووطد سلطنته، وازدادت قوة پهلوان الى درجة ان امراء الاطراف كانوا يرهّبونه، ووجدوا انفسهم ضعفاء امامه، فلم يجروء واحد منهم، ان يتمرد عليه، واستجابوا لطلبه عندما اراد منهم الخطبة للسلطان طغرل، وبذلك حصل على بيعتهم له، لممالك عديدة وبعيدة، فقد خطب للسلطان في الموصل واعمالها وفي ارمينية وخلاط وفي فارس واعمالها وخوزستان بأسرها^٤، كما ضرب السكة بأسمه ونشر القابه في سائر البلاد^٥.

واصبح السلطان في وضع يحسد عليه، لانه -بفضل الاتابك پهلوان- كان يعيش في دعة وامان ويقضي وقته باللهو والطرب، في حين كان الاتابك يقضيه بأمور الحرب والجهاد^٦.

^١ يذكر وصاف الحضرة، ان جهان پهلوان انتهب فرصة خلوص شيراز من الجيش، فأغار عليها واعمل القتل في اهلها، ولكن الاتابك تكله (٥٧١-٥٩١هـ) الذي تولى الحكم بعد وفاة والده زنگي بن مودود - تغلب عليه وهزمه - تأريخ وصاف، طهران ١٣٣٨هـ، ص ١٥٠.

^٢ النيشاپوري، سلجوقنامه ٨٣؛ الراوندي ٤٦٣، ٤٦٧؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٦٩-١٧٢؛ تأريخ گزيده (بالفارسية)، ٤٧٣-٤٧٤.

^٣ راحة الصدور ٤٦٦.

^٤ الراوندي ٤٦٦؛ الحسيني ١٧٢؛ د. عبدالنعم محمد حسنين، دولة السلاجقة ١٢٣؛ د. احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التأريخ والحضارة، ١٥٠.

^٥ الراوندي ٤٦٦.

^٦ الراوندي ٤٦٧.

وكون الاتابك علاقات طيبة بينه وبين خوارزمشاه، كي يؤمن الامن والاستقرار لدولته، واستمرت هذه العلاقات طوال حياة الپهلوان، وكانت الاتصالات الودية مستمرة بينهما خلال ذلك^١.

ويجدر ان نذكر بأن الپهلوان قد اثناب اخاه مظفرالدين قزل ارسلان على حكم اذربيجان، وبذلك اشركه في تسيير شؤون الحكم^٢.

القاب الپهلوان ودلالاتها:

اسمه المجرد هو "محمد" ولقب بلقبه التركي: جهان پهلوان اي بطل العالم، الا انه لقب بالقاب عديدة اخرى، جاءت نتيجة لاتساع نفوذه وتزايد قوته، فجاء لقبه عند النيشاپورى -وهو اقدم مؤلف لعهد السلاجقة-: ((الاتابك الاعظم نصره الدنيا والدين محمد))^٣، ولقب بالقاب عديدة في كتاب الراوندي منها: ((ملك الاسلام المعظم، الاتابك الاعظم، شمس الدنيا والدين، نصره الاسلام والمسلمين ابي جعفر محمد بن ايلدگن))^٤، اما عند الحسيني فقد جاء لقبه في كتابه: (نصره الدنيا والدين)^٥، وقال عنه الشاعر نظامي الكنجوى، انه ((الملك الاعظم، الاتابك العادل، الذي احمّد صوت الظلم في العالم، ابو جعفر محمد، الذي سيصبح -مثل محمود^٦ فاتحاً لخراسان، وان لقبه: شمس الدين والدنيا، لدليل على انه شمس خاصة وعامة))^٧.

^١ الحسيني ١٧٢.

^٢ ن.م ١٧٢.

^٣ السلاجقة (بالفارسية)، ٨٣.

^٤ راحة الصدور ٤٦٣، ٤٦٥، ٤٦٦.

^٥ اخبار الدولة السلجوقية ١٦٩.

^٦ لعل الشاعر يقصد به السلطان محمود الغزنوي، الذي كان مضرب المثل في الشجاعة واتساع النفوذ.

^٧ النص المذكور هو ترجمة للابيات:

((ملك اعظم اتابك دادى دور كه افكنند از جهان آواز جور

ابو جعفر محمد كن سرر جود خراسان گيرخواهد شد چو محمود

دليل آنكه آفتاب خاص وعام است كه شمس الدين والدنياش نام است))

ينظر: د. عبدالنعم محمد حسنين، نظامي كنجوى، ص ٣٣-٣٤، نقله عن: نظامي، خسرو و شيرين، ص ١٨.

ويلاحظ ان تلقيبه بـ"الاتابك الاعظم" يدل على حرص الپهلوان عليه، نظراً للسلطات الواسعة التي يتمتع بها صاحب هذا اللقب، وهو نفسه الذي كان يتلقب به والده، وسبق ان ذكرنا، السلطات التي كان يتمتع بها نتيجة لهذا اللقب، وكذلك فألقبه "شمس الدنيا والدين" هو اللقب الذي كان يطلق على والده ايضاً، فهذا اللقب، ولقب نصره الدنيا والدين" و"نصرة الاسلام والمسلمين" كلها تدل على انه كان يجمع لديه السلطتين الدينية والدنيوية. ويلاحظ ان سبط ابن الجوزي ينفرد بتسميته: "ايل شاه" وتعني بالتركية، الملك الرئيس^١.

وجاء تلقيبه بـ(ابي جعفر محمد) من قبل مؤلف كتاب مضمار الحقائق^٢ تأكيداً لما كان قد لقبه به الراوندي والشاعر نظامي گنجوی. وكان الشاعر مجيرالدين البيلقاني قد لقبه في قصيدة يمدحه فيها بـ "نصرة الدين عضد الدولة محمد"، وكذلك لقبه في بيت آخر من القصيدة ذاتها بـ "پهلوان خسرو"، اي الملك البطل^٣. ويدل اللقب الذي لقبه به الراوندي وهو "الملك السعيد" على الرفاهية والامن السائدة في بلاده، وابتعاده عن كل منافس او مزاحم له في ملكه.

العلاقات الخارجية في عهد جهان پهلوان:

١. علاقاته مع آقسنقر الاحمديلي ومع صاحب خوزستان:

كان ايلدگز يعتمد كثيراً على ابنه الاكبر جهان پهلوان، في قيادة بعض الحملات العسكرية التي كان يرسلها على اعدائه، فقد وجهه سنة ٥٧٠هـ ومعه اخوه قزل ارسلان الى تبريز التي كانت تحت سيطرة آقسنقر: الاحمديلي، فتمكن الپهلوان انتزاع

^١ مرآة الزمان، ج ٨، ق ٣٣٠/١.

وللاتراك اعلام اخرى مركبة مع كلمة ايل، وتعني: رئيس العشيرة او رئيس المملكة، مثل: ايل ارسلان، الاسد الرئيس، ايل قتلغ: السيد الرئيس. ينظر: توفيق وهبي، القصد والاستطرد في اصول معنى بغداد، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج ١، لسنة ١٩٥٠، ص ٦٥.

^٢ عمر بن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق وسر الخلائق، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢١٨؛ مفرج

الكروب ١٦٨/٢.

^٣ الراوندي ٤٤٥.

المدينة وتسليمها الى اخيه قزل، وسبق ان تناولنا هذه الحادثة بالتفصيل اثناء حديثنا عن الاحمديلية^١.

وتوجّه الپهلوان -في العام نفسه- بحملة عسكرية اخرى، لمقاتلة شمله التركماني، صاحب خوزستان، وسبب ذلك تعرض شملة لبعض التركمان، فأستنجد هؤلاء بالپهلوان، حيث وجه له جيشاً متكوناً من التركمان الذين لهم ثار على شمله، وجرت المعركة بالقرب من قرميسين (كرمنشاه)، وخرج شملة، فأخذ مع ولده وابن اخيه اسرى، غير ان شملة توفي بعد ذلك متأثراً بجراحه^٢.

٢. علاقاته مع الخليفة العباسي:

استمرت الخلافة العباسية تنتهج مع طغرل في عهد الپهلوان، ذات السياسة التي اتبعتها مع والده السلطان ارسلان شاه في عهد ايلدگز، وذلك بعدم الاعتراف بشرعية الحكم والخطبة لطغرل على المنابر، وهي السياسة التي تقوم على الخلاص من تحكم وسيطرة السلاجقة، فطردت الخلافة، رسول الپهلوان الذي ارسله اليها في عام ٥٧٢هـ/١١٧٦-١١٧٧م، ليطلب الخطبة لطغرل والاعتراف بسلطنته^٣، الا ان الپهلوان لم يفقد الامر، فلم ينقطع عن ارسال الرسائل والوفود الى دار الخلافة، معلناً انقياده وطاعته لها، وقال في رسالة له الى الخليفة، انه ما تم له الملك والحكم على هذه البلاد الا ((ببركات طاعته للدار العزیزة والانقياد للوامر الشريفة))^٤. وتدل محاولات الپهلوان المتكررة هذه، على ادراكه بأن دولته لن تنعم بالامن والطمأنينة، ولن تتخلص من الطامعين على السلطنة، الا باعتراف الخلافة بسلطنة طغرل واكسابها الصفة الشرعية، لذلك استمر في هذه المحاولات الى ان حصل على اعتراف الخلافة بالسلطان وخطبت له، غير ان ذلك لم يتم الا بعد مرور عام واحد اي في المحرم من عام ٥٧٣هـ/تموز ١١٧٧م^٥.

^١ يراجع: الفصل السابق، الاحمديلية، ص ١٦١-١٦٢.

^٢ ابن الاثير ٤٢٣/١١-٤٢٤؛ الذهبي، العبر ٢١١/٤؛ دول الاسلام، ٨٥/٢ (ذكر ان الناس فرحوا لمصرع شمله لظلمه وجبروته، ابن خلدون ١٧٩/٥).

^٣ ابن الجوزي، المنتظم ٢٥٤/١٠؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ٣٢٠/١.

^٤ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٧٢.

^٥ ابن الاثير ٤٤٤/١١؛ ابو الفدا، المختصر ٦٠/٣-٦١؛ تاريخ ابن الوردي ١٢٦/٢.

يعد الناصر لدين الله، الذي تولى الخلافة في اواخر عام ٥٧٥هـ/ بداية الثلث الاول من عام ١١٨٠م، بعد وفاة المستضيء بأمر الله، من اقوى الشخصيات التي تولتها في عصورها المتأخرة، وعندما نودي خليفة، ارسلت دار الخلافة الرسل الى ملوك وامراء الاطراف لاختذ البيعة له، وبعثت صدرالدين شيخ الشيوخ عبدالرحيم بن اسماعيل ابن ابي سعد الى الپهلوان، الا انه امتنع عن البيعة للخليفة، وأصر على حذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة مدة سنة بكاملها على منابر همذان واصفهان وأذربيجان، ولم تذكر المصادر سبب امتناعه، ولكن اصراره هذا ربما يعود الى غروره بنفسه بعد ان استقرت له الامور وتعاضم نفوذه وقوته، غير انه بعد هذه المدة ياتمر بأوامر الخليفة الامام ويبدى له الطاعة والانقياد التام حتى وفاته سنة ٥٨١هـ^١.

ويبدو ان الپهلوان قد ندم على امتناعه بالخطبة للخليفة مدة عام واحد، بدليل انه قبل وفاته اوصى اولاده بعدم خروجهم عن طاعة امير المؤمنين، فقد جاء في وصيته لهم: ((انه مهما بدى منكم من الامور فاياكم ثم اياكم من الخروج عن طاعة الاوامر الشريفة النبوية وانكم ستجدون امير المؤمنين ركناً تستندون اليه عند الشدائد وحصناً ومعقلاً تلتجئون اليه ان جريكم عدو معاند))^٢.

٣. علاقاته مع السلطان صلاح الدين الايوبي:

دب الصراع بين اتابك الموصل عزالدين مسعود بن مودود بن زنكي والسلطان صلاح الدين الايوبي، فتوجه السلطان بجيش من الشام لاحتلال الموصل وانتزاعها من عزالدين المعادي له، وحاصرها في اواسط سنة ٥٧٨هـ/ اواخر عام ١١٨٢، عندئذ استنجد الاتابك عزالدين بالپهلوان، ولكن هذا اشترط عليه شرطاً كي ينضم اليه، فلم يقبل عزالدين به، اذ عده اخطر من الحرب مع السلطان صلاح الدين، ولم يبين لنا (ابن

^١ العماد الاصفهاني، سنا البرق الشامي، طبعة بيروت، ١٩٧١، ق/٣٤٣؛ راحة الصدور ٤٦٦؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٧٢؛ عمر بن شاهنشاه الايوبي، مضمار الحقائق، ص ٦؛ العسجد المسبوك، طبعة ١٩٧٥، ٢/١٧٥؛ د. احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ١٤٩.

^٢ الحسيني، ١٧٢.

شداد)^١، الذي اورد الرواية، ماهو هذا الشرط؟، ومع ذلك نجد قزل ارسلان، الذي كان يحكم اذربيجان نيابة عن اخيه الپهلوان، يرسل الرسل الى عزالدين والى صلاح الدين للصلح بينهما، الا ان جهوده لم يحقق لها النجاح، فأستمر الصراع بينهما^٢.

اراد صلاح الدين ان يوجد امارة قوية وسط مناطق معادية له، فابدى تأييده لامارة اربل، والتي تحادد الموصل، الواقعة بين اربل والشام، وتحادد من جهة الشرق بلاد الجبل واذربيجان. وكان صاحب اربل زين الدين يوسف بن زين الدين علي قد ارسل في سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣م الى السلطان صلاح الدين يعلن تقديم الطاعة له وانه تحت تصرفه^٣.

اما الاخوان الپهلوان وقزل ارسلان، فكانا ينظران بعين الريبة الى تعاظم نفوذ صلاح الدين واتساع مناطق حكمه، لذلك كان من مصلحتهما الحد من نفوذه لئلا يقوم بعد احتلاله للموصل وسنجان وجزيرة ابن عمر، باحتلال اجزاء من اذربيجان وبلاد الجبل، وهذا يفسر لنا سبب رفض الاتابك الپهلوان للسلطان وجيشه بالمرور عبر الاراضي الخاضعة لنفوذه، بعد ان طلب منه ذلك صلاح الدين كي يحطم قلاع وحصون الاسماعيلية في قزوين وبسطام ودامغان^٤.

ارسل الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٨٠-١١٢٥م) رسوله الى السلطان صلاح الدين -بناء على طلب من اتابك الموصل- للمصالحة بينهما، وبعث اتابك الموصل رسوله ليمثله في مفاوضات الصلح وهو قاضي القضاة ابو حامد محي الدين محمد بن كمال الدين الشهرزوري، وعندما اصر السلطان على ان تكون اربل والجزيرة ضمن مناطق نفوذه، هدّده ابو حامد الشهرزوري بأن عزالدين اتابك الموصل لن يكون وحده -اذا ما رفض السلطان بتبعية اربل لاتابك الموصل- اذ سيلجأ الى طلب المساعدة من الاتابك الپهلوان، وكان السلطان صلاح الدين متردداً في قبول شرط اتابك الموصل، ولكن عندما سمع بتهديد الشهرزوري، غضب السلطان، وكان ذلك

^١ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية او سيرة صلاح الدين، تحقيق د. جمال الدين الشيبان، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٥٦-٥٧؛ الروضتين ٢/٣٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب، تحقيق د. الشيبان، القاهرة، ١٩٥٧، ٢/١٢٢.

^٢ ابن الاثير ١١/٤٨٧؛ ابن واصل، مفرج الكروب ٢/١٢٣.

^٣ ابن الاثير ١١/٥٠٠؛ د. محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي، بغداد، ١٩٧٦، ص ٧٤.

^٤ الراوندي ٤٧٠.

محركاً له على التوجه الى الموصل والاستيلاء عليها والسير منها الى بلاد اذربيجان لمحاربة الاتابك الپهلوان^١.

قلنا ان الاتابك الپهلوان واخيه قزل ارسلان ادركا مخاطر تزايد نفوذ صلاح الدين، لاسيما اذا امتد الى اربل المجاورة لاذربيجان، فقررنا هذه المرة مساندة اتابك الموصل ضد السلطان صلاح الدين اذا ما طلب منهما ذلك، وكان عز الدين اتابك الموصل قد سجن نائبه القدير مجاهد الدين قايمان، فاطلق الاتابك نائبه من السجن بشفاعة من الپهلوان، ووجهه في بداية سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، الى الاخوين الپهلوان وقزل ارسلان يطلب منهما النجدة ضد صلاح الدين ومساعدتهما على استرجاع اربل التي انضمت الى السلطان، وكان المواصل قد ابدوا للپهلوان استعدادهم لسك الدرهم والدينار باسم السلطان طغرل كي يكون حافزاً للپهلوان على مناصرتهم^٢. التقى قايمان بقزل ارسلان في اذربيجان، فأعلن الاخير عن استعداده لتلبية ما يطلبه الاتابك عز الدين دون حاجة لذهابه الى اخيه الپهلوان^٣، وجهزه بجيش كبير مكون من ثلاثة آلاف فارس، توجه بهم قايمان الى اربل لمحاصرتها، غير ان الجند ما ان وصلوا الى اطراف المدينة حتى بدأوا بالتخريب والنهب والسلب واخذ النساء بالقوة. ولم يوافق مجاهد الدين على قيام جند قزل ارسلان بهذه الأعمال، الا انه لم يستطع منعهم، فسار اليهم صاحب اربل زين الدين بجيشه، وساعده تفرقهم في القرى ينهبون ويسلبون، على الحاق الهزيمة بكل جماعة يلتقي بهم على حدة، الى ان هزم جميعهم، وغنم الاربليين اموالهم ودوابهم وسلاحهم، وعاد جيش قزل المنهزم الى بلاده، وبعد عودة الاتابك زين الدين الى اربل ارسل رساله الى السلطان صلاح الدين يعلمه بالوضع ويزف اليه البشرى بانتصاره عليهم^٤.

توفي شاه ارمن صاحب خلاط سنة ٥٨١هـ/١١٨٥، وكان صلاح الدين عند سماعه الخبر مازال يحاصر الموصل، وكان متردداً في البقاء على محاصرتها ام تركها

^١ ابن الواصل، مفرج الكروب ٢/١٥٥-١٥٦؛ مضمار الحقائق ١٦٣؛ مرآة الزمان ٣٧٨/٨.

^٢ مضمار الحقائق ٢١٤.

^٣ ابن الاثير ١١/٥٠٤.

^٤ ابن الاثير ١١/٥٠٤؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ٦٧؛ د. حسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي، ص ٧٤-٧٥.

والاستيلاء على خلاط - المدينة ذات الموقع الاستراتيجي، لوقوعها على خط المواصلات الممتد بين العراق ووادي نهر الرس-، واثناء هذا التردد جاءته كتب من اعيان المدينة وامرائها، يستدعونه فيها لتسليم المدينة اليه، وكانت هذه الكتب خدعة ومكرًا من مرسلها، لان سيف الدين بگتمر، مملوك شاه ارمن، الذي تولى مقاليد الامور في المدينة بعد وفاة سيده، كان يخشى السلطان صلاح الدين^١، ولا يرغب في تسليم المدينة له، وانما اوعز الى استدعائه، بعدما علم بتوجه الاتابك الپهلوان الى المدينة، التي يطمع في الاستيلاء عليها وامتلاكها، وكان قد زوّج بنته من شاه ارمن - على كبر سنّه - لان ذلك سيسهل عليه الاستحواذ عليها بعد موته، اذ سيجعل من هذا الزواج طريقاً لتحقيق اطماعه، وكان بگتمر يعلم باطماع الپهلوان، لكنه استدعى السلطان صلاح الدين كي يجعله يتنافس مع الپهلوان لاحتلال المدينة، وبذلك يمكن الحفاظ عليها وابقاؤها آمنة.

فك السلطان صلاح الدين الحصار عن الموصل وتوجه الى خلاط، وذلك في ربيع الاخر من عام ٥٨١هـ/ تموز ١١٨٥م^٢، وجعل ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه على مقدمة جيشه، فعسكر قرب خلاط، وكذلك عسكر جيش الپهلوان قرب المدينة. اما السلطان صلاح الدين فقد ارسل مبعوثاً ليستجلي الوضع في خلاط، فاخبره وزير بگتمر: مجد الدين بن الموفق، ان صاحبها هو مملوك لشاه ارمن وزوجته هي بنت الپهلوان^٣، فمن المحتمل ان يأتي الى المدينة، وحينئذ ينضم بگتمر الى جانبه ويسلم

^١ كان ابن الاثير قد ذكر في حوادث سنة ٥٧٨: ٤٨٩/١١، ان بگتمر هذا ارسله سيده شاه ارمن ليطلب من السلطان صلاح الدين الامتناع عن مهاجمة الموصل، الا ان السلطان تماطل في الاجابة، فهدّده بگتمر بمحاربته، ورجع غاضباً الى شاه ارمن، فاتفق هذا مع اتابك الموصل على قتال صلاح الدين.

^٢ مضمار الحقائق ٢١٧، ويحدد ابن خلكان، وفيات الاعيان، طبعة ١٩٧١، ٢٠٦/٥، سنة ٥٧٨، مخالفاً المصادر الاخرى التي اجمعت على تأريخ ٥٨١هـ.

^٣ بعد وفاة شاه ارمن سنة ٥٨١هـ/ ١١٨٥م، زوّج الاتابك پهلوان ابنته الى بگتمر، ويمكن ان تكون ارملة شاه ارمن، وسَمّها زامباور بـ(مؤمنة خاتون) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٥، ص ٢٠٦؛ ابن العربي، تأريخ الزمان، نقله الى العربية الاب اسحاق ارملة، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٠٦؛ زامباور، معجم الانساب والاسر الحاكمة، القاهرة، ١٩٥١، ص ٣٢٨-٣٢٩. حكيم عبدالرحمن الباييري، مدينة خلات.. دراسة في تأريخها السياسي والحضاري (٤٩٣-٦٤١هـ)، دهوك، ٢٠٠٥، ص ١٢٣ حاشية ٦.

المدينة له، ومن المصلحة استمرار المودة بين السلطان وبگتمر، وفي الوقت نفسه، راسل الوزير الپهلوان واخبره، انه اذا اراد احتلال المدينة فإنه يسلمها الى السلطان صلاح الدين، عندئذ اصطلح سيف الدين بگتمر والپهلوان فبايعه اهالي خلاط، واقر الپهلوان: بگتمر على البلاد، ثم راسل الپهلوان صلاح الدين واخبره بأن بنته في القلعة وان المصلحة ان يسود الود والتفاهم بينهما، فجرت المراسلات بين الطرفين، انتهت بعقد الصلح بينهما شريطة ان يترك كل منهما خلاط، فتركها السلطان وتوجّه الى الموصل ثانية، ورجع الپهلوان الى بلاده، بعد ان حمل اليه بگتمر اموالاً وهدايا كثيرة^١. ومما يجدر ذكره هنا ان السلطان صلاح الدين حاصر الموصل من جديد، فأضطر اتابكها عز الدين مسعود الى تبادل الرسل بينه وبين السلطان، انتهى بعقد الصلح بينهما، بعد ان عجز الاتابك في الحصول على مساعدة بغداد والملكين: الپهلوان واخيه قزل ارسلان^٢. ويبدو ان تخلي الپهلوان عنه جاء نتيجة لعقد الصلح بينه وبين السلطان بعد تخليهما عن احتلال خلاط.

وفاة الاتابك جهان پهلوان:

استمر الاتابك جهان پهلوان يعاني من آثار المرض الذي انتابه بعد رجوع السلطان صلاح الدين مباشرة، ويرى الراوندي انه نتيجة للتعب وكثرة انشغاله في ابعاد صلاح الدين عن بلاده^٣، الى ان توفي -على الأرجح- في اواخر الشهر الاخير من عام ٥٨١هـ/ آذار ١١٨٦م^٤. وكان الى آخر لحظة من حياته يسيطر على بلاد الجبال والرى واصفهان

^١ ابن الاثير ٥١٤٣/١١؛ ابن شداد، الروضتين ٦١/٢؛ النوادر السلطانية ٦٩؛ مرآة الزمان، ج ٨ ق ٣٨٤/١؛ مفرج الكروب ١٦٩/٢؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان ٢٠٦/٥؛ الذهبي، تأريخ الاسلام، (مخطوطة مصورة)، و٢؛ العسجد المسبوك، ١٩٥/٢؛ ابن خلدون ٣٣٧/٥، ٦٦٤؛ احمد بن ابراهيم الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق: ناظم رشيد، طبعة بغداد، ١٩٧٨، ص ١١٥.

^٢ النوادر السلطانية، ٧٠؛ د. محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي، ٧٧.

^٣ راحة الصدور، ٤٧٠.

^٤ اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاته، فحدد ابو حامد، ذيل سلجوقنامه، ٨٥؛ وابن شداد، النوادر السلطانية ١٧١؛ الذهبي، العبر، ٢٤٢/٤، دول الاسلام ٩١/٢؛ خواند امير، حبيب السير، ٥٥٨/٢؛ العشرين من ذي الحجة من عام ٥٨١هـ، تأريخاً لوفاته، في حين حدّد ابن الاثير ٥٢٥/١١، والحسيني، اخبار الدولة السلجوقية ١٧٢؛ وسبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ٣٩١/١؛

واذربيجان وأران وهمذان. اشاد به ابن الاثير كثيراً فوصفه انه ((كان عادلاً حسن السيرة، عاقلاً، حليماً، ذا سياسة حسنة للملك، وكانت تلك البلاد في أيامه آمنة والرعايا مطمئنة)).^١ وقال عنه صاحب ذيل سلجوقنامه: ((وطالما كان الاتابك محمد الپهلوان حياً فأَن السلطان والناس كانوا في رفاية وسلام))^٢، وفي الواقع فقد بدأت الفتن والاضطرابات بعد موت الپهلوان مباشرة.^٣ ويناقض سبط ابن الجوزي، ابن الاثير رأيه حول الپهلوان فيصفه بأنه: ((كان ظالماً فاتكاً))^٤، ومن دراستنا لتأريخ حياة هذا الاتابك لم يتبين لنا مايدل على صحة اتهام سبط ابن الجوزي له، بل انه كان رجل سياسة ورجل دولة^٥، اقام بسياسته وحنكته علاقات ودية مع السلطان خوارزم شاه والسلطان طغرل والخلافة العباسية، وبحكمته وسياسته، عزل الامراء الذين شقوا عصا الطاعة على السلطان طغرل، بعد ان آمن جانبهم، ثم عين بدلاً منهم اتباعه المماليك الذين ارضاهم بتوزيع الاقطاعات عليهم ورعاهم كثيراً الى درجة انه لم يكن يفرق بينهم وبين ابنائه. وسنوضح سياسته هذه وعلاقاته مع اتباعه المماليك في فصل الادارة.

خلف الپهلوان اربعة اولاد، اثنان منهم وهما: قتلغ اينانج^٦ محمود ومير ميران عمر، من قتيبة (اينانج)^٧ خاتون، ابنة الامير اينانج سنقر، امير الري، والاخران هما:

والصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٢٩، اوائل عام ٥٨٢هـ، ونحن رجحنا تحديد (ابو حامد) لانه اقدم مؤرخ من بين المذكورين الذين ارخوا للسلاجقة (الف سنة ٥٩٩هـ) وكان معاصراً لحدثهم. ينظر: عن وفاته علاوة على ما ذكر: مفرج الكروب ٢/٢٤٨؛ ابو الفدا، المختصر ٣/٧١؛ تأريخ ابن الوردي ٢/١٣٧؛ العسجد المسبوك ٢/١٩٩؛ النجوم الزاهرة، طبعة القاهرة، ١٠٠/٦. الكامل ١١/٥٢٥.

^٢ ابو حامد محمد بن ابراهيم، ذيل سلجوقنامه (بالفارسية) ص ٨٥.

^٣ ابن الاثير ١١/

^٤ مرآة الزمان، ج ٨ ق ١/٣٩١؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، طبعة فيسبادن، ١٩٧٤، ج ٢، ص ٢٩.

^٥ بوزورث، دائرة المعارف الاسلامية، مادة الايلدگزيه، الطبعة العربية الجديدة، ٣٨٧/٥.

^٦ يراجع عن معنى: قتلغ اينانج، فصل الاحمديلية، ص ١٦٤ ح ٣.

^٧ اختلفت المصادر في اسمها، فسمّاها حمدالله المستوفي (تأريخ گزيده ٤٦٥) وخواندامير (حبيب السير ٢/٥٥٨) بـ(قتيبة خاتون)، بينما جاءت التسمية "اينانج خاتون" عند الراوندي ٤٧١، اما في لب التواريخ فقد ورد فيها ان اسمها هو فتنة خاتون (يحيى بن عبداللطيف الحسيني القزويني، نشر سيد

ابوبكر -وهو اكبرهم- وكان قزل ارسلان، عمه -الذي لم يخلف ولدا- يعدّه بمثابة ابناً له فكان يرعاه، والاخر اسمه: اوزبك بن پهلوان.

ووضع الاتابك پهلوان خطة لتقسيم البلاد الخاضعة له بين اولاده الاربعة، فعين ولده ابابكر على اذربيجان واران، وجعله في رعاية مظفرالدين قزل ارسلان، وعين اينانج محمود وامير اميران عمر على الري واصفهان وباقي العراق، وجعل اوزبك على همذان، واوصاهم ان يكونوا -بعد وفاته- تحت حكم عمهم قزل ارسلان، وعندما حضرته الوفاة، اوصى بما قرره سابقاً، واوصى اولاده ان لا يخرجوا عن طاعة السلطان طغرل وينصروه ويواصلوه ولا يقوموا باي عمل دون مشورته.^٢

خلف الاتابك الپهلوان من الاموال ما لم يخلفه احد -على حد تعبير سبط ابن الجوزي-^٣ وهذا دليل على اتساع مناطق نفوذه وانتشار الامن والاستقرار فيها، فكانت تصل اليه من كل حذب وصوب، وترك وراءه -على ما قيل- ثلاثين الف فرس وبغل وجمل، وخلف خمسة آلاف مملوك.^٤

٢. الاتابك مظفرالدين عثمان قزل ارسلان:

اسمه الاسلامي: عثمان، ولقبه التركي: قزل ارسلان، ومعناه "الاسد الاحمر"، على عادة الترك بتسمية امرائهم وحكامهم بأسماء الحيوانات المتصفة بالقوة والشجاعة.

كيفية توليه الاتابكية:

كان رأي قتيبة اينانج خاتون والوزير خواجه عزيز وبعض الامراء -بعد وفاة محمد جهان پهلوان- موالة الجميع للسلطان طغرل، وتسليم شؤون اران واذربيجان

جلال، طهران، از نشریات مؤسسة خاور، مطبعة يماني ١٣١٤هـ/ص ٢٢)، ويقال ان اسمها "قتلبه خاتون". ينظر: يادداشتهاي قزوینی، بكوشش ایرج افشار، طهران ١٣٤١، جلد ٦/ص ١٣٩.

^١ الخاتون: لفظ تركي معناه: المرأة صاحبة الكلام في البيت والمتصرفة فيه، ويطلق على الجليات من النساء داخل العالم الاسلامي عن طريق الاتراك، حسن الباشا، الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٥٧، ص ٢٦٤-٢٦٥.

^٢ الحسينين اخبار الدولة السلجوقية ١٧٣؛ حبيب السير ٥٥٨/٢.

^٣ مرآة الزمان، ج ٨ ق ٣٩٢/١.

^٤ ن.م ٣٩٢؛ الذهبي، العبر ٢٤٢/٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، طبعة ٢، ص ٢٩.

لقزل ارسلان، على ان يظل امير سلاح السلطان كما كان. اتخذت الخاتون هذا الموقف من السلطان -وكانت كثيراً ما تتدخل في شؤون الحكم- لميلها اليه ورغبتها في الزواج منه^١. وكان الپهلوان قبل وفاته، قد اوصى الى اخيه من أمه قزل ارسلان^٢، لانه اكبر سناً من ولده الاسن: ابي بكر، ولعلاقات قزل ارسلان الطيبة مع اخيه الپهلوان التي استمرت حتى وفاته، اضافة الى انه كان يتمتع ببعض صفات الرئاسة، فقد كان عادلاً، يميل الى الحلم وقلة العقوبة، ومهاباً كثير الاتباع ومستمياً للجيش، وكان ابن الاثير قد اشاد باخلاقه وعد له وحلمه فقال: ((وكان كريماً حسن الاخلاق، يحب العدل ويؤثره ويرجع الى حلم وقلة عقوبة))^٣، وكذلك قال عنه الراوندي: ((كان ملكاً مطاعاً مهيباً كثير الاتباع كما كان يجزل العطاء فيستعبد القلوب))^٤.

وكان الناس قد اعتادوا ان يبعثوا الى قزل الهدايا كي يكسبوا مودته، ونظراً لميل كبار الامراء اليه فقد راسلوه سراً واستدعوه من اذربيجان، وادعوا ((أن المملكة مهمة والاقطاعات معطلة ولا بد من مجيئه الى همدان لاصلاح الوضع))^٥، اما السلطان طغرل الثاني، فكان يعلم ان القلوب تميل الى قزل ارسلان فاذا لم يسرع في استدعائه فسيخرج عليه وينضم اليه جيش العراق، ثم يعمل على اطلاق سراح احد الملكين المسجونين في القلاع: الملك محمد بن طغرل الذي كان قد ثار على السلطان في اول عهده، ثم هُزم على يديه وسجن في قلعة سرجهان -كما مرّ بنا- والملك الاخر: سنجر بن السلطان سليمان الذي وشح الخطبة وضرب السكة بأسمه مرتين^٦. وسينصب احدهما سلطاناً، لهذا اتفق السلطان طغرل مع معاونيه على ان يدعوه ويعينه اتابكاً، على ان يعملوا على تحقيق رغباتهم على يديه، فارسل ابن امير البلاط ومعه الخلع والهدايا الى اذربيجان، على ان يعقد الاتفاق بينه وبين الاتابك قزل ارسلان^٧.

^١ الراوندي ٤٧١.

^٢ مراة الزمان ج ٨ ق ٣٩١/١.

^٣ الكامل ٧٦/١٢؛ العسجد المسبوك ٢/٢١٥.

^٤ راحة الصدور ٤٧١.

^٥ ن. م ٤٧١-٤٧٢؛ ابو حامد، ذيل سلجوقنامه ٨٥.

^٦ ذيل سلجوقنامه ٨٧.

^٧ الراوندي ٤٧٢.

توجّه قزل ارسلان الى همذان -بناء على هذا الاستدعاء- في عساكر انريجان وأران والعراق، وبالحق السلطان في مراسيم استقباله، فأرسل امراءه وعسكره لاستقباله قبل وصوله همذان، وعندما وصل المدينة استقبله السلطان بنفسه وبكل حفاوة واکرام، فهو عمه، اخو والده، ارسلان شاه من امه.

ولكن يبدو ان هذه الحفاوة المبالغة فيها بارسلان كانت تختفي وراءها محاولة لاغتياله، ففي حفل الاستقبال اراد "قراگز"، حاجب السلطان طعنه، ولكن السلطان منعه باشارة منه، الا ان الحاجب لم يستطع اخفاء حركته التي بدت للحاضرين، فلما علم قزل بذلك، وثق بالسلطان ولكنه ابعد الخاصة والاتباع عنه وامر بسمل عيني حاجبه "قراگز"، ويبدو ان محاوله الاغتيال هذه كان يعلم بها السلطان ان لم تكن بتدبيره، ولكنه منع من تنفيذها كي يكسب ثقة قزل، وانه انقذه من موت محقق، فهو مدين بحياته للسلطان، وربما اعتقد السلطان، انه سيراعي ذلك في تصرفاته معه.

وكي يظهر قزل ارسلان غناه وتملكه للاموال الطائلة فقد بعث الى السلطان نقوداً، واموالاً ضخمة، قدرها (الحسيني) بمئة وخمسين الف دينار عيناً ومئة الف دينار نقداً، وكذلك خلع على جميع الامراء ووزع الهدايا عليهم، فأستمال قلوبهم واصبحوا الى جانبه.^٢

تدل هذه الاموال والهدايا الضخمة التي اهداها قزل ارسلان على تعاظم قوته واتساع مناطق نفوذه. وهكذا استقرت الامور لقزل ارسلان واصبح الجيش طوع امره، كذلك انعقدت القلوب حوله وتوطد ملكه اكثر من ذي قبل واستقر له الامر في مدة قصيرة.^٣ ويدل على تفرغه واستقراره انه تمكن ان يشن هجوماً على مدينة (شاماخي) عاصمة ملوك الشروان، ويجبر شروانشاه اخو السلطان (اخسارتان) بن منوچهر ان يتجه الى ساحل بحر قزوين وينقل مقر اقامته الى مدينة باكو.^٤

^١ الراوندي ٤٧٢-٤٧٣.

^٢ اخبار الدولة السلجوقية ١٧٤.

^٣ الراوندي ٤٧٣.

^٤ V. Minorsky, A History of Sharvan and Derband in the ١٠th-١١th Centuries, Heffer & Sons Ltd Cambridge, ١٩٥٨, P. ٨٥.

نقلاً عن بارتولد، مكانة مقاطعات قزوين في التاريخ الاسلامي (بالروسية)، باكو، ١٩٢٥، صص ٤٦-٤٧.

الصراعات الداخلية في عهد قزل ارسلان:

١. الصراع بين قزل ارسلان واينانج خاتون:

كانت قتيبة اينانج خاتون تحاول ان يتبوا ولداها: قتلغ اينانج محمود ومير ميران عمر، المراكز العليا، فعندما علمت ان الامور جميعها اصبح للاتابك قزل ارسلان، وان ابابكر ابن زوجها الپهلوان هو الكبير مع عمه قزل وفي منزلة ابنه وانه اعلى درجة من ولديها مع العلم انه ابن جارية^١، لم يرق لها ذلك، واخذت تحرض بعض الممالك الپهلوانية على الوقوف ضد قزل ارسلان ومناصرتها في تنسيب ولديها، فراسلت سراً الامراء جمال الدين اي آبه^٢، وسيف الدين روس، وكانا مقدمين على عساكر الپهلوان واكبر غلمانته للتوجه من همدان الى الري ومعهما ولداها، واغرتهما بأموالها وخزائنها وانها ستقوم بالصرف على "الممالك الپهلوانية" الى ان يتبوا ولديها الحكم، فوصلوا الري، وتعقبهم قزل ارسلان، فأنهزم الاميران المملوكان، اما الخاتون فقد سمح لها قزل بالذهاب الى سرجهان، ورجع معه ولديها اينانج محمود ومير ميران عمر الى همدان^٣. وكان السلطان طغرل في هذه الاثناء قد توجه الى بلاد الحشاشين (الاسماعيلية) الواقعة حول الدامغان^٤ وكردكوه^٥، فخرّب قرية الداية ونهبها وقتل كل من وجد فيها وعاد الى الري^٦.

٢. الصراع بين الاتابك قزل ارسلان والسلطان طغرل الثاني:

^١ اخبار الدولة السلجوقية ١٧٤.

^٢ تعني آي بالتركية : القمر، اما آبه فمن اسماء الرجال عند الترك (ديوان لغات الترك ١/٧٧٧ ن ٨١)، ونشاهد ان آبه تلحق بالكثير من الاعلام، مثل: قتلغ آبه، ارسلان آبه وبوازبه وغيرها.

^٣ اخبار الدولة السلجوقية ١٧٤-١٧٥.

^٤ الدامغان: بلد كبير بين الري ونيسابور وهو قصبة قومس، زاره ياقوت سنة ٦١٣هـ: معجم البلدان ٥٣٩/٣.

^٥ كردكوه: وهي قلعة الملاحدة، بينها وبين الدامغان يوم واحد، والواقف بالدامغان يراها في وسط الجبال. معجم البلدان ٥٣٩/٣.

^٦ ذيل سلجوقنامه ٨٦؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية ١٧٦؛ الراوندي ٤٧٦.

كان السلطان طغرل قد شب، فبلغ عمره (١٨) سنة، عندما تولى قزل ارسلان الاتابكية، وعلم بحقيقة ما حدث لوالده ارسلان شاه، واراد ان يثبت انه ليس مستعداً بأي حال ان ينهج والده فيكتفي بلقب السلطان اسماً لا فعلاً، فأراد التحرر من سيطرة الاتابك، لاسيما انه كان قد تلقى قسطاً كبيراً من التعليم ورزق قوة الجسم وقوة العقل، وكان قزل ارسلان قد ازداد نفوذه وسيطرته واصبح الجيش طوع ارادته، وكان يحاول ان يحل محل اخيه الپهلوان في السيطرة على السلطان وتوجيهه وفق ما يريد، فأستولى على جميع السلطات، وكان يطمع ان يسير الامور دون مشورة السلطان، حتى انه سجن بعض خواصه، واخذ يشتري ذمم الآخرين بالمال، ومن ثم بدأ يعامل السلطان معاملة تقوم على الاستهزاء، فأندمت الثقة بينهما، وكان الامراء يغذون هذه الشكوك بفتن يحيكونها لزيادة الفرقة بينهما، فكانوا يوصلون احوال الوضع خفية الى السلطان، وهكذا وجد نفسه محجوراً عليه لاحول له ولا قوة^١.

بدأ المملوكان جمال الدين اي آبه وسيف الدين روس بالسلب والنهب في مناطق بسطام ودامغان واطراف مارندران، بعد هزيمتهما امام قزل ارسلان، ولم يحاول قزل تعقيبهما في البداية دون موافقة السلطان والامراء، فأقام في الري ينتظر ما سيؤول اليه الامر^٢.

وكان السلطان طغرل في الري -بعد حربه مع الحشاشين- وفيها انضم اليه صاحب ابهر: بهاء الدين شرف الدولة وبنو قفشود اصحاب زنجان وعلاء الدين صاحب مراغة، وفي همذان اظهر الامراء مخالفتهم للاتابك واشاعوا ان السلطان في طريقه الى همذان، فتركها الاتابك قزل مع جيشه وتوجه الى انريجان في رمضان سنة

^١ ذيل سلجوقنامه ٨٦؛ العماد الاصفهاني، تأريخ دولة آل سلجوق ٢٧٥؛ الفتح القسبي، طبعة القاهرة، ١٩٦٥، ص ٥٧٣.

^٢ الراوندي ٤٧٤.

٥٨٣هـ/تشرين الثاني ١١٨٧م، وتخلّف عنه صدور^١، وامراء العراق جميعاً، واثناء ما كان السلطان في الري، فأُن "الخاتون" تظاهرت بتأييده حتى عاد الى همذان^٢.
اما المملوكان اي آبه وروس، فأُنهما لم يكتفيا بالتمرد على قزل ارسلان وقيامهما باعمال السلب والنهب، بل حرصاً قتلغ اينانج وامير اميران عمر على الالتحاق بالسلطان، وتمكنا من اخذ عهد قتلغ اينانج، وهو ان يَكّن كوالده الپهلوان الود والاحترام للسلطان. فهرب اينانج واخوه مير ميران عمر وانضما الى السلطان في همذان^٣.
وكانت العلاقات قد ساءت اكثر بين السلطان والاتابك الى درجة نشوب قتال بينهما، فقد توجه السلطان من همذان الى اصفهان والتحق بالمملوكين اي آبه وروس، وتبعه قزل ودارت معركة بينهما قرب الدامغان، وفيها اندحر قزل على الرغم من كثرة اتباعه وخواصه، ثم رجع الى اذربيجان^٤.

٣. السلطان طغرل ينكّل بالمماليك الپهلوانية:

وصف العماد الاصفهاني السلطان طغرل بأنه كان يسيئ التدبير، يعاقب على اية تهمة بالقتل، وكانت الپهلوانية قد انجدوه ورفعوا شأنه ووقفوا معه ضد قزل^٥، ولكنه عندما اساء الظن بهم بوشاية من بعض الامراء الذين قالوا له، ان لا يثق بهؤلاء الپهلوانية، فعليه ان يبطش بهم قبل ان يبطشوا هم به، فقتل بعض امرائهم، وكان عمله هذا وبالا عليه، اذ نفر منه امراء الاطراف ولم يعد يحضرون عنده، فضعف جانبه وقوى قزل ارسلان. وبيان ذلك: ان بعض امراء المماليك الپهلوانية كسراج الدين قيمان وجمال الدين

^١ الصدور: جمع الصدر، وصدر كل شيء اوله، وقد استعمل كلقب للدلالة على الجلوس في صدر المجلس، اي المرتفع منه، وكنى به عن الملقب اشارة الى مهابته ومكانته بين القوم. الفيومي: المصباح المنير، طبعة القاهرة، ١٩٢٨، ٤٥٧/١ د. حسن الباشا، اللقب الاسلامية، ٣٧٧.

^٢ ذيل سلجوقنامه ٨٦؛ الراوندي ٤٧٧؛ الحسيني ١٧٦.

^٣ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية ١٧٦.

^٤ ذيل سلجوقنامه ٨٦؛ تاريخ گزيده ٤٦٧؛ ويذكر الصفدي، (الوافي بالوفيات، ج ٢، ص ٢٩) بأن قزل ارسلان تبع السلطان طغرل الى اصبهان، فأحرق قزل اصبهان حتى المدارس والرُبط والمساجد، ومات الناس جوعاً.

^٥ تاريخ دولة آل سلجوق، ٢٧٥.

اي آبه وبدرالدين قراقز الاتابكي ونورالدين قرآن خوان^١، كانوا في خدمة نصرة الدنيا والدين الاتابك ابي بكر بن الپهلوان في اصفهان، فثار عليهم سكانها، واضطروهم الى الفرار، فأرسل اليهم السلطان فوجاً من الجند كمنوا لهم وقتلوهم، كذلك قتلوا جماعة من الشباب البارزين وجرت هذه الحادثة في بداية عام ٥٨٤هـ/آذار ١١٨٨م. لم يكتف السلطان بقتل هؤلاء بل قتل ازا به ايضاً وهو من كبار العبيد القدامى^٢، ولذلك وصفه احد المؤرخين: انه كان ((سفاكاً للدماء، قتل خلقاً كثيراً))^٣.

العلاقات الخارجية في عهد قزل ارسلان:

١. العلاقة بين الاتابك قزل ارسلان والسلطان صلاح الدين الايوبي:

كانت العلاقة جيدة بين الاتابك مظفرالدين قزل ارسلان والسلطان صلاح الدين، فقد كانت تربطهما روابط الصداقة، وراسل الاتابك، السلطان بهذا المعنى: وأكد هذه العلاقة، العماد الاصفهاني، بقوله: ((وكتب سلطاننا وعقد له الصداقة بصدق الاعتقاد وانتظمت بينهما اسباب الاتحاد))^٤. وكان قزل ارسلان قد ارسل رسولا الى السلطان في عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، ويهنئه بما خصه الله تعالى به من فتح بيت المقدس، وارسل قتلغ اينانج ايضاً رسولا اليه بهذا المعنى^٥.
لم يحدث بين قزل ارسلان والسلطان صلاح الدين مشاحنة او قتال، الا ان صلاح الدين احتج عليه في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م، بعدم مشاركته في الجهاد ضد الصليبيين^٦.

وكان السلطان طغرل -بعد هزيمته امام قزل ارسلان في سنة ٥٨٥هـ، والتجائه الى منازل حسن بن قفجاق-، كما سيأتي بيانه-، قد استنجد السلطان صلاح الدين،

^١ قرآن خوان يعني: قارئ القرآن او حافظه.

^٢ العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٧٥؛ الفتح القسي، ٥٧٣؛ ذيل سلجوقنامه ٨٧؛ راحة الصدور ٤٨٠.

^٣ ابن ابي غديبة، انسان العيون، مخطوطة مصورة، و٥٣.

^٤ الفتح القسي ٥٧٣.

^٥ الفتح القسي ١٨١؛ مفرج الكروب ٢/٢٤٨.

^٦ الفتح القسي ٣٥٣؛ مفرج الكروب ٢/٣٠٦؛ المقرئ، السلوك لمعركة دول الملوك، ج ١ ق ١٠٢-١٠٣.

وذلك بكتاب بعثه اليه وفيه يتظلم من خيانة امرائه ومماليكه، ومن عمه قزل ارسلان الذي استولى على مماليكه وضيق عليه الطرق، ويرجو اعانته او اعانة امراء اطراف ولاية السلطان، وادف رسوله هذا برسول آخر، الا ان السلطان لم يرغب بمواجهة حليفه قزل ارسلان، فأعتذر لطغرل، ((بما هو فيه من شغل الجهاد الشاغل.. مادام العدو ملازماً له))^١، الا انه كتب الى زين الدين يوسف بن علي بن بكتكين صاحب اربل والى حسن بن قفجاق والى نائبه بشهرزور لاعانته، ولكن أيا منهم لم يتدخلوا في الامر، وارسل السلطان صلاح الدين كذلك سفيراً الى مظفر الدين قزل ارسلان كي يصلح السلطان طغرل ويصافحه على الوفاء ويسامحه، وكاد الصلح يتم بينهما، لولا تدخل الامراء الذين حالوا دون ذلك، فأخذوا يتبادلان التهم وعاد النزاع بينهما^٢.

لم تنقطع الصلات بين قزل ارسلان وقتلغ اينانج وبين صلاح الدين منذ تولي قزل الاتباكية حتى وفاته، فقد ارسل قزل ارسلان -قبيل وفاته- وقتلغ اينانج، رسولين الى السلطان، فوصلا بلاد الشام في اواخر رمضان من عام ٥٨٧هـ/ منتصف تشرين الاول سنة ١١٩١م، اي بعد وفاة قزل، ((وكان وصولهما مفرجاً للمسلمين مبشراً بكل خير)) حسب قول ابن شداد، لانهما وصلا في اليوم الذي وصل فيه الاسرى من الزيب^٣.

٢. علاقة الخليفة مع الاتباك قزل ارسلان والسلطان طغرل الثاني:

تقوى مركز السلطان طغرل الثاني وكثر اتباعه في سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م فقد انضم اليه الكثير من الجند والامراء واصبحت الكثير من المناطق تحت سلطته، اما قزل ارسلان فكان يريد القضاء على خصمه الخطر، وكي يستوثق تماماً من ذلك، ارسل الى الخليفة الناصر لدين الله، رسالة يطلب منه النجدة ويخوفه من طغرل ويعلن طاعته لامير المؤمنين والتصرف حسب ما يختاره^٤، فقد جاء في رسالته الى الدار العريضة ((انه مملوك وابن مملوك لهذه الدولة العريضة، وانه مازال يدخر حسن رأي امير المؤمنين فهو لمثل هذه الاوقات

^١ مفرج الكروب ٣٠٦/٢.

^٢ الفتح القسي ٣٥٤-٣٥٥، ٥٧٣؛ تاريخ دولة آل سلجوق ٢٧٦؛ مفرج الكروب ٣٠٦/٢.

^٣ النواذر السلطانية، طبعة ١٩٦٤، ص ١٩٣.

^٤ ابن الاثير ١١/٥٦٠؛ هوتسما، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، مادة: طغرل الثاني بن ارسلان ٢٢٩/١٥.

والآن.. فقد قضى الامر بنا الى ما قد علم امير المؤمنين وغدر بنا من العساكر من اطرح
الوفاء ومال الى الغدر والجفاء وصاروا مع ركن الدين طغرل، ومتى لم تحسم مادة هذا
الفساد يفضي الامر الى حالة لاينادي وليدها ويعجز عنه انصار الدولة وعبيدها، فأن رأي
امير المؤمنين ان يجهز العساكر من صوب بغداد ويصل الملوك من صوب أذربيجان كان
ذلك ممايفت في عضد الخصم وملك العراق كله يعود الى اولياء الدولة تجرى فيه الاحكام
الشريفة كما تجري في بغداد وسائر الاعمال))^١.

امّا طغرل فعندما كثر جمعه، استهان بالخلافة وبعث رسله يطلب البيعة
بالسلطنة وان يتقدم الديوان بتعمير دار السلطنة في بغداد وتهينتها له عندما يصل
اليها، فالتزمت الخلافة جانب قزل واستقبلت رسله ووعدت بنصرته ومساعدته،
وطردت رسل طغرل، وأمر الخليفة بنقض دار السلطنة، فهدمت وسويت بالارض^٢.

ان طرد رسل السلطان طغرل وهدم دار السلطنة السلجوقية في بغداد يدل
بوضوح على تحرر الخلافة من السيطرة السلجوقية، وتمكّنها من تحدي السلطان
السلجوقي ومحاولتها القضاء نهائياً على الدولة السلجوقية واعادة هيبة الخلافة،
وهذا يفسر لنا محاولاتها لاستعادة نفوذها وسلطتها الفعلية على بلاد الجبال والري
وهمذان واصفهان وغيرها، وهكذا نجدها تناصر قزل ارسلان الذي عرض عليها ان
يكون ملك العراق تحت نفوذ الخلافة وان تسود فيها الاحكام كما في بغداد وغيرها،
فأرسل الخليفة خلعة شريفة الى الاتابك قزل وعهد اليه بامر مقاطعة "نيم روز"^٣، وأعدّ
الخليفة جيشاً كبيراً متكوناً من (١٥) الف فارس، وصرف عليه ٦٠٠ الف دينار -
حسب رواية الحسيني^٤ - وجّهَ بجميع ادوات القتال وجعل المقدم على الجيش الوزير

^١ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٧٦-١٧٧.

^٢ ابن الاثير ١١/٥٦٠؛ الذهبي، العبر ٤/٢٤٩؛ دول الاسلام ٢/٩٣؛ العسجد المسبوك ٢/٢٠٢؛ ابن
خلدون ٣/١٠٩١، ٥/١٨٠؛ الصدي، تاريخ دول الاسلام، طبعة ١٩٠٧، ٢/١١١؛ محمد صالح القران،
الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير (٥١٢-٦٥٦هـ، ص ٢١٣).

^٣ مقاطعة في سجستان، وسجستان الان منطقة في وسط آسيا تتقاسمها ايران وافغانستان، الراوندي
ح ص/٤٨٠، المنجد ٣٥١.

^٤ اخبار الدولة السلجوقية ١٧٧.

جلال الدين ابو المظفر بن يونس، وخرج من بغداد في اوائل سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م^١، وكان الهدف من ارسال هذا الجيش هو الثأر من السلطان لاستهانتته بالخلافة، وانتزاع همذان منه وجعلها في ايدي نواب دار الخلافة. وكان هذا الجيش على موعد في اللقاء مع جيش قزل في كرمينشاه، ثم التوجه منها سووية الى همذان، ولكن وصل جيش الخليفة الى كرمينشاه قبل ان يصل اليها جيش قزل. وكان المخبرون القادمون من همذان بجيشه يشيعون ان السلطان ضعيف، لذا لم ينتظر الوزير انضمام جيش الاتابك قزل، ورأى انه لا حاجة لجيشه، لتيقنه بالنصر، فاستمر قاصداً همذان بجيشه فقط، اما السلطان طغرل، فقد اسرع بجيشه لملاقاة جيش الخليفة قبل ان ينظم اليه جيش قزل. وكان قد انضم الى جيش طغرل، جميع امراء العراق ومنهم الامير المملوك اي آبه وقتلغ اينانج محمود مع عساكر والده الاتابك پهلوان، في حين كان مع جيش وزير الخليفة، الامير محمود بن برجم الايوبي وجموع من التركمانية الايوابية^٢ والكرد وغلمان الوزير الخاص، والتقى الجيشان في "داي مرج"^٣ في مستهل ربيع الاول من عام ٥٨٤هـ/مستهل مايس ١١٨٨م، وجرت بين الطرفين معركة حامية انتهت بهزيمة جيش الوزير، لسوء تقديره اذ حارب بمفرده، وعندما سمع السلطان صلاح الدين بانكسار جيش الوزير، قال انه كان قد توقع هذه النتيجة قبل ان يحتدم الجيشان، لان الوزير ((غير عارف بالحرب وقريب عهد بالولاية ولا يراه الامراء اهلاً ان يطاع))^٤، هذا وأسر الوزير ورجع جيشه الى بغداد، وغنم جيش طغرل غنائم كثيرة ومنها الخيول التي

^١ ذكر ابن الاثير ٢٤/١٢، ان العسكر سار في ثالث من صفر سنة ٥٨٤هـ.

^٢ اسم قبيلة من القبائل التركمانية، وهي نسبة الى ايوا او ايوه وضبط الكلمة (ايوه) غير معروف. ينظر: الراوندي ح ص/٤٨١؛ ابن الاثير ٣٠١/١٢-٣٠٢.

^٣ داي مرج او داي مرگ، يقع عند اطراف همذان، وهو المكان نفسه الذي نشب فيه القتال سنة ٥٢٩هـ بين السلطان مسعود والخليفة المسترشد، ينظر: ابن الاثير ١١٤-١١٦؛ ابو الفدا، المختصر

٧٦/٣؛ العسجد المسبوك ٢٠٤/٢.

^٤ ابن الاثير ٢٥/١٢.

عرضت في اسواق همذان بأسعار رخيصة، لكن لم يوجد من يرغب في شراء واحدة منها مراعاة لحرمة الخلافة^١.

ازداد نفوذ طغرل بعد انتصاره على جيش الوزير، فسار اليه علاء الدين - صاحب مراغة-، معلناً ولاءه له، فأكرمه طغرل الى ابعد الحدود وادع لديه ابنه الصغير، "بركيارق"^٢ ليعهد بتربيته^٣.

لم يكسب السلطان طغرل من القتال الا قليلاً، فسرعان ما انخفض نفوذه، ذلك ان جيش قزل ارسلان كان يقترب منه، وكذلك اخذ الخليفة يجهز جيشاً جديداً، ومما اضعف السلطان انه تشاجر مع قومه وشنق بعد عودته الى همذان بعض معاونيه البارزين فأبتعد عنه بعض امراء الاطراف -كما مرّ بنا- فعجز هذه المرة عن الثبات بوجه الخليفة والاتاك قزل. وكان الخليفة الناصر قد احضر جيشاً هذه المرة كامل العدد والعدة، فسار متوجهاً الى همذان، فلما قاربها في رجب من العام نفسه ٥٨٤هـ/ ايلول ١١٨٨م، وعلم السلطان بكثرة جيش الخلافة وتخلي الامراء عنه، ترك همذان، فدخلها جيش بغداد، وما لبث ان وصلهم الاتاك مظفرالدين قزل مع جيشه، فأستقبله قواد وجند بغداد بحفاوة واکرام، واوصلوا الى قزل مراسيم الخليفة الناصر وخاطبوه بـ((الملك نصير امير المؤمنين)) واخبروه انهم مأمورون بنصرته وان الجيش طوع ارادته، فقبل الارض مراراً وخلعوا عليه الخلع السنية^٤، ورجع جيش الخليفة -بعد مدة وجيزة- الى بغداد^٥.

استمرت الخلافة تشجع قزل وتثير المتاعب لطغرل حسب خطتها في اضعافه والتخلص منه، فأرسلت لقزل خلعة جديدة ولقبته بـ"الملك الكريم" و"الغازي الرحيم

^١ ذيل سلجوقنامه ٨٧؛ راحة الصدور ٤٨٠-٤٨٢؛ الحسيني ١٧٧-١٧٨؛ ابن الاثير ٢٥/١٢؛ هندوشاه، تجارب السلف، طهران، ١٣١٣هـ.ش/٣٢٨؛ ابن خلدون ١٠٩١/٣، ١٨٠/٥-١٨١؛ ابن ابي عذيبة، انسان العيون في مشاهير سادس القرون (مخطوطة) و٥٣؛ الصدي، تاريخ دول الاسلام، ١١١/٢.

^٢ بركيارق، كلمة تركية تعني شديد اللمعان، فامبري، تاريخ بخاري، ١٣٩.

^٣ ذيل سلجوقنامه، ٨٧؛ الراوندي، ٤٨٣.

^٤ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية ١٧٨٠.

^٥ ذيل سلجوقنامه ٨٧.

الملك المعظم قزل ارسلان"، اضافة الى اللقب "الملك نصير امير المؤمنين" الذي لقبوه به قبل ذلك^١.

راسل السلطان طغرل الخليفة في سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م -بعد هزيمته امام قزل ارسلان وبعد ان ضاقت امامه السبل والتجأه الى الامير حسن بن قفجاق، كما سيأتي بيانه فيما بعد- يعتذر للخليفة ويلتمس الصفح عن زلته في مقاتلة الوزير جلال الدين، وبرر ذلك، بانه ((كان مضطراً الى ماعمله وهو الان مملوك الدولة وعبد الطاعة، ان امر امير المؤمنين قصده، ولا يريد شيئاً عدا رزقاً يعيش عليه، وان رأي الخليفة ان ينوبه في بعض المواضع فعل))، وارسل ولده ليكون رهينة ضماناً لطاعته، وقد احسنت الخلافة الى رسله، وكتبت اليه ان يقيم في مكانه الى ان يدبر امره. وهكذا لم يتمكن ان يكسب الخليفة الى جانبه، وكذلك استنجد من غير طائل بالسلطان صلاح الدين^٢.

احوال السلطان طغرل حتى مقتل قزل ارسلان:

ترك السلطان طغرل همذان،^٣ قبل وصول جيش الخلافة اليها في سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، متوجهاً الى اذربيجان، فوصل تبريز وحدث فيها اضطراباً شديداً، فلما علم الاتابك قزل بذلك، تبعه، فرجع طغرل الى همذان، وهكذا صارت هذه المسألة دورية، بحيث اصبح متعارفاً انه في كل مرة يأتي الاتابك، يذهب السلطان، وهكذا دواليك^٤. لم يعد الامراء يثقون بالسلطان طغرل، لاسيما بعد ان قتل كبار المماليك الپهلوانية، واخذوا يتآمرون ضده، فأرسلوا الرسائل الى قتلغ اينانج الذي كان في الري يحرضونه على معاداة السلطان والاتفاق معهم على قتله، واعلموه انه يتأمر ضدهم، فأذا عادهم قتلغ اتفقوا مع علاء الدولة فخرالدولة -رئيس همذان- على القبض على السلطان، الا ان هذه المؤامرة انكشفت للسلطان وانكشف مدبروها ومنهم علاء الدولة والوزير عزالدين بن رضي الدين (خواجة عزيز) وابناه وعدد من كبار اصحاب المناصب، فسجنهم جميعهم -عدا علاء الدولة- في قلعة علاء الدولة.

^١ الراوندي ٤٩٣؛ محمد صالح القران، الحياة السياسية في العراق ٥١٣-٥١٤.

^٢ ذيل سلجوقنامه ٨٨؛ الحسيني ١٧٩-١٨٠؛ هوتسما، دائرة المعارف الاسلامية، مادة طغرل الثاني، الطبعة القديمة ٢٩٩/١٥.

^٣ الراوندي ٤٨٤؛ الفتح القسي ٥٧٣.

ولكن حدث ما ادى الى ان يُقْتَلَ جميعهم، فكان السلطان، ذات يوم، يتفقد القلعة، فعجل قتلغ الطشت دار- وكان احد المتأمرين- بنهايته، فقد اخبره انه كان يريد ان يفعل برأسه، كما فعل برأس ابيه (قزل ارسلان)، فرد عليه السلطان: ماذا فعل والدى معك، إذ كنت عبداً ذليلاً، فأشترك وقلدك الملك، فأعترف قتلغ انه سم والده بأمر من علاء الدولة -نظير مبلغ من المال- وبموافقة من الاتابك محمد بن ايلدگز، لان علاء الدولة كان يريد الثأر لاخته التي كانت زوجة لارسلان شاه والد السلطان. وعلى اثر سماعه بهذه القصة، اشتد غضبه وأمر بقتلهم، فقتلوا^١، كان ذلك في اواخر عام ٥٨٤هـ/اوائل عام ١١٨٩م^٢. اما الوزير عزيز وولده فقد قتلوا بعد تعذيبهم، وقتل علاء الدولة مسموماً^٣.

كان شحنة اصفهان قد اعلن ولاءه للسلطان طغرل، وكان سكانها من الشافعية، -حيث يكن لهم قزل العداء- لذلك انزل قزل ارسلان جام غضبه على المدينة، فقد حاصرها، واستغاث بالسلطان شحنتها، ولكن السلطان لم يتمكن من التحرك بسبب الثلوج وشدة البرد، فنهب قزل المدينة وقتل شحنتها ومات الناس فيها جوعاً نتيجة للحصار الذي فرض عليها، ثم احرقها قزل حتى مدارسها وربطها ومساجدها، الا ان السلطان توجه اليها في بداية الربيع من عام ٥٨٥هـ/١١٨٩م^٤.

وصل الضعف بالسلطان الى درجة انه لم يجزء على دخول همدان، عاصمة ملكه، فأخذ يطوف حولها، اما قزل ارسلان فقد تحرك من انريجان وتوجه نحو همدان، ولم تكن لطغرل القوة على مقاومته، فترك العاصمة، لاسيما بعد ان ثار عليه عمه (محمد بن طغرل) واولاده، وطمع اعداؤه في الاستيلاء على ممتلكاته وكثر الطامعون من اتباعه^٥.

^١ الراوندي ٤٨٦-٤٨٨.

^٢ ذيل سلجوقنامه ٨٨.

^٣ العماد الاصفهاني، تأريخ دولة آل سلجوق ٢٧٥؛ الفتح القسي ٥٧٣؛ ذيل سلجوقنامه ٨٨؛

الراوندي ٤٨٩.

^٤ الفتح القسي ٥٧٤؛ ذيل سلجوقنامه ٨٨؛ مرآة الزمان، ج ٨، ق ٣٩٢/١.

^٥ الراوندي ٤٩٢.

استغل الاتابك الوضع الذي فيه السلطان، وبدأ يقوم بأعمال السلب والنهب للذخائر والنفائس والاموال والممتلكات، وصادر اموال اعدائه في همذان واطراف العراق واذربيجان، ووضع يده على الاموال الاميرية، واخذ دخل الاقطاعات واستولى على مخازن الجيش، وعندما احتل جيش اذربيجان، همذان، اذوا الخلق كثيراً الى درجة لا تصدق، فما بقي لهم الا ان يرسلوا الصدقات والصلوات الى الزهاد والعباد، ليبتهلوا الى الله جلّ جلاله ان يعيد اليها السلطان^١. وهكذا فأنهم ترحموا على عهد السلطان، وتمنوا لو يعود الى حكمهم، من كثرة ما عانوه على يد قزل ارسلان.

وبعد ان ترك طغرل همذان، توجه الى اذربيجان، فتعقب قزل ارسلان، اثره بجيش كبير، ولكن لم يكن يثق السلطان بجيشه المتردد، فأسرع في السير ولم يقابل جيش قزل، لاسيما ان قسماً من جيشه تركوا اسلحتهم والتحقوا بجيش قزل، كما تفرق الآخرون، ولم يبق معه الا جماعة خواصه^٢، فأستولى قزل على معدات وأموال لاعداء لها^٣.

اتجه السلطان طغرل -بعد ان فقد معظم جيشه- في سنة ٥٨٥هـ/١١٨٩م، الى جماعة عزالدين حسن بن قفجاق في اذربيجان، وشكى السلطان اليه، عقوق اهله واصحابه الذين انشقوا عليه، وقد رأى منهم ومن خصومه الشدائد والمكائد التي لاحصر لها، وتزوج السلطان من اخت ابن قفجاق، فأخذ ينصر السلطان ويؤازره، وكان يتوقع اذا ما انتصر ان يكون اتابكاً له وعن طريقه يستطيع الاستحواذ على الاراضي والممتلكات، وهياً له جيشاً وأمدّه بلوازم القتال، فتحسّن وضع السلطان العسكري، واجتمع معه (١٠) آلاف من التركمان، واتجهوا نحو مدن غربي اذربيجان بقصد التدمير والتخريب، فنهبوا وافسدوا في اشنو وأورمي وخوى وسلماس، لاسيما

^١ ن.م ٤٩٢-٤٩٣.

^٢ ذيل سلجوقنامه ٨٨.

^٣ ابن النظام الحسيني، العراضة في الحكاية السلجوقية، ١٦٢.

^٤ كذا في ذيل سلجوقنامه ٨٨؛ اما الحسيني (اخبار الدولة السلجوقية ١٧٩)، فقد اورد الرقم ٥٠ الف، ورواية الذيل هي اقرب الى المنطق من مبالغة الحسيني.

في أورمي، حيث استباحها جيش السلطان ونهبها وقتل الكثير من أهلها حتى انه سلب الاطفال وباعهم، ثم خربها^١.

اما الاتابك قزل فقد رجع الى همذان وقد اصطالح مع ابن اخيه قتلغ اينانج محمود، وتزوج بـ(اينانج خاتون)، ارملة اخيه الپهلوان وام قتلغ، على كره منها^٢. وازاء الاعمال التي قام بها القفجاق (او القبجاق)^٣، التركمان في مدن اذربيجان الغربية، توجه قزل ارسلان بجيشه الى اذربيجان لمقاتلة السلطان طغرل والقفجاق، وجعل ابن اخيه الامير ابابكر بن الپهلوان مقدماً على جيشه ومعه امراء العراق، غير ان هذا الجيش لم يتمكن من مقابلة جيش طغرل، فالتجأ قزل الى المكر والخديعة، فتبادل الرسل مع السلطان وتعهد ان لايقصد القفجاق، ولما اطمأن السلطان، سمح لجيش قفجاق بالتفرق في الولايات، فأنتهز الاتابك هذه الفرصة، وهاجمهم على حين غرة، فأنهزم السلطان وعزالدين الى ان وصلا (الكرخاني)، وهي قلعة الامير حسن بن قفجاق، القريبة من الراب الصغير^٤.

ولما سمع مظفر الدين كوكبري -صاحب اربل- بما قام به ابن قفجاق من معاص وانتهاكات في ارمية، استعطفه حتى استطاع القبض عليه، وكان السلطان صلاح الدين الايوبي قد امره، ان يرسله الى الشام كي يشترك في الجهاد ضد الصليبيين، الا انه وصل الى كوكبري كتاب من الخلافة ببغداد، يتضمن: الطلب باطلاق سراحه واعادته الى الكرخاني، وكان ذلك في شوال من عام ٥٨٧هـ/ تشرين الثاني ١١٩١م^٥.

بعدما فشل السلطان طغرل في كسب الخليفة الى جانبه، والاستنجاد من غير طائل بالسلطان صلاح الدين (كما تحدثنا عن ذلك)، وبعد ان سدت امامه جميع السبل، اضطر الى التوجه الى همذان، على امل ان يلتقي بقزل ارسلان ويخمد نار الفتنة، فدخلها مع مئة رجل فقط، وعندما علم قزل بدخول طغرل الى المدينة -وكان قزل في

^١ الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٧٦؛ الفتح القسي ٥٧٣؛ الراوندي ٤٩٩؛ ابن شداد، النوادر السلطانية ١٩٨.

^٢ الحسيني ١٧٩.

^٣ عن القفجاق وبلادهم، يراجع الفصل السابق: الاحميدلية، ص ١٣٩ حاشية ٦.

^٤ ذيل سلجوقنامه ٨٨؛ الحسيني ١٧٩.

^٥ ابن شداد، النوادر السلطانية ١٩٨.

خارجها- ارسل امراء العراق اليها، فأجتمعوا مع السلطان وظهروا له- زيفاً الخضوع والطاعة والندم على ما فعلوه معه، وانهم جاءوا الى همذان هرباً من الاتابك، فأخذع السلطان بأقوالهم، واقسم على منحهم الامان كذلك اقساموا هم بالوفاء له، وحضروا لتقديم البيعة له، فلما جاءهم قبضوا عليه^١.

وكان السلطان طغرل يتأمل -بحكم قرابته للاتابك قزل ارسلان-، ان يغفر عنه زلاته وان يبقيه معه، كما كان مع اخيه الاتابك الپهلوان وانه سيكتفي بالاشارة اليه أنه سلطان، بينما سيكون الامر والنهي للاتابك قزل، وهكذا وصلت حالة السلطان الى درجة انه رضي ان يكون سلطاناً بالاسم فقط مقابل الابقاء عليه، إلا ان الاتابك لم يرض بهذا العرض المتواضع، فلما حضر همذان أمر بارساله مع ابنه (ملكشاه) الى احدى القلاع القريبة من تبريز حيث سجننا هناك^٢، وكان ذلك في رمضان من عام ٥٨٦هـ/ تشرين الاول ١١٩٠م^٣. ان هذه الحادثة توضح لنا -من جديد- ضعف سلاطنة العراق في عهد اتابكة اذربيجان، بحيث انهم كانوا يلعبون بهم كالدمى يضعونهم على العرش حين يشاؤون ويرفعونهم عنه حين يريدون.

وظهرت بوادر انهيار دولة السلاجقة في العراق منذ ان تولى قزل ارسلان الاتابكية في سنة ٥٨٢هـ، فكان عهده -وحتى مقتله- مليئاً بالفتن والاضطرابات التي عمّت جميع ارجاء اذربيجان والعراق، بخلاف عهد جهان پهلوان، حيث كانت البلاد تنعم بالامن والطمأنينة والاستقرار، وازافة الى ما ذكرناه من تعرض البلاد الى الحروب والسلب والنهب والتدمير، فقد شبت في عهد قزل فتنة مذهبية في اصفهان، ذهب ضحيتها في مدى ثلاث او اربع سنوات، الآلاف نهبت وخرّبت المدينة -كما تحدثنا عن ذلك- وزاد قزل من نكبة المدينة عندما توجه اليها -بعد اعتقال طغرل- فالتقى القبض على جماعة من اعيان الشافعية وصلبهم ورجع الى همذان^٤.

^١ ذيل سلجوقنامه ٨٩؛ تأريخ دولة آل سلجوق ٢٧٦؛ الراوندي ٥٠٠؛ الغرّاضة ١٦٣.

^٢ الفتح القسي ٥٧٤؛ الحسيني ١٨٠؛ تأريخ كزیده ٤٦٧؛ حبيب السير ٥٣٤/٢.

^٣ ذيل سلجوقنامه ٨٩.

^٤ الفتح القسي ٥٧٤؛ ابن الاثير ٧٦/١٢؛ ابو الفدا، المختصر ٨١/٣؛ تأريخ ابن الوردي ١٤٩/٢؛ العسجد المسبوك ٢١٥/٢.

أخذ الاتابك قزل -بعد سجن السلطان طغرل- يبحث عن سلطان رمزي من السلاجقة يجلسه على عرشهم في العراق وينافس به السلطان طغرل، فأتجه تفكيره الى سنجر بن سليمان شاه، وكان حدثاً فأخرجه من السجن واجلسه على العرش واقطع الامراء الاقطاعات^١، وفي هذه الاثناء وصله رسول من دار الخلافة، واخبره على لسان الخليفة انه من الانسب ان يتولى هو السلطنة، وفرح قزل حينما سمع هذا الكلام، فأعاد سنجر الى سجنه في القلعة واعلن نفسه سلطاناً في عام ٥٨٧هـ/١١٩١م، واصدر مراسم جديدة بذلك^٢، وسك الدراهم والدنانير بأسمه^٣، ولم يعترف في سكتته إلا بالخليفة فحسب واغفل السلطان^٤، وهكذا وجدنا من هذه الحادثة كيف ان الاتابك قزل يعزل سلطاناً حسب هواه، ويخرج ملكاً من السجن ويعينه سلطاناً، ثم يرجعه الى السجن ثانية ويتولى هو السلطنة، وهذا يدل على ازدياد قوة قزل بحيث بلغت حدّاً جعلته جديراً بتولى عرش السلطنة^٥، اما السلطان السلجوقي فقد طوى امره، وسجنه كان ايذاناً بقرب نهاية امر السلاجقة في العراق.

مقتل قزل ارسلان:

لم ينعم قزل ارسلان بمنصب السلطان طويلاً، اذ سرعان ما وجد مقتولاً على فراشه، وقد نفذت فيه خمسون طعنة خنجر، ولم يعلم قاتله، فظنوا ان صاحب بابه هو الذي قام بهذا العمل، فقتلوه دون اصحابه، وكان قتله في مستهل شعبان من سنة ٥٨٧هـ/منتصف آب سنة ١١٩١م^٦.

^١ الفتح القسي ٥٧٣؛ ذيل سلجوقنامه ٨٧؛ تاريخ كزیده ٤٦٧.

^٢ الراوندي ٥٠١؛ العراضة ١٦٣.

^٣ حبيب السير، مج ٢/٥٣٤.

^٤ بوزورث، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، ٣٨٧/٥؛ نقلاً في:

E. Von Bergmann, Zar muhammedanis Muensk unde Zeitscher der Deutsch, Morgenl Gesells

^٥ د. عبدالنعم محمد حسنين، الدولة السلجوقية ١٢٩.

^٦ العماد الاصفهاني، الفتح القسي ٥٧٢؛ تاريخ دولة آل سلجوق ٢٧٦؛ الراوندي ٥٠١-٥٠٢،

الحسيني ١٨١؛ ابن الاثير ٧٦/١؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ١٩٢؛ ابو الفدا، المختصر ٨١/٣.

لقد قتل قزل ارسلان في الوقت الذي لم يكن يتصور احد أن تكون نهايته على هذه الشاكلة، حيث كان قبيل مقتله في عنفوان شبابه وقوّته ونفوذه، لاسيّما بعد اعتقال السلطان طغرل واعتراف الخلافة له بالسلطنة وانحياز الامراء اليه.

اختلفت اراء المؤرخين في اسباب قتله، فيرى الراوندي انه كان بتدبير من زوجته اينانج خاتون وامراء العراق، الذين كانوا عماد دولته، فأنقلبوا عليه بعدئذ واتفقوا بينهم على تحطيمه^١ -ونرجح هذا السبب- لانه بعد ان سما نجم قزل واصبح سلطاناً خاف الامراء على انفسهم من ان ينتقم منهم ويبعدهم ويؤذي اتباعه، فقد غدروا بطغرل، فكيف يعتمد ويثق بهم بعد ذلك؟^٢ ويؤيد هذا السبب انه قتل في الليلة التي سبقت النهار الذي كان من المقرر ان يتولى فيه العرش وتتم له البيعة^٣. ويعتقد الراوندي ان الامراء بقتلهم قزل ((خربوا بيوتهم بأيديهم))^٤، ونرى انه حكم بذلك، لانه بعد وفاة قزل دبّ النزاع على السلطة بين ابني اخيه الپهلوان: قتلغ اينانج ونصرة الدين ابي بكر، ثم تجزأت البلاد واستقل كل امير بجزء منها، فأدى ذلك الى تفرقهم وضعف حكم اتابكية ايلدگزن، ممّا سهّل القضاء عليهم -كما سنوضح ذلك فيما بعد-^٥ وأيد هذا السبب في قتل قزل، صاحب العراضة^٦، والارجح انه نقله عن الراوندي.

ويرى صدرالدين الحسيني ومعه ابن شداد، ان قتله كان بتحريض من زوجته اينانج خاتون بالتعاون مع ابنها قتلغ اينانج، لان قزل لم يكن يلتفت اليها لسوء سيرته، في ادمانه الخمر ومعاشرته للغلمان، فلم ينم معها منذ ان تزوجها سوى ليلة واحدة، فكرهته ودبرت مع ابنها قتلغ وسيلة للتخلص منه، اضافة الى ان قتله تهيئ الفرصة لابنها حتى يحل محله ويستولي على دولة سلاجقة العراق، فاغرت بعض

^١ راحة الصدور ٥٠١، قال عنه سبط ابن الجوزي: "وكان فاسقاً فاتكاً نام ليلة وهو سكران، فأصبح مذبحاً وقيل قتلته خاتون زوجته" مراة الزمان، ج ٨، ق ١، طبعة حيدر آباد الدكن، ص ٤٠٦.

^٢ ن.م ٥٠١.

^٣ تاريخ گزيده ٤٦٧.

^٤ راحة الصدور ٥٠١.

^٥ ابن النظام الحسيني، العراضة في الحكاية السلجوقية ١٦٤.

غلمانها على قتله^١. وسواء كانت اينانج خاتون قد اتفقت مع الامراء او مع ابنها قتلغ على قتل قزل، فأنها -على اية حال- شاركت واسهمت في محاولة اغتياله. وتردد العماد الاصفهاني في نسبة قتله الى الاسماعيلية او الى الخاتون اينانج^٢، الا ان حمدالله المستوفي اتهم فدائيي الاسماعيلية في عهد محمد بن الحسن بن محمد بن بزرگ اميد الذي تولى الزعامة من عام ٥٦١ حتى سنة ٦٠٧هـ، باغتيال قزل ارسلان^٣. ويفهم من كلام ابن الاثير انه قتل بسبب اضطهاده للشافعية وقتله كثيراً من مشايخهم^٤.

الصراعات الداخلية بعد مقتل قزل ارسلان:

قتلغ اينانج بن الپهلوان وصراعه مع اخيه نصره الدين ابي بكر:

دبّ النزاع من اجل السلطة بين ابني اخ قزل ارسلان: قتلغ اينانج محمود ونصرة الدين ابي بكر، الذي هو اخو قتلغ غير الشقيق، بمجرد موت الاتابك قزل، فسرعان ما تولى قتلغ مكان عمه في الحكم، اما ابوبكر فقد توجه الى اذربيجان ووصل الى نخچوان وفيها (زاهدة خاتون) زوجة والده الپهلوان، وكان قد تربى في حجرها، اذ كانت تحبه كثيراً وتعتبره ولداً، فذهبت به الى قلعة النجا (القريبة من نخچوان)، وكان جده، ايلدگز ووالده الپهلوان قد جمعا فيها دخل العراق (بلاد الجبال) واذربيجان، فالقلعة وما فيها أصبحت لزاهدة خاتون، فسلمتها له (أي لأبي بكر) واستحلفت والى القلعة بالطاعة له، ثم توجه الى گنجه وسلمها اليه أميرها، وهكذا، حتى تمكن ان يستولي على القلاع والخزائن والذخائر الموجودة في اذربيجان وأران وخضع له أمراؤها وأطاعوه^٥.

اما قتلغ اينانج فقد وصل مع والدته: اينانج خاتون، الري، واقتسم اينانج مع الامراء ملك العراق^٦. وهكذا بعد ان كان قزل ارسلان سيد الموقف، أصبحت البلاد بعده

^١ اخبار الدولة السلجوقية ١٨١؛ النوادر السلطانية ١٩٢.

^٢ الفتح القسي ٥٧٥.

^٣ تاريخ گزيده ٤٦٧؛ حبيب السير ٥٣٥/٢.

^٤ الكامل ٧٦/١٢.

^٥ تاريخ دولة آل سلجوق ٢٧٦؛ الفتح القسي ٥٧٥؛ الراوندي ٥٠٢؛ الحسيني ١٨١.

^٦ ذيل سلجوفنامه ٨٩؛ الراوندي ٥٠٢.

مجزاة بين اولاد اخيه والامراء، حيث اخذ كل واحد منهم، يولي نفوذَه وسلطانه على الجزء الذي تحت سيطرته^١، واخذ نفوذ الاتابكة يقل تدريجياً، ومع ان نصرة الدين ابابكر خلف عمه قزل ارسلان في النفوذ، الا انه اكتفى بحكم اذربيجان وارآن.

ترك قتلغ اينانج العراق، بعد ان عاد طغرل الثاني الى عرش السلطنة، وتزوج من اينانج خاتون، ثم قتلها، فخاف قتلغ من بطش طغرل به، فتوجه الى اذربيجان يريد انتزاعها من اخيه ابي بكر، فجرت حروب بينهما، ذكر المؤرخون انه في خلال شهر واحد قامت بينهما اربع معارك، انتصر ابوبكر في جميعها على أخيه^٢، وفي آخر هذه المعارك توجه قتلغ اينانج في سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، الى اذربيجان، وانضم اليه جماعة من غلمان أبيه وأخيه امير اميران عمر، ودخلوا تبريز بموافقة من اهلها، ثم توجهوا منها الى نخجوان لمقاتلة ابي بكر، فجرت بالقرب منها معركة طاحنة بين جيشي الاخوين، انتهت بانتصار ابي بكر، وتوجه اينانج الى العراق مندحراً، اما أخوه امير اميران عمر فقد التجأ الى شروان شاه، فأكرمه هذا وزوجه من ابنته^٣.

الصراع بين قتلغ اينانج والسلطان طغرل الثاني:

كان السلطان طغرل مايزال مسجوناً منذ سنة ٥٨٦هـ في احدى القلاع القريبة من تبريز، فلما اغتيل قزل ارسلان، وعلم الامير الحاجب سيف الدين محمود نناسو اوغلي^٤، بمؤامرة قتله وتواطى ابن أخيه قتلغ وأمه على ذلك، حرّ هذا الامر في نفسه وآلمه، وكان نناسو اوغلي من التركمان الذين خدموا الاتابك الپهلوان، فاتفق مع متولي القلعة الذي كانت زوجته تتعصب للسلطان طغرل وأثرت على زوجها، ومع الامير الاسفهلار حسام الدين^٥ دزماري، على اخراجه من السجن، بعد ان عاهد السلطان:

^١ العراضة ١٦٤.

^٢ ذيل سلجوقنامه ٩٠؛ تأريخ گوزيده ٤٦٨.

^٣ اخبار الدولة السلجوقية ١٨٥.

^٤ جاء رسم الكلمة في المصادر بأشكال مختلفة، ففي ذيل سلجوقنامه "ايا سغلي" ٨٩؛ وعند الحسيني، سنا اغلي ١٨٢؛ وفي راحة الصدور "اناسوغ لي" والرسم الصحيح لها هو "نناسو اوغلي" وتعني بالتركية "ابن امه".

^٥ بدرالدين، في ذيل سلجوقنامه ١٨٩.

الامير محمود ومتولي القلعة على اعطائهما وظائف مهمة بعد عودته الى العرش، ولما تم له ذلك في سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م، -وكان قد مرت سنتان على سجنه- توجه الى تبريز للاستيلاء عليها- وقد جمع جيشاً وتآقته نفسه للانتقام- وحاصرها، فجاء اليها نصره الدين ابوبكر بجيش واجبره على تركها^١.

توجه طغرل بعد ذلك، الى زنجان والتجأ الى بني قفشود التركمانية الذين كانوا قد امتلكوها، فأنضموا اليه، وكان قتلغ اينانج واخوه امير اميران وامهما اينانج خاتون في الري ومعهم جيش العراق المتكون من ١٢ الف فارس^٢، اما طغرل فلم يتمكن ان يجمع اكثر من ثلاثة آلاف فارس، توجه بهم الى قزوین لمقاتلة قتلغ اينانج وطرده من العراق، فتقابل الجيشان بالقرب من المدينة في منتصف جمادي الاخرة من سنة ٥٨٨هـ/اواخر حزيران ١١٩٢م، فانتصر جيش طغرل على الرغم من قلة عدده، وتعود ذلك الى حسن ترتيبه وتنظيمه على جيش قتلغ الذي فرّ وتحصّن بالري^٣.

توجه قتلغ الى مقر حكمه في همذان، فجلس على العرش، وأقره على ذلك الكثير من حكام الاطراف، فأسترد عرشه المغتصب وتوطدت دعائم سطلنة طغرل الى حد ما، اما اينانج خاتون فقد ذهبت الى قلعة سرجهان، حيث كانت قد استولت على معظم خزائن الاتابك پهلوان، فأرسلت الى السلطان طغرل الثاني تعرض عليه استعدادها لخدمته وتسليم ماعندها من الخزائن والاموال الكثيرة له بالتدريج، بعد عقد النكاح معها وعهده بالوفاء لها. اتخذت اينانج هذه الخطوة بعد فشلها في ايصال ابنها قتلغ الى درجة الاتابكية عن طريق القوة، فأرادت بهذه الوسيلة ان يتبوا ابنها ماكانت تصبو اليه. وافق السلطان على عرض اينانج خاتون -اتقاء للفتنة واسترضاء لقتلغ اذا ما تزوج والدته- وتعهد لها،

^١ الفتح القسي ٥٧٥؛ تاريخ دولة آل سلجوق ٢٧٦؛ ذيل سلجوقنامه ٨٩؛ الراوندي ٥٠٢-٥٠٤؛ ابن الاثير ٩٤/١٢؛ الحسيني ١٨١-١٨٢؛ العراضة ١٦٥؛ حبيب السير ٥٣٥/٢.

^٢ كذا في ذيل سلجوقنامه ٨٩؛ وعند الحسيني ١٨٢: ١٥ الف فارس.

^٣ ذيل سلجوقنامه ٨٩-٩٠؛ ابن الاثير ٩٤/١٢، ١٠٦؛ ياقوت: معجم البلدان ٥٠٨؛ الراوندي ٥٠٢-٥٠٤؛ الحسيني ١٨٢-١٨٣؛ تاريخ كزیده ٦٨؛ حبيب السير ٥٣٥/٢.

وجيئ بها الى همذان وعقد نكاحه عليها في رمضان من عام ٥٨٨هـ/ ايلول ١١٩٢م، وهكذا تزوجت للمرة الثالثة بعد زواجها من الپهلوان، وقزل ارسلان^١.

اوهم الامراء السلطان طغرل بأنها تدبر مؤامرة لقتله كما فعلت مع عمه قزل ارسلان، فأخذ الشك يراوده تجاهها، ولما لم تستطع ان تحقق طموحها في ان يصل ابنها الى الحكم حتى بعد زواجها من السلطان طغرل، اتفقت مع ابنها قتلغ على دس السم لطغرل، كي تهيئ الفرصة له، فلما علم بذلك السلطان -وكان يعرف ميلها الى الغدر- اجبرها على ان تشرب الشراب المسموم الذي اعدته للسلطان، فتوفيت في الحال^٢، وهكذا تخلص من شرورها، ولم يأسف خواندامير على نهايتها بل ذمها ووصفها بالعيارة والمكارة^٣.

لقى السلطان القبض على قتلغ اينانج بعد قتل والدته الخاتون، ولكنه اطلق سراحه فيما بعد بشفاعة من اركان الدولة^٤، ثم فرّ الى أذربيجان واخذ يمتنع عن المجيئ الى السلطان، خوفاً من ان يفعل به ما فعل بأمه.

العلاقات الخارجية في عهد امير اميران وقتلغ اينانج:

١. العلاقة بين الكرج وامير اميران عمر:

ادى الصراع بين الاخوة، ابناء الپهلوان للسيطرة على الحكم، الى استنجاد احدهم بعدو سبق وان اذاق مراراً سكان البلاد المآسي والفواجع من قتل ونهب وتدمير وسبي وانتهاك للحرمان، فقد ذكرنا التجاء امير اميران عمر الى شروانشاه بعد انهزامه هو واخيه قتلغ في حربهما مع اخيهما نصره الدين ابي بكر، وزواج الامير اميران بابنة شروانشاه، ثم تزويد شروانشاه له بالاموال والخيول والالات القتال، فسار امير اميران عمر قاصداً ملكة الكرج: تامارا (١١٨٤-١٢١٢م=٥٨٠-٦٠٩/٦١٠هـ)^٥، وعندما قابلها

^١ الفتح القسي ٥٧٦؛ ذيل سلجوقنامه ٩٠؛ الراوندي ٥٠٤، ٥٠٦؛ الحسيني ١٨٣-١٨٤؛ تاريخ ابن الوردي ١٥٦/٢؛ حبيب السير ٥٣٥/٢ د. عبدالنعم محمد حسنين، الدولة السلجوقية ١٣١.

^٢ الراوندي ٥٠٧؛ تاريخ غزیده ٤٦٨؛ حبيب السير ٥٣٥/٢، ٥٥٨.

^٣ حبيب السير ٥٣٥/٢؛ ٥٥٨.

^٤ تاريخ غزیده ٤٦٨؛ حبيب السير ٥٣٥/٢.

^٥ بوزورث، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة العربية الجديدة، مادة الايلدگزیه ٣٨٩/٥.

ذكر لها اسباب التجائه، فقال: ((اننا اردنا ان يكون لنا العراق وله (أي لأبي بكر) اذربيجان ولكنه شردنا في البلاد، وقصدتكم لتمدونني بالرجال حتى اقاتله فأنا طردته فالبلاد لكم)).^١

وهكذا يقدم هذا الامير بلاده لعدوِّها، لان رغبته بالانتقام من اخيه وانتزاع البلاد منه، اعمت بصيرته، ولا يهتم بعد ذلك ان تعرضت البلاد للتدمير والخراب ولا الى قيام الكُرج بهتك الاعراض وسبي الاطفال والنساء.

استجاب الكُرج لندائه، لانهم كانوا يتحينون وجود مثل هذه الفرصة، لتحقيق اطماعهم في السيطرة على البلاد الاسلامية وجباية الاموال منها، وكان الكُرج في عهد هذه الملكة كثيراً ما كانوا يتدخلون في شؤون اليلدگزيه والشروانشاهية، فأيدوا هذه المرة امير اميران عمر ضد اخاه ابا بكر منافسه على السلطة.

كتب الكُرج الى شروانشاه - وكان قد قدم الطاعة وأدى الخراج لهم - ان يتجهز ويتوجه بجيشه مع امير اميران عمر وانضمت اليه جماعة من جيش اَران ومن التركمانية، وهكذا كوّن امير اميران عمر جيشاً ضخماً من الكُرج والمسلمين، توجه به لمقاتلة اخيه الامير ابي بكر، وتقابل الجيشان بالقرب من البيلقان، فأنكسر جيش ابي بكر، واستطاع ابوبكر ان ينجو ويصل الى نخجوان. اما امير اميران عمر فتوجه الى گنجه وطلب من اهله ان يسلموها له، فرفضوا لكون جيش الكُرج معه، وسبق ان نالوا الكثير على ايديهم من قتل وغدر وسبي، واذا ما استولوا على هذا الثغر فأنهم سيستولون على المدن الاسلامية الاخرى، فتحصن اهاليها للدفاع عن انفسهم، وعندما ادرك الامير استحالة احتلالها بالقوة، اخبرهم انهم اذا سلموا المدينة له دخلها بمفرده وابتعد الكُرج عنها، فوافقوه على هذا الشرط، ولما علم الكُرج بهذا الاتفاق، ساوم الامير الكُرج على انه اذا ما ملك المدينة فسيكون في طاعتهم ويرسل اليهم خراجها وريعها، ويكون ذلك افضل لو ان اهاليها سلموها الى اخيه ابي بكر، فوافقه الكُرج على ذلك بشرط ان يرسلوا معه ثلاثة من امرائهم ليجلسوهم على كرسي الحكم، ويعني ذلك انه يكون تابعاً لهم. وافق اهالي المدينة على اقتراح الكُرج ماداموا في مأمن من غدرهم وشرهم، وتم ما اتفق عليه واجلس الامراء الكُرج، امير اميران عمر على العرش وحلفوه

^١ الحسيني ١٨٥-١٨٦.

على: ان لا يغدر بهم ويوافقهم سراً وجهاً، عندئذ رحل جيش الكُرج من حول المدينة، ولكن لم يكد يمضي اثنان وعشرون يوماً حتى وافى الامير الاجل، فحصن اهاليها المدينة وارسلوا الى ابي بكر ان يأتي على عجل لاستلام المدينة، فجاءها من نخجوان واستلمها ودبر امورها ثم سلمها الى ابنه الامير وعاد الى نخجوان^١.

اما الكُرج فأنهم عادوا الى كنجه بعدما علموا ب وفاة امير اميران عمر وعسكروا قريباً منها، الا ان ابن ابا بكر اسرع بتوجيه ضربة لهم على غفلة منهم، فقتل عدداً من رجالهم، ولما ادركوا انهم لن يستطيعوا ان ينالوا منها، رحلوا عنها وقصدوا نخجوان، ويبدو ان ابا بكر لم يكن يملك القوة الكافية لمواجهة جيش الكُرج، لذلك نراه يترك المدينة ويتجه نحو تبريز ولكن زاهدة خاتون، صاحبة نخجوان وارملة الپهلوان، صالحتهم على مال دفعت لهم فعادوا الى بلادهم، بعد ان عاثوا فساداً، فقد خربوا الرساتيق^٢، وغنموا الكثير واسروا مالا يحصى وساقوا الدواب ونهبوا القلاع والمدن ووضعوا الخراج على نخجوان وبيلقان واستولوا على دوين وقلاعها وعلى شمكور من بلاد اران واخذوا مرند وارديول (اردبيل) عتوة، وقتلوا الرجال وسبوا الذرية، على غير ذلك من الفواجع والمآسي، حدث كل ذلك بسبب خيانة امير اميران عمر الذي جلب هؤلاء الكُرج، اما الامير ابا بكر فكان منشغلاً عن ذلك بشرب الخمر والانهماك في الفساد، حتى انه لم يسمح لاحد ان يسمعه بما يفعله الكُرج، فتشجعوا على مواصلة انتهاكاتهم وزحفهم على المدن والقلاع، واستولوا على اران بأسرها عدا كنجه.

وهكذا اصبحت اذربيجان واران خاليتين من رجل قوي يقف في طريقهم، ويمنعهم مما قاموا به، فالبلاد مزقتها الحروب والمنازعات التي قامت بين ابناء الپهلوان من جهة وبينهم وبين السلطان طغرل من جهة ثانية وبين السلطان طغرل والخوارزمية من جهة ثالثة، لذلك انهكت هذه الحروب البلاد، ولم تعد للسكان القدرة على التصدي للكُرج، اضافة الى انشغال الحكام بمنازعاتهم وحروبهم من اجل السلطة^٣.

٢. علاقات السلطان طغرل مع قتلغ اينانج والخوارزمية:

^١ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٨٦-١٨٨.

^٢ الرساتيق: مفردة: الرستاق، والمقصود من النص بالرساتيق: المزارع والقرى. معجم البلدان ٤١/٨.

^٣ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٨٩.

ادخل قتلغ اينانج محمود قوة جديدة خطيرة - وهي الخوارزمية - الى انريجان وارآن، قُدر لها ان تكون في آخر المطاف وبالأعلى اسرته وتقضي على حكم اتابكية ايلدگز، فقد بعث قتلغ اينانج - وهو في الري - رسولا الى السلطان خوارزمشاه علاء الدين تكش (٥٦٨-٥٦٩هـ/١١٧٣-١١٩٩م)، يستنجد به ويرغبه في الاستحواذ على العراق، واراد قتلغ اينانج بذلك الانتقام من طغرل، ولم يدر بخلده ان حكم آل ايلدگز سيكون نهايته على يد هؤلاء الخوارزمية^١.

صادفت دعوة قتلغ، هوى في نفس خوارزمشاه، لانه كان يطمع في الاستيلاء على ممتلكات آل سلجوق وأن يكون خليفته، وبالفعل فأن نهاية سلاجقة العراق كانت على يده - كما سيأتي بيان ذلك -، فأمد قتلغ بجيش وتوجه به الى الري في عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م، غير ان قتلغ اينانج ندم على استدعاء خوارزمشاه وخاف على نفسه منه، فلما اقترب جيش خوارزمشاه تمكن من الاستيلاء على الري وعلى قلعة طبرك^٢. ساء السلطان طغرل استيلاء الخوارزميين على المدينة والقلعة المذكورتين، فقرر اخراجهم منهما، وتوجه الى الري، فعسكر بالقرب منها وذلك في جمادي الآخرة من سنة ٥٨٨هـ/حزيران ١١٩٢م، ولم يكن جيش طغرل كامل العدة والعدد، لذلك زاد طمع خوارزمشاه، الا انه بلغه توجه اخيه سلطان شاه الى خوارزم، فقرر العودة، وقبل ذلك عرض على طغرل عقد الصلح بينهما، وطالب طغرل ان تكون السكة والخطبة باسمه في جميع العراق وبعد اسم الخليفة مباشرة، وان يتنازل طغرل عن الري الى خوارزمشاه، على ان لا يتعرض هذا الى الولايات الآخرة. وافق طغرل على هذا الاتفاق مكرهاً، وعاد خوارزمشاه تكش الى خوارزم بعد ان جعل (طغماج الخوارزمي) والياً على الري من قبله وترك معه حامية لحفظها^٣.

^١ ينظر: بوزورث: دائرة المعارف الإسلامية، الطبعة العربية الجديدة، مادة ايلدگز ٣٨٧/٥.

^٢ ذيل سلجوقنامه ٩٠؛ الراوندي ٥٠٦؛ ابن الاثير ١٠٦/١٢؛ ياقوت، معجم البلدان ٥٠٨/٣؛ تاريخ ابن الوردي ١٥٧/٢؛ تاريخ عزيزه ٤٦٨؛ حبيب السير ٥٣٥/٢؛ الصدي، تاريخ دول الاسلام ١١١/٢.

^٣ ذيل سلجوقنامه ٩٠؛ الراوندي ٥٠٦؛ ابن الاثير ١٠٧/١٢؛ تاريخ عزيزه ٤٦٨؛ حبيب السير ٥٣٥/٢. د. نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية ٦٤.

لكن السلطان طغرل نقض العهد مع خوارزمشاه، عندما توجه في شعبان من عام ٥٨٩هـ/آب ١١٩٣، الى الري وانتزع قلعة طبرك من (طمغاج الخوارزمي)، وقتله مع جماعة من الخوارزميين بينما فرّ الآخرون وأمر بتخريب القلعة، ثم رجع الى عاصمته همذان^١. جرت بعد ذلك معارك عديدة وخلال سنة واحدة بين السلطان طغرل وبين قتلغ اينانج الذي نال مساعدة جيش خوارزم، ففي شهر شوال من العام نفسه، ارسل السلطان جيشاً مكوناً من (٤) آلاف فارس بقيادة امير العلم الى الري واشتبك مع جيش قتلغ، اسفر عن هزيمة اينانج وذهابه الى الدامغان، وحضر امام السلطان تكش وقدم اعتذاره له، فأكرمه واعطاه حتى ارضاه، وسأله النجدة مرة أخرى، فلم يتردد تكش في نجده هذه المرة أيضاً، كي يثأر من السلطان طغرل الذي اعتدى على جماعته في الري وقتل واليه طغماج، فأمدّه اواخر عام ٥٨٩هـ/اواخر ١١٩٣م بـ (٧) آلاف فارس خوارزمي، وكان السلطان طغرل قد توقع ان يعود الخوارزميون الى مهاجمة بلاده مرة أخرى، فقد تهيأ لملاقاتهم، وصل جيش قتلغ والخوارزميين الى قرب الري، فجرت معركة طاحنة بينهم وبين جيش طغرل في اوائل عام ٥٩٠هـ/اوائل سنة ١١٩٤م، اندحر فيها قتلغ وجماعته، وسيطر السلطان طغرل على الري^٢.

مقتل السلطان طغرل الثاني ونهاية السلجوقية على يد الخوارزمية:

استنجد قتلغ اينانج -مرة أخرى- بخوارزمشاه تكش للانتقام من السلطان طغرل اثر هزيمته، وصادف في الوقت نفسه وصول رسول الخليفة العباسي الناصر الى خوارزمشاه يشكو من السلطان طغرل ويطلب منه التوجه اليه^٣، وكانت سياسة الخلافة التخلص من شرور السلاجقة والقضاء عليهم، ولاجل تحقيق ذلك سعت لايجاد حاكم تضرب به طغرل وتضخ حداً لعدوانه، واخذت تغري قتلغ اينانج لمقاتلته، ولكن عندما وجدته ضعيفاً لايسطيع الوقوف بوجه طغرل -حيث هزمه في اكثر من موقعة-

^١ ذيل سلجوقنامه ٩٠؛ الراوندي ٥٠٦؛ الحسيني ١٩٠؛ حبيب السير ٥٣٥/٢.

^٢ ذيل سلجوقنامه ٩١؛ الحسيني ١٩٠؛ تأريخ گزيده ٤٦٨؛ حبيب السير ٥٣٥/٢؛ الصديقي، تأريخ

دول الاسلام ١١١/٢.

^٣ ابن الاثير ١٠٧/١٢.

استنجدت بغيره، واتجهت نحو شخص خوارزمشاه، لاسيما بعد ان وصلتته من الخلافة مرسوماً باقطاعه مايفتحه من البلاد^١.

جهز خوارزمشاه تكش جيشاً ضخماً، وتوجه به الى الري وانضم اليه قتلغ اينانج ومن معه، واستعد طغرل للقائهم، ولكن موقفه كان ضعيفاً، لان الامراء لم يكونوا على وفاق معه، وكانوا يرسلون قتلغ اينانج سراً ويعدونه بانهم سيسلمون السلطان اليه متى ما وصل الري^٢. ثم ان جيشه كان متفرقاً، وخرج طغرل للقتال، قبل ان يستجمع كل قواته، فالتقى بالخوارزميين قريباً من الري، وذلك في اواخر شهر ربيع الاول من سنة ٥٩٠هـ/ آذار ١١٩٤م^٣، فانهزم جيش طغرل، وسقط طغرل من على فرسه، فعثر عليه قتلغ اينانج، وكان يظن ان قتلغ لن يقتله اذا ما عرفه، فرفع القلنسوة من على راسه، وطلب منه الامان وقال له: ((يا محمود احملني وامضي بي فهو خير لك ولي))^٤، فأجابه، قتلغ: ((انك في وضعك هذا لم تطلب العظمة))^٥، وكان قتلغ يتحين مثل هذه الفرصة ليقتله بيده، انتقاماً من قتله لأمه، فقتله وحز رأسه، وحملوه الى السلطان علاءالدين تكش، عدوه اللدود، فلما رآه على هذه الحالة ترجل من على حصانه وسجد ليشكر الله على ذلك، لان موت طغرل يحقق لتكش الاستيلاء على ممتلكات دولة السلاجقة وطموحاته في التوسع والتسلط، ولكنه ((لم يطلب نفسه بما فعلوه به، وقال: لو جئتم به حياً كان احب الى واشهى لدى ولكن اجله حكم عليه))^٦، وهذا يدل على مبلغ حقه على طغرل، ثم بعث برأسه الى بغداد^٧، حيث علّق بباب النوبي^٨.

^١ ن.م. ج/١٠٧؛ محمد صالح القزاق، الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير (٥١٢-٦٥٦هـ)، طبعة ١٩٧١؛ ص ٢١٤.

^٢ الراوندي ٥١٢.

^٣ اختلف المؤرخون في تحديد الشهر الذي قتل فيه طغرل، فحدّد ابو حامد وابن الاثير والحسيني التاريخ المذكور في المتن، وخالفهم الراوندي الذي حدد شهر جمادى الاخرة، بينما ذكر حمدالله المستوفي انه كان في اواخر ربيع الاخر.

^٤ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية ١٩٣.

^٥ حبيب السير ٥٣٦/٢.

^٦ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٩٣.

وهكذا حقق خوارزم شاه تكش آمال الخلافة وما تصبو اليه من التخلص من آخر مظاهر الحكم السلجوقي، فأستقلت الخلافة تماماً عن النفوذ السلجوقي وعن تحكم سلاطين السلاجقة، فبموت السلطان طغرل انهار حكم سلاجقة العراق، فهو آخر السلاطين السلجوقية. وبعد ذلك توجه خوارزم شاه تكش الى همذان واستولى عليها وجلس على عرش السلاجقة، ثم لم يلبث ان استولى على مملكة العراق (بلاد الجبال) جميعها، وكان الخليفة الناصر قد سير جيشاً لنجدة خوارزم شاه، ثم وزع تكش البلاد، فأسند حكم اصفهان الى قتلغ اينانج^٢، واقطع كثيراً من بلاد تلك الاقاليم لمماليكه، فأعطى ولاية همذان الى "قراقرز الاتابكي" واقليم الري لابنه الملك يونس خان، وقسمت ولاية العراق بين الامراء، وعاد الى خوارزم، وهكذا قضت الدولة الخوارزمية على دولة سلاجقة العراق التي كانت تزخر بالمنازعات والحروب حتى دالت دولتهم.

٣. العلاقة بين قتلغ اينانج وبين الخليفة والخوارزمية:

مكن موت السلطان طغرل وانحلال حكم السلاجقة، لبني ايلدگز من جعل حكمهم لاذربيجان واقسام من بلاد الجبال، وراثياً فيهم، بعد ان كان مكافأة لهم على توليهم الاتابكية لسلطان سلجوقي. وكان الاتابكة الاقوياء منهم كايلدگز وجهان پهلوان والى حد ما قزل ارسلان، يتمتعون بالاستقلال، ولكن خلفاءهم الضعفاء كقتلغ اينانج وابابكر واوزيك، ابناء پهلوان، وجدوا انفسهم احد الاطراف التي تتصارع من

^١ ذيل سلجوقنامه ٩١؛ الراوندي ٥١٣-٥١٥؛ الحسيني ١٩٣؛ ابن الاثير ١٢/١٠٨؛ الغرّاضة في الحكاية السلجوقية ١٦٧-١٦٨؛ تاريخ گزيده ٤٧٠؛ العسجد المسبوك ٢/٢٢٨؛ تاريخ ابن الوردي ٢/١٥٧؛ حبيب السير ٢/٥٣٦؛ المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١ ق ٤٠/١.

^٢ باب النوبي: كان لحريم دار الخلافة ابواب عدّة، منها باب النوبي، وعنده باب العتبة التي تقبلها الرسل والامراء والملوك ورؤساء الحجاج اذا قدموا بغداد، ياقوت، معجم البلدان، ٣/٢٦٤.

^٣ كذا عند الراوندي ٥١٩؛ اما ابو حامد (ذيل سلجوقنامه ٩١) وابن الاثير (١٢/١٠٨)، فيذكران ان همذان كانت من نصيب قتلغ اينانج.

^٤ ذيل سلجوقنامه ٩١؛ الراوندي ٥١٩؛ ابن الاثير ١٢/١٠٨؛ الجويني، تاريخ جهاننگاي (بالفارسية)، طبعة ليدن باهتمام محمد بن عبد الوهاب القزويني، سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٦م، ٣٣/٢-٣٤.

اجل الحصول على السيادة وهم: الامراء الاتراك المتنافسون -الذين عرفوا باليهلوانية- والخلفاء العباسيون والخورزمشاهية^١.

لم يرض قتلغ اينانج بما منحه له السلطان تكش خوارزم شاه، بل كان يريد ان يمدّ سيطرته على العراق كله، لذا توجه بجيشه الى همذان، فسار اليه يونس خان بن خوارزمشاه من الري، ولم يقو جيش قتلغ ومعه الامراء العراقيون من مواجهة جيش ابن خوارزمشاه القوي والكامل في العدد والعُدّة، فتركوا همذان واتخذوا طريق بغداد للالتجاء الى الخليفة، غير ان يونس خان تعقبهم فأدركهم ووقع بهم وذلك في سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م، فأنهزم قتلغ والامراء واستمروا في السير باتجاه طريق بغداد^٢.

وانهزم قتلغ اينانج، مرة اخرى، وفي العام ذاته في المعركة التي خاضها مع جيش خوارزمشاه ومقدمهم: مياجق في زنجان، فالتجأ الى جيش الخليفة بقيادة الوزير مؤيدالدين بن القصاب، الذي كان في خوزستان، فأكرمه الوزير ومن معه من الامراء وزوّده بالخيول والخيام وما يحتاجه وخلع عليه وعلى امرائه^٣.

وهكذا فإن الخلافة كانت تسعى الى بسط سيادتها على البلاد التي كانت بحوزة السلاجقة وسيطر عليها الان الخوارزمية، لذلك اخذت تبعث الجيوش وتناصر قتلغ اينانج للحد من نفوذ خوارزم شاه تكش.

اغتنمت الخلافة فرصة التجاء قتلغ اينانج، فأرسلت معه الوزير مؤيدالدين بجيشه المكون من ٥ آلاف فارس الى همذان حيث يعسكر فيها جيش يونس خان بن خوارزم ومعه مياجق، فلما وصلوا المدينة تركها ابن خوارزم ومن معه، ويلاحظ ان ابن خوارزم لم يحاول مواجهة جيش الخليفة بل كان ينسحب كلما تقدم، حتى استولى الوزير على همذان في شوال من سنة ٥٩١هـ/ايلول ١١٩٥م، وعلى مدن خرقان ومزدغان (مزدقان) وساه وآوه، ثم عاد الوزير الى الري^٤.

اصبحت اذربيجان وبلاد الجبال خالية من جيش ابن خوارزمشاه بعد انسحابه الى جرجان (گرگان)، فاستغل قتلغ اينانج هذه الفرصة للاستحواذ على البلاد، فعاد

^١ ينظر: بوزورث، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة العربية الجديدة، مادة الايلدگزيه، ٣٨٩/٥.

^٢ الراوندي ٥٢١-٥٢٢.

^٣ ابن الاثير ١١١؛ العسجد المسبوك ٢٣٢/٢.

^٤ الراوندي ٥٢٣؛ ابن الاثير ١١٢/١٢-١١٣.

وانقلب على وزير الخليفة مؤيد الدين، بعد ان كان يتلقى العون والمساعدة من جيشه، واتفق مع امرائه على عصيانه، وهكذا دخل قتلغ وجيشه الري في العام نفسه، فجاءها الوزير مؤيد الدين وحاصرها، فأانسحب منها قتلغ واستولى عليها الوزير، ثم وصل قتلغ الى ابواب مدينة (آوه) ومعه كبار امراء العراق يرومون دخولها، وكان فيها شحنة الوزير، الذي كمن لهم، ومعه جماعة من الكرد، وتمكنوا من قتل بعض هؤلاء الامراء كسراج الدين قيمانز ونورالدين قرا، وفرّ الباقيون، وهكذا لم يسمحوا لهم بدخول المدينة، حينئذ اتجه قتلغ ومعه ملك الامراء جمال الدين اي آبه، وهو من كبار الممالك الپهلوانية الى همذان، ولما سمعا بتوجه الوزير اليها، انسحبا منها وتوجّها نحو مدينة كرج، غير ان الوزير استمر في تعقيب اثرهم، فالتقى بهم في دربند (مضيق) كرج، واشتد القتال بين جيشيهما، اسفر عن هزيمة قتلغ وجيشه^١.

استطاعت الخلافة ان تبسط سيادتها على مدن عدّة في بلاد الجبال وتنتزعها من سيطرة الخوارزمية والامراء الپهلوانية، فقد قدّم ممالك الپهلوان والامراء على انفسهم "نورالدين گوگجه"^٢، وهو من اعيانهم، واستولوا على الري وماجاورها ثم توجهوا الى اصفهان لاجراج الخوارزمية منها، وعند اقترابهم منها وجدوا فيها عسكر الخليفة اذ ان اهلها كانوا قد استنجدوا بالخليفة الناصر كي يرسل جيشه لتسليمها له، وذلك لكرهم للخوارزمية، حيث توجد فيها قطعة من جيشهم، فأجتمع گوگجه مع عسكر الخليفة وعرض نفسه على خدمة الديوان واظهر الطاعة، ثم طلب من الخليفة ان يعترف گوگجه بتملكه الري وساوه وقماجان^٣، الى حد مزدقان، وان تكون اصفهان وهمذان وزنجان وقزوین لديوان الخليفة، فأجيب الى ذلك بأن كتب له مرسوم بما طلب وأرسلت له الخلع، وبذلك قوى گوگجه وازداد نفوذه وكثر جيشه^٤.

^١ الراوندي ٥٢٣؛ ابن الاثير ١١٢/١٢؛ ابن خلدون ١٠٩٣/٣؛ العسجد المسبوك ٢٣٢/٢-٢٣٣.

^٢ گوگجه: قتله سنة ٦٠٠هـ/١٢م، مملوك اخر للپهلوان يدعي "ايدغمش" في حرب بينهما -كما سنذكره- وكان گوگجه عادلاً حسن السيرة (العسجد المسبوك ٢٨٦/٢)؛ وللراوندي رأي مغاير بشأنه، فقد وصفه انه ((كان غلاماً متهوراً وظالماً... وارتكب مظالم ومخالفات عديدة يكاد لا يصدقها العقل))، ص ٥٣٨.

^٣ في العسجد المسبوك ٢٣٢/٢: قاشان.

^٤ ابن الاثير ١١٨/١٢؛ تاريخ ابن الوردي ١٥٨/٢؛ العسجد المسبوك ٢٣٤/٢.

اما قتلغ اينانج، فقصده الري، بعد هزيمته في حربه مع وزير الخليفة عند مضيق كرج، واستولى فيها على مبالغ ضخمة كان قد خلفها الامير المملوك سراج الدين قيمان^١.

مقتل قتلغ اينانج:

تمكنت ابنة السلطان طغرل الثاني بن ارسلان شاه -والذي قتله قتلغ اينانج- من التأثير على زوجها يونس خان ابن خوارزم شاه تكش وتحريضه على تدير مكيده لاستدراج قتلغ وقتله، انتقاماً لمقتل والدها، ولتنفيذ المؤامرة، طلب مياجق -مقدم الخوارزمية- ومحمد خان- احد قوادهم- واشخاص اخرين، من قتلغ اينانج الانضمام اليهم وقطعوا على انفسهم العهود والمواثيق ان يخلصوا له، واوهموه انهم معه قلب واحد وانهم يخشون خوارزمشاه، فصدقهم، ثم اقنعوه، ان يرسل طليعة جيشه الى ساوه، فأستغل مياجق انفصال جيش قتلغ عنه، فأنقض عليه فجأة وذبحه وذلك في اوائل سنة ٥٩٢هـ/ اوائل ١١٩٦م، وارسل مياجق راسه الى خوارزمشاه تكش موهما اياه انه قد خالفه، وقد تأثر خوارزمشاه كثيراً لهذا الغدر، ونقل رفاتة الى همذان حيث دفن فيها^٢.

٤. الاتابك نصره الدين ابوبكر بن الپهلوان وعلاقاته بأخيه الملك اوزبك:

تولى الاتابك نصره الدين ابوبكر حاكم اذربيجان منذ ان توفي عمه قزل ارسلان في عام ٥٨٧هـ، وبقي منعزلاً فيها يحكمها دون منازع، واتخذ لقب الاتابك، غير ان حكمه لها كان اسمياً، اذ ان السلطة الحقيقية كانت في يد القواد من المماليك الپهلوانية، وكان اوزبك قد التجأ في عام ٥٩٢هـ، الى خوارزمشاه تكش فاراً من وجه اخيه ابي بكر، فأقطعه تكش همذان^٣، الا ان (الراوندي) يخالف هذه الرواية، ويقول^٤: ان ابابكر هو الذي بعث اوزبك الى همذان، حيث ان خوارزمشاه كان قد ارسل رسالة الى ابي بكر، بين فيها انشغاله بمهامه في خوارزم وطلب منه ان يتوجه الى همذان، ليخلصها من المظالم

^١ الراوندي ٥٢٦-٥٢٧.

^٢ الراوندي ٥٢٧-٥٢٨؛ الجويني، تاريخ جهانگشاي، جلد ٢، ص ٣٨؛ يادداشتهاي قزوين، باهتمام

ايرج افشار، جلد ٦/١٣٨.

^٣ الجويني، تاريخ جهانگشاي ٣٨/٢.

^٤ راحة الصدور ٥٣٨.

التي ارتكبها فيها گوگجه، لاسيما بعد ان احرق المدينة واطرافها. اعتذر ابوبكر لانه في ثغر ملك الابخاز ولا يتمكن من القيام بهذه المهمة، لذا ارسل اخاه اوزبك بدلاً منه. وسار خوارزمشاه الى الري، وتوجه اوزبك ومعه عزالدين صمتان^١ الذي كان قد تخلص لتوه من اسر ملك الابخاز - الى همدان، واتفقا على اعتقال گوگجه، الا انه تمكن من الفرار بعد ان نهب المدينة واتجه الى اصفهان^٢. ويلاحظ ان (الراوندي) اطلق لقب "الملك" على اوزبك^٣.

والتحق باوزبك - في الوقت ذاته - ((پادشاه^٤ (ملك الامراء) جمال الدين اي آبه، (الاتابك الاعظم))^٥، الذي نصبه اوزبك اتابكاً، وتولى ايضاً قيادة جيشه، واحكم السيطرة على الدولة. واشاد به الراوندي كثيراً ووصفه بأنه ((وحيد عصره، واحسن اهل زمانه سيرة، ورئيس امراء العراق وقائدهم، وكان الخير معقوداً بناصيته، وينسب اليه ما تبقى من آثار العمران، فليبق الله دولته الى يوم القيامة، ولتخلد اسرته، وليهبه الله حظاً وافراً من الملك والعمر والابناء))^٦.

اما عزالدين صمتان فقد قفل راجعاً الى زنجان، غاضباً، لأن زمام الامور كلها، في الدولة اصبحت في يد اي آبه^٧.

ونعمت همدان في عهد جمال الدين اي آبه بالهدوء والسكينة، والتحق في اوائل ربيع الاول من عام ٥٩٣هـ/اواخر كانون الثاني ١١٩٧م، بخدمة اوزبك ابنا "قران خوان" وابن "نورالدين قرا" - وكانا من اعيان المماليك الپهلوانية - الذين تزوجوا من بنات جمال الدين،

^١ عند ابن الاثير ١٢/١٢٥: سطمس، وابن خلدون ٣/١٩٤) قطمش، والصحيح: صمتان، كما جاء عند الراوندي ٥٣٨.

^٢ الراوندي ٥٣٨.

^٣ ن.م ٥٣٨.

^٤ الپادشاه: مركبة من: پاد: العرش، شاه: بمعنى صاحب او سيد، پادشاه: اي سيد او صاحب العرش، محمد التونجي، المعجم الذهبي، ١٣٤؛ د. حسن الباشا، اللقب الاسلامي، ٢٢٠.

^٥ الراوندي (النسخة الفارسية)، ص ٣٨٨.

^٦ راحة الصدور ٥٣٩.

^٧ ن.م ٥٣٩.

وكان مع كل منهم الف فارس، فاصبحوا حكاماً في همذان، وكانت الولاية لابن قرآن خوان الذي كان يعدل في حكمه، واصبح الجميع تحت طاعة السيد اي آبه^١.

وحدث ان ترك اوزبك همذان وتوجه الى اذربيجان بعد اعتقاله من قبل ابي الهيجاء السمين، ثم افرج عنه بعد ذلك بأمر من الخليفة الناصر - كما سنوضحه عند الحديث عن العلاقة بين اوزبك والخلافة -.

وعاد الملك اوزبك الى همذان في رجب من سنة ٥٩٣هـ/مايس حزيران ١١٩٧، - ويبدو انه اخذ يحكمها نيابة عن اخيه ابي بكر- فقد ارسل الاتابك ابوبكر اليه بعض الامراء ومن بينهم بهاء الدين سنباط وگوگچه ليلتحقوا بخدمته، غير ان گوگچه عندما اسندت اليه الولاية، ارتكب مظالم يعجز المرء عن وصفها، فارادوا عزله، الا انه تمرد وقال: ((لقد حصلت على هذه الولاية بسيوفي، ولن ادعها تفلت من يدي))^٢. اطلع الاتابك على حقيقة مايجري في همذان فعزل سنباط، وارسل ابن القاضي زين الدين - وهو رجل دين- ليكون نائباً له ووزيراً للملك اوزبك، وكان ابوبكر، يأمل من هذا الاجراء، اصلاح الوضع في همذان ورفع المظالم عنها، ولكنه كان مسرفاً وكثرت نفقاته، ولقب بملك الامراء وسيد الوزراء، لكنه لم ينل من وظيفته اكثر من الاسم والمظهر، لان (الراوندي) اعتبر ((الملك والدين ضدان لايجتمعان))^٣.

الصراع بين ابي بكر وگوگچه قائد جيش اوزبك:

التجأ گوگچه -بعد المحاولات التي جرت في همذان لعزله او التضييق من نفوذه- الى (ايوه)، حيث يحكمها الملك فخرالدين ابراهيم، على أمل ان ينال منه العون، ولكن هذا الملك بدلاً من ذلك، شكى منه عند اوزبك على اغارته على المنطقة التي منحه اياها الخليفة وخوارزمشاه، وكان فخرالدين يعتقد ان اوزبك هو الذي ارسله، غير انه عندما تأكد من ان گوگچه جاء دون علمه، تصدى له، فرجع گوگچه الى همذان^٤.

^١ ن.م. ٥٣٩.

^٢ الراوندي ٥٤٢.

^٣ راحة الصدور ٥٤٣.

^٤ الراوندي ٥٤٤.

ذمّ الراوندي گوگچه في اكثر من موضع، فقال عنه: ((انه كان يغافل الناس ويستولي على اموالهم، وكان يرتكب المظالم بتوجيه من القاضي الزنجاني، ذلك الثعلب المارق الاثيم)))، حسب وصف الراوندي، الذي استمر في هجاء الزنجاني، وقال: ((انه كانت له حيل القضاة بأسم الشرع، ولما توفي في عام ٥٩٤هـ، قال "واسلم روحه الى مالك جهنم))^١.

كذلك وصف الراوندي گوگچه واتباعه بالفراعنة، وقال: ((ان اللسان ليتعفف عن شرح ظلم هذه الجماعة))^٢، والغريب ان ابن الاثير يشيد بگوگچه ويترحم عليه فقال عنه: ((وكان هذا گوگچه عادلاً حسن السيرة، رحمه الله))^٣، في حين تبين لنا من سير الحوادث ان گوگچه كان كثير الظلم ولم يكن كما وصفه ابن الاثير.

حضر الاتابك ابوبكر الى همذان من اذربيجان، بعدما فشل ابن القاضي زين الدين في اصلاح الوضع في المدينة، فأقطع ابوبكر: اوزبك همذان، ونصب گوگچه على الري، وكان مغترّاً بقوته، وادّى به غروره الى ان يتحدى الاتابك ويطمع ان يحل مكانه، حتى انه قال: ((اذا زال الملك من آل ايلدگز فاية غرابة في هذا؟))^٤.

وكانت الامور قد افلست من يد ابي بكر لضعفه وانشغاله بالشرب والطرب وعدم تفقده احوال الدولة، وكان الذي ينظم شؤونه هو ملك الامراء جمال الدين أي آبة، فهو الحاكم الفعلي القابض على جميع مهام الدولة، ولكنه اسرف في غض الطرف عن سيئات گوگچه، صهره، ولم يكن يتصور ان يصل به الحال الى محاولته قتل الاتابك ابي بكر، فقد حرض گوگچه بعض الامراء بالسيطرة على الملك من الاتابك الذي كان لا طاقة له على مواجهته، فلما تحرك الاتابك من اصفهان، انحاز اكثر جيشه الى گوگچه وعندما وصل همذان، حاول گوگچه قتله ليلاً، ولكن الاتابك شعر بالامر فاسرع بالتوجه الى اذربيجان^٥.

^١ راحة الصدور ٤٤-٥٤.

^٢ راحة الصدور ٥٥٨.

^٣ الكامل ١٢/١٩٥.

^٤ الراوندي ٥٥٥.

^٥ ن.م ٥٥٦-٥٥٨.

وجعل الاتابك ابوبكر -بعد هذه الحادثة- شمس الدين آيتغمش مقدماً لجيشه، وارسله في سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٢م، لمحاربة گوگچه، الذي كان قد استولى على الري وهمدان وبلد الجبل، فجمع آيتغمش الجموع الكثيرة من الممالك الترك وغيرهم، ثم توجه نحو گوگچه، فتقابل الفريقان، وانتهت المعركة بقتل گوگچه واستيلاء آيتغمش على البلاد، فخضعت له همذان واصفهان والري^١.

مظفرالدين اوزبك وصراعه مع المملوك آيتغمش:

اصبح المملوك اوزبك ملكاً بالاسم فقط وليس له من الحكم شيء، منذ سنة ٦٠٠هـ، عندما عظم شأن المملوك آيتغمش، وانتشر صيته وكثر عسكره، حتى انه تجرأ على محاصرة صاحبه الاتابك ابي بكر، وكان هو المدبر لاوزبك والقيم بأمر المملكة^٢، ومنذ ذلك العام وحتى سنة ٦٠٧هـ- عندما تولى اوزبك السلطة بعد وفاة اخيه ابي بكر- لم يذكر اوزبك، ابن الاثير ولاغيره، والراجح انه انسحب خلالها الى شمالي بلاد الجبال وبقي الحكم الفعلي بيد الممالك الپهلوانية.

ويبدو ان اوزبك اراد ان يقلم اظفار آيتغمش ويحد من نفوذه وتحكمه، فأوعز الى أحد ممالك ابي بكر المدعو (منگلی بن عبدالله) بالخروج عليه، وكان اتباعه قد كثروا والممالك الپهلوانية يطيعونه، فأستولى على بلاد الجبل واصفهان وهمذان وغيرها، وعندما استولى على همذان طرد آيتغمش منها، وكان ذلك في شعبان من سنة ٦٠٨هـ/ اوائل سنة ١٢١٢م، فهرب آيتغمش الى بغداد، واحتفل الخليفة بوصوله، واخرج جميع ارباب الدولة للقاءه واقام فيها الى منتصف سنة ٦١٠هـ/ منتصف ١٢١٣م، حيث توجه منها قاصداً همذان، ولكن احد الاشخاص وشى به الى منگلی، فقبض عليه وقتل في ذلك العام^٣. اشاد به (سبط ابن الجوزي) فقال عنه: ((كان صالحاً كثير الصدقات دينا صائماً

^١ ابن الاثير ١٢/١٩٥ (حوادث سنة ٦٠٠هـ)؛ ابن الساعي، الجامع المختصر ٩/١٢٥؛ تاريخ ابن الوردي ٢/١٧٥؛ المسجد المسبوك ٢/٢٨٦؛ ابن خلدون ٣/١٠٩٥، ٥/١٨٣؛ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، مادة اوزبك، الطبعة القديمة ٢/٣٤، الطبعة ٢ لسنة ١٩٦٩، ٥/٢١٠.

^٢ ابن الاثير ١٢/٢٩٦ (حوادث سنة ٦٠٨هـ).

^٣ ابن الاثير ١٢/١٩٤، ٣٠١؛ ابن خلدون ٥/١٨٥؛ تأريخ ابن الوردي ٢/١٨٩.

قائماً عادلاً^١). وكذلك اشاد به الراوندي، فقال: ((وان مابقي من خير قليل في العراق [يعد ظلم گوگچه واتباعه] انما يعود فضله الى آيتغمش الذي كان صالحاً وعادلاً^٢)).

العلاقات الخارجية في عهد الاتابك ابي بكر (٥٨٧-٦٠٧هـ/١١٩١-١٢١٠م):

١. العلاقة بين اوزبك والخلافة:

كانت العلاقة بين اوزبك والخلافة جيدة حيث اعلن طاعته لها، الا انه حدث ما عكر هذه العلاقة لمدة من الزمن، فقد سبق ان حصل اتفاق بين گوگچه وديوان الخلافة على ان تكون مدن عدة -من بينها همذان- تحت السلطة المباشرة للخلافة، كما مرّ بنا ذكر ذلك- غير ان همذان اصبحت تحت سيطرة اوزبك وجمال الدين آي آبه وبعض اعيان الممالك الپهلوانية، فأرسلت الخلافة الامير أبا الهيجاء السمين^٣، سنة ٥٩٣هـ/١١٩٧م، على رأس جيش الى همذان، بناء على طلب من بعض الامراء العراقيين، ومن بينهم "امير علم"^٤ الذي كان في بغداد، وذلك لطرد ابناء قرآن خوان وابن نورالدين قرا من المدينة، ولما وصل اليها، القى ابو الهيجاء القبض على الملك اوزبك وعزالدين صمتاز وابن نورالدين قرا، وذلك بتحريض من امير علم -وكانوا قد وثقوا بابي الهيجاء فلم يحترزوا منه- واستطاع ابن قرآن خوان الهرب بمساعدة رجل كردي، جرت هذه الحادثة في جمادى الآخرة سنة ٥٩٣هـ/نيسان ١١٩٧م^٥. وكان هؤلاء قد قدموا فروض الطاعة الى الخليفة وكتبوا اليه بهذا المعنى، فلما وصل الخبر الى الخليفة الناصر، انكر ذلك على ابي الهيجاء، وأمره بالافراج عنهم، وبعث اليهم الخلع لأسترضائهم، ولكنهم لم يأمنوا جانب ابي الهيجاء، فأفترقوا عنه وعاد اوزبك الى

^١ مرآة الزمان ج ٨، ق ٢، ص ٥٦٧.

^٢ راحة الصدور ٥٥٨.

^٣ سمي بالسمين، لانه كان كثير السمن وهو من اكابر امراء جيش بني ايوب وهو من الاكراد الحكمية

من بلدة اربل، ابن الاثير ١٢٥/١٢.

^٤ امير علم، ينظر عنه التنظيمات العسكرية.

^٥ الراوندي ٥٤٠.

أذربيجان وفر آى أبه، فخشى ابو الهيجاء منهم ولم يجراً على التوجه الى بغداد، فترك همذان متوجهاً الى بلدته اربل، الا انه توفي قبل ان يصل اليها^١.

٢. علاقة ابي بكر واوزبك مع الخوارزمية:

ارتكب الخوارزميون الكثير من المظالم في مدن همذان وكاشان وراوند وذلك في عامي ٥٩٤ و ٥٩٥ هـ/١١٩٨-١١٩٩ م، فقتلوا بغير حق ونهبوا وخربوا ودمروا، بحيث ان الغز -حسب قول الراوندي- لم يرتكبوا في خراسان مثل تلك القسوة التي ارتكبتها الخوارزميون، يقول الراوندي ((انه لو فصل كل ذلك لملأ عشرة كتب من حجم هذا الكتاب))^٢، اي كتابه راحة الصدور.

قامت المنازعات والحروب بين الملك اوزبك وگوگچه وناصرالدين آغوش من جهة، وبين مياجق -نائب خوارزمشاه على الري- من جهة ثانية، فلما توجه مياجق نحو همذان- ضمن خطة الخوارزميين بالتوسع وبسط النفوذ- ترك اوزبك واصحابه المدينة وتوجهوا الى قزوین، وكان ذلك في عام ٥٩٤ هـ/١١٩٨ م، ثم طلبوا من ملك الامراء جمال الدين آى أبه المشاركة في قتال مياجق، ولكنه رفض التوجه معهم والارتباط بهم، اذ اتهمهم بالظلم، فأنكر اوزبك التهمة عن نفسه وان تكون الشكوى من گوگچه، ولكن الاخير اتهم آيتغمش بالظلم، وقال ((انه هو الذي يظلم، لانه كان في همذان يقوم بارشاد من قاضي زنجان بمصادرة اموال الاغنياء واملاكهم، ولما خرج من المدينة كان يأمر في كل قرية ينزل فيها بتشريد الفلاحين المساكين، ثم يسلب كل مايجده في منازلهم، وهكذا خرب القرى واحدة واحدة، ولم يترك اثراً للعمران))^٣. وقول گوگچه هذا يناقض رأي (الراوندي) فيه وفي آيتغمش، وقد ذكرنا انه ذم گوگچه وقاضي زنجان، واتهم گوگچه بارتكاب المظالم بتوجيه من القاضي الزنجاني، في حين نَرَهُ آيتغمش من هذه التهمة ومن تخريبه للعمران وكذلك يناقض رأي سبط ابن الجوزي عن آيتغمش حيث

^١ ابن الاثير ١/١٢٥؛ العسجد المسبوك ٢/٢٤٠؛ ابن خلدون ٣/١٠٩٥، ١٨٢/٥.

^٢ راحة الصدور ٥٤٥-٥٤٧.

^٣ الراوندي ٥٤٨-٥٤٩.

اشاد بتدينه وعدله، في حين اتهم ابن الاثير آيتغمش بالظلم، وقال انه: ((كان شهماً شجاعاً ظالماً))^١.

اضطر جيش اوزبك ان ينسحب من قزوين ويهاجم مدينة زنجان، في حين احتل مياحق همذان في رجب ٥٩٤هـ/مايس ١١٩٨م، وكانت الخلافة تشجع مياحق^٢، لما وجدت من تعاظم نفوذه، وامكان حمايته الثغور الاسلامية من الكُرج، وكونه نداً قوياً بوجه الحشاشين (الاسماعيلية)، وكانت تريد منه منافساً لخوارزمشاه، ومتى ما تم النزاع بينهما، فذلك سيسهل على الخلافة والمسلمين التخلص من ظلم ومآسي الخوارزميين، وفعلًا فأن مياحق كان يطمع ان يكون سلطاناً^٣، اما اوزبك فوجدته الخلافة ضعيفاً، لايمكن الركون اليه في مواجهة شخصية قوية كخوارزمشاه. في اليوم التالي من احتلال مياحق لهمذان، نصبه عليها خوارزمشاه، ولكن جند مياحق سرعان ما بدأوا بالسلب والنهب في انحاء ولاية همذان حتى امتدت غاراتهم الى كرمنشاه وحدود ابهر وزنجان واستولى مياحق على بلاد الجبال، ويصف (الرواندي) المظالم التي ارتكبوها، فيقول انها: ((لم تحدث على ايدي الكفار والابحازيين والترك الخطائين والصليبيين، فكانوا يريقون الدماء كأراقة الماء، وسن هؤلاء الظالمون قانوناً في العراق بمصادرة المدارس والمساجد واموال العلماء، فكانت هذه البدعة وبالأعلى عليهم))^٤. ولكن استطاعت عساكر ابي بكر، بقيادة ملك الامراء جمال الدين آي آبه وامير العلم، المتكونه من (٤) آلاف فارس، ان تهزم مياحق بالقرب من (قها) من اعمال الري.

قضى الاتابك ابوبكر الشتاء في الري، غير انه وصلته الاخبار بتوجه خوارزم شاه اليه، وكان جند الاتابك متفرقين لجمع الخراج، والفصل شتاء، لذلك ترك الاتابك الري وتوجه الى اذربيجان، وهكذا اعاد الخوارزميون سيطرتهم على العراق مرة ثانية، وعاد مياحق الى الري، ولكن طغيانه اثار حفيظة خوارزمشاه، فأقتفى اثره حتى وقع اسيراً وقتل خوارزمشاه جميع انصاره واعوانه، فاجتثت بذلك جذور الفتنة والظلم،

^١ الكامل ١٢/١٢٨.

^٢ الراوندي ٥٥٠.

^٣ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، مادة اوزبك ٣٤/٢.

^٤ راحة الصدور ٥٥٢-٥٥٣.

وكان ذلك في ربيع الاول من سنة ٥٩٥هـ/ مستهل سنة ١١٩٩م^١، وكثرة مانهب العراق لم يجد جند خوارزمشاه هذه المرة شيئاً يمكن اخذه معهم، ثم شنق مياجق، وبعد موته بشهرين في رمضان من سنة ٥٩٦هـ/ تموز ١٢٠٠م، توفي خوارزمشاه ايضاً، فأستراح العراقيون وآمنوا شر الاعداء واطهروا الفرح، ثم انتصروا وزيك وقائد جيشه گوگجه على الخوارزميين في العراق ومثلاً بهم^٢.

عادت الخوارزمية في سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥-١٢٠٦م، الى التعرض الى بلد الجبل، فقد توجه اليه نحو ١٠ آلاف فارس مع اهلهم واولادهم، ووصلوا الى زنجان (زنجان) مستغلين انشغال آيتغمش مُقَدِّم جيش الاتابك ابوبكر بحربه مع مظفرالدين كوكبيري - صاحب اربل- وعلاءالدين الاحمديلي -صاحب مراغه- وخلوا البلاد، ولكن عندما رجع كوكبيري الى بلده، وانتهى الامر بين ايتغمش وصاحب مراغه -على نحو ما ذكرناه في الفصل السابق-، توجه لمقاتلة الخوارزمية حتى تمكن من الحاق الهزيمة بهم^٣.

٣. علاقة الاتابك ابي بكر مع الكُرج:

تجراً الكُرج، على الاغارة على حدود اذربيجان، نظراً لضعف مركز الاتابك ابي بكر السياسي والعسكري، وانشغاله بالشرب والسمر وعدم تفقده لامور مملكته ورعيته وجنده، فأستولوا في سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢-١٢٠٣م، على مدينة دوين ونهبوها واستباحوها واكثروا القتل في اهلها، وكانت المدينة خاضعة لابي بكر، ولم تغد معه استغاثة الناس به وتحذيرهم له باغارات الكُرج وتخويفه من قبل امرائه بعاقبة اهماله وتوانيه واصرارته على ما هو فيه^٤، فلم يصغ لهم ((كأنهم ينادون صخرة صماء)) - حسب تعبير ابن الاثير^٥، لذلك لم يكن بإمكان الاهالي التصدي للكُرج، وقال ابن الاثير في وصف ما فعلوه: ((لقد بلغنا من فعل الكُرج باهل دوين من القتل والسبي والامر ما

^١ ابن الاثير ١٢/١٥٢.

^٢ الراوندي ٥٥٣-٥٥٤؛ ابن الاثير ١٢/١٥٦؛ تاريخ جهانگشای ٤٦/٢.

^٣ ابن الاثير ١٢/٢٣٨.

^٤ ابن الاثير ١٢/١٨٣؛ ابن خلدون ١٨٣/٥؛ العسجد المسبوك، ٢٧٨/٢؛ تأريخ ابن الوردي ١٧٣/٢.

^٥ الكامل ١٢/١٨٣.

تقشعر منه الجلود))^١. وذم (ابن كثير) الاتاك ابى بكر لتخاذله امام الكُرج فقال عنه: ((قبحه الله.. وذلك كله غل في عنقه يوم القيامة))^٢.

أعاد الكُرج الاغارة على أذربيجان سنة ٦٠١هـ/١٢٠٤-١٢٠٥م، فأكثروا -ايضاً- العبث والفساد والنهب واشتد البلاء^٣.

والتجأ ابوبكر -بعدما تكررت غارات الكُرج وادرك عجزه عسكرياً في الذود عن أذربيجان لاصراره على ما هو عليه- الى طريقة اخرى لابعادهم عن البلاد، فصاهرهم اذ تزوج من ابنة ملكهم النصرانية سنة ٦٠٢هـ/١٢٠٥-١٢٠٦م، ليكفهم من النهب والاغارة والقتل، غير اننا نجد ان هذه الطريقة لم تقض نهائياً على غاراتهم ولكنها قللت منها الى حد ما، اذ لم يخمد نشاطهم الا حين ظهور المغول.

وتؤيد -ضعف مركز ابى بكر السياسي- الروايات المذكورة في المصادر الكُرجية، المتداولة حوادثهم التاريخية للمدة بين سنتي ١٢٠٨ و ١٢١٠م و (٦٠٥-٦٠٧هـ)، فقد اخترق اوان Iwane و زخاري Zakhare قائد الملكة تامارا Tamara كل بلاد الجبال حتى وصلا جُرجان (گرگان)، وذلك اثناء قيامها بحملة كبيرة ابتغاء السلب والنهب، وجمعت الكتائب الكُرجية الاموال من سكان تبريز، وتركت حامية صغيرة في المدينة تترقب عودتها من حملاتها الاخرى. لم تذكر المصادر الاسلامية هذه الاخبار، ولكن - سياق القصة وتفصيلها - يوحى الى (مينورسكي) الثقة في صحتها^٤.

٤. العلاقة بين ابى بكر والاحمديلية:

^١ ن.م ١٨٤.

^٢ البداية والنهاية، طبعة ١٩٦٦، طبع على نفقة مكتبة المعارف، بيروت، مكتبة النصر، الرياض، ٣٤/١٣.

^٣ ابن الاثير ٢٠٤/١٢؛ ابن الساعي، الجامع المختصر ١٥١/٩؛ ابن العربي، تأريخ مختصر الدول ٢٢٨؛ العسجد المسبوك ٢٩٢/٢؛ ابن كثير ٤١/١٣.

^٤ ابن الاثير ٢٤٢/١٢؛ الذهبي، تأريخ الاعلام (مخطوط مصور) و ٨٢ب، دول الاسلام ١٠٩/٢؛ العبرة ٣؛ ابن كثير ٤٣/١٣؛ العسجد المسبوك ٣٠٧/٢.

^٥ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة القديمة، مادة تبريز، نقلاً عن: Brosset, His. De la Georgie, Vol. ١, P. ٤٧٠.

سبق ان تناولنا هذه العلاقة في الفصل السابق الاحمديلية، فلا حاجة الى تكرارها. هذا وتوفي الاتابك ابوبكر سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م، بعد ان حكم (٢٠) سنة (٥٨٧-٦٠٧هـ)^١.

العلاقات الخارجية في عهد الملك اوزبك (٦٠٧-٦٢٢هـ/ ١٢١٠-١٢٢٥م):

١. علاقة اوزبك مع الخلافة والاسماعيلية:

وطد جلال الدين -صاحب قلاع الاسماعيلية- علاقات الصداقة مع الملك مظفرالدين اوزبك، وحرص على ان تكون صلته به اوثق من صلته بغيره من الملوك، وكان منغلي قد اغار على بعض الولايات التابعة لجلال الدين -الذي عرف بـ(نو مسلمان)^٢، ولما ساءت العلاقات بين اوزبك ومنغلي -الذي خرج على سيده الملك اوزبك- استغل جلال الدين هذه الفرصة، وتوجه في سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م الى اذربيجان ليقدم العون لاوزبك، الذي بالغ في تكريم جلال الدين وانزله ضيفاً عزيزاً عليه لمدة عام ونصف عام، وكان يواظب على ارسال المؤن الوفيرة اليه، وتكفل نفقات جلال الدين وقواده وجيشه وعلف خيوله، ووزع كافة انواع التشريفات والخلع الثمينة ليس على كبار قواده، فحسب بل على الجند كافة، وكان يرسل -اضافة الى ذلك- الى خزائنه كل يوم الف دينار من الذهب المسكوك للمتطلبات اليومية، واتفق كل منهما على مراسلة حاضرة دار الخلافة والشام والديار الاخرى لارسال الامدادات من اجل طرد منغلي^٣.

وكان الخليفة الناصر قد رحب بايتغمش وكرمه اثناء التجائه اليه، ولكنه -كما ذكرنا- قتل من قبل منغلي، سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م فارسل الخليفة الى منغلي ينكر عليه قتله لايتغمش، ولما ساءت العلاقات بين اوزبك ومنغلي، انتصر الخليفة لاوزبك ووعد بالنجدة، وكذلك طلب من جلال الدين بمساعدة اوزبك على قتال منغلي، واتفق على

^١ تاريخ گزيده ٤٧١.

^٢ هو الابن الاكبر لمحمد، اشهر اسلامه في رسالة بعثها الى الخليفة العباسي الناصر والى السلاطين والملوك الاخرين، وانه قد اقام الصلاة وشرائع الاسلام في بلاده من الشام وخراسان وارسل والدته الى الحج، وتولى مكان ابيه في سنة ٦٠٧هـ، واصدرت دار الخلافة الحكم ياسلامه فاشتهر بـ(نو مسلمان) اي المسلم الجديد. ابن الاثير ١٢/٢٩٨؛ الجويني، تاريخ جهانگشاي، جلد ٣، ٢٢٥-٢٢٦؛ المسجد المسبوك ٣٣٨/٢.

^٣ الجويني، جهانگشاي، جلد ٣/٢٤٦-٢٤٧؛ د. محمد السعيد جمال الدين، دولة الاسماعيلية في ايران، القاهرة، ١٩٧٥، ص ٢٢٨.

تقسيم البلاد التي يملكها منگلى بين الخليفة واوزبك وجلال الدين، وبناء على ذلك، جهّز الخليفة جيشاً كامل العدد والعُدَد واسند قيادته لمملوكه مظفر سنقر -الملقب بوجه السبع-، وكان اوزبك وجلال الدين قد راسلا الخليفة ليمدّهما بالعساكر لطرده منگلى، وكلف الخليفة ايضاً، مظفرالدين كوكبرى -صاحب اربل وشهرزور- بتهيئة جيش لمناصرة اوزبك، على ان يكون القائد العام للجيش بأجمعه، والمرجع الاعلى في الحرب، وهذا يدل على ثقته العالية به، فحضر معه جند الموصل وديار الجزيرة وحلب، وتوجّهوا جميعهم بجيش ضخم نحو همذان، وذلك في عام ٦١٢هـ/١٢١٥م^١.

هرب منگلى من هذا الجيش عندما توجّه لمقاتلته، واستمر في هربه حتى وصل الى مدينة ساوه، وقُتل هناك، وارسل رأسه الى اوزبك الذي أرسله بدوره الى بغداد، ولكن صادف في وقت وصوله اليها (في أواخر ذي القعدة ٦١٢هـ/ أوائل آذار ١٢١٦م) وفاة ابن الخليفة الناصر، لذلك لم تقم آلافرح بمناسبة القضاء عليه.

استولى جيش الخليفة واوزبك على البلاد، واعطوا ابهرورنجان لجلال الدين نظير اسهامه في القتال، وبقيت هاتان المدينتان ونواحيهما تحت تصرف نوابه، واخذ الباقي اوزبك، فولى سيف الدين اغلمش وهو مملوك اخيه ابي بكر عليه، وكان قد ابلى في المعركة، ثم عادت كل طائفة من الجيش الى بلادها، وعاد جلال الدين بعد ان اقام في العراق وارّان واذريجان قرابة عام ونصف عام^٢، كما اتينا على ذكر ذلك قبل قليل.

٢. علاقة اوزبك مع الخوارزمية:

اعلن اُغْلَمُشُ طاعته لخوارزمشاه علاء الدين محمد بن تكش (٥٩٦-٦١٧هـ/١١٩٩-١٢٢٠م) -الذي تولى عرش الدولة الخوارزمية بعد وفاة والده خوارزمشاه علاء الدين تكش- وجعل (اي اغلمش) الخطبة بأسمه واصبح نائباً عنه،

^١ ابن الاثير ٣٠٦/١٢؛ العسجد المسبوك ٣٤٨/٢؛ النجوم الزاهرة ٢١٢/٦؛ د. محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي، ١٧٦.

ويحدد الجويني تاريخ ارسال هذه الحملة بسنة ٦١١هـ، تأريخ جهانگشاي ٢٤٥/٣.

^٢ ابن الاثير ٣٠٦/١٢-٣٠٧؛ العسجد المسبوك ٣٤٨/٢-٣٤٩؛ مراة الزمان، ج ٨ ق ٢/٥٧٣-٥٧٤؛ ابو الفدا، المختصر ١١٦/٣؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (مخطوطة مصورة) و١١١ب؛ جهانگشاي ٢٤٧/٣-٢٤٨؛ تاريخ ابن الوردي ١٩١/٢؛ دولة الاسماعيلية في ايران، ٢٢٩.

فقتلته الاسماعيلية^١ في سنة ٦١٤هـ/١٢١٧-١٢١٨م. استغل اوزبك والاتابك سعد بن زنگي (٥٩١-٦٢٣هـ/١١٩٥-١٢٢٦م) -صاحب بلاد فارس- وفاة اغلمش وابتعاد خوارزمشاه عن البلاد وتوغله في بلاد الترك، فأحتل اوزبك اصفهان واحتل سعد الري، ولما علم خوارزمشاه بذلك اسرع بالتوجه الى بلاد الجبل في العام نفسه، لئلا تخرج هذه البلاد عن طاعته، واستولى على ساوه وقزوين وزنجان وابهر وهمذان واصفهان وقم وقاشان، واستطاع من اسر الاتابك سعد ونصرة الدين بيشكين، امير اهر-وهو من اصل كرجي-، ووزير اوزبك: ربيب الدين ابا القاسم بن علي، ولكن اوزبك تمكن من آلافلات من الاسر، فأرسل له السلطان رسولا، وانتهت المفاوضات بينهما على ان يدين اوزبك بالطاعة للسلطان وان يذكر اسمه في الخطبة وعلى النقود، فخطب للسلطان على منابر اَرَّان واذريجان الى مايلى دربند (مضيق) شروان، وهكذا اجبر السلطان، اتابك اذريجان على ان يستظل بالرأية الخوارزمية.

وحذر السلطان، الكرج من قصدهم لَأَرَّان واذريجان التي اصبحتا ضمن ممالكه الخاصة، فأجابوه الى ذلك وارسلوا اليه الهدايا والالطاف، وكان في نية السلطان محاربة الكرج، فجهز جيشاً -على ما قيل- من (٥٠) ألفاً، الا ان ظهور الخطر المغولي وعزم جنكيزخان الانقضااض على الدولة الخوارزمية، حال دون تحقيق هذه النية، فأسرع بترك بلاد الجبال^٢.

وتوجه السلطان خوارزم شاه -بعد اتفائه مع اوزبك- بجيش ضخم الى بغداد في سنة ٦١٤هـ/١٢١٧-١٢١٨م، لازالة الخلافة العباسية انتقاماً من الخليفة الذي دفع آتابكي فارس واذريجان للاستيلاء على مدن بلاد الجبال التي كانت تحت طاعته. ولكن القدر حال دون تحقيق غايته، فقد هلك معظم جيشه في الطريق لتعرضه في شتاء العام نفسه الى عواصف ثلجية بجبال الاقاليم، فمني بخسائر فادحة، واصبح من بقي منه عرضة لغارات الترك من بني ترجم، والكرد من بني هكار، ولم يرجع منهم الا اليسير، فتطير خوارزمشاه من ذلك وقرّر العودة خوفاً من التتر.

^١ جيهانگشاي ١٢١/٢.

^٢ ابن الاثير ٣١٧/١٢؛ النسوي، سيرة جلال الدين منكرتي، طبعة القاهرة، ١٩٥٣، ص ٣٧، ٥٣-٥٤، ٥٩-٥٨؛ ابو الفدا، المختصر ١١٨/٣؛ تاريخ ابن الوردي ١٩٣/٢؛ العسجد المسبوك ٣٥٧/١؛ ابن خلدون، العبر ٢٣٢/٥.

وقام خوارزمشاه، -بعد فشل حملته على بغداد- بقطع خطبة الامام الناصر من بلاد خراسان وذلك في سنة ٦١٥هـ/١٢١٨م^١.

اطلق خوارزمشاه، الامير نصرة الدين محمد بن بشتكين من الاسر، بعد ان اصدر له مرسوماً بان تبقى اهر ووراي^٢ بقلاعهما واعمالهما تحت تصرف ابن بشتكين، و اضاف اليهما سراه (سراو) وكانت ضمن ممتلكات اوزبك، وبعد رجوع ابن بشتكين لم يجراً ان يبين لاوزبك ضم سراو لملكه، الى ان استولى السلطان جلال الدين منگبرنى^٣ (٦١٧-٦٢٨هـ/١١٢٠-١٢٣م) على تبريز سنه ٦١٨هـ/١٢٢١م، فأنتزعاها من

^١ ابن الاثير ٣١٧/١٢؛ ابو الفداء، المختصر ١١٨/٣؛ تاريخ ابن الوردي ١٩٣/٢؛ العسجد المسبوك ٣٥٧/٢؛ حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، طبعة مصر، ١٩٤٩، ص ٣٧. د. نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، بغداد، ١٩٧٨، ص ٩٨-١٠٠؛ بارتولد، تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، الكويت، ١٩٨٠، ص ٥٣٥.

^٢ وراوي، بليدة تقع بين اردبيل وتبريز، بينها وبين اهر مرحلة. ياقوت ٩١٩/٤.

^٣ جلال الدين منگبرنى: اختلف الكثيرون في ضبط اسم جلال الدين ومعناه، فبعضهم ضبطها: منكبترتي (بالتاء) وفسروها على انها مركبة من (مونكو) بالمغولية، وتعني: الابدي، خالد، اي الله و (برتي) تعني الهبة، العطاء بالتركية، اي هبة او عطاء الله، واول من قراها بالتاء هو دوسون Dohsson وبعده دي سلان De slane وبيوزورث Bosworth وهوداس Houdas ناشر الترجمة الفرنسية لسيرة جلال الدين واقرا انه جاءت (بالنون) في المخطوطة الاصلية ولكنه اعتبرها مصحفة!، اما شفر Schefer وقامبري Vambery فقد قالا انها تعني: مبعوث السماء، فكتباها بالدال: منگبردى، وذكرها بلوشة Blochet منكبوبردي.

ولكن محمد بن عبد الوهاب القزويني كتب تحقيقاً قيماً عن لفظ الكلمة ومعناها، فوجد: ان اغلب المخطوطات القديمة والمعتمدة العربية والفارسية تذكره بالنون: منگبرنى وليس بالتاء او الدال، كالمخطوطات الفريدة: سيرة السلطان جلال الدين للنسوي كاتب السلطان، وكذلك تاريخ جهانگشاى للجويني الذي يذكره مرة واحدة في المخطوطة المعتمدة (في المطبوع ١٦٥/٢)، والجويني كان في مقتبل عمره معاصراً لجلال الدين وكذلك كان جده مستوفي ديوان السلطان، وايضاً في معجم ياقوت، ألفه سنة ٦٢٣، اي اثناء حياة جلال الدين (ينظر: طبعة وستنفلد، مادتي: اذربيجان و تغليس)، وكذا في طبقات ناصري، المؤلف سنة ٦٥٨هـ، وفي اكثر من عشرة مواضع، وفي مخطوطة مسالك الابصار للعمري (ج ٢٣)، من نسخة باريس و٧٧٥)، وكذلك في جهان آرا لاحمد غفاري، الذي قال: اشتهر بمنگبرنى ف: (منگ) بالتركية تعني: (الخال) و (بورن) تعني: (الانف) لوجود خال على انفه، ولكن هذا بعيد الاحتمال لان منگبرنى اسم له وليس لقباً.

سيطرة اوزبك، وكان اوزبك قد ارسل رسالة مع وزيره ربيب الدين الى السلطان يعتذر فيها عن زلله وخطيئته^١.

اخذ ممالك اوزبك، يتمردون عليه ويخرجون عن طاعته في اماكن مختلفة من اذربيجان، بعدما ضعف واهمل شؤون بلاده ورعيته، ومن هؤلاء الممالك مملوكاه: بُغدى وايبك الشامى، اللذان خالفا سيدهما اوزبك في اذربيجان سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، ونهبوا البلاد وافسدا فيها، وطمع باذربيجان ايضا الحكام والامراء المجاورون لها، ومنهم الامير ايفان طاييسى، زوج شقيقة غياث الدين ابن خوارزم شاه محمد بن تكش، والتحقا به مملوكا اوزبك، غير ان غياث الدين زحف عليهم والحق الهزيمة بهم فرجعوا مدحورين^٢. وقاتلهم غياث الدين لانه كان يريد الانفراد بالغنيمة والاستيلاء على اذربيجان فتكون له خيراتها، لذا قصدوا في العام نفسه، وهو اخو سلطان خوارزم جلال الدين وصاحب بلاد الجبل والري واصفهان وبلاد كرمان وغيرها، فأغار على بلدة مراغه ومايلي العراق من سائر اعماله، واقام باوجان -احدى مدن اذربيجان-، ولما لم تكن لاوزبك القوة الكافية لردعه، اضطر الى طلب الصلح معه، فقدم له فدية، كذلك زوجة

اضافة الى هؤلاء فإن الكثير من المستشرقين الاوربيين ضبطوه بالنون منهم: كاترمير (Quatromere)، اليوت (Elliot)، ريو (Rieu)، راورتى (Roverly)، وادوارد توماس (Edward Thomas)، اعلام النميات الانجليزي، نشر مسكوكة كتب عليها: "جلال الدنيا والدين منكبرين بن السلطان" (كذا بالياء قبل النون) وذكر صاحب طبقات ناصري (كلكتا ص ٢٣٤) ان منكبرني يعني: (هزارمرد) اي (الف رجل). والغريب ان ابن الاثير ورشيد الدين فضل الله في جامع التواريخ لم يذكر اسم السلطان الكامل بل اكتفوا بذكر خوارزمشاه جلال الدين فقط، علماً ان ابن الاثير انتهى تأريخه بسنة ٦٢٨هـ، اي بعام وفاة جلال الدين، وكان يهيمه متابعة اخر اخباره.

ان قراءة اسمه بالتاء او الدال والتفسيرات حول اسمه، كلها مجرد اجتهادات وهي من قبيل الاوهام، ولما كانت معظم المخطوطات القديمة تذكره بالنون: مَنكَبَرُنِي، فأننا نأخذ التسمية الى ان نحصل على دليل قاطع يناقض ذلك.

زيادة في التفصيل، ينظر: تحقيق محمد بن عبد الوهاب قزويني في اخر المجلد الثاني من كتاب الجويني، تاريخ جهانگشاي المنشور بالفارسية، طبعة ليدن، ١٣٣٤هـ-١٩١٦م مسيحية، ص ٢٨٤-٢٩٢.

^١ النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي ٥٥-٥٦، ٦٠-٦١؛ مرآة الزمان، ج ٨ ق ٢ ص ٦٣٢.

^٢ ابن الاثير ٤١٦/١٢؛ المسجد المسبوك ٣٩٥/٢؛ ابن خلدون ٢٥٦/٥.

بأخته، الملكة الجلالية صاحبة نخجوان (نقچوان، نشوى)، وبعد ان تم الاتفاق على هذا النحو، رجع غياث الدين الى العراق^١.

عاد الامير ايغان طاييسي مرة ثانية وفي العام نفسه الى التعرض لبعض المدن الخاضعة لحكم اوزبك ونهبها، فكان اوزبك قد تغلب على مدينة اصفهان بعد مقتل ركن الدين (اخو غياث الدين)، فزحف اليه الامير ايغان، ولكن اوزبك استنجد بغياث الدين، فارسل له مساعدة عسكرية، ومع ذلك فقد مني اوزبك بالهزيمة اما ايغان، فاستولى هذا على اصفهان، ولكنه لم يبق فيها طويلاً، لان جيش التتر اوقع به الهزيمة^٢.

لم يتخل ايغان عن محاولاته الخروج على السلطان جلال الدين ومحاربته وعن الاغارة على المدن، فقد عقد المحالفات مع اعداء جلال الدين ففي سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، تعاضد مع اوزبك على مخالفة السلطان وكذلك انتهز فرصة ابتعاده فتوجه الى همذان واستولى عليها، ولكن السلطان لم يعاقب ايغان، بل منحه الامان واقام في مراغه^٣. ولعل ذلك يعود الى قرابته منه، فهو زوج شقيقته.

٣. افعال التتر في اذربيجان وموقف اوزبك منهم:

زحف المغول التتر^٤ نحو الغرب الى بلاد الجبال واذربيجان واران، فاصبحت هذه الجهات عرضة للماسي والفواجع على ايديهم بشكل لا يمكن وصفه، اضافة الى ماعانته قبل مجيئهم من نكبات وويلات على يد الكرج والخوارزمية والاسماعيلية والقفقاق وغيرهم، ونتيجة للحروب والمنازعات بين ابناء الپهلوان، فعم الخراب والدمار تلك الاجزاء.

^١ النسوي، ١٤٧.

^٢ ابن الاثير ٤١٦/١١ (حوادث سنة ٦٢٠)؛ ابن خلدون ٢٥٦/٥، ٢٥٧.

^٣ النسوي ١٤٧؛ ابن خلدون ٢٥٧/٥.

^٤ المغول التتر: فرع من الترك، وذكر النسابون ان احد ملوك الترك الاقدمين واسمه النجه خان قد انجب ولدين هما تتارخان ومغل خان لذلك تنسب سلالتهم الى ايهما فيقال التتار او المغول، د. طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية، طبعة بيروت، ١٩٧٦، ص ١٣١.

وصل التتر الى الري وقزوين في عام ٦١٧هـ/١٢٢٠م، فقتلوا الكثير من اهلها وسبوا، واحرقوا المساجد، الا انهم لم يقوموا بهذه الافعال مع اهالي همذان لأن رئيسها قدّم لهم الطاعة وحمل اليهم فدية فابقوا على اهلها^١.

اتجه التتر بعد ذلك الى اذربيجان وأران، لأن الفصل كان شتاء فأشدد البرد عليهم نتيجة لتساقط الثلوج الكثيرة، واخذوا -وهم في طريقهم يقتلون وينهبون ويخربون ويحرقون القرى والمدن حتى وصلوا اسوار تبريز-، وكان فيها اوزبك، الاتابك العاجز الضعيف^٢، فلم يخرج لمواجهةهم ومقاتلتهم، اذ كان يقضي ليلة ونهاره في معاقرة الشراب، وتصرف معهم تصرف الجبان، وان لم يخلوا من حكمه، فرضى ان يدفع لهم فدية كثيرة، فأنصرفوا عن تبريز ونجت هذه المرة من احوال افعالهم، وهكذا قبل اوزبك تبعيته للتتر، وهذا لم يكن شيئاً جديداً بالنسبة اليه، فقد سبق ان اعلن تبعيته للخوارزميين، وقدّم لهم الاموال العظيمة ودفع لهم اتاوة سنوية مقررة، وكل ما في الامر انه ابدل تبعيته بتبعية اخرى وان كانت الثانية اقصى من الاولى.

واتجه التتر الى ساحل بحر الخزر (قزوين) ليشتموا فيه، فهو قليل البرد وكثير المراعي، وكانوا قد مروا ببلاد الكرج، فجمع هؤلاء جيشاً مكوناً من (١٠) آلاف مقاتل، حاربوا به التتر، لكنهم هزموا وقتل اكثرهم، ولما ادركوا انه ليس بامكانهم دحرهم لوحدهم، حاولوا التحالف مع اوزبك ومع الملك الاشرف ابن الملك العادل الايوبي صاحب خلاط وديار الجزيرة، لمواجهة المغول وطردهم اذا ما انحسر الشتاء واتفقوا على ذلك، الا ان التتر -على ما يبدو- تنبهوا الى ما يحاك حولهم من دسائس فلم ينتظروا انتهاء الشتاء، بل توجهوا نحو بلاد الكرج وبذلك قطعوا الطريق امام هذا التحالف فلم يتم، واستعان التتر بمملوك تركي لاوزبك اسمه (اقوش)، اعلن انضمامه لهم وجمع جيشاً من التركمان ومن الكرد من اهالي هذه الجهات، ولعلّ سبب تعاونه معهم يعود الى طمعه في التملك، لادراكه ان التتر لا بد وان ينتصروا، علاوة على ذلك، رغبته في مساعدتهم على قتال الكرج الذين اذاقوا مسلمي اذربيجان الكثير من المآسي. سار اقوش في مقدمة التتر، واستولوا على بعض الحصون والمدن للكرج،

^١ ابن الاثير ١٢/٤٠٠.

^٢ ينظر: حبيب السير، مج ٣/٣٣، و اشار ياقوت الى ضعفه واهماله لبلاده في مادة ارمية، ٢١٩/١.

فخربوها وقتلوا الكثير من الاهالي ونهبوا اموالهم حتى اقتربوا من تغليس، وكان ذلك في اواخر عام ٦١٧هـ/اوائل عام ١٢٢١م^١. ان اشترك اقوش واصحابه من التركمان والكرد قد ساعد على انهاك الجيوش الكرجيه حيث مهد للتتر ابادتها فيما بعد. بقي التتر في بلاد الكرج حتى اوائل سنة ٦١٨هـ/١٢٢١م، فساروا منها ووصلوا تبريز للمرة الثانية، انتقاماً من اوزبك الذي تحالف مع الكرج والايوبية ضدهم، فأضطّر اوزبك ان يؤدي فدية كبيرة اخرى للتتر فتركوها الى مدينة مراغه في صفر من سنة ٦١٨هـ/ آذار ١٢٢١م^٢، وسبق ان تحدثنا عن الفظائع التي قاموا بها في المدينة في فصل الاحمديلية.

استمر التتر في التدمير فتوجهوا الى مدينة اردويل (اردبيل) فقاومهم اهلها واستطاعوا ردهم عنها مرتين، ثم عادوا اليها للمرة الثالثة فلم يتمكنوا هذه المرة من منعهم من الدخول اليها، فأستولوا عليها عنوةً، ووقعوا بالمسلمين ولم ينج منها احداً الا من اخفى نفسه عنهم، ولم يتركها التتر الا وقد خربوا اكثرها^٣. ثم عادوا الى مدينة تبريز للمرة الثالثة، ولكن الملك اوزبك تركها هذه المرة وقصد نخجوان وارسل اهلته ونسائه الى خوي، فتولى امر تبريز رجل شجاع هو شمس الدين الطغرائي، جمع كلمة اهلها، وقوى من معنوياتهم في التصدي للعدو، وحذّره من عاقبة التخاذل والتهاون، واصلحوا اسوار المدينة وخذقوها، ولما رأي التتر هذه التحصينات وامتناع اهلها، طلبوا منهم مالا وثياباً، فارسلوه لهم، عندئذ تركوا المدينة ورحلوا الى مدينة سراو فنهبوها وقتلوا كل من فيها، ومثل هذا فعلوا بمدينة بيلقان^٤. التي يبدو انها كانت آنذاك خاضعة لحكم اوزبك، لان ابن الاثير يذكرها ضمن حوادث اران واذربيجان، وينص على انها من ضمن بلاد اران^٥.

^١ ابن الاثير ٣٧٥/١٢، ٤٠٠؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (مخطوط مصور) و١٣٣؛ العسجد المسبوك، ٣٧٦/٢؛ حافظ احمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ١٣٤؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٠٢.

^٢ ابن الاثير ٣٧٧/١٢.

^٣ ابن الاثير ٣٨٢/٢؛ ياقوت، معجم البلدان ١٩٨/١.

^٤ ابن الاثير ٣٨٢/١٢؛ ابن خلدون ٤٥/٥؛ العسجد المسبوك ٣٨٥/٢-٣٨٦.

^٥ وذلك في حوادث سنة ٦١٨هـ، الكامل ٣٨٢/١٢؛ ابن خلدون ٢٤٥/٥، وكانت البيلقان من ارمينية، وهي قريبة من شيروان. ياقوت ٣٤٠/٢.

٤. علاقة اوزبك مع القفجاق:

التجأت طائفة القفجاق في سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م الى گنجه من بلاد أران عن طريق دربند شروان هرباً من المغول، وكان صاحب گنجه، مملوك لاوزبك يسمى (كوشخره)، منعهم من الدخول الى مدينته، فطلبوا منه الرحمة واعلنوا طاعتهم، فعاد وصالحهم وسمح لهم بالبقاء في المدينة وتزوج ابنة اقدمهم، وارسل كوشخره الى سيده: اوزبك بطاعتهم، فأمر لهم بالخلع على ان ينزلوا بجبل قريب من گنجه ففعلوا^١.

٥. علاقة اوزبك مع الكرج:

تحدثنا عن تعرض مدينة البيلقان في سنة ٦١٨هـ الى غزو التتر، ثم تعرضت في السنة التالية، في شهر رمضان، تشرين الاول ١٢٢٢م، الى هجوم آخر، ولكن هذه المرة من الكرج - وكان قد عاد اليها من سلم من اهلها على ايدي التتر - فأصابتها من الفواجع من قتل ونهب من قبل الكرج اكثر مما اصابها على يد التتر، ولعلهم فعلوا بها ذلك، لغضبهم من فشل تحالفهم مع اوزبك لرد التتر، وشجعهم على ذلك الضعف والعجز الذي اصاب اهلها وقلة عددهم بعد غزو التتر لهم، وكذلك ضعف اوزبك وتخاذله، وتركه شؤون الحكم الى زوجته ابنة السلطان طغرل الثاني، وكانت كل هذه الامور تجري واوزبك بمدينة تبريز لا يحرك ساكناً^٢.

ان توالي غارات التتر على أذربيجان شجع الكرج على ان يعاودوا مرة اخرى التعرض لها، فقد توجه جمع منهم في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، قادمين من تغليس، ولكنهم حين كانوا في مضيق جبلي انقض عليهم الاهالي من المسلمين وقتلوا الكثير منهم، وانهزم الباقون، ثم هياوا انفسهم من جديد للأخذ بثأرهم، غير ان وصول السلطان جلال الدين الى مراغه حال دون تحركهم، فأرسلوا الى اوزبك يعرضون عليه التحالف معه لصدد جلال الدين، فعاجلهم السلطان قبل حصول الاتفاق بينهم^٣.

٦. علاقة اوزبك مع عمادالدين زنكي وغيره من الامراء:

^١ ابن الاثير ٤٠٦/١٢-٤٠٩؛ ابن خلدون ٢٦٧/٥.

^٢ ابن الاثير ٤١١/١٢، ٤٣٣؛ العسجد المسبوك ٣٩٢/٢.

^٣ ابن الاثير ٤٣١/١٢؛ ابن خلدون ٢٦٨-٢٦٩.

على الرغم من ان اوزبك بقي خامداً لا نشاط له، فإنه لم يخلو من نفوذ وسلطة - على ما يبدو-، فقد التجأ اليه عدد من الامراء فأواهم وحماهم، ومن بينهم عمادالدين زنكي بن ارسلاه شاه الذي عاد من قلعته (الشوش)^١، بعد خلافه مع بدرالدين لؤلؤ صاحب الموصل، وذلك في رمضان من عام ٦١٩هـ/تشرين الاول ١٢٢٢م، فحماء اوزبك ومنحه الاقطاعات واقام عنده مدة طويلة، ويلاحظ ان عمادالدين لم يلجأ الى حميه مظفرالدين كوكبرى -صاحب اربل- لان العلاقات كانت -في هذه الحقبة- متوترة بينهما^٢. وكان الملك اوزبك قد ارسل قاضي تبريز رسولا الى اربل فوصلها في ١٧ رمضان سنة ٦١٩هـ/اواخر تشرين الاول ١٢٢٢م، ثم توجه منها الى بغداد^٣. ولم يذكر ابن المستوفي الذي اورد الرواية، المهمة التي اوكل بها هذا الرسول ولا النتيجة التي توصل اليها من هذه السفارة، ولعل ذلك يتعلق بالتجاء عمادالدين زنكي الى اوزبك وسوء علاقته بكوكبرى.

ومن بين الامراء الذين التجأوا الى اوزبك الامير (ايدمر الشامي)، بعدما شق عصا الطاعة عن خوارزمشاه جلالالدين، ولكنه نال حتفه في اذربيجان اثناء التجائه، والتجأ اليه ايضا الامير برکه خان وهو ابن دولة ملك الذي قتل من قبل التتر اثناء حربه معهم، فاشار ابوه -قبل ان يسلم الروح- ان يلتجأ الى ملك تبريز، فسار اليه -وكان مايزال طفلاً- وقام اوزبك في تربيته مقام ابيه، وبقي عنده الى ان عاد السلطان جلالالدين في العام التالي ٦٢١هـ واحتل تبريز^٤.

^١ قلعة الشوش: وهي قلعة حصينة تقع على جبل عال، تبعد اثني عشر فرسخاً (حوالي ٧٢ كم) من الموصل (ابن الاثير، الكامل ٣٥٠/٩)، وتقع غربي عقرة على يمين طريق عقرة-دهوك، يقول ياقوت الحموي عنها: ((قلعة عظيمة عالية جداً.. هي اعلى من العقر (اي العقرة) واكبر منها ولكنها في القدر دونها))، معجم البلدان ٣/٣٧٢.

التعريف هذا هو نقلاً من كتاب: القبائل والزعامات القبلية في العصر الوسيط، للدكتور زرار صديق توفيق، اصدار مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، اربيل، ٢٠٠٧م، ص ٨٦.

^٢ ابن الاثير ٤١١/١٢؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (مخطوط مصور) ق ١١٤٩/٢؛ مفرج الكروبي، ١١٥/٤؛ رشيدالدين فضل الله الهمداني، جامع التواريخ (بالفارسية) جلد ١، ص ٣٩٧؛ د. محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي، ص ١٢٣.

^٣ ابن المستوفي، تاريخ اربل، تحقيق سامي بن السيد خماس الصقار، بيروت ١٩٨٠، ق ١، ص ٣٠٢.

^٤ النسوي ١٤٧، ١٤٩؛ ابن خلدون ٥/٢٥٧.

ساعات العلاقات بين الملك اوزبك والاتابك سعد بن زنگي -صاحب فارس- في سنة ٦٢٠هـ/١٢٢٣م، فقد اغار على شيراز الملك اوزبك ومعه مقدم جيشه گوگچه^١، وفتكا بأهل المدينة، مما اضطر الاتابك سعد الى ان يخوض غمار الحرب، لينقذ امارته من الخطر الذي كان يهددها^٢. لم يذكر المصدر الذي اورد الرواية السبب الذي دعا اوزبك وگوگچه الى شن هذه الغارة على شيراز.

ويبدو ان اوزبك كان في حوزته بعض الحصن النائية في اذربيجان في اواخر حكمه، ولكنه لم يعد باستطاعته ان يستمر في السيطرة عليها، فيتنازل عنها الى بعض الحكام المتحالفين معه، فقد سلم، حصن شميران الى الملك الاشرف -صاحب خلاط- سنة ٦٢١هـ وقبل مجئ جلال الدين خوارزمشاه الى اذربيجان^٣.

عودة التتر الى اذربيجان:

عادت طائفة اخرى من التتر -هذه المرة من منغوليا- الى اذربيجان في سنة ٦٢١هـ/١٢٢٤م، وهي المرة الثالثة التي يعود فيها التتر الى الاقليم، وقبل وصولهم اليه، قاتلوا جيشاً خوارزمياً كان معسكراً في الري وقتلوا منهم عدداً كبيراً وانهزم الباقون الى اطراف اذربيجان، ولكن التتر تعقبوهم، فنالوا منهم مرة اخرى، ففروا حتى وصلت طائفة منهم الى تبريز وتفرق الآخرون، فعسكر التتر قريباً منها وطلبوا من اوزبك تسليم الخوارزمية الفارين اليهم، والا سيهاجمونه، فلبى طلبهم، وقتل بعضهم واسر البعض الاخر وارسلهم الى التتر مع هدايا واموال كثيرة، فعادوا عنه، وهذه هي المرة الثالثة التي يتحاشى فيها اوزبك التتر وينقذ تبريز من الهدم والتخريب، وهي المدينة الوحيدة التي سلمت منهم.

^١ جاء اسمه "كلچه" سهواً في وصاف الحضرة، ص ١٥٢.

^٢ وصاف الحضرة: تاريخ وصاف او تجربة الامصار وتزجيه الاعصار، در احوال سلاطين مغول، (بالفارسية)، طهران، كتابخانه ابن سينا، ١٣٣٨هـ، ص ١٥٢.

^٣ يقع حصن شميران، شمال خوى في الولاية المعروفة الآن بـ(جورس) وزار مينورسكي اطلال الحصن في سنة ١٩٠٥، ينظر:

Minorsky, Studies in Caucasian History, P. ١٥١, Note ٢.

اصبح مجرد نطق اسم التتر يثير الرعب في نفوس المسلمين، فتخاذلوا امامهم، ويدل على هذا الرعب والتخاذل، ان عدد هؤلاء التتر الذين تعقبوا الخوارزمية -كما يقول ابن الاثير- لم يكن يتجاوز الـ(٣) آلاف، بينما عدد الخوارزمية الفارين كانوا نحو (٦) آلاف رجل. اما اوزبك فكان رجاله اضعاف اضعافهم ومع ذلك لم يتجرأوا على الوقوف امام التتر ومقاومتهم^١.

خوارزم شاه منكبني ونهاية دولة بني ايلدگز على يديه:

استغل السلطان جلال الدين منكبني خلو بلاد أذربيجان من التتر فتوجه اليها في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، وذلك لتحقيق اطماعه في توسيع مناطق نفوذه، ولما وصل خبر نزول جلال الدين مراغه واقامته فيها، مسامع اوزبك، ترك تبريز وتوجه الى كنجه -في اقصى شمال أذربيجان- خوفاً منه، وارسل السلطان افراد جيشه الى تبريز ليتسوقوا منها، وارسل اليها كذلك -شحنة ليمنع الجند من التعدي على الناس.

وكان اوزبك قد ارسل الى السلطان يستعطفه ويعرض عليه ان تكون الخطبة والسكة باسم السلطان، وان يرسل الاتابك -على عجل- قدراً من المال الى الخزنة السلطانية، شرط عدم تعرضه لأذربيجان، فلم يقبل السلطان بهذا العرض واصر على امتلاكها، لذلك زحف على تبريز وحاصرها، فقاومه سكانها وقتلوا قتلاً شديداً، ولكنهم عندما ايقنوا ان لافائدة في المقاومة، استسلموا واعلنوا طاعتهم له، وطلبوا منه الامان، لانهم كانوا يخشون اين ينتقم منهم، ولاسيما ان اوزبك كان قد قتل قسماً من الخوارزميين وسلم الباقي الى التتر الكفار فقتلوه -وقد ذكرنا هذه الحادثة التي جرت سنة ٦٢١هـ-، ولما ذكرهم السلطان بهذا الفعل، اعتذروا وبيّنوا انهم لم يقوموا به، بل قام به اوزبك، فقبل عذرهم وأمنهم، وطلبوا منه منح زوجة اوزبك الامان وهي بنت السلطان طغرل الثاني والسماح لها امتلاك (خوى) والاقامة فيها، فأجابهم الى ماطلبوا وارسلها الى خوى. وهكذا استولى على تبريز في ١٧ رجب من سنة ٦٢٢هـ/٢٥

^١ ابن الاثير ٤١٩/١٢-٤٢٠؛ العسجد المسبوك ٣٩٨-٣٩٩؛ الذهبي، تأريخ الاسلام، (مخطوطة مصورة)، و٥٧٥؛ ابن الاثير، البداية والنهاية ١٠٣/١٣؛ ابن خلدون ٢٦٦/٥.

^٢ النسوي ٢٠٨.

تموز ١٢٢٥م، وبعث رسولاً الى ملك الروم وملوك الشام ومعه الكتب لهم يخبرهم فيها تملكه لبلاد اذربيجان.

اتبع السلطان جلال الدين منگبرنى سياسة التسامح -الى ابعد حد- مع اهالي مراغه وتبريز وادجان وغيرها من مدن اذربيجان، ونشر العدل بين السكان وعمّر مراغه بعد خرابها، واصلح ما خرب من مدينة تبريز، على الرغم من انهم ناصروا المغول على الخوارزميين اثناء محنتهم، لذلك سر اهالي تبريز، اذ وجدوا في شخص جلال الدين رجلاً شجاعاً كريماً مسامحاً، لاسيما عندما توجه لمقاتلة الكرج وهياً حملة الى تفليس، وكذلك اوقع العقاب الصارم بقطاع الطرق من الاتراك الايوبيية. ومما يدل على سياسة التسامح هذه ما قاله جلال الدين لاهالي تبريز: ((قد رأيت ما فعلت بمراغه من الاحسان والعمارة، بعد ان كانت خراباً، وسترون كيف اصنع معكم من العدل فيكم وعمارة بلادكم)).^١

ان هذه المعاملة معهم، تختلف عن تلك المعاملة التي سار عليها في بلاد الكرج من قتل وتدمير، لان الكرج قد استغلوا المحن التي حلت بأذربيجان وأران نتيجة للغزو المغولي، فاذاقوا سكانها سوء العذاب ونهبوا ما بقي من خيرات هذه البلاد وخربوا القرى والمدن وقتلوا وسبوا كثيراً.^٢

ويلاحظ ان السلطان منگبرنى عندما ذكر خطيب جامع تبريز في خطبة صلاة الجمعة اسم الخليفة العباسي ودعا له، قام من مكانه، ولم يزل واقفاً حتى فرغ الدعاء عندئذ جلس في مكانه.^٣ ويدل هذا على ما لامير المؤمنين من حرمة وتبجيل. وان السلطان مازال يحكم بأسمه ويقدم الطاعة له. وما يجدر ذكره هنا ان السلطان كان قد صالح الخليفة الناصر لدين الله في تلك السنة -اي سنة ٦٢٢هـ- لينصرف عن الخلافة -ولو الى حين- كي يتوجه لتوسيع نفوذه على حساب القرى المجاورة له في اذربيجان وبلاد الكرج.^٤

^١ ابن الاثير ٤٣٤/٢٣.

^٢ ابن الاثير ٤٣٤/١٢؛ النسوي ١٩٤-١٩٦؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (مخطط مصور) ق٢/١٥٨ب، المسجد المسبوك ٤٠٢/٢-٤٠٤.

^٣ ابن الاثير ٤٣٤/١٢.

^٤ د. نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، ١١١.

سار جلال الدين منگبرنى من تبريز بجيوشه لمقاتلة الكُرج والانتقام منهم بما فعلوه بالمسلمين، وبعد ان عبرت جيوشه نهر الرس، التقت بجيش الكُرج، وتمكن جند السلطان من قتل حوالي (٤) آلاف كرجى، وبعدها استولى على مدينة دوين - وكان الكُرج قد اخذوها من المسلمين - ثم توجه الى بلاد الكُرج، فقتل منهم - حسب رواية ابن الاثير - (٢٠) ألفاً او اكثر^١ واسر صاحب الكُرج واخذ الى السلطان، ولكنه لم يستعجل في قتله^٢.

واثناء ماكان السلطان في بلاد الكُرج وصله خبر من وزيره شرف الملك بأن شمس الدين الطغراني - وهو المقدم^٣ على كل من في بلدة تبريز - وابن اخيه الرئيس نظام الدين قد اعلنا عصيانهما عليه وتأمرنا على الفتك به، وانهما قد دبّرا مكيدة في تبريز لعودة اوزبك اليها، واخفى السلطان الخبر على قواده وجنده كيلا يؤثر على معنوياتهم في القتال، ولم يعد الى تبريز الا بعد انتهاء المعركة، فلما وصلها، امر بقتل الرئيس نظام الدين بعد ان طوّف به في ارجاء تبريز، وسجن شمس الدين واصحابهما، الا ان الطغراني تمكن من الهرب والتجأ الى اوزبك في كنجه، ثم ارسل السلطان جيشاً اليها فتركها اوزبك وتحصن في قلعة النجق التابعة الى نخجوان^٤.

اورد (ابن الاثير) رواية المؤامرة بتفاصيلها مما يوحي انها قد حصلت فعلاً، ولكن النسوي يقول: انها كانت محظ افتراء وبهتان من قبل الوزير شرف الملك، لانه ونوابه كانوا يحاولون ابعاد الرئيس نظام الدين والمقدم شمس الدين عن تبريز تخلصاً منهما وطمعاً في زيادة سيطرتهم وسطوتهم وصلاحياتهم، واشاد النسوي كثيراً بالطغراني مادحاً انصافه ودفاعه عن رعيته وعدم التجاوز عليهم، وكان الطغراني قد حج سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م، فأقسم باغلظ الايمان امام الحاج واميرهم، انه برئ مما اتهم

^١ الكامل ٤٣٥/١٢؛ النسوي ١٩٧-٢٠٠.

^٢ النسوي ٢٠٠.

^٣ المقدم: يأتي هنا بمعنى الرئيس او كبير القوم، ويطلق ايضاً على رؤساء طوائف الجند (اي بمعنى القائد): صبح الاعشى ٢٥٤/٩؛ د. حسن الباشا، اللقب الاسلامية، ص ٤٨٧.

^٤ ابن الاثير ٤٣٦-٤٣٧؛ النسوي ٢٠١-٢٠٣؛ العسجد المسبوك ٤٠٦/٢؛ ابن خلدون ٢٧١/٥.

به، فوصلت اخباره الى السلطان منگبرنى، فعفا عنه وسمح له بالاقامة في تبريز وامر
اعادة املاكه اليه، بعد ان صودرت^١.

ان رواية النسوي اقرب الى الصحة من رواية ابن الاثير، لان النسوي كان ملازماً
للسلطان، وقت انشاءه، فعاش هذه الاحداث وشاهدها، في حين اعتمد ابن الاثير على
السماع فقط.

وجّه السلطان منگبرنى -بعدما استقام له الامر في تبريز- ضربة قوية الى الاتابك
اوزبك قصمت ظهره وأودت بحياته، ذلك انه عمل الى ان يسقط زواج ابنة طغرل الثاني
من زوجها اوزبك، فقد اوجد زبانيته الاسانيد الشرعية بوقوع الطلاق، لان اوزبك سبق
وان حلف ان لا يقتل مملوكاً مسمى بأسمه، وصادف ان قتله، فحكم قاضي تبريز
الفقيه عزالدين القزوينى بحلها للنكاح، فتوجّه السلطان الى خوى وتزوجها، ثم وسع
من ممتلكاتها، و اضاف اليها -علاوة على خوى- مدينتي سلّماس وأورمية بأعمالهما.
وصل الى اوزبك -وكان في قلعة النجق- خبر زواج امراته من السلطان منگبرنى،
فسأل هل انها تزوجته على كره منها ام برغبتها، فأخبروه برغبتها، وانها هي التي
عرضت عليه الزواج منها، وقد خلعت على شهود الطلاق وانعمت عليهم، فلما سمع
ذلك اصابته حمى، مات بعدها ببضعة ايام كمداً وحرناً، وذلك في عام ٦٢٢هـ/١٢٢٥م^٢.
وبه انتهى حكم الاتابكية من نسل ايلدگزن، بعد ان استمر حكمهم زهاء تسعين سنة
(٥٣١-٦٢٢هـ/١١٣٦-١٢٢٥م)، وانتقلت ممتلكاتهم الى الخوارزمية.

موقف المؤرخين من اوزبك:

^١ النسوي ٢٠١-٢٠٤.

^٢ ابن الاثير ٤٣٧/١٢؛ ابن النسوي ٢٠٧؛ الجويني، جهانگشاي (بالفارسية) ١٥٧/١-١٥٨؛ تأريخ
گزیده (بالفارسية) ٤٧١؛ ابو الفداء، المختصر ١٣٥/٣؛ ابن خلدون ١٨٧/٥، ٢٧١، ٢٧٩؛ ميرخواند،
روضة الصفا (بالفارسية) ٥٥٩/٣، وينظر حول تأريخ وفاة منگبرنى: بارتولد، تركستان من الفتح
العربي الى الغزو المغولي، ص ٦٠٣.

يقسو المؤرخون كثيراً على اوزبك ويحملونه اموراً فوق طاقته وامكانيته متناسين الظروف التي مرت به والقوى الكبيرة التي ظهرت في اواخر أيامه، فأبن الاثير كثيراً ما يخرج عن رزائة احكامه التي اشرت عنه، فيتهم اوزبك -بعد ان غزا التتر اردبيل سنة ٦١٨هـ، وفراره من تبريز وتركها تحت رحمة التتر- انه ((كان اميراً متخلفاً، لا يزال منهمكاً في الخمر ليلاً ونهاراً يبقى الشهر والشهرين لا يظهر، واذا سمع هيلة^١ طار مجفلاً لها، وله جميع اذربيجان واران، وهو اعجز خلق الله عن حفظ البلاد من عدو يريدتها ويقصدها))^٢. وبعد ان يذكر مافعله الكرج من قتل ونهب في اهالي مدينة البيلقان، يعرج على اوزبك فيذمه ويتهمه بالتقصير والتخاذل، فيقول: ((هذا جميعه يجري، وصاحب بلاد اذربيجان اوزبك بن الپهلوان بمدينة تبريز، ولا يتحرك في صلاح، ولا يتجه لخير بل قد قنع بالاكل وادمان الشرب والفساد، فقبحه الله، ويسر للمسلمين من يقوم بنصرهم وحفظ بلادهم بمحمد وآله))^٣، وبعد ان عدد ابن الاثير ما فعله الكرج سنة ٦٢٢هـ في بلاد الاسلام من سفك دماء ونهب اموال، والمسلمون تحت الذل والخزي، يقول عن اوزبك: ((فكنا كلما سمعنا بشيئ من ذلك سألنا الله تعالى، نحن والمسلمون، في ان ييسر للاسلام والمسلمين من يحميهم وينصرهم، ويأخذ بثأرهم، فإن (اوزبك)، صاحب اذربيجان، منعكف على شهوة بطنه وفرجه، لا يفيق من سكره، وان آفاق فهو مشغول بالقمار البيض^٤. وهذا ما لم يسمع مثله ان احداً من الملوك فعله، لا يهتدى لمصلحة، ولا يغضب لنفسه بحيث ان بلاده مأخوذة، وعساكره طماعة، ورعيته قد قهرها، وقد كان كل من اراد ان يجمع جمعاً ويتغلب على بعض البلاد فعل...))^٥. واتهمه ياقوت الحموي ايضاً بالضعف والعجز وعدم اهتمامه برعيته واهماله للبلاد^٦.

^١ هيلة: الصوت تفزع منه وتخافه من عدو. المنجد، ٨٨١.

^٢ الكامل ٣٨٢/١٢.

^٣ الكامل ٤١١/١٢.

^٤ القمار البيض: كناية عن الجواري ذوات الوجوه التي تشبه الاقمار في استدارتها وفي بياضها، وسميت بالبيض لان الاقمار تنير الليالي السوداء وتحيلها الى بياض. الفيومي: المصباح المنير ٩٥١/١.

^٥ الكامل ٤٣٥/١٢.

^٦ معجم البلدان، مادة اُرمية، ٢١٩/١.

لقد شاهدنا اوزبك في بداية عهده يقوم بحروب عدة، ففي سنة ٥٩٤هـ قامت الحروب بينه وبين مياجق -نائب خوارزمشاه على الري-، واستولى اوزبك على زنجان، واستولى ايضاً على شيراز سنة ٦٠٠هـ، وكذلك انتصر اوزبك وجيش الخلافة على منگلى، واحتل اوزبك ايضاً اصفهان في سنة ٦١٤هـ، ولكنه اظهر التخاذل والجبن في اواخر ايامه وقبل بتبعيته للغزاة كالكُرج والخوارزمية والمغول، لان عساكره لم تكن تكفي لمواجهة الهجمات القوية للكُرج الذين كانوا حينذاك في اشد قوتهم، وكذلك فأن اوزبك لم تكن له الامكانيات العسكرية للوقوف بوجه محارب عظيم كسلطان خوارزم جلال الدين منگبرنى، او لمحاربة اعدائه كالمغول الذين توجهوا كالسيل الجارف يجتاحون المدن والقرى في زحفهم غرباً، فيدمرون ويخربون ويقتلون، فلم يكن باستطاعة اوزبك ولا غيره من السلاطين والحكام الاقوى منه كجلال الدين منگبرنى، الوقوف بوجههم. ولا يمكن ان ننكر الضعف والوهن الذي اصاب اوزبك في اواخر عهده، لكنه كان نتيجة للاوضاع التي سادت اذربيجان وارآن ولكثرة غارات هذه القوى المتعددة عليها.

الخوارزمية في اذربيجان بعد وفاة اوزبك:

عاد السلطان جلال الدين منگبرنى -بعدما استقر له الامر في اذربيجان- الى بلاد الكُرج في نهاية عام ٦٢٢هـ/ نهاية ١٢٢٥م، كي ينتقم منهم على ما فعلوه بأهالي اذربيجان، واستطاع في ربيع الاول من عام ٦٢٣هـ/ آذار ١٢٢٦م، من امتلاك تفليس حاضرة بلاد الكُرج^١.

واستغل التركمان الايوبيية وانشغال منگبرنى بحرب الكُرج، فأستولوا سنة ٦٢٣هـ على مدينتي أشنو وأرمية، واخذوا الخراج من اهل خوى، وقطعوا الطرق واستولوا على اموال التجار، فأستنجدت بنت السلطان طغرل بزوجه السلطان جلال الدين، واستنجد به كذلك نوابه، لانقاذهم، فأسرع بالتوجه اليهم، ووقع بهم وقتل الكثير منهم ثم رجع الى تبريز^٢.

^١ ابن الاثير ٤٥١/١٢-٤٥٢.

^٢ ابن الاثير ٤٦٣/١٢؛ ابن خلدون ٢٧٦/٥.

اهمل السلطان جلال الدين زوجته الجديدة بنت السلطان طغرل ولم يلتفت اليها^١، وكانت تملك خوى وأورمية وسلماس، فخافت منه، وكذلك اخذ شرف الملك، وزير السلطان جلال الدين يضيق الخناق عليها، وراسل السلطان بأنها تخرض الاتابكة للاستيلاء على ممتلكات السلطان، كذلك استولى شرف الملك على خزائن واماوال الملكة بنت طغرل في خوي، لذلك كله استدعت حسام الدين علي بن حماد^٢ الحاجب - نائب الملك الاشرف الايوبي بخلاط والمقدم على عساكرها - ليحررها مقابل تسليمه ما تملكه من القلاع والبقاع. اما اهالي خوى فقد استدعوه لتخليصهم من ظلم وتعدي الخوارزمية وما سمعوه من حسن سيرة الحاجب، فقصده اذربيجان عام ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، واستولى على خوى وما جاورها من الحصون وعلى مرند ونخجوان، ولم يبق في هذه المدن، وعاد الى خلاط بعد ان استصحب معه زوجة جلال الدين لخوفها من السلطان لوبقيت في خوى^٣.

اما "الملكة الجلالية" بنت الاتابك جهان پهلوان، والتي كانت قد تزوجت من غياث الدين اخو السلطان جلال الدين سنة ٦٢٠هـ، فكانت ماتزال تحكم نخجوان واعمالها في سنة ٦٢٤هـ، وكانت قد ربّت مملوكاً لوالدها اسمه: ايطغمش^٤، ولكنه تنكر لها وانضم الى الوزير شرف الملك، واخذ يحرضه على انتزاع نخجوان من الملكة، وكان يرمي من ذلك ان يتملك المدينة بدلا منها، وسار الوزير بجيشه فحاصر المدينة، ولكن اهاليها دافعوا عنها وصدّوا الهجوم، وارسلت الملكة الى الوزير تعاتبه على عمله وانه لم تكن هناك حاجة الى احتلال المدينة، مادامت ترسل اليه من الاموال ضعف ما تغله

^١ ادت بنت طغرل زوجة جلال الدين فريضة الحج سنة ٦٢٥هـ، وانفقت اموالاً كثيرة ووصفت آنذاك بأنها امرأة كبيرة السن، واقامت عند الخليفة العباسي بعد رجوعها من الحج. الحموي، التأريخ المنصورى، موسكو، ١٩٦٠، ١٨١.

^٢ عند ابن خلدون ٧٦٦/٥، "حسام الدين ابو علي الموصلي".

^٣ ابن الاثير ٤٧١/١٢؛ مراة الزمان، ج ٨، ق ٢٥٢/٢؛ النسوي ٢٥٨-٢٦٠؛ الذهبي، تاريخ الاسلام و٣٣٧؛ ابن العميد، اخبار الايوبيين، تحقيق كلود كاهن، طبعة باريس، ١٩٥٥، ص ١٣٧؛ ابن خلدون ٧٦٦، ٢٧٩/٥.

^٤ ايدغمش عند ابن خلدون ٢٨٣/٥.

المدينة واعمالها من حاصلات، فأقتنع بذلك وانصرف^١. وكان الحاجب حسام الدين علي نائب الملك الاشرف قد توجه بجيوش الشام الى نخچوان في العام نفسه اي عام ٦٢٤هـ باستدعاء من اهلها لانقاذهم من الوزير شرف الملك، فسلمت المدينة الى الحاجب^٢ الا انه تركها بعد ذلك، ولم يشر (النسوي) الى مصير الملكة، ولكن يبدو انها استمرت في حكم نخچوان، لانه عندما تزوجها السلطان جلال الدين في سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٩م، كانت مازال في المدينة.

الملك خاموش بن اوزبك:

لم يخلف الاتابك اوزبك الا الملك خاموش، ويعني: (الهامد الخامد، الصامت)، سمي كذلك لانه ولد اصم ابكم لا يفهم ولا يستفهم منه الا بالاشارات، وكان والده قد زوجه من الاميرة الاحمديلية (سلافة خاتون) حفيدة علاء الدين كُريه، صاحب مراغه، وسماه (الراوندي) بد(طغرل) وانه ولد في بداية سنة ٥٩٤هـ^٣، غير ان النسوي اطلق عليه اسم "قزل ارسلان"^٤.

ويبدو ان سلافة خاتون قد طلقت من خاموش قبل سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، لانه عندما طال حصار شرف الملك -وزير جلال الدين- لروين دز-، في سنة ٦٢٤هـ، - وكانت تقيم فيها-، عرضت عليه الزواج منه ثمناً لانهاء الحصار، الا انها تزوجت من السلطان جلال الدين^٥.

وعندما استولى خوارزم شاه على ممتلكات خاموش، توجه هذا الى گنجه معلناً طاعته له، واهداه تحفاً من بينها حاصة (حزام) ملك الفرس كيكافوس، التي تحتوي على جواهر عدة لاتقدر بثمن، ومنها قطعة طولانية بقدر كف اليد، نقش عليها اسم كيكافوس، وكان خوارزم شاه يشدها في ايام الاعياد، الى ان استولى التتار على آمد (دياربكر الحالية) فانتزعوها منه، وارسلوها الى جنغيرخان، واثناء اقامة خاموش لدى

^١ النسوي ٢٦٨-١٦٩؛ ابن خلدون ٢٨٣/٥.

^٢ النسوي ٢٧٢.

^٣ راحة الصدور ص ٥٤٥.

^٤ سيرة السلطان جلال الدين منگيرتي ٢٧٩.

^٥ ينظر: فصل الاحمديلية، ص ١٧٠؛ والنسوي ٢٦٤؛ ابن خلدون ٢٨٥/٥.

خوارزم شاه، اهمله هذا، فساعت حاله فتركه وتوجه الى حصن الموت، من قلاع الاسماعيلية^١.

وتوفي الملك خاموش في القلعة سنة ٦٢٨هـ، بعد شهر واحد من توجهه اليها^٢، ويذكر الجويني ابناً لخاموش اسمه الاتابك نصره الدين كان مختبئاً عند الروم، ولكنه حصل حوالي عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م على براءة من (كيوك خان) حفيد جنكيزخان بولاية تبريز واذريجان^٣.

محاولات بقايا ممالك اتابكة بني ايلدگز لحياء دولتهم:

فقد "الممالك الاتابكية" الكثير من نفوذهم وسلطاتهم، بسيطرة السلطان جلال الدين -الشخصية القوية- على اذربيجان، لاسيما بعد ان قضى على دولة اتابكية ايلدگز، فأرادوا استعادة نفوذهم وحياء دولتهم، وقاموا بمحاولات عدة لأضعاف مركز جلال الدين ومحاربة المتعاونين معه، فأقامت طائفة من الممالك الاتابكية في مرج خوى، مستغلين ابتعاد جلال الدين في محاربة الكرج، فلما رجع منهم سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، الى خوى توجه منها اليهم وداهمهم فطلبوا منه الامان وانضموا الى خدمته^٤.

وقاموا بمحاولة اخرى في سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٨م، فاستغلوا هذه المرة هزيمة منگبرنى على يد التتار في هذا العام ورحيله الى العراق، فأجتمع اعيان الممالك الاتابكية في ضواحي تبريز واتفقوا على مؤازرة بعضهم البعض واخراج ابن الملك خاموش^٥ -ويحتمل ان يكون نصره الدين- من قلعة قوطور (القريبة من تبريز)، وهو

^١ الصفدي، الوافي بالوفيات، باعتناء محمد الحجري، فيسبادن، ١٩٨٤، ج ١٣/٢٨٦.

^٢ النسوي ٢٢٤؛ الصفدي، الوفيات بالوفيات، (مخطوطة مصورة)، ج ٨، و ١٠؛ الذهبي، تأريخ الاسلام، (مخطوطة مصورة) و ٣٣٧.

^٣ جهانگشاي ٢/٢٤٨؛ مينورسكي، دائرة المعارف الاسلامية، طبعة ١٩٦٩، مادة الاحمديلية ٢/٤٠٢. جنكيزخان، كان اسمه تيموجين، غيره احد كهنة المغول سنة ٦٠٢هـ ١٢٠٥م، الى جنكيزخان وتعني في لغة التورانيين: ملك الملوك، د. طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية، طبعة بيروت، ١٩٧٦، ص ١٥٦.

^٤ النسوي ٢١٨.

^٥ كذا عند النسوي، ولكن ابن خلدون لم يذكر كلمة "ولد" قبل: الملك خاموش وهذه واحدة من اخطاء الناسخ ٥/٢٨٢.

المعوق، كي يتخذوا منه وسيلة لاعادة سيطرتهم. وعندما سمع السلطان جلال الدين بذلك -وكان في همذان- ارسل اليهم وزيره شرف الملك واعطاه صلاحيات واسعة بالتصرف معهم، فالتقى جيشه بحشد كبير من اتباع المماليك بين دهخوارقان وتبريز، انتهى بهزيمة المماليك واسر اعيانهم، ثم صلب الوزير اثنين منهم، لانهما حارباً السلطان اثناء انشغاله بقتال التتر الكفار^١.

يبدو هنا واضحاً تهجم النسوي -الذي أورد الرواية- على الاتابكة والذين يشقون عصا الطاعة على ولي نعمته السلطان جلال الدين وانحياز له، فقد وصفهم بـ((طلاب الفتنة الذين انتشر جرادهم وكثر عيثهم وفسادهم))، ووصف اعيانهم بـ((رؤس الغوغاء)) وغيرها من الاوصاف والاتهامات^٢.

ويبدو -ايضاً- من هذه الرواية، ان ابن الملك خاموش كان سجيناً في سنة ٦٢٥هـ، ولكن النسوي لم يبين لنا ما سبب اعتقاله في القلعة ومن هو الذي اعتقله، ثم لماذا لم يحاول المماليك الاتابكة من إعادة الملك خاموش نفسه الى الملك، مع انه كان مايزال حياً في ذلك العام، ان توفي في عام ٦٢٨هـ^٣، بدلاً من محاولة اخراج ولده من سجنه في القلعة؟

وجرت محاولة ثالثة لاهياء الدولة الاتابكية، قام بها هذه المرة (بُغدى) مملوك الاتابك اوزبك، الذي سبق وان ذكرنا انه خرج على سيده اوزبك سنة ٦٢٠هـ، ونهب البلاد، عندما علم بُغدى بتغلغل الحاجب حسام الدين علي نائب الملك الاشرف بجيوش الشام الى اذربيجان وخلوها من الخوارزمية سنة ٦٢٤هـ -وكان بُغدى في الشام- رحل منها وتوجه الى اذربيجان، املاً في إعادة الدولة الاتابكية الى الوجود، الا ان الحاجب تصدى له، فهرب من امامه، وارسل بُغدى يخبر الملك الاشرف انه مملوكه ويقدم له ولاءه وطاعته، حينئذ رجع الحاجب، ودخل بُغدى الى مدينة قريبة من تبريز، وأخذ يجمع حوله الانصار ويدعو الى اخراج ابن الملك خاموش من قلعة قوطور وتنصيبه ملكاً. ثم توجه بُغدى الى الملك نصره الدين محمد بن بشتكين -صاحب اهر و وراوي-

^١ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، ٢٥٥-٢٥٦؛ ابن خلدون ٢٨٢/٥.

^٢ النسوي، ٢٥٦.

^٣ الصفدي، الوافي بالوفيات، مخطوطة مصورة، ج ٨/و ١٠ب.

يطلب منه مساعدته، فكتب هذا الى الوزير شرف الملك، يخبره بأحوال بُغدى وما ينويه، فأجابه الوزير ان يدعو بُغدى الى طاعته، وهو يضمن له مقابل ذلك مايريده. اتخذ الوزير هذا الموقف المتسامح من بغدى، بسبب ضعف مركز الوزير بعد ان وصلتته الاخبار بانهزام السلطان جلال الدين امام التتر، سنة ٦٢٥هـ، واختفاء اخباره، وأراد ايضاً ان يكسب بُغدى الى جانبه لاجراء بقايا جيوش الحاجب علي الاشرقي التي كانت بأمره نائبه من أذربيجان. ولذلك توسط نصرة الدين بين بُغدى والوزير، انتهى بالاتفاق على اقطاع ارمية بأعمالها الى بُغدى، وان لا يُمكن الوزير احداً من الخوارزمية من مطالبة بغدى بدماء قتلاهم- وكان قد قتل عدداً كبيراً منهم بُغضاً للسلطان مقابل ذلك يقدم بُغدى طاعته للوزير ويكون معه^١.

وظهرت محاولة رابعة قام بها مملوك آخر من ممالك الاتابك أوزبك لاستعادة نفوذه الذي فقده بظهور التتر والخوارزمية، فحاول الاستيلاء على بعض القلاع، مستغلاً انشغال السلطان بمحاربة التتر، والمملوك هو: عزالدين بلبان الخلخالي، الذي استولى على خلخال وقلاعها القريبة منها كقلعتي بك وفيروزآباد. واصبح عزالدين قاطع طريق ينهب على طريق العراق وأذربيجان، ولكن لما فرغ السلطان جلال الدين من حربه مع التتر سنة ٦٢٥هـ، توجه اليه وحاصره بقلعة فيروزآباد الى ان طلب الامان والعفو، فعفا عنه السلطان وأستلم منه قلعتي بك وفيروزآباد، وسلمهما الى بعض مشايخ الترك من اعوانه ومماليكه، ألا ان عزالدين التجأ الى خلاط، فأمدده الحاجب بعدد من الرجال ليثير الفتنة، غير انه لم يتمكن من ذلك، فأخذ يقطع الطريق على السابلة بجبال زنجان، وأعطاه السلطان الامان هذه المرة ايضاً، وعندما نزل قتله الوزير شرف الملك^٢. وهكذا تم القضاء على آخر مملوك متمرد من الممالك الاتابكة، وبموته انتهت آخر محاولاتهم لاستعادة نفوذهم الذي ذهب الى غير رجعة.

ومما يجدر ذكره هنا قبل ان ننهي هذا الفصل من تأريخ بني ايلدگز، ان السلطان جلال الدين بعد ان انهى أمره مع الكُرج وهزمهم، توجه الى نخچوان، بعدما عرضت عليه صاحببتها الملكة الجلالية بنت الپهلوان واخت الاتابك اوزبك، الزواج،

^١ النسوي ٢٧٢-٢٧٤؛ ابن خلدون ٢٨٦/٥.

^٢ النسوي ٢٧٧-٢٧٩؛ ابن خلدون ٢٨٨/٥.

فتزوجها سنة ٦٢٦هـ^١، ولكنه مالبث ان قتل بعد عام على يد التتر^٢. وسبق ان ذكرنا، ان السلطان جلال الدين كان قد تزوج من امرأة اوزبك بنت السلطان طغرل الثاني بن ارسلان شاه سنة ٦٢٢هـ، وتزوج بعدها من زوجة خاموش بن اوزبك المدعوة سلافة خاتون سنة ٦٢٤هـ، وهكذا تزوج من ثلاث نساء لهن صلة نسب ببني ايلدگز.



^١ النسوي ٢٩٧؛ ابن خلدون ٥/٢٩٣.

^٢ النسوي، ١٤٩.

الباب الثالث الناحية الحضارية



www.zheen.org

الفصل الاول النظم الادارية

النظم الادارية:

ابقى السلاجقة، عندما جاءوا الى أنريجان في مطلع القرن الخامس الهجري، على الاسر الحاكمة فيه، نظراً للسياسة اللامركزية التي اتبعوها في ادارة البلاد، مقابل اعتراف هذه الاسر بالولاء والطاعة للسلطان السلجوقي وامداده بالجيش متى ما احتاج اليها. نظراً لأن السلاجقة كانوا شعباً محارباً، لطبيعتهم البدوية وبعدهم عن الحضارة والمدنية، لم تكن لهم الدراية والخبرة في الشؤون الادارية، فأبقوا على النظم الادارية المعمولة بها في البلاد سابقاً، مع اجراء بعض التغييرات والتعديلات الادارية التي يتطلبها الوضع الجديد، لذلك اعتمدوا على السكان المحليين الذين تملسوا واكتسبوا الخبرة والدراية في الاعمال الادارية.

وبعدما انقضى عهد السلاجقة العظام وضعف ولاه العهد، نشأت أسر تركية حاكمة في الاقليم، ومنها اسرة الاحمديلي - عدا مؤسسها احمديل الكردي الروادي - واسرة ايلدگن، استقلت استقلالاً تاماً عن سلطة السلاطين السلاجقة وخضعت لها اسماً فقط، واصبح للامير او الاتابك، السلطة الفعلية في البلاد، فسك امراؤها واتبكتها النقود باسمائهم - وهو مظهر من مظاهر الاستقلال - واخذوا يقودون الجيوش في الحروب، ووصل نفوذهم وسلطتهم الى درجة ان السلاطين لم يعودوا يملكون من الحكم شيئاً، بل اصبحوا العوبة بيد الاتابكة يولونهم السلطنة ويعزلونهم عنها متى ما ارادوا^١. وتوضحت لنا كل هذه الأمور في سياق بحثنا للأحداث التاريخية التي مرت بنا.

^١ ينظر: مقدمة بهمن كريمي شيرازنامه، تاليف ابي العباس احمد زركوب، طبعة طهران، سنة ١٣٥٠هـ. ش، صفحة: ص، ل، د. احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص ٢٠٨.

١. الأمانة:

اطلق لقب "الامير" على حكام بني الرواد وعلى احمديل - مؤسس السلالة الاحمديلية-، وهو لقب من الالقاب الادارية والعسكرية، فالامير في اللغة يعني ((ذو الامر والسلطة)) و((الامير الملك النفاذ امره بين الأمانة والأمانة))^١، وهو ((زعيم الجيش او الناحية ونحو ذلك ممن يوليه الامام))^٢، ودانت الامارتان: الروادية بالاستقلال الفعلي في ادارة شؤونها الخاصة حتى مجئ الغز السلاجقة الى اذربيجان سنة ٤٢٠هـ/١٠٢٩م، فخضع اميرها وهسودان بن محمد للسلطان السلجوقي وقدم ولاءه له، ولكننا نستدل من لقب وهسودان، الذي كان يذكر به في الخطبة في سنة ٤٣٨هـ/١٠٤٦م، وهو ((الامير الاجل سيف الدولة وشرف الملة ابو منصور وهسودان بن محمد، مولي امير المؤمنين))^٣، انه كان واسع النفوذ والسلطة وانه كان مديناً بولائه لامير المؤمنين الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/١٠٣١-١٠٧٥م) الذي منحه هذا اللقب، وكانت الالقاب آنذاك لاتمنح جزافاً بل كانت لها قيمتها الحقيقية^٤. ونلاحظ اطلاق لقب (الامير الاجل) على وهسودان، والاجل هو افعل التفضيل من جليل اي عظيم^٥، ويُرجح تطوره من لقب الجليل الذي يطلق على شخص بعينه، ولما يزداد سلطانه يلقب بالاجل، وهو لقب شائع الاستعمال في العالم الاسلامي، الا انه لم يكن يطلق في عصوره الاولى، الا على اصحاب النفوذ من رجال الدولة الذين كانوا يتمتعون بسلطان واسع في الحكم^٦، وهذا يدل على ان الامير

^١ ابن منظور، لسان العرب، مادة: امر، ٩٦/١، ٩٧؛ القلقشندي، مآثر الانافة في معالم الخلافة، طبعة الكويت، ١٩٦٤، ٧٥/١ د. حسن الباشا، الالقاب الاسلامية في التاريخ والوثائق والاثار، ١٨٠؛ آدم متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: د. محمد عبدالهادي ابوريده، القاهرة ١٩٥٧، ١٣٨/١.

^٢ القلقشندي، صبح الاعشى، الطبعة الاميرية، القاهرة، ٤٤٩/٤.

^٣ ناصر خسرو، سفرنامه، ويراجع فصل "الرواديون"، ص ١٠٩.

^٤ متز، الحضارة الاسلامية ٢٤٣/١.

^٥ صبح الاعشى ٨٠/٦.

^٦ د. حسن الباشا، الالقاب الاسلامية ١٢٦؛ حسام الدين النقشبندى، الكرد في الدينور وشهرزور، رسالة ماجستير بالالة الكاتبة، ١٩٧٥، ص ٢٥٤، ح ٣.

وهسودان كان يتمتع بمثل هذا السلطان الواسع، والآ ما منح له هذا اللقب، أما لقبه (سيف الدولة وشرف الملة) فهو لقب دنيوي، يدل على السلطة الزمنية التي منحها له الخليفة، وكان منح مثل هذا اللقب في القرنين الرابع والخامس الهجريين يدل على فقدان الخلافة لسلطانها الدنيوية التي انتقلت الى ولاه وامراء الاقاليم وبقيت لها السلطة الروحية فقط. وكانت الالقاب تتناسب مع طبيعة ووظيفة الشخص^١، فاللقب "سيف" المضاف الى "الدولة" يدل على القوة والشجاعة التي اتصف بها وهسودان، ويلاحظ ان مثل هذا اللقب قد كثر استعماله في عهد السلاجقة لملائمته لعرفهم في التسمي بالاسماء التي تشير الى القوة والبطش والشدة^٢. اما لقب (شرف الملة) فهو يدل بدوره على ان وهسودان كان يحمي ملة الاسلام من غارات الروم والارمن لوقوع انريجان على تخوم بلادهما، والذين كانوا يجلبون الذل والعار لو احتلوا اراضي المسلمين.

٢. الاتابك:

اطلق هذا اللقب على حكام الاحمديلية -عدا مؤسسها احمديل- منذ النصف الاول من القرن السادس الهجري، وكان اول من اطلق عليه هذا اللقب الامير آق سنقر الاحمديلي، الذي تولى الحكم سنة ٥١٠هـ/١١١٦م، ثم ايلدگز مؤسس الاتابكية ايلدگزيه في سنة ٥٤١هـ/١١٣٦م.

والatabak لقب تركي يتكون من كلمتين: (اتا) او (اطا) بمعنى: أب، وهي صفة تلحق عند الغز باسماء الاشخاص الذين يبلغون مكانة كبيرة، اما بك، فتعني: امير، وبذلك يكون المعنى "الامير الاب"^٣. ظهر هذا المصطلح في التأريخ الاسلامي مع السلاجقة، وأول من لُقّب به هو الوزير نظام الملك سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م^٤، منحه أياه السلطان ملكشاه الذي كان صغير السن جداً، شاهداً على انه قد منحه سلطاته كافة كأن نظام الملك أباه^٥، وانه منحه له لعلو مكانته وخدماته لسيده، فاللقب -على

^١ د. حسن الباشا، الالقاب الاسلامية، ١٠٤.

^٢ د. حسن الباشا، ن. م ١٠٤.

^٣ ابن الاثير ٨٠/١٠؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، بيروت ١/٣٦٥؛ صبح الاعشى ٤/١٨.

^٤ صبح الاعشى ٤/١٨.

^٥ ابن الاثير ١٠/٥٤.

مايبدو- من خصائص الغز أو السلاجقة^١ -بشكل أدق-^٢، ثم أخذ يستعمل بعد موت ملكشاه سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م في جميع فروع البيت السلجوقي، وأصبح نظاماً في الامبراطورية السلجوقية الذي جزأها الى حكم مجموعة من الأسر التركية حيث كان مؤسسوها من رجال البلاط السلجوقي.

منح السلاطين السلاجقة هذا اللقب في الاصل الى الامراء الخواص المقربين الذي يعهد اليهم بتربية ابنائهم القاصرين، ويمنحون مقابل ذلك الاقطاعات من قلاع ومدن وولايات، فقام منصب الاتابك على اكتاف النظام الاقطاعي الذي عممه نظام الملك وسار عليه السلاطين السلاجقة، فكان هؤلاء الاتابكة يؤدون للسلاطين الخدمات العسكرية وقت الحرب^٣.

كان معظم هؤلاء المؤدبين لاولاد السلاطين هم من ممالك السلاجقة، جيئ بهم اصلاً من بلاد القفجاق، ثم اخذوا يربونهم في قصورهم -اي على مقربة منهم- تربية خاصة، ويلحقونهم بالجيش ويمنحونهم ارفع الرتب^٤، نظير ذلك يقدمون الخدمات الجليلة الى سادتهم ويتفانون من اجلهم، ولثقة السلاطين ولوفائهم لهم، اوكلوا اليهم تربية اولادهم^٥، وسبق ان تناولنا كيفية ارتقاء ايلدگز من عبد مملوك الى ان اصبح اتابكاً واسع النفوذ والسلطة، وكذلك ارتقاء آقسنقر الاحمديلي من مملوك لاحمديل الى ان اصبح اتابكاً يحكم اقطاع سيده في مراغه وتبريز.

وكانت طبيعة عمل الاتابك، تستوجب منه التدخل في اخص شؤون سيده، ثم ان الاتابك كثيراً ما جعل مركزه الابوي مكتملاً بالزواج من ام من يؤدبه حين تصبح هذه الام ارملة، وهذا ما وجدناه بالنسبة الى ايلدگز، فقد تزوج من ام ارسلان شاه الذي يربيها، ارملة السلطان طغرل، وساعد ذلك لكونه اتابكاً لابنها ان يتدخل في النزاع بين

^١ السلاجقة من الغز، ويقصد بهم اصحاب ارسلان بن سلجوق بن ثقاق.

^٢ كلود كاهن، دائرة المعارف الاسلامية، مادة اتابك، الطبعة العربية الجديدة، ٤٦/٢.

^٣ د. احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ٢١٢؛ د. احمد مختار العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١، ص ١٩٦.

^٤ د. احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ، ٢١٤.

^٥ د. احمد مختار العبادي، في التأريخ العباسي والفاطمي، ١٩٤؛ د. محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي، بغداد، ١٩٧٦؛ ص ٢٥-٢٧.

العائلة الحاكمة السلجوقية حول تولي السلطنة، فأنحاز الى ابن زوجته وجعله يتبوا الحكم، وتحت مظلة هذه الحماية تمكن ان يبسط نفوذه وسلطته على البلاد ويسير السلطان حسب هواه، وهكذا اصبح الحاكم الفعلي، وصار بإمكان الاتابكة، ليس فقط تنصيب مايشاءون على السلطنة، بل قتلهم عن طريق دس السم لهم، كما فعل الاتابك جهان پهلوان مع السلطان ارسلان شاه، ونصب ابنه الطفل طغرل الثاني سلطاناً كي يستطيع التحكم في البلاد كيفما يشاء، او عن طريق عزلهم ووضعهم في السجون، كما فعل الاتابك قزل ارسلان بن جهان پهلوان الذي سجن السلطان طغرل الثاني ونصب نفسه سلطاناً، وقد فصلنا ذلك في بحثنا عن الاتابكية الايلدگزية.

اما آقسنقر الاحمديلي فقد عزز -هو الآخر- مركزه بان تزوج من ام داود، الذي رياه، ارملة سيده السلطان محمود.

وازداد نفوذ الاتابكة اكثر -بمرور الوقت- فأبتعدوا عن الادارة السلجوقية المركزية، وتوسعوا على حساب الامارات المجاورة لهم وتدخلوا في النزاع بين الملوك والسلطين، ومنحهم السلطان القاباً خاصة^١.

واخذ هؤلاء الاتابكة -بعدما اصبحوا اصحاب النفوذ والسلطان- يورثون مناصبهم لاولادهم من بعدهم^٢، فمنح الايلدگز منصب الاتابكية مكافأة له على خدماته، ولكن اصبح هذا المنصب وراثياً لابنائهم واحفاده الذين حكموا اذربيجان من بعده، ولكنهم استمروا يحملون لقب الاتابك على الرغم من انهم لم يكونوا مريين لأولاد السلطين، فتحول لقب الاتابك الى معنى: الامير الاقطاعي، والشئ نفسه يمكن ان يقال بالنسبة الى آق سنقر الاحمديلي الذي نال لقب "الاتابك" نظير خدماته للسلطان محمود ولكونه اتابكاً لابنه: داود، غير ان ورثته، استمروا في حمل اللقب.

كان الاتابك يشارك السلطان في سلطته، في البداية، ولكن الامر تحول بعد ذلك، بأن اصبح هو الذي يتولى السلطة بدلاً من السلطان، اي انقلبت الآية بالنسبة لهما،

^١ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ٢٨٤؛ نصيرالدين ابو الرشيد عبدالجيل، بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائل الروافض (كتاب النقض)، طبعة طهران، ١٣٣١هـ، ص ٢٣؛ حبيب السير ٥٥٩/٢؛

د. احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة، ص ٢١٤.

^٢ كلود كاهن، دائرة المعارف الاسلامية، مادة اتابك ٤٧/٢.

فأصبح كل منهما يؤدي دور الآخر، لذلك لا يمكن تحديد اختصاصات الاتابك مثل الوظائف العادية^١.

ومما يسترعي النظر ان هؤلاء الاتابكة على الرغم من استقلاليتهم فإنهم كانوا يعلنون ولاءهم وطاعتهم للخليفة العباسي كي يكسبوا حكمهم الصفة الشرعية، وهي ضرورة لهم للتخلص من منافسيهم واستمرارهم في الحكم. ويلاحظ أيضاً ان اتابكة بني ايلدگز المتأخرين، فقدوا الكثير من نفوذهم وسلطتهم، نتيجة تحكم المماليك الاتابكة الذين عرفوا بـ(المماليك الطهوانية)، لان الاتابك جهان طهوان كان قد وزع عليهم الاقطاعات لضمان طاعتهم له ولأولاده من بعده، ولكن هؤلاء أصبحوا وبالأعلى دولة بني ايلدگز، ونظراً لاجراء جهان طهوان الخطير هذا، فأنتنا سنوضح تأثيراته على بقاء اتابكية ايلدگز في الحكم.

التغيرات الادارية في عهد الطهوان:

ذكرنا عندما تناولنا حياة الاتابك جهان طهوان، انه وضع - قبل وفاته - خطة لتقسيم البلاد الخاضعة له بين أولاده الاربعة، فعين ولده ابا بكر على أذربيجان وأران، وقتلغ اينانج محمود ومير ميران^٢ عمر على الري واصفهان وباقي العراق وجعل اوزبك على همذان.

ولكن من الصعب القول فيما اذا قد اعطى الطهوان فعلاً ام لم يعط ما كان قد قرره من سلطات الى أولاده، اذ لم تذكر المصادر ذلك، غير ان هناك اشارات الى أنهم عند مرض والدهم الطهوان، كانوا في المناطق التي كان قد وزعها عليهم في خطته، فكان اخوه قزل ارسلان في أذربيجان وقتلغ اينانج ومير ميران عمر في الري^٣، وحتى لو تم ذلك، فإنه لم تكن بأيديهم السلطة الفعلية، اذ كانت بيد الاتباع المماليك الذين سيطروا على المدن والنواحي.

^١ كلود كاهن ن.م ٤٨/٢.

^٢ مير ميران: صيغة جمع بالفارسية، اي ان معنى اللقب هو امير الامراء.

^٣ ذيل سلجوقنامه ٨٥؛ الرواندي ٤٧١.

وكان الپهلوان قد خَلَفَ خمسة الاف مملوك^١، اعتمد عليهم في المحافظة على دولته، سمّوا بـ(المماليك الپهلوانية)^٢، اي انه تكوّن منهم جماعة متميزة ذات نظام خاص، وكان الپهلوان قد استمال الى جانبه الامراء الذين كانوا قد شقوا عصا الطاعة على السلطان طغرل، وبعد ان اَمّن جانبهم عزلهم بحكمته، اذ رأى بقاءهم في مناصبهم، اثاراً للمشاكل، اضافة الى ذلك، فانه لم يعد يثق بطاعتهم، وعيّن بدلاً منهم ستمين او سبعين من اعلام اتباعه المماليك في انحاء البلاد، وعيّن كل منهم في مدينة او ناحية في وظائف ادارية بارزة، كذلك اقطعهم الاقطاعات الواسعة، وعاملهم بلطف، فساوى بينهم وبين اولاده، وكان يأمل من وراء هذا الاجراء ضمان ولائهم له ولابنائه من الاعداء، وبقاء الدولة تعيش في اَمْن واستقرار ورفاهية لانهم من عبيده المطيعين، بقي هؤلاء في طاعة الپهلوان ولم يظهروا على مسرح الحوادث في حياته، وذلك لنفوذه القوي عليهم، فقد ردعهم عندما حاولوا الاغارة على بلاد فارس ونهبها^٣، غير انهم اصبحو بعد وفاته من العوامل التي زعزعت اركان دولته واطعفتها، فقد كانوا سبباً رئيساً للاضطرابات التي سادت اذربيجان والعراق في السنوات الاخيرة من حكم السلطنة العراقية، بل واستمرت حتى الغزو المغولي الخوارزمي لاذربيجان في سنة ٦١٤هـ/١٢١٧-١٢١٨م.

لقد اصبح كل واحد من هؤلاء المماليك الاتباع -بسبب نفوذه الاقطاعي- هو المستحوذ على الامور في الجهة المقطعة له، واخذت تتنامي قوتهم في الوقت الذي كانوا يجهلون قواعد التملك والحكم، فازاحوا اولاد الپهلوان عن حكم المناطق التي اقطعت له، لانهم اصبحو الحكام الفعليين لها، فزال حكم ابناء الپهلوان عنها، اضافة الى ذلك فانهم افسدوا العلاقة بينهم وبين السلطان طغرل الثاني، لذلك ضعفت وتفككت دولة

^١ الذهبي، العبر ٢٤٢/٤.

^٢ ينظر: ابن الاثير ١١٨/١٢ (حوادث سنة ٥٩١)، ص ١٩٥، (حوادث سنة ٦٠٠) ص ٢٩٦، (حوادث سنة ٦٠٨).

^٣ الراوندي، راحة الصدور ٤٦٧.

بني ايلدگز واصبحت اذربيجان محط انظار الغرباء^١ من كل جانب فطمعوا فيها، كما ظهر ذلك بعد وفاة الپهلوان^٢.

لم يكتف هؤلاء الاتباع بذلك، فعاثوا فساداً في الدولة، اذ اخذوا ينهبون ويسلبون حتى نهبوا الاوقاف والمدارس والمكتبات في عهد قزل ارسلان^٣.
لم يكن الپهلوان يتوقع هذه النتيجة، فبدلاً من ان يؤدي اجراءوه الى امن واستقرار اذربيجان بطاعة هؤلاء المماليك لاولاده، انعكست الاية فاصبحوا عامل فساد وفوضى وضعف وانفكك.

وتأكدت رواية الراوندي، حول الاجراءات الادارية التي قام بها الپهلوان وعدم ادراكه ما سوف تؤول اليه الامور بعد وفاته من فساد، من رواية اوردها "ابن اسفنديار" فكتب عن الزيارة الاخيرة التي قام بها الپهلوان الى مدينة الري، حيث كان جالساً مع "علي يار" عندما سمع صياح وهرج "الچاوشية"^٤، ولما سال الپهلوان عمن يكونوا، ابلغ انهم چاوشيه عبده: سراج الدين قايمان، فقال الپهلوان: ((هل وصل قايمان الى درجة بحيث تكون له چاوشيه؟ ولكن ماذا تقول فيما يتعلق بعبيدي والوظائف التي اعطيتها لهم؟))، فرد عليه علي يار: ((ربما حياة الاتاك الكبير تكون ابدية، وانك سببت بأن يصل العبيد الى مثل هذه المكانة، وأنهم بعدك سوف لن يطيعوا اياً من اولادك.. وطالما واحداً من هؤلاء العبيد باقياً على قيد الحياة، فان العراق لن يرى السلام)). نزلت الدموع من عين الاتاك، وقال: ((انك على حق، والان ما العمل؟))، قال ((بالنسبة لوقتنا الحالي، نرى امر الله، فربما ينتهي تأثيرهم))، وبعد مدة قصيرة مرض الپهلوان واسلم روحه^٥.

^١ ومربنا في حديثنا عن الايلدگزيه التجاء هؤلاء المماليك الى خوارزمشاه، الذي كان يطمع في الاستيلاء على العراق واذربيجان.

^٢ ن.م ٤٦٧.

Luther, K. A., Ravandis Report on the Administration Changes of Muhmammad Jahan Pahlavan, Iran and Islam, ١٩٧١, PP., ٣٩٣-٣٩٥.

^٣ الراوندي ٤٦٨.

^٤ عن المقصود بهم، ينظر: النظم العسكرية.

^٥ ابن اسفنديار، تاريخي طبرستان، باعثناء عباس اقبال، طبعة طهران، ١٣٢٠، مج ٢/١٥١-١٥٢. Luther, Op., Cit. P. ٣٩٦.

ان تصور علي يار للوضع الذي سيكون عليه بعد وفاة الپهلوان، هو التصور نفسه الذي جاء عند الراوندي، والذي ذكرناه.

كان عزل الپهلوان للامراء السابقين له مايسوغه، فهؤلاء كانوا يدينون بوظائفهم ليس للپهلوان بل لابييه ايلدگز، ثم انهم بدأوا بالتآمر لازاحة الپهلوان، فبعد وفاة ايلدگز مباشرة -كما ذكرنا- قرروا اخراج ارسلان شاه من عزلته، وحرّضوه على غزو اذربيجان وازاحة الپهلوان^١، ثم انحاز هؤلاء -بعد وفاة السلطان ارسلان شاه- الى جانب الملك محمد بن طغرل، اخو ارسلان شاه والمطالب بالسلطنة بدلاً من السلطان الطفل: طغرل وبايعوه بها، كمحاولة منهم للحد من نفوذ وسيطرة الپهلوان، إلا ان هذا استطاع القضاء على تمردهم بواسطة اتباعه الخاصين به، وكذلك فانهم قبل ان يستميلهم الپهلوان الى جانبه، كانوا متفرجين في انتظار من يكون الراجح، لذلك لم يعد هؤلاء ان يكونوا موضع ثقته، وهكذا فإن المؤامرتين المذكورتين للامراء، ومؤامراتهم الكثيرة في عهد والده ايلدگز، سوغت له استبدالهم بأخرين في الجيش والادارة مخلصين له، وقد اختار الپهلوان من بين الخمسة آلاف مملوك الذين كانوا بحوزته، ستين او سبعين من اعلامهم كي يتبؤوا مسؤولية المناطق التي عهدت اليهم، وظهر لنا عدد كبير من اسمائهم^٢، لاشتراكهم في الاحداث التي جرت فيما بعد والتي اعقبت موت الپهلوان، حتى بعد زوال دولة اتابكة ايلدگز في سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، ان قاموا بمحاولات يائسة لاستعادة دولتهم ونفوذهم.

أدت التغييرات الادارية التي احدثها الپهلوان الى تغييرات دائمية في الشؤون السياسية والاقتصادية لأذربيجان، ان برز هؤلاء المماليك واصبحوا امراء الاتابكة ومتنفذين، لهم دور كبير في الاحداث السياسية التي شهدتها العراق وأذربيجان، واثروا فيها بقوة، وذلك بدلاً من الامراء الاحرار السابقين، فأوجد بذلك الپهلوان نظاماً مملوكياً متميزاً، وكان تنصيبهم على الاقطاعات، قد خلق منهم طبقة مالكة جشعة تنظر الى مصالحها الخاصة وتتلطف للحصول على ممتلكات اكثر.

^١ يراجع فصل الاتابكية الايلدگزيه، موضوع جهان پهلوان، ص ٢٠٤؛ والحسني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٦٨-١٦٩.

^٢ ينظر: Luther, Op., Cit., P. ٣٩٧، حيث ذكر المؤلف اسماء العديد منهم.

وتؤيد روايات الراوندي وابن اسفنديار حول فساد هؤلاء المماليك الپهلوانيه وجشعهم، مؤرخ آخر هو "الجوربادقاني"، حيث وصفهم خير وصف بقوله: ((حوالي المائة من ممالكه (اي ممالك الپهلوان) المهمين، كل واحد منهم كان عفريتاً من عفاريت الانس، وكل واحد منهم خلق جشعاً شديداً في مملكة العراق، وكل واحد منهم تغلب على حصن في المقاطعة وفتح الباب على مصراعيه للناس في التخريب والفساد))^١.

كان الاتابك جهان پهلوان يعمل بجد على توفير الرفاهية والدعة والامن لمملكته، وكل ظنه انها ستبقى على هذه الحالة، لذلك كان يريد ان يجعل كل ولد من اولاده ملكاً عظيماً وحاكماً مطاعاً، فعلمهم اصول الحكم والسيطرة، وزوج بناته من ملوك الاطراف، اما زوجته "اينانج قتيبه خاتون"، فكانت ذات نفوذ كبير عليه، ذمها (ابو حامد) ووصفها انها ((امراة كثيرة الشجار ومشاغبة وتتدخل في السياسة))^٢.

ب. نائب الاتابك:

توجد لدينا اشارتان بوجود نائب للاتابك ينوب عنه في ادارة المدن والاقاليم التابعة له، الاولى تذكر ان الاتابك جهان پهلوان عندما اعتلى الحكم سنة ٥٧٨هـ/١١٧٥م، اناب عنه اخاه مظفرالدين قزل ارسلان، في حكم اذربيجان واران^٣، وكان هذا الاجراء من جانب الپهلوان هو بمثابة تقسيم الحكم بينه وبين اخيه، وبقي الپهلوان يحكم العراق (بلاد الجبال) والري وهمدان، ولم نلاحظ تدخله في شؤون حكم اخيه لاذربيجان، سوى مشاركة قزل ارسلان في المعارك التي يخوضانها معاً، الا ان القيادة كانت للپهلوان، وكان قزل يقدم المساعدات العسكرية لـاخييه، والاشارة الاخرى تذكر في حوادث سنة ٦٢٢هـ/١٢٢٥م، الى وجود نائب للاتابك اوزبك بن الپهلوان في گنجه وهو الرئيس جمال الدين القمي، وكان هذا -على ما يبدو- يجمع ايرادات الدولة

^١ ابو الشرف ناصح بن ظفر جوربادقاني، ترجمة عن تاريخي يميني، طبعة جعفر شعار، طهران ١٣٤٥ش، المدخل للترجمة ٤-٥.

^٢ ذيل سلجوقنامه ٨٦؛ الراوندي ٤٦٩؛ ديوان ظهير فاريابي، تحقيق تقي بينش، شهد ١٣٣٧ش، ص ٦١؛ حبيب السير ٥٥٨/٢.

^٣ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٧٢.

منها، فيرسل جزءاً منها الى خزانة الاتابك، ويبقى الجزء الاخر منها في خزانة المدينة، وقد وصف القمي انه كان يملك ثروة طائلة^١.

٢. الوزارة:

لم نعثّر على ذكر لاتخاذ امراء بني الرواد وزراء لهم، ونظراً لشحة المعلومات عن بني الرواد عموماً، فأنتنا لن نستطيع الجزم فيما اذا اتخذ امراءهم وزراء لهم أم لا؟ علماً ان الامير الروادي وهسودان بن محمد (مملان)، كان يذكر اسمه في الخطبة بعد اسم الخليفة، دلالة على استقلاليته وسلطته الواسعة.

اما بالنسبة الى امراء الاحمديلية واتابكة ايلدگز، فلدينا اشارات على انهم اتخذوا وزراء لهم.

يُعدّ منصب الوزارة من اهم المناصب في الدولة السلجوقية، وكان الاحمديليون والايلاذغريون يسيرون على نفس النظام في ادارة البلاد المتبع عند السلاجقة، فقد كان الوزير يرأس رجال الدواوين جميعهم، ويشرف على اعمال الدولة جميعها ويخضع له موظفوها، فكان يشرف على دواوين: الاستيفاء والاوقاف والاشراف والانشاء^٢. وكان لكل ديوان رئيس ويدير شؤونه ويتحكم بزمامه^٣، ويشبه وظيفة كل واحد منهم وظيفة الوزير اليوم، اما الوزير نفسه فهو بمثابة رئيس الوزراء.

ولما كان للوزير مثل هذه السلطات، فقد كانت المنافسة تشتد حول منصب الوزارة وتكثر حول المتولين لها الدسائس والمؤامرات من الطامعين فيها. وكانت هناك صفات على الوزير ان يتحلّى بها، كي يكون مؤهلاً لتسند منصب الوزارة، ويمكننا معرفتها من منشور الوزارة الذي كتب سنة ٥٤٤هـ/١٠٤٩م، ومنه نستدل على شخصية الوزير، جاء في المنشور: ((ينبغي ان يكون الدستور متديناً،

^١ النسوي، سيرة جلال الدين منكبرتي، ٢٠٥.

^٢ نظامي عروضي سمرقندي، چهار مقالة، ص ٢٣-٢٤ نقلاً عن د. عبدالنعم محمد حسيني، سلاجقة ايران والعراق، ١٥٩.

^٣ عباس اقبال، وزارت در عهد سلاطين بزرگ سلجوقي، بكوشش محمد تقي دانش ويحيى ذكاء، طهران ١٣٣٨هـ ش/١٩١٩، ص ٢٤.

^٤ الدستور من اسماء الوزير وهي كلمة فارسية تعني صاحب اليد.

عالمًا، حسن السيرة، عارفاً بأمور الملك وعواقب الامور، قارئاً اخبار الملوك.. مهتماً بمصالح المسلمين^١، ولكن هذه الصفات لم تكن تراعى دائماً، فان طاهر بن احمد بن سعيد البروجردى، الملقب بـ(مجدالدين عز الملك ابا العز)، الذي وزر للاتابك قرا سنقر الاحمديلي كان يكثر من المصادرات، حتى انه استولى على بقايا املاك اسرة عمادالدين الكاتب الاصفهاني المشهور، بعد ان صودرت معظم املاكها، وقال عنه العماد انه ((كان من الشياطين))^٢، ووصفه خواندامير انه كان ((ذو نفس شريرة))^٣، لم يكن تحامل العماد الاصفهاني عليه بسبب استحواذه على ممتلكات عائلته، لان العماد كان منصفاً في حكمه عليه، فقد مدحه في امور قام بها تستدعي الثناء عليه^٤. وكان هذا الوزير قد تقلد مناصب عدة قبل ان يتدرج فيصبح وزيراً، اذ كان رئيساً لبلاط قراسنقر^٥، وكاتباً له^٦، الا انه اثرى من الوزارة ثراءً فاحشاً، فقد امتلك (٤٠٠) قرية^٧، ولم يكن بهذا الثراء قبل ان يتولى الوزارة، والمحتمل انه حصل عليها باستيلاءه على قسم من هذه القرى مستغلاً نفوذه، ولعل ذلك هو الذي جعل السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه -حيث اصبح وزيراً له- بعد ذلك- ان يغير رأيه فيه، فيعزله ويستصفي امواله^٨.

ويبدو ان الوزير كان يُكلف بمهام اخرى، عدا وظيفته، فقد ارسل الاتابك قره سنقر وزيره البروجردى رسولا الى السلطان مسعود ليطلب منه تسليم وزيره كمالالدين الخازن اليه او قتله، فقتله السلطان مضطراً، عندئذ ارسل الاتابك قره سنقر وزيره البروجردى ليكون وزيراً للسلطان، ويُعد ذلك ترقية له، الا ان الوزير قد

^١ وزارت در عهد سلاطين سلجوقي، ٢٦؛ وينظر: د. محمد التونجي، حول الادب في العصر السلجوقي، طبعة ١٩٧٤، بنغازي ١٧٠.

^٢ تاريخ دولة آل سلجوق، ١٧٠.

^٣ حبيب السير، ج ٢، مج ٥٢٥.

^٤ ينظر: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٧٣.

^٥ الراوندي ٣٣٥.

^٦ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١١١، ١١٢.

^٧ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب، ج ٤، ق ١٧٣/١ ح العماد الاصفهاني ١٧٣-١٧٤.

^٨ ابن الفوطي، تلخيص مجمع الاداب، ج ٤، ق ١٧٣/١.

يُقَلَّد منصباً أقل أهمية، فقد قُلِّد بهاء الدين ابو طالب عم المؤرخ عماد الدين الكاتب الاصفهاني، الذي كان وزيراً لآق سنقر الاحمديلي، منصب الاستيفاء من قبل السلطان مسعود وذلك في سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م^١.

واتخذ الاتابك الاعظم ايلدگز واحفاده من بعده وزراء لهم، وتوجد اشارات عن تولي عدد من الاشخاص الوزارة في عهد ايلدگز ومنهم: شهاب الدين محمود بن الثقة عبدالعزيز الحامدي الهروي، وكان وزيراً للسلطان ارسلان شاه ووزيراً لاتابكه ايلدگز، وتولّى الوزارة سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م وتوفي سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م^٢، واستوزر له كذلك: مختار الدين ثم استوزر بعده وزير اينانج -صاحب الري- سعد الدين اسعد الاشلي في سنة ٥٦٥هـ/١١٧٠م، بعد ان اشترك في قتل سيده اينانج^٣، وكان سعد الدين هذا في وظيفة الانشاء قبل ان يكون وزيراً. اما في عهد قزل ارسلان (٥٨١-٥٨٧هـ) فقد وزر له: ابو عمر عز الدين الكاشي، ووصف انه كان مخلصاً له، واستمر في وزارته له الى حين وفاة قزل^٤.

ويبدو ان الوزير كان احياناً يتولى اكثر من مسؤولية، فقد ارسل الاتابك ابوبكر الپهلوان، ابن القاضي ضياء الدين الى همذان، ليكون نائباً له وزيراً لآخيه الملك اوزبك في آن واحد، ولقب بملك الامراء وسيد الوزراء، وعلى الرغم من القابه هذه فلم ينل من الوزارة سوى الاسم والمظهر، لانه كان كثير التدين، يعيش فقط على ما يدر عليه رزقه مع اسرافه في الانفاق^٥، ويدل ما اورده الراوندي بهذا الصدد، ان الوزير عادة كان يجني الكثير من الاموال عن طريق الوزارة، والوزير البروجردي، وزير آقسنقر الاحمديلي، ثم وزير السلطان مسعود - والذي تناولناه قبل قليل - يُعد مثلاً على ذلك.

وكان الوزير يخرج احياناً عن صلاحياته، فيتدخل في تنصيب السلطان او يشترك في التآمر عليه، فبعد وفاة الاتابك جهان پهلوان سنة ٥٨١هـ/١١٨٦م، - وكان قد اوصى

^١ تاريخ دولة ال سلجوق ١٥٣.

^٢ الاصفهاني، تاريخ دولة ال سلجوق ٢٧١؛ ابن الاثير ٣٢١/١١.

^٣ العماد الاصفهاني ٢٧٧.

^٤ ن.م ١٥٩.

^٥ حبيب السير، جلد ٢، مج ٤/٥٣٣.

^٦ الراوندي، راحة الصدور ٥٤٣.

لاخيه قزل ارسلان من بعده- تدخل وزير السلطان طغرل، خواجه عزيز مع قتيبة اينانج خاتون زوجة الپهلوان وبعض الامراء على استمرار ولائهم للسلطان، وعدم جعل قزل ارسلان اتابكاً، بل ابقاءه في منصبه امير سلاح السلطان في حكمه لارآن واذريجان، ولكن هذا الوزير واولاده تأمروا مع كبار اصحاب المناصب للقبض على السلطان، فلما علم السلطان بذلك، قتلهم، عدا الوزير واولاده فقد قتلهم بعد تعذيبهم.

ويلاحظ ان بعض الوزراء كانوا يلقبون بـ(الخواجه)، وهو لفظ فارسي يطلق على الشخص ليدل على نوع وظيفته، ولكن هنا يقصد به السيد^١. وكما رأينا، عقد عرف الوزير عزيزالدين بخواجه عزيز، وكذلك عرف به ربيبالدين ابي القاسم هارون بن علي^٢ وزير اوزبك بن محمد (٦٠٧-٦٢٢هـ)، الذي لقب بـ(الصدر)^٣ ايضاً، ويدل ذلك على ان ربيب الدولة كان من عليّة القوم، حيث وصف انه كان رجلاً فاضلاً، كثير التقوى والتعب، وبعد وفاة اوزبك سنة ٦٢٢هـ، اعتزل وتنسك في تبريز، وكان السلطان الخوارزمي، علاءالدين تكش قد استره في سنة ٦١٤هـ/١٢١٧-١٢١٨م، في حملته على بلاد الجبل، ولكنه عاد فاطلق سراحه، ويبدو ان الصدر ربيب الدولة كانت له مكانة محترمة عند الخوارزميين حتى بعد اعتزاله الوزارة ووفاة اوزبك، فلما اراد شرف الملك وزير السلطان جلالالدين منكبرني، الرحيل عن تبريز سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م، تخلى عن ذلك بعد ان شفع لديه الصدر ربيبالدين بطلب من اهاليها^٤.

^١ د. حسن الباشا، الالقاب الاسلامية، ٢٧٩.

^٢ د. ذبيح الله صفا: تاريخ ادبيات ايران، جلد١، ص٤١٣، نقلاً عن مرزبان نامه للطبري، ترجمة سعدالدين وراويني الى الفارسية، والمتن العربي الاصيل للطبري، يعد الان من الكتب المفقودة، وكان وراويني قد اهدى كتابه هذا الى الملك اوزبك ووزيره الخواجه ربيبالدين.

^٣ النسوي، سيرة جلال الدين ٥٤/ ٢٠٧، ٢٧١. وينظر: عن معنى الصدر، ص٢٢٢ ح ١ من فصل الايلدگزيه.

^٤ النسوي ٢٧١.

^٥ النسوي ٥٤.

^٦ ن.م ٢٧١.

وكان الوزير في الدولة الخوارزمية -التي اتبعت الانظمة السلجوقية وسارت عليه الدولة الايلدگزية ايضاً- عندما يتولى الوزارة يعطي اقطاعاً في منطقة ما وله عشر الوارد حيث يؤخذ من ايرادات الاراضي سواء كانت الخاصة او المقطعة ويحمل الى خزانة الوزير شهر بشهر، وكان نائبه هو الذي يقوم باستخراج هذه الاموال وحملها اليه^١، يبدو ان هذه هي مهمة نائب الوزير ليس الا، وكان الوزير يهتم ان تزداد ايرادات الاقطاعات لتزداد جرايته تبعاً لذلك^٢.

٤. الحجابة:

الحاجب في الاصل هو الذي يحجب السلطان او الاتابك او الامير عن يدخل اليه بغير اذن^٣، فهو بمثابة البواب -كما يقول ابن الجوزي^٤،-، وانه المختص بالامير والذي له الحجابة والخاتم^٥ او المراسل الذي ينقل الاخبار^٦، وتقابل وظيفته اليوم وظيفة مدير التشريعات.

ويبدو ان امراء الروادية لم يتخذوا حُجَاباً لهم، اذ لم نعثر على نص يشير الى ذلك. ويستدل من مجريات الاحداث ان وظيفة الحاجب اصبحت تُعد من اهم الوظائف عند السلاجقة، وتشعبت اختصاصات الحاجب في عهد الاحمديلية والاتابكية الايلدگزية، فقد منح السلطان مسعود، عبدالرحمن بن طُغَايَرُك (صاحب خلخال وبعض اذربيجان) في عهد الدولة الاحمديلية لقب (الامير الحاجب الكبير)، واقر له اذربيجان وارآن وذلك في سنة ١١٤٦هـ/١١٤٦م، ويبدو ان هذا المنصب يفوق في النفوذ والسلطة، منصب الوزير، اذ ان الامير الحاجب الكبير -كما يقول الاصفهاني- يتلقى

^١ النسوي ٢٥٨، ٣٦٤.

^٢ ينظر: د. احمد كمال الدين، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ٢٠١.

^٣ صبح الاعشى ٤٤٩/٥-٤٥٠.

^٤ المنتظم ٢٥٥/٩، ٤/١٠.

^٥ الجهشيارى: الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي،

القاهرة، ١٩٣٨، ص ١٨.

^٦ ابن الجوزي، المنتظم ٨٤/٩.

الاورامر مشافهة من السلطان ويوصلها الى الوزير، فهو الناهي وعلى وزير السلطان تنفيذها، ولم يكن يدخل الى السلطان سواه^١.

ويدل على سعة نفوذ الامير الحاجب الكبير ابن طُغايَرُك، انه تدخل لابعاد خاص بك بن بلنگرى عن السلطان مسعود - وكان من المقرين اليه - وكذلك اصبح هو الحاكم الفعلي في دولة السلطان ولم يعد للسلطان معه حكم - حسب قول ابن الاثير^٢ - لذلك تخلص منه السلطان وارسل من يقتله.

وكان هذا اللقب: (الامير الحاجب الكبير)^٣ قد لقب به جهان پهلوان بن ايلدگز ايضاً، وذلك في عهد والده ايلدگز، وهو منصب كان يأتي بعد منصب الاتابك في الاهمية، وكان الحاجب الكبير پهلوان قد اتخذ لنفسه وزيراً، وهو سعدالدين الاشل وذلك في سنة ٥٦٤هـ/١١٦٩م.

وكان الامير الحاجب الكبير پهلوان كثيراً ما يقود الجيوش لمحاربة اعداء السلطان ارسلان شاه ووالده ايلدگز، ومنهم الامير اينانج - صاحب الري والعدو للدود لايلدگز - فقد قاتله پهلوان سنة ٥٦٣هـ/١١٦٨م بالقرب من الري، ولكن پهلوان اندحر في هذه المعركة، ثم شارك پهلوان في العام التالي والده والامراء في الحملة الجديدة على اينانج، انتهت هذه المرة بالانتصار عليه وقتله.

ويلاحظ ان السلطان ارسلان شاه قد عيّن جهان پهلوان سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م، اميراً لحجّابه، وذلك ارضاء لوالده الذي له الفضل في اجلاسه على العرش الذي اصبح الحاكم الفعلي في البلاد، في حين كان السلطان الحاكم بالاسم فقط. ويبدو من منصب (امير الحجاب) ان السلطان قد اتخذ عدداً من الحجاب، فجعل پهلوان اميراً عليهم، لان حاجباً واحداً لا يكفي، فكان الحجاب يبدلون او يتناوبون في الوظيفة، ثم ان الحاجب كان يقوم - احياناً - بدور السفير بين بلاده والبلدان الاخرى. او يقوم بدور الوسيط لحل الخلافات او عقد الاتفاقات^٤.

^١ تاريخ دولة آل سلجوق ١١١.

^٢ الكامل ١٠٤/١١، ١١٦.

^٣ الراوندي، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧؛ الحسيني ١٦٨.

^٤ سلجوقنامه ٧٨؛ الراوندي ٤١٨؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٤٤.

^٥ د. حسين امين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، ١٨٣.

وكان الحاجب يُكَلَّف أحياناً بمهمة المشاركة في الجهاد ومقاتلة المناوئين للدولة الإسلامية، فقد ارسل الاتابك اوزبك في سنة ٦٢٢هـ، حاجبه شمس الدين القمي لمشاركة خوارزمشاه جلال الدين منكبرني لمحاربة الغُرج^١. ويبدو ان ناصر الدين محمد (الحاجب الكبير)، هو آخر حاجب للاتابك اوزبك، اذ قبض عليه شرف الملك وزير السلطان منكبرني سنة ٦٢٤هـ، وكان قد اعتزل والتجأ -بعد وفاة اوزبك- الى بلاد نصرة الدين محمد بن بشتكين، صاحب اهرورزقان، وكان مايزال يملك بعض الاموال، فصادره الوزير على مال جليل وانتزع منه قلعة كهرام التي كان يتولاها^٢.

الدواوين:

لم يكن الوزير هو كل شيء في ادارة البلاد، بل كان يشاركه اشخاص يدير كل واحد منهم ديواناً يكون هو رئيسه^٣، وسبق ان ذكرنا ان الوزير هو بمثابة رئيس الوزراء في يومنا هذا، اما رؤساء الدواوين فكانوا بمثابة الوزراء. لم نعثر على اي نص نستدل منه على وجود الدواوين في الامارتين، الروادية والاحمديلية، وهذا لايعني -بالضرورة- عدم وجودها، او على الاقل وجود قسم منها، وهذا يرجع على قصور المصادر المتوفرة في ذكرها، وسبق ان تطرقنا الى القول بشحة المعلومات عن الامارتين لاسيما عن الامارة الروادية. اما بالنسبة الى بني ايلدگزن فلدينا نصوص عدّة، تشير الى وجود الدواوين واصحابها، ويبدو ان الدولة الايلدگزية اتخذت من الانظمة الادارية التي استعملها السلاجقة اساساً لنظمها الادارية. واهم الدواوين التي وجدنا اشارات لها في دولة بني ايلدگز هي، حسب اهميتها:

١. ديوان الاستيفاء:

يطلق على رئيسه: المستوفي، وكانت هذه الوظيفة تأتي في الاهمية بعد الوزير^٤، ولخطورة هذا المنصب، اشار اليه الحريري في مقاماته بقوله: ((ان المستوفي هو قطب

^١ النسوي، ١٩٩.

^٢ ن. م. ٢٦٣.

^٣ عباس اقبال، وزارت در عهد سلاطين بزرگ سلجوقي، ٢٤.

^٤ عباس اقبال، وزارت در عهد، ص ٢٢.

الديوان^١، ولا غرابة في ذلك فالمستوفي كان يشرف على اهم ركن في الدولة وهو الجانب المالي، ففوة الدولة وتعاضمها تكمن في كثرة خيراتها ووارداتها المالية، فكان المستوفي يهتم بضبط اموال الدولة والعمل على حفظها وكيفية استخراج الاموال في وقتها المحدد، وعمل قوائم في المطالبات بخطه، والقيام بجولات تفتيشية لتفقد شؤون حسابات الدولة وجمع المحاصيل^٢، والنظر في وجوه صرف الاموال^٣. ولهذا فواجباته اشبه ماتكون بواجبات وزير المالية اليوم^٤.

ولما كانت وظيفة المستوفي بهذه الخطورة والاهمية فلا بد ان تتوفر فيه شروط معينة، اوردها (عباس اقبال) وهي: ان يكون معروفًا بحسن السيرة، متدينًا، عارفًا بأسرار مهنته ودقائق حسابها، وملمًا بالقوانين اللازمة، دقيقًا بأداب الخدمة السلطانية، قلمه حاكم عدل وشاهد صدق، ليناط به حفظ اموال الدولة^٥.

ويستدل على اهمية منصب الاستيفاء وإنه يأتي في الاهمية بعد منصب الوزير، ان السلطان مسعود بن محمد عندما اعفى بهاء الدين ابو طالب من وزارته للاتابك آق سنقر الاحمديلي في سنة ٥٢٦هـ/١١٣١م، جعله في منصب الاستيفاء^٦.

ويبدو ان المستوفي كان يُكَلَّف احياناً بالتوسط لدى السلطان، فقد ارسل الاتابك اوزبك، كمال الدين المتولي شغل الاستيفاء بالديوان الاتابكي، في سنة ٦٢٢هـ، الى السلطان الخوارزمي جلال الدين منكر بن مستعطفًا ومتضرعاً اليه، ان لا يتعرض لأذربايجان^٧. ان ارسال المستوفي في السفارة الى السلطان يدل على اهمية منصبه ومكانته في الدولة الاتابكية.

^١ صبح الاعشى ٤٦٦/٥.

^٢ وزارت در عهد ٢٦؛ النويري، نهاية الارب في فنون الادب، دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٤، ٣٠٢/٨، د. حسين امين، تأريخ العراق في العصر السلجوقي، ١٩٧.

^٣ صبح الاعشى ٣٠/٤.

^٤ د. عبدالنعم محمد حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ص ١٦٥، د. حسين امين، العراق في الهند السلجوقي، ١٩٨.

^٥ وزارت در عهد سلجوقي، ص ٢٦؛ د. محسن العهد الاتابكي، ص ٣٢٠.

^٦ العماد الاصفهاني، تأريخ دولة آل سلجوق، ص ١٥٣.

^٧ النسوي ٢٠٨.

٢. ديوان الطغراء:

يلقب رئيسه بالطغراي او الطغرائي والطغراي، اما معنى كلمة الطغراء، فقد جاء في ديوان لغات الترك - المؤلف سنة ٤٦٦هـ - انه طابع الملك وتوقيعه بالغزنية^١، سمي بطابع الملك لانه كان يوضع في صدر القوانين والانظمة والفراامين لاشعار الناس انها ملكية، واستعمل السلاجقة - وهم من الغز كلمة طغراء^٢، وعرفت على عهدهم انها الطرة^٣ التي تكتب في اعلى الكتب السلطانية بالقلم الغليظ فوق البسملة، ومضمونها نعت السلطان او الملك او الاتابك الذي صدر الكتاب عنه^٤، وتطورت كلمة الطغراء فيما بعد لتعني علامة ولي الامر (طابعه او توقيعه) التي توضع على وثائق الاقطاع^٥، واصبحت وظيفة الطغرائي في عهد السلاجقة: كتابة اوامر السلطان صحيحة ونشرها بأسمه على الملأ^٦. ويعد منصب الطغرائي من المناصب الجليلة، وهو اعلى منزلة من كاتب الانشاء عند السلاجقة^٧، وعن اهمية المنصب، يعدّه العماد الاصفهاني انه ليس هناك اكثر اهمية منه بعد الوزارة الا منصب الاستيفاء^٨.

ويظهر ان الطغرائي يمكن ان يتولى وظيفة اخرى الى جانب الطغراء، فقد لقب الامير جاولي ب(الجاندار الطغرلي) وقد ارتقى حتى اصبح اميراً على أذربيجان بعد

^١ محمود الكشغري، ديوان لغات الترك، ٣٥٥/١.

^٢ توفيق وهبي، القصد والاستطرداد في اصول معنى بغداد، مجلة المجمع العلمي العراقي، ح١، ١٩٥٠، ص ٨٩.

^٣ الطرة: طرف الشئ وحافته، او حاشية الكتاب، ثم اطلقوه على ما يكتب في اعلى الورقة مجازاً تسمية للشئ باسم محله، ثم اصبحت علامة ترسم على كتب السلطان يدرج فيها: اسمه مع لقبه... الخ، على هيئة مخصوصة، وما زالت العامة تطلق كلمة الطرة على وجه العملة المعدنية الذي يحمل الشعار -، صبح الاعشى ١٢٧/١١؛ المنجد في اللغة، ٤٦٢، ٤٦٦.

^٤ الصفدي، الوافي بالوفيات، مخطوطة مصورة، ج ١١/١٩٤.

^٥ صبح الاعشى ١٣٢: ٢، ٥٨/٣، ١٣، ١٦١-١٦٢.

^٦ وزارت در عهد، ٣٠.

^٧ النسوي ٥٧-٥٨.

^٨ تاريخ دولة آل سلجوق ٩٧.

وفاة الأمير قره سنقر الاحمدي سنة ٥٣٥هـ / ١١٤٠-١١٤١م، ولكن ارتقاءه هذا ادى الى حسد بعض الامراء فتآمروا على قتله.

وكان متولي الطغراء في تبريز -حاضرة بني ايلدگز في عهدهم المتأخرة- هو شمس الدين الطغراني الذي كان واسع السلطات، تفوق كثيراً سلطات وظيفه الطغراني، فأصبح المتحكم والمتنفذ في الدولة وما يتعلق بها وبأموالها، اضافة الى ذلك فكان ((يعود الى مصالح الرعية ويرضيهم، وتقوية صالحهم ووجيهم، وزجر مفسدهم وسفيهم))، حسب قول النسوي^١، وكذلك فانه بنى مدرسة في تبريز من حسابه الخاص، وفوض الفقيه عز الدين القزويني التدريس فيها وفي غيرها^٢، ولعل اهتمامه هذا بمصالح الدولة ورعاياها هي التي جعلت اهالي مدينة تبريز يعلنون ولاهم الطوعي له ولعائلة الطغراني، كما اشار الى ذلك ابن الاثير والنسوي^٣، وكانت اكثرية وظائف المدينة بيد هذه العائلة، فاضافة الى شمس الدين الطغراني كان ابن اخيه نظام الدين يتولى رئاسة تبريز، وكذلك كان يتولى القضاء فيها ابن اخت الطغراني^٤، ويدل على اهتمامه بمصالح رعاياه، انه عمل على ((حقن دماء المسلمين) في الوقت الذي كانت تهدر في سائر البلاد))، حسب رواية النسوي^٥، فان التتار عندما اقتربوا من تبريز طلبوا من اوزبك تسليم الخوارزمية الذين كانوا فيها اليهم اوقتلهم، فحاول العامة في المدينة قتلهم، الا انه وقف بوجههم ومنعهم من ذلك، فعندما قتل اثنان منهم احد الخوارزميين، قتلها تحذيراً للعامة^٦، وتأتي طاعة ولاء اهالي تبريز لشمس الدين -اضافة الى ما ذكرناه- لموقفه الشجاع تجاه تهديد التتار لاحتلال تبريز، وانقاذه المدينة من اموالهم، في الوقت الذي ابدى فيه الملك اوزبك تخاذله له وانهازمه من امامهم، فقد قام الطغراني بتقوية معنويات الاهالي وحصن المدينة ونشر الرجال فيها للمحافظة عليها، فلما شاهد التتار حصانتها تركوها^٧. ثم ان موقفه من الخوارزميين ومنعه العامة من قتلهم، انقذ

^١ سيرة جلال الدين ١٩٦.

^٢ ن. م، ٢٠٨.

^٣ الكامل ٤٣٦/١٢، ٥٠٣؛ سيرة جلال الدين ٢٦٨.

^٤ النسوي ٢٠٨.

^٥ سيرة جلال الدين، ٣٥٩.

^٦ ن. م. ٣٥٩.

^٧ ن. م. ٣٥٩.

تبريز من محاولة انتقام خوارزمشاه -الذي احتلها- من قتل اوزبك لبعض الخوارزمية وتسليمه بعضهم الاخر الى التتار فتسامح مع اهلها واحسن اليهم واصلح ما خرب منها^١، ولموقف الطغراني هذا، ابقاه خوارزمشاه في وظيفته واستمر جاهه وسلطته في المدينة، الا ان الفقيه عز الدين القزويني اوعز صدر شرف الملك، وزير خوارزمشاه جلال الدين ضده وضد ابن اخيه نظام الدين، طمعاً في تولي امر القضاء فيها، فاتهمها زوراً وبهتاناً بالتآمر على شق عصا الطاعة لجلال الدين ومحاولتهما اعادة البلد لى اوزبك، فقتل السلطان نظام الدين وسجن الطغراني^٢ وصادر امواله، ولكنه عندما علم السلطان ببراءة الطغراني لما نسب اليه، اطلق سراحه واعاد اليه ممتلكاته.

ومما يجدر ذكره هنا، ان الشاعر ظهير الدين الفارياي مدح شمس الدين الطغراني بقصيدة طويلة ولقبه بالخواجه^٣، وهو من القاب الوزراء، ولا غرو فأَن الطغراني -كما رأينا- كان مايتولاه من أمور في تبريز تفوق سلطات الوزير.

ديوان الرسائل والانشاء^٤:

ويسمى صاحبه رئيساً او وزيراً او صاحب الديوان^٥، ويكون تحت ادارته عدد من المنشئين والكتاب، ومهمة الديوان، تحرير الرسائل السياسية ومراجعة الاوامر الرسمية التي ترده من الاتابك او الامير ووضعها في صيغتها النهائية^٦، وكان يختار للديوان اشخاصاً عرفوا بسعة الاطلاع في اللغة والادب وفنونها ومن المؤتمنين على اسرار الدولة وكثيراً مايرسلون في مهمات سرية وسياسية^٧.

لم تتوفر لدينا معلومات عن اسماء المنشئين والكتاب في عهد الامارتين الروادية والاحمديلية، وهذا لايعني عدم اتخاذ امرائهم كتاباً لهم، ولكن يحتمل انه لم يكن لهم

^١ ابن الاثير ٤٣٤/١.

^٢ ن.م ٤٣٦/١٢.

^٣ ديوان ظهير فارياي، بكوشش تقي بينش، مشهد ١٣٣٧ش، ٣٣٥-٣٤٠.

^٤ العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق ٩٧.

^٥ وزارت در عهد سلاطين، ٢٩.

^٦ د. عبدالنعيم محمد حسنين، سلاجقة ايران والعراق، ١٦٢.

^٧ وزارت در عهد ٣٠.

ديواناً خاصاً بالرسائل والانشاء، أما بالنسبة الى اتابكية بني ايلدگز فتوجد اشارة الى وجود مثل هذا الديوان لديهم، فقد ورد اسم ظهير المنشئي وشهاب كاتب ديوان الرسائل والانشاء، وكانا قد اشتركا مع اصحاب مناصب أخرى في التآمر للقبض على السلطان طغرل الثاني بن ارسلان شاه بالاتفاق مع الامير قتلغ اينانج بن الپهلوان، ولما انكشف أمرهم قتلهم السلطان سنة ٥٨٤هـ/١١٨٩م^١.

وجدت عند السلاجقة دواوين أخرى ومنها: ديوان عرض الجيوش وديوان الاشراف^٢، ولما كان اليلدگزيون قد اقتبسوا نظامهم الاداري من النظام الموجود عند السلاجقة، فمن المحتمل جداً وجود مثل هذين الديوانين لديهم على الرغم من عدم عثورنا على نص يشير الى ذلك. ووجدت لدى الاتابكية اليلدگزيه وظائف ادارية أخرى، اضافة الى ما ذكرناه عن الدواوين ومتوليها، منها:

الوكيلدارية:

وهي وظيفة يسمى متوليها بـ(وكيلدار)، وتعني: وكيل الباب، ومنزله اخص من منزلة الحاجب، ومهمته بالدرجة الاولى الاشراف على الدار، وان يكون الوسيط بين السلطات والوزير، ومتوليها يجب ان يكون منطقياً بليغاً، متجرعاً للخشن وغير المستسيغ من الكلام، عارفاً باخلاق السلطان في اوقات رضاه وسخطه، وقبضه وبسطه، لذلك يبدو ان الوكيلدار كان يلزم السلطان ويتحدث اليه بمقصوده، حينما يرى من السلطان قبولا^٣.

وكان "موافق الوكيلدار" قد اشترك هو الآخر في مؤامرة القبض على السلطان طغرل بالاشتراك مع كبار اصحاب المناصب وانتهت بقتله بأمر من السلطان^٤.

الطشتدار:

^١ راحة الصدور، ٤٨٨.

^٢ العماد الاصفهاني، ٩٧؛ وزارت در عهد سلاطين، ٣١.

^٣ العماد الاصفهاني، ٩١.

^٤ راحة الصدور، ٢٨٨.

وتعني بيت الطشت، والطشت دار هو احد الغلمان المشرفين على الطشتخانه ((الذي يغسل فيه ملابس السلطان والمقاعد والمخاد والسجاد الذي يصلي عليه السلطان))^١، وأشار الراوندي الى "قتلغ الطشت دار" الذي اشترك في المؤامرة التي حيكت للقبض على السلطان طغرل^٢ -والتي اشترنا اليها قبل قليل-، وسبق له ان دس السم الى السلطان ارسلان شاه والد السلطان طغرل، مما ادى الى وفاته بتحريض من رئيس همذان وبموافقة من جهان پهلوان، فقتله السلطان طغرل.

الجاندار:

نسبة الى الجاندارية، وهي فئة من ممالك السلطان او الاتابك، والكلمة فارسية متكونه من مقطعين: جان ومعناه: سلاح، ودار معناه: ممسك او صاحب او حارس. ويبلغ الجاندار اوامر السلطان بالسجن او التعذيب او الموت، ويقوم على السجن الذي يعتقل فيه المسجونون السياسيون، وهو الذي يستأذن في دخول الامراء على السلطان^٣. وقد يرتقي الجاندار الى اعلى المناصب، فجاولي الجاندار ارتقى من وظيفة الجاندار الى الطغراء، ثم ارتقى حتى اصبح حاكماً على جميع اعمال قره سنقر الاحمدي -بعد وفاته- في اذربيجان واران.

^١ صبح الاعشى ١١-١٠/٤، ٤٦٩/٥؛ محيط المحيط، ص ١٠٢ ح ٤.

^٢ راحة الصدور ٢٨٨.

^٣ ينظر: المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق، ١٢٧٠هـ، ٢٢٤/٢، السلوك لمعرفة دول الملوك، طبعة القاهرة، ج ١، ق ١٣٣/٢ ح ١؛ سوبر نهيم، دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة العربية القديمة، مادة جاندار، ٢٤٧/٦؛ صبح الاعشى ٢٠/٤.



الفصل الثاني النظم العسكرية

النظام العسكري:

دراسة العلاقات السياسية الخارجية، تستوجب الالتفات الى دراسة الناحية العسكرية، اذ ان النظام العسكري كان الاساس الذي استند عليه حكام اذربيجان في تحقيق اهدافهم السياسية، لاسيما بنو ايلدگز الذين كُونوا علاقات واسعة وأستولوا على اراضي وممتلكات شاسعة، واستوجب هذا وجود جيش كبير قوي منظم ودائمي يتخذ اساليب معينة ويستخدم مختلف الاسلحة في القتال كي يحقق اهدافه في السيطرة والتوسع.

وسنقوم بدراسة هذه الامور، على الرغم من شحة المعلومات عنها والتي لاتوضّح لنا الكثير منها، لاسيما عن الامارتين الروادية والاحمديلية، ومع ذلك نتناولها على قدر ماتسمح به المعلومات المتوفرة لدينا.

كان الجيش الروادي -على ما يبدو- يتكوّن معظم افراده من القبائل الكرّدية، لاسيما من القبيلة الروادية الهذبانية، القبيلة الكبيرة، لأن الامارة الروادية، قامت على اساس قبلي، لذلك كان الامير الروادي يعتمد في تكوين جيشه على افراد قبيلته بالدرجة الاولى، ومما يجدر ذكره هنا، ان الروادية هي القبيلة التي انجبت القائد الاسلامي المشهور صلاح الدين الايوبي.

توجد اشارات قليلة عن التكوين العنصري لجيش الامارة الروادية، فقد ذكر ان الاكراد الهذبانية، قاوموا غزو الغز لاراضيهم، عندما جاءوا سنة ٤٢٩هـ/١٠٣٨م، في عهد الامير ابي منصور وهسوذان الروادي، الا ان الغز قتلوا عدداً كبيراً منهم^١، ثم عاد هؤلاء الكرّ الذين كانوا مع وهسوذان سنة ٤٣٢هـ/١٠٤١م، فأوقعوا بالغز المتواجدين

^١ ابن الاثير ٣٨٢/٩.

في أذربيجان و((أثخنوا فيهم وفرقوا جماعتهم))^١، وهكذا طردوهم من أراضيهم، كذلك تصدى جيش أبو الهيجاء بن ربيب الدولة الهذباني، صاحب أرمية، المتكوّن من الكُرد، للغز عندما عادوا الى أرمية سنة ٤٢٩هـ، إلا أنهم قتلوا من الكُرد عدداً كبيراً^٢.

أخذت القبائل التركمانية تتوغل في أذربيجان وتستقر فيها منذ مجئ طغرل بك الى الاقليم سنة ٤٤٦هـ/١٠٥٤-١٠٥٥م، ولم تكد تمضي سنوات قليلة حتى توغلت فيه اعداد كبيرة منهم واستولوا على الاراضي واستقروا فيها، وكوّن امراءوهم منهم الجيوش، لذلك بعد ان كان معظم جيش الرواديين مكوناً من الكُرد، اصبح التركمان يكوّنون الاغلبية لجيوش الاحمديلية - عدا جيش مؤسسها احمديل الروادي الكُرد الذي اعتمد على الكُرد الروادية بالدرجة الاولى - والايلاذغزيه ثم يليهم الكُرد فالمماليك المتمرسون على القتال^٣، وخلف المماليك التركمان، احمديل في حكم أذربيجان، ولقبوا بالأتابكة، وكان من الطبيعي ان يعتمدوا في تكوين جيوشهم على التركمان ثم على الكُرد، فقد قدّم الاتابك آقسنقر، الذي خلف سيده احمديل في حكم أذربيجان، عدداً كبيراً من ((الرجال الاتراك)) سنة ٥٢٧هـ/١١٣٢م، كمساعدة الى السلطان مسعود وابن اخيه الملك داود لمقاتلة خصومهما.

واعتمد ايلدگز - مؤسس الاتابكية الايلدگزيه - على الاتراك ايضاً في تكوين جيشه، ولم يبلغ اي اتابك من احفاده في دولته ما بلغه من اتساع في سلطنة وكثرة في الممالك الواقعة تحت سيطرته، لذلك فقد انضم اليه من الاتراك عدد ضخم، ولما استقرت دولة سلاجقة العراق بين السلطان محمد بن محمود، بعد عزل اخاه ملكشاه سنة ٥٤٧هـ/١١٥٢م، اجتمع حول الاتابك ايلدگز من ((التركمانية عدد كثير وجم غفير))^٤، حسب قول الحسيني، وكان السلطان محمد قد كلّفه بحماية الثغور

^١ ابن الاثير ٣٨٤/٩، ٣٨٥؛ ابن خلدون ٩٣٧/٣.

^٢ ابن الاثير ٣٨٣/٩.

^٣ د. احمد كمال الدين حلمي، السلاجقة في التاريخ والحضارة، ٢١٢.

^٤ اخبار الدولة السلجوقية، ص ١٢٨.

الاسلامية^١، ووردت اشارة اخرى في حوادث سنة ٥٥٨هـ/١١٦٣م، تظهر ان جيشه كان من ((الأتراك الرجالة)) الذين اشتركوا معه في الحملة التي شنت ضد ملك الگرج^٢. واعتمد جهان پهلوان على عنصر جديد كَوّن منهم جيشاً خاصاً، وهم المماليك، اذ كان يملك منهم خمسة الاف مملوك^٣، ربّاهم على الولاء والطاعة له ولاودلاه، ودربهم على فنون القتال ليعتمد عليهم في دوام دولته، وقد استخدمهم اولاده من بعده، ويبدو من سير الاحداث، انهم قد انقسموا، واصبحوا جماعات تطيع كل جماعة منهم اميراً من امرائهم المماليك، فقد اطاع المماليك الپهلوانيه نورالدين گوگچه، وهو من اعيانهم وجعلوه مقدماً لهم^٤ (قائداً عليهم)، كذلك كان مع كل واحد من ابناء "قرآن خوان" وابن نورالدين قرا - وهم من اعيان المماليك الپهلوانيه الذين كانوا في خدمة الاتابك اوزبك - الف فارس من المماليك^٥. واطاعت، ايضاً - جماعة منهم الامير آيتغمش، الذي اصبح مقدماً لجيش الاتابك ابي بكر في سنة ٦٠٠هـ/١٢-٤م، كذلك طاعت جماعة اخرى احد ممالك ابي بكر المدعو "منگلى بن عبدالله"، وحاول المماليك الاتراك الذين كانوا في طاعة الملك اوزبك بن الپهلوان، احياء الدولة الاتابكية الايلدگزيه، بعد وفاته، ولكن دون جدوى.

لم يعتمد اعيان المماليك هؤلاء - في تكوين جيوشهم - على المماليك الپهلوانيه فقط، بل انضم الى جيوشهم، ايضاً التركمان الذين استقروا في اذربيجان وكذلك الگرج من السكان المحليين، فقد كان جيش (آقوش) - وهو مملوك تركي من ممالك اوزبك - يتكون من التركمان ومن الكرد من سكان البلاد، وكان عدد جيشه كبيراً^٦. ويدل كثرة عدد افراد الجيش او قلته لدى امير او اتابك على تعاظم نفوذه واتساع ممتلكاته او ضعف سلطته وتناقص ممتلكاته تبعاً لذلك.

^١ ن.م، ١٢٨.

^٢ الحسيني، ص ١٦١.

^٣ الذهبي، العبر ٢٤٢/٤.

^٤ ابن الاثير ١١٨/١٢.

^٥ راحة الصدور ٣٩.

^٦ ابن الاثير ٣٥٥/١٢.

وجاء في تأريخ آسوغيك الارمني ان عدد افراد الجيش الذي وجّهه الامير ابو الهيجاء الروادي في سنة ٣٧٧هـ/٩٨٧-٩٨٨م الى "ابي دلف" امير كولتن في ارمينيا - الخاضع له- والذي امتنع عن دفع الضرائب المستحقة عليه، كان عدده (١٠٠) مئة الف جندي^١، وعلى الرغم من اتساع مناطق نفوذ ابا الهيجاء الى خارج اذربيجان، حيث سيطر على بعض ممتلكات ارمينيا ومنها كورة كولتن ودوين وباكرا توني التي يحكمها سنباد -من كبار الحكام في ارمينيا-، اقل على الرغم من ذلك فلا يعقل ان يصل جيش ابا الهيجاء الى هذا العدد الضخم، فأسوغيك بالغ كثيراً، ولعله قد تعمّد ان يضخم من عدده ليظهر ان ابا الهيجاء لم يكن باستطاعته الاستيلاء على بعض المدن والمقاطعات في ارمينيا ويخضع له بعض حكامها الارمن لولا جيشه الضخم هذا.

كان عدد افراد جيش الامير احمديل الروادي (٥) آلاف فارس، ومع ذلك عدّ جيشاً كبيراً، وتمكن من جمع هذا العدد نظراً لازدياد نفوذه واتساع ممتلكاته، حتى انه كان يردّه كل سنة من اقطاعه في مراغه (٤٠٠) الف دينار^٢.

اما الاتابك آقسنقر -الذي خلف احمديل- فكان يملك هو الآخر جيشاً كبيراً، فقد أمّد في سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م، السلطان طغرل بن محمد في نزاعه مع اخيه السلطان محمود، بـ (١٠) آلاف فارس وراجل لاحتلال مراغه^٣.

ويبدو ان الامير جاولي الجاندار الطغرلي، الذي اصبح حاكماً على جميع اعمال الاتابك قره سنقر بعد وفاته في اذربيجان وارّان، يملك اكبر عدد من الجيوش في عهد الامارة الاحمديلية، فكان معه (١٢) الف درّاع وفارس من جيوش اذربيجان وارّان. ومما يدل على تعاظم نفوذ الاتابك آقسنقر الاحمديلي وامتلاكه لاراضي واسعة، انه أمّد حسام الدين اينانج -صاحب الري- بجيش مكوّن من (٥) آلاف فارس وذلك في

^١ احمد كسروي، شهر ياران گمنام ١٦٤/٢، نقلاً عن تاريخ آسوغيك، ص ١٨٦.

^٢ ابن الجوزي، المنتظم ١٨٥/٩؛ الذهبي، العبر ١٥/٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات (طبعة بيروت ١٩٧١)، ٣٠٣/٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٢٠٨/٥؛ ذيل ابن القلانسي ١٧٤؛ الحنبلي، شذرات الذهب في

اخبار من ذهب، القاهرة، ٢١/٤. ٢١/٤٥.

^٣ ابن الاثير ٥٩٧/١٠-٥٩٨.

سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م^١، ويظهر ان ما يملكه ابن آقسنقر من العساكر يفوق ذلك بكثير، اذ لابد ان ابقى لديه قسماً كبيراً من جيشه ليدافع به عن بلاده.

وكان اكثر حاكم امتلك اكبر جيش في فترة بحثنا هو الاتابك ايلدگز، وكان عددهم يزداد او ينقص تبعاً لتنامي نفوذه، او تقلصه، وكان ايلدگز -كما مرّ بنا- قد امتدت سلطته الى آران واغلب اذربيجان وبلاد الجبل وهمذان والري واصفهان، كذلك اطاعه الملك ابن ملكشاه الذي اقطعت اليه البصرة وواسط والحلة في سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م، كذلك خطب له اتابك الموصل عنها وعن سائر بلاد دياربكر والجزيرة^٢، وتمدنا المصادر بالمعلومات عن حجم جيش ايلدگز في اوقات مختلفة، فتذكر انه امد السلطان مسعود في سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م بجيش متكوّن من (١٠) الاف مقاتل، لمقاتلة الامير بوازبه الذي تمرد على السلطان، وعندما توجه ايلدگز مع ابن زوجته ارسلان شاه الى همذان لتنصيبه سلطاناً بدلاً من سليمان شاه في عام ٥٥٥هـ/١١٦٠م، سار بجيش متكون من (٢٠) الاف فارس - عدا الرجال - ليظهر قوته وليرهب الامراء. ويرد في حوادث سنة ٥٥٦هـ/١١٦١م، رقماً كبيراً لجيش ايلدگز، فقد حشد جيشاً ضخماً يتكون من (٤٠) الفاً لمقاتلة زنكي بن دگلا -صاحب بلاد فارس-، وعندما بدأ زنكي بنهب بعض الجهات، ارسل اليه ايلدگز في سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨-١١٦٩م، جيشاً من (١٠) الاف فارس لمنعه، ولما هرب جيش ايلدگز، ارسل اليه جيشاً اخر جاءه من اذربيجان^٣. ان اعلى رقم لجيش ايلدگز كان (٤٠) الف، ولكن ابن الاثير والصفدي يذكران ان عدد عساكره كان (٥٠) الف فارس - عدا الاتباع^٤ -، وهذا الرقم -ان صح- ضخم جداً بالنسبة الى ذلك الوقت، ولا نظن ان اتابكاً من اتابكة العهد السلجوقي استطاع ان يجمع مثل هذا العدد، الا ان (الحسيني) ذكر ان الاتابك جهان پهلوان بن ايلدگز كان يملك اكثر من (٥٠) الف فارس في جيشه المتكون من عساكر العراق واذربيجان وآران^٥، والذي ورثه من ابيه، ولعلّ امتلاكه لهذا الجيش الضخم كان

^١ ابن الاثير ٢٧٠/١١.

^٢ ابن الاثير ٣٢٨/١١؛ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٦٤.

^٣ العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق ٢٧١.

^٤ الكامل ٣٨٩/٢٣، حوادث سنة ٥٦٨هـ؛ الوافي بالوفيات، طبعة بيروت، ١٩٧٣، ج ٣٥٨/٩.

^٥ اخبار الدولة السلجوقية، ١٦٩.

حصيلة لازدهار الدولة الايلدگزيه في عهده وزيادة مواردها نظراً للامن والاستقرار الذي كانت تنعم به في عهده.

وذكر ان قزل ارسلان، كان يملك ((جيشاً جراراً)) متكوناً من عساكر اذربيجان واران ومعظم عساكر العراق، وتوجّه به الى همذان، بعد وفاة اخيه الاتابك جهان پهلوان سنة ١١٨٦هـ/١١٨٦م، كي يظهر مدى قوته للسلطان طغرل الثاني واعوانه عندما استدعي ليعهد اليه باتابكية اذربيجان.

وكان الاميران الشقيقان قتلغ اينانج وامير اميران عمر، ابني جهان پهلوان، يملكان (١٢) الف فارس من جيش العراق، ذكر ذلك في حوادث سنة ١١٩٢هـ/١١٩٢م، ويعدّ هذا العدد كبيراً جداً، اذا ما علمنا ان الاتابكية الايلدگزيه كانت تسير نحو الضعف والتمزق بسبب الصراعات التي نشأت بين ابناء الپهلوان من جهة وبينهم وبين السلطان طغرل الثاني من جهة ثانية، للاستحواذ على السلطة.

لدينا بعض الاشارات القليلة عن كيفية تنظيم جيش الاتابكية ايلدگز، ومنها نستنتج ان اتابكتها استعملوا التنظيم نفسه الذي طبّقه السلاجقة القائم على اساس متدرج، يبدأ من الحلقة ثم يتوسع نطاقها فتشمل الكتيبة، وهكذا الى ان يصل الى الجيش الذي يرأسه اكبر امير في هذا التنظيم^١

وصف (الحسيني) في حوادث سنة ١١٦٠هـ/١١٦٠م، جيش ايلدگز، الذي تهيأ لاستقبال الامير زنكي -صاحب فارس-، وكان قصد ايلدگز، اظهار عظمة جيشه واعداده الهائلة محذراً الامير زنكي من مغبة التفكير بشق عصا الطاعة عليه، فاصطف الجنود صفيين، ((وكان مع كل كتيبة اعلام صاحبها وغلماؤه وحلقته بأحسن زي واعظم اهبة))^٢. من هذا الوصف الموجز نستنتج ان الجيش كان مقسماً الى كتائب، وكل كتيبة لها، صاحب هو الامير او القائد الذي يقود منتي فارس، ولكل

^١ ذيل سلجوقنامه لابي حامد، ٨٩؛ الحسيني، ١٨٢.

^٢ ينظر: د. محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي، ص ٣٣٣.

^٣ اخبار الدولة السلجوقية، ١٥٥.

صاحب كتيبة علمه الخاص به، اما الحلقة فهي اصغر من الكتيبة وتشمل خمسة ممالك (٥٠) جندياً^١.

وتوجد اشارة الى وجود ((الغلمان السلاحية))^٢ الذين يسرون خلف السلطان او الاتابك وهم بمثابة حرس خاص مزودون بالسلاح، ويبدو ان الغلام السلاحى يمكن ان يصبح اميراً وتمنح له الاقطاعات، فقد ورد في حوادث اواخر سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م، انه كان للامير غُرْأغلي^٣ السلاحى، اقطاع تبريز^٤.

اما الخطة التي كان يتبعها الاتابك ايلدگز في القتال، ولاسيما عندما يخرج بجيشه للجهاد ضد الكُرج، فقد كان يقسم جيشه الى ثلاثة فرق: فرقة امامية تلتحم في قتال مع جيش العدو، وفرقة ثانية ((يتوقفون الى ان يختلط الخيل بالخيول والرجال بالرجال ويشب بينهم الضراب والطعان، فيأتونهم عند ذلك لتقوي قلوب المسلمين بأتيانهم وتضعف قلوب المشركين عند معاينتهم، وكان هو يقف في الفرقة الثالثة، مع غلمانه وخواصه وهم رجال قد جربوا الحرب ولاقوها مراراً وتقلبوا فيها وعلموا احوالها سراً وجهاراً))^٥، يظهر لنا من هذا الوصف، ان ايلدگز كان يرسل بالفرقة الثانية، في الوقت الذي تلتحم فيه الفرقة الاولى مع العدو، ويشتد القتال، وبذلك يقوى من معنويات الفرقة الاولى ويضعف من معنويات العدو، حينما يرى الامدادات ترسل الى المسلمين، اما الفرقة الثالثة فكانوا من القوات الخاصة التي جربت الحرب من قبل وتدربت عليه وعرفت اسراره وخفاياه.

ويبدو ان الاتابك ايلدگز كان يملك عقلية عسكرية متمكنة، فكان يضع الخطط العسكرية ويطبّقها اثناء القتال، فقد باغت الكُرج في احدى المعارك وهاجمهم، وبذلك افشل خطط العدو في البدء بالهجوم وانتصر عليهم، ولهذا رأى الراوندي انه لولا تفكير

^١ ينظر: السلوك للمقريزى (نشر محمد مصطفى زياده) ج ١ ق ٣٢٩/١، ٣٤٨ الحاشية. وكانت الكتيبة يطلق عليها الطلب ايضاً، وذكر سبط ابن الجوزي (مرآة الزمان ٦٩٥/٨) ان كل طلب فيه خمسمائة فارس، وينظر ايضاً: د. محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي، ص ٣٣٣ ح ١.

^٢ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٥٥.

^٣ غُرْأغلي، تعني بالتركية (ابن الغر).

^٤ عمادالدين الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص ١٧٢.

^٥ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٦٠.

الاتابك الاعظم واحتياطه -ويقصد به الخطط العسكرية التي طبقها - لما نجا احد من الجند ولما هُزم ملك الابخاز (الْكَرَج)^١.

وكان يقسم جيش بني ايلدگز، عندما يوجّه لخوض المعارك وحسب التنظيم العسكري السلجوقي في الذي كان يتبعه الايلدغزيون ايضاً، الى ميمنة وقلب وجناحين، ويكون الامير في القلب يقود حلقة صغيرة متكونة من غلمان الخواص، وفي ذلك يشير الحسيني الى اتباع بني ايلدگز لهذا التنظيم في القتال، حينما قال: ((حمل السلطان طغرل بنفسه على حلقة اينانج محمود وهو في قلب عسكره ومعه غلمان وغلمان ابيه، فبدد نظامهم وزعزع عن المقام اقدامهم، فلما رأي بالميمنة والميسرة من اصحاب اينانج محمود انه قد انهزم، انهزموا كلهم وانفضوا من مواقفهم))^٢.

هناك بعض الاشارات الصغيرة الى انواع الاسلحة التي استخدمها الاحمديليون والايلدغزيون في القتال، فقد ورد ان الامير جاولي الجاندار الطغري كان معه (١٢) الف دراع^٣، اي الجنود الرجالة (المشاة) الذين كانوا يلبسون الدروع في القتال، واستعملت قاذفات النفط "او" قاذفات اللهب" في القتال الذي جرى بين السلطان طغرل والخليفة الناصر لدين الله سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، وكانت تقذف في الهواء فتتطاير وتحرق الفارس و حصانه، وكذلك استخدمت السهام والنبال والمزاريق (الرماح القصيرة) التي يستخدمها الخيالة، وكذلك الرماح الثقيلة التي يستخدمها الخيالة ايضاً، ولكن اثناء تشابكهم مع العدو، واستخدموا ايضاً الجرارات^٤، وهي نوع آخر من الرماح، اما آلات الحصار المستخدمة فكانت المجانيق والدبابات^٥ والسالام^٦.

^١ راحة الصدور ٤١٣.

^٢ الحسيني ١٨٣.

^٣ تاريخ دولة آل سلجوق ١٨٥.

^٤ راحة الصدور ٤٨١.

والجرارة: سميت بذلك، لانه اذا طعن بها العدو، تبقى في جسده، فيمشي وهو يجرها، كأن الطاعن هو الذي جعله يجرها. ابن منظور لسان العرب المحيط، طبعة بيروت، مج ١/٤٣٦.

^٥ الدبابة: آلة تتخذ في الحصار، كانوا يدخلون في جوفها ثم تدفع في اصل الحصن فينقبونه في جوفها،

المنجد في اللغة، ص ٢٠٤.

^٦ النسوي ١٩٥.

وبصدد طريقة دفع النفقات للجيش، فيبدو ان اتابكة ايلدگز، اتبعوا الطريقة ذاتها التي اتبعتها الاتابكيات الاخرى التي نشأت في العهد السلجوقي، ولاسيما تلك التي كانت عند الاتابك نورالدين محمود زنكي، صاحب حلب (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤م)، فدفع النفقات الى الجنود النظاميين كان على نوعين: اما ان تمنح لهم الاقطاعات، فعندئذ يعيشون على دخلها ويدفعون عنها الخراج، ويعد ذلك كعطاء لهم، ويعرف هذا بالاقطاع الحربي، الذي كان قد عممه نظام الملك، وزير ملكشاه، واصبح هذا الاقطاع وراثياً في عهد السلاجقة يرثه الابن عن ابيه بعد وفاته، ولكن الجندي المقطع ليس له حق التمليك بل له حق الاستغلال، حتى اذا انتقل الاقطاع الى وريثه^١. ان الاقطاع الحربي هذا كان من الاسباب المهمة على صبر الجندي واندفاعه للقتال، ويوضح ذلك قول احد الاجناد: ((الاقطاعات املأنا، يرثها اولادنا، الولد عن الوالد فنحن نقاتل عليها))^٢. اتبع السلاجقة: هذا النظام لانهم كانوا قبائل من البدو، وهمم اجتذاب اكبر عدد ممكن الى الجيش، وبذلك -حسب اعتقادهم- يضمنون لانفسهم جيشاً موالياً مخلصاً^٣.

والنوع الثاني في دفع النفقات الى الجند النظاميين، يكون على اساس ان تمنح لكبار الامراء وصغارهم اقطاعات، وهؤلاء كانوا ملزمين بتجهيز الجيش بالعدة والرجال^٤، ويصرفون لهؤلاء الغلمان "جامكيات"، اي عطاء معين (راتب)، او تجعل لهم حصص من احدى الاقطاعات ونفقات من مؤن وعليق^٥. فهؤلاء لا يكونون النوع الثاني من الجند النظاميين، ولهذا عرف ابن الاثير العساكر النظاميين انهم ((ممن لهم الاقطاع والجامكية))^٦.

^١ د. ابراهيم علي طرحان، النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٨م ص ٢٢.

^٢ المقرئزي، الخطط، طبعة مصر، ١٩٢٥، ٣/٣٥١.

^٣ المقرئزي، الخطط ٢/٢١٦، ينظر: سوير نهيم، دائرة المعارف الاسلامية، مادة اقطاع، الطبعة العربية القديمة، ٤٧٦/٢-٤٧٨.

^٤ ابن الاثير، الباهر في التاريخ الدولة الاتابكية، ٣٠٨.

^٥ ابن مماتي، قوانين الدواوين، طبعة ١٩٤٣، ص ٣٥٦؛ صبح الاعشى ٣/٤٥٧؛ هاملتون جب، دراسات في حضارة الاسلام، دار العلم للملايين، بيروت طبعة ١٩٧٤-٩٩. والعليق، اي العلف من شعير ونحوه، المنجد في اللغة، ص ٥٢٦.

^٦ الكامل ١١/٥٣١.

ويحتمل وجود محاربين من غير الجند النظاميين من ابناء القبائل، وهؤلاء كانوا يتبعون اميرهم، فيشتركون في المعارك مقابل عطاء يقبضونه من الامير او رغبة منهم في الحصول على الغنائم^١، وكذلك فان البعض كان ينضم الى صفوف الجيش طلباً في الجهاد لمقاتلة الكُرج والارمن والاسماعيلية (الباطنية)، حيث ان اذربيجان متاخمة لحدود ارمينيا وبلاد الكُرج (جورجيا)، وكثيراً ما خاض امراءها معارك الجهاد مع هذه الاقوام.

الوظائف العسكرية:

عرفت في الجيش ايلدگزی وظائف عسكرية عديدة كان لها الدور الهام في تنظيمه وقيادته، وكان يتولى قيادة الجيش الاتابك نفسه، او ان الاتابك الاعظم ايلدگز كان يعهد احياناً في قيادته الى ابنه الامير الحاجب الكبير جهان پهلوان، كما اتضح لنا ذلك من سير الاحداث، ويلاحظ انه في الوقت الذي كان فيه الپهلوان يتمتع بلقبه هذا، كان اخوه قزل ارسلان يلقب بـ (امير الجيش السلار الكبير مظفر الدولة والدين) او (امير اسفهلار مظفرالدين)^٢، وهو منصب -على ما يبدو- يأتي في الاهمية بعد منصب الامير الحاجب الكبير، بدليل، انه عندما يتوجه الپهلوان وقزل ارسلان سوياً الى القتال، كانت قيادة الجيش تمنح الى الپهلوان، وكذلك كان ايلدگز يعتمد كثيراً على الپهلوان، لذلك عهد اليه بالاتابكية من بعده، ولهذا نرى ان الپهلوان كان الشخص الثاني في الدولة بعد والده الاتابك ايلدگز، ولقب "السلار" و"اسفهلار" لقب واحد ويعني المقدم (القائد) او مقدم الجيش^٣، ولم يكن قزل ارسلان مقدماً للجيش فقط، بل كان - اضافة الى ذلك - اميراً له، وهو اعلى منصب في الجيش.

اما المقدم، والذي فسّر على انه رئيس طوائف الجند^٤ (القائد)، فلدينا اشارة الى ان الامير المملوكي شمس الدين آيتغمش، اصبح مقدماً لجيش الاتابك ابوبكر وذلك في حوادث سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٤م.

^١ د. محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي، ص ٣٣٦.

^٢ راحة الصدور (النسخة الفارسية)، لم تكن الترجمة العربية للقيين (ينظر: ص ٤٢٠، ٤٢٦) دقيقة، مترجم اللقب "امير سباه سلار كبير..". الى "الامير القائد الكبير، وترجم امير اسفهلار مظفرالدين" الى "الامير القائد مظفرالدين" والصحيح ما ترجمناه في المتن.

^٣ صبح الاعشى ٨-٧/٦.

^٤ صبح الاعشى، ٩/٢٥٤؛ د. حسن الباشا، الاقاب الاسلامية، ص ٤٨٧.

ووجدنا ان السلطان ارسلان شاه منح وظيفة (امير سلاح السلطان) الى مظفرالدين قزل ارسلان بن ايلدگز وذلك في سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م^١، اضافة الى وظيفته كأمر للجيش، وكان امير السلاح يشرف على بيت السلاح، وكان من اعظم البيوت واهمها -على ما وصفه النويري- وعلى المشرف فيه حفظ ما يدخل اليه وضبط ما يخرج منه^٢، ويقيم فيه عدد كبير من الصناع الذين يصنعون السلاح او يصلحون المستعمل منه^٣. اما المقريري، فيعرف امير السلاح ووظيفته بقوله: ((هو مقدم السلاحدارية والمتولي لحمل سلاح السلطان في المجامع الجامعة وهو المتحدث في السلاح خانه، وما يستعمل بها، وما يقدم اليها ويطلق منها))^٤.

ويبدو ان "امير العلم"، ويطلق على من يتولى امر اعلام السلطان^٥، قد يشترك احياناً في قيادة الجيوش، حيث اشترك مع ملك الامراء جمال الدين آي آبه، في سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م، في قيادة جيش الاتابك ابي بكر في الحملة ضد مياجق - نائب خوارزمشاه.

ووردت لدينا اشارة عن وجود "چاوشيه" لدى سراج الدين قايمان، مملوك الپهلوان^٦، والچاويش جندي من رتبة بسيطة يكلفه مخدومه بحمل الرسائل وتبليغها^٧، ويسمي رئيسهم: (مقدم الجاويشيه)^٨.

^١ الحسيني، اخبار الدولة السلجوقية، ١٤٤.

^٢ نهاية الارب في فنون الادب، نسخة مصورة عن دار الكتب، القاهرة، ١٩٥٤، ٢٢٧/٨.

^٣ صبح الاعشى، ١١/٤-١٢.

^٤ المواعظ والاعتبار، طبعة بولاق، سنة ١٢٩٤هـ، ٢٢٢/٢.

^٥ صبح الاعشى ٨/٤؛ المقريري، السلوك، ج١، ق١، ١٢٤ح١.

^٦ ابن اسفنديار، تاريخي طبرستان، مج١/١٥١-١٥٢، وينظر: في موضوع التغييرات الادارية في عهد جهان پهلوان، ص ٢٨٦.

^٧ النسوي، سيرة جلال الدين، ص ٢١٤.

^٨ المقريري، السلوك، ق٣، ج١/٨٧٠ ح٢.



ثبت

بأسماء المصادر والمراجع

أولاً: المصادر الخطية:

١. ابن أبي عذينة، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشافعي (ت ٨٥٦هـ/١٤٥٢م) انسان العيون في مشاهير سادس القرون، مخطوط في مكتبة الدراسات العليا لجامعة بغداد، رقم ٢٤٨، وهو قطعة من تأريخ دول الاعيان للمؤلف نفسه. (گورگيس عواد). الحسيني، محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس..
٢. انس المهج وروض الفرج (الف سنة ٥٨٨هـ)، مخطوط مصور، في المكتبة المركزية لجامعة بغداد، تحت الرقم م خ ١٦٥.
- الذهبي، ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد الدمشقي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
٣. تأريخ الاسلام، مخطوط مصور في مكتبة الدراسات العليا، قسم ١+٢، رقم ١٦٥٩، ١٦٦٠. وهو مصور عن مختصر تأريخ الاسلام المحفوظ بمكتبة رضا رامبور بالبلاد الهندية. (د. بشار عواد)
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٤م)
٤. الوافي بالوفيات، مخطوط مصور في اجزاء عدة في المكتبة المركزية، رقم م خ ٩٢٠.
- الغساني، ابو العباس سماعيل بن العباس الاشرف.. (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)
٥. العسجد المسبوك والجواهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، مخطوط مصور، في مكتبة الدراسات العليا رقم ٨٧٢، ج ٢، عن نسخة دار الكتب المصرية.
- مؤلف مجهول، ولعله لعلي بن عيسى المذكور في آخر المخطوط.
٦. عجائب البلدان والجبال والاحجار وغير ذلك، وفيه تأريخ مصر وذكر ملوكها، مخطوطة مكتبة الدراسات العليا برقم ١٤ (النسخة وحيدة في العالم - فيما يظن).

ثانياً: المصادر المطبوعة:

- ابن الاثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني (٦٣٠هـ/١٢٣٢م).
٧. الكامل في التأريخ، ١٢ جزء (دار صادر - دار بيروت، ١٩٦٦).
٨. التأريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق د. عبدالقادر احمد طليمات، مطبعة الاستقلال الكبرى بالقاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

- الازدي، الشيخ زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم (ت ٣٣٤هـ/٩٤٥م).
٩. تاريخ الموصل، تحقيق د. علي حبيبة، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد المعروف بالكرخي (ت بعد سنة ٣٤٠هـ/٩٥١م).
١٠. المسالك والممالك، مراجعة محمد شفيق غربال، دار القلم، القاهرة، ١٣٥١هـ/١٩٦١م.
- الاصفهاني، عماد الدين الكاتب (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م).
١١. تاريخ دولة آل سلجوق او زبدة النصر وخبذة العصرة، اختصار البنداري (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م)، دار الافاق الجديدة، بيروت، ط ٢، ١٩٧٨.
١٢. الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبيح، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥.
١٣. سنا البرق الشامي، اختصار البنداري لكتاب (البرق الشامي) لعماد الدين اصفهاني، تحقيق رمضان ششن، ط دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧١، ق ١.
- الاصفهاني، حمزة بن الحسن (ت ٣٦٠هـ/٩٧١م)
١٤. تاريخ سني ملوك الارض والانباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦١م.
- الانصاري، ابو عبدالله شمس الدين محمد الانصاري الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م)
١٥. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ط لايبزج، ١٩٢٣م.
- الايوبي، محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه (ت ٦١٧هـ/١٢٢٠م)
١٦. مضممار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق د. حسن حبشي، دار الهنا للطباعة، القاهرة ١٩٦٨.
- الباكوي، عبدالرشيد صالح بن نوري (الف كتابه بين سنتي ٨٠٦ و ٨١٦هـ)
١٧. تلخيص الاثار وعجائب الملك القهار، ترجمه وعلق عليه: د. ضياء الدين ابن موسى بونيا توف، دار النشر (العلم)، موسكو، ١٩٧١.
- البديسي، شرفخان (اواخر ١٠٠٥هـ/١٥٩٨م):
١٨. الشرفنامه، ترجمة جيل بندي الروزياني، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٣.
- البكري، ابو عبدالله عبدالله بن عبدالعزيز البكري الاندلسي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٧م)
١٩. معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، مط لجنة التأليف والنشر، القاهرة ١٩٤٥-١٩٥١، ٤ اجزاء.

- البلاذري، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)
 ٢٠. فتوح البلدان، عني بمراجعته والتعليق عليه، رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- بنيامين، التطيلي الاندلسي (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م)
 ٢١. رحلة بنيامين، ترجمها وعلق على حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد، مط الشرقية، بغداد، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
- البهقي، ابو الفضل محمد بن حسين دبير (ت ٤٧٠هـ/١٩٤٥م)
 ٢٢. تاريخ البهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، القاهرة، مكتبة الانجلو- المصرية، ١٩٥٦م.
- ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف الاتابي (ت ٨٧٤-١٤٦٩م)
 ٢٣. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مط دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩-١٩٧٢م، في (١٦) جزءاً.
- ابن الجوزي، ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي (ت ٥٩٧هـ-١٢٠١م)
 ٢٤. المنتظم في تاريخ الملوك والامم، مط دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م، (٥) اجزاء.
- ابن حزم، علي بن محمد الظاهري الاندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٤م)
 ٢٥. جمهرة انساب العرب، تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢م.
- الحسيني، ابو الحسن صدرالدين علي ابو الفوارس ناصرالدين بن علي (ت ٦٢٤هـ/١٢٢٧م)
 ٢٦. اخبار الدولة السلجوقية، تصحيح محمد اقبال، نشرات كلية بنجاب، لاهور، ١٩٣٣.
- الحموي، ابو الفضائل محمد بن علي (ت ٦٤٤هـ/١٢٤٦م)
 ٢٧. التاريخ المنصوري، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، عني بنشره ووضع فهارسه، بطرس غريان نيويج، دار النشر للآداب الشرقية، موسكو، ١٩٦٠.
- الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالمنعم الصنهاجي، (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٧م)
 ٢٨. الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق د. احسان عباس، مطابع دار السراج، بيروت، ١٩٨٠ ط٢.
- الحنبلي، احمد بن ابراهيم (ت ٨٧٦هـ/١٤٧١م)
 ٢٩. شفاء القلوب في مناقب بني ايوب، تحقيق ناظم رشيد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨.

- ابن حوقل، ابوالقاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧هـ-٩٧٧م)
 ٣٠. صورة الارض، مطابع دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩.
 ابن خُرداذبة، ابو القاسم عبيدالله بن عبيدالله الخراساني (ت ٢٨٠هـ/٨٩٧م)
 ٣١. المسالك والممالك، ط بريل، باعتناء دي گويه، ١٨٨٩، اعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعها بالافسييت.
 ابن خلدون، ابو زيد عبدالرحمن بن محمد (٨٠٨هـ/١٤٠٦م)
 ٣٢. العبر وديوان المبتدأ والخبر (تأريخ ابن خلدون)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١.
 ابن خُلُكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر بن خُلُكان (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)
 ٣٣. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد (ط السعادة ١٩٤٨) ٦ اجزاء، وطبعة دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١، بتحقيق د. احسان عباس، ٨ اجزاء.
 الخوارزمي، ابو عبدالله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م)
 ٣٤. مفاتيح العلوم، مط الشرق بمصر ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م.
 ابن خياط، ابو عمرو خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ/٨٩٣م)
 ٣٥. تأريخ خليفة بن خياط، (٢) جزء تحقيق د. اكرم ضياء العمرى، ط ٢، مط محمد هاشم الكتبي، بغداد ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
 الذهبي، الحافظ ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن قايماز الدمشقي (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).
 ٣٦. دول الاسلام، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤، ٢ جزء.
 ٣٧. العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مط حكومة الكويت، ١٩٦٣، ٥ جزء.
 الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت ٦٠٣هـ/١٢٠٧م)
 ٣٨. راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، مطابع دار القلم، القاهرة ١٣٧٩هـ/١٩٦٠م، (النسخة الفارسية).
 ابن رسته، ابو علي احمد بن عمر (ت بعد سنة ٢٩٠هـ/٩٠٣م)
 ٣٩. الاعلاق النفيسة، ط ليدن، بريل ١٨٩١، اعادت طبعة بالافيسيت، مكتبة المثنى، بغداد.
 ابن الساعي، ابو طالب علي بن انجب تاج الدين، ابن الساعي الخازن (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٦م)
 ٤٠. الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، عني بنشره واصلاح تصحيحه وتعليق حواشيه وعمل فهارسه مصطفى جواد، المط السريانية الكاثوليكية، بغداد ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م.
 سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)

٤١. مرآة الزمان، ج٢، ق١-٢، مط مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

٤٢. مرآة الزمان، ط علي سويم، مايتعلق بتاريخ السلاجقة، مط الجمعية التاريخية التركية، انقره، ١٩٦٨.

السمعاني، الامام ابي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)
٤٣. الانساب، مط مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن، عنى بتصحيحه والتعليق عليه الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، (٦ اجزاء (١٩٦٢-١٩٦٦) الكتاب نفسه، ط مركليوث، سلسلة جب التذكارية، ليدن ١٩١٢.

سهراب (الف الكتاب بين عامي ٢٨٩ و٣٣٤هـ/٩٠٢-٩٤٥م)
٤٤. عجائب الاقاليم السبعة الى نهاية العمارة، اعتنى بنسخه وتصحيحه هانس فون مزيك، مط هولز هوزن، فينا ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م.

ابو شامه، ابو محمد شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل المقدسي (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)
٤٥. الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق د. محمد حلمي محمد احمد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٢، جزآن.

ابن شداد، ابو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع الاسدي (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)
٤٦. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، سيرة صلاح الدين، تحقيق د. جمال الدين الشيبان، مط السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٦٤.

الصدفي، رزق الله منقريوس

٤٧. تاريخ دول الاسلام، ٣ اجزاء، مط الهلال بمصر، ١٣٢٥-١٣٢٦هـ/١٩٠٧-١٩٠٨م.
الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ/١٣٣٦م)
٤٨. الوافي بالوفيات، ج٨، باعتناء محمد يوسف نجم ١٩٧١، ج٩، ١٩٧٣، مطابع دار صادر، بيروت.

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ/٩٢٢م)
٤٩. تاريخ الرسل والملوك، ط دي گويه، بريل، ليدن ١٨٨١م، اعادت طبعه بالافوسيت مكتبة خياط، بيروت ١٩٦٤، ٣ اقسام، ١١ جزء. وطبعة محمد ابو الفضل، القاهرة، ١٩٧٩.

ابن عبدالحق، صفى الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)
٥٠. مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، ٣ اجزاء، دار احياء الكتب العربية، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه (١٣٧٣-١٣٧٤هـ/١٩٥٤-١٩٦٦م).

- ابن العربي، ابو الفرج غريغورس (هرون الملطي) (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)
٥١. تأريخ الدول السرياني، ترجمة: الخوري اسحق ارملة السرياني، المنشور في مجلة المشرق، المط الكاثوليكية، بيروت من السنة "المجلد" ٤٦ لسنة ١٩٥٢ الى السنة "المجلد" ٤٩ لسنة ١٩٥٥ .
- ابن العديم، كمال الدين ابي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله (٦٦٠هـ/١٢٦١م)
٥٢. زبدة الحلب من تأريخ حلب، تحقيق د. سامي الدّهان، المط الكاثوليكية، بيروت، ٣ اجزاء، ١٩٥٢، ١٩٥٤، ١٩٦٨.
- ابن العماد، ابو الفلاح عبدالحى بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)
٥٣. شذرات الذهب في اخبار من ذهب، مط القدسي، القاهرة، ط ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، ٨ اجزاء.
- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت حدود ٥٨٠هـ/١١٨٤م)
٥٤. الانباء في تأريخ الخلفاء، تحقيق د. قاسم السامرائي، لايدن، ١٩٧٣.
- ابن العميد، الشيخ المكين جرجس بن العميد (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م)
٥٥. اخبار الايوبيين، تحقيق كلود كاهن، باريس، ١٩٥٥.
- ابن ابي الهيجاء الهذلي الاربلي (ت ٧٠٠هـ/١٣٠١م)
٥٦. تأريخ ابن ابي الهيجاء، طبع مع تاريخ القضاعي، تحقيق: احمد فريد المزيدي، دار الكتب العالمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- الغسانى، ابو العباس اسماعيل بن العباس الملك الاشرف (ت ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)
٥٧. العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، ج ٢، تحقيق: شاكرو محمود عبدالمنعم، دار التراث الاسلامي، بيروت، دار البيان، بغداد، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- الفارقي، احمد بن يوسف بن علي بن الازرق (ولد ٥١٠هـ/١١١٦م)
٥٨. تاريخ الفارقي (الدولة المروانية)، تحقيق: د. بدوي عبداللطيف عوض، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٢ (١٩٧٤م).
- ابو الفداء، الملك المؤيد اسماعيل بن علي عمادالدين الايوبي الشافعي، صاحب حماه (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)
٥٩. تقويم البلدان، ط باريس، دار الطباعة السلطانية باعتناء رينود والبارون ماك كوكين ديسلان، ١٨٤٠مسيحية.
٦٠. المختصر في اخبار البشر، المط الحسينية المصرية، القاهرة، ١٣٢٥هـ، ٣ اجزاء.

- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)
٦١. تاريخ ابن الفرات، تحقيق ونشر: د. حسن محمد الشماخ، المجلد ٤، ج ١، مط حداد، البصرة ١٩٦٧/١٣٨٦م.
- ابن الفقيه، ابوبكر احمد بن محمد الهمذاني (ت اواخر ق ٣ هـ)
٦٢. مختصر كتاب البلدان، نشر دي كويه، مط بريل في ليدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م.
- ابن الفوطي، ابو الفضل كمال الدين عبدالرزاق البغدادي (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م)
٦٣. تلخيص مجمع الاداب في معجم اللقب، تحقيق د. مصطفى جواد، المط الهاشمية، دمشق، ١٩٦٢-١٩٦٧، ج ٤، بأقسامه الاربعة.
٦٤. الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، نسب الى ابن الفوطي خطأ، تحقيق د. مصطفى جواد، مط الفرات بغداد، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.
- الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب البكري (ت ٨١٧هـ/١٤١٥م)
٦٥. القاموس المحيط، ٤ اجزاء، مط شركة فن الطباعة، القاهرة، ١٩١٣.
- قُدّامة بن جعفر، ابو الفرج الكاتب البغدادي (ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م)
٦٦. الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق د. محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨١.
- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)
٦٧. آثار البلاد واخبار العباد، ط وستنفلد ١٨٤٩م، ط دار صادر ودار بيروت، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
- ابن القلانسي، ابو يُعلى بن اسد (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)
٦٨. ذيل تاريخ دمشق، تتلوه نخب من تواريخ الفارقي وسبط ابن الجوزي والحافظ الذهبي، من وضع امدرود، مط الالباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.
- القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي بن ابي اليمن القاهري الشافعي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
٦٩. صبح الاعشى في صناعة الانشا، المط الاميرية، القاهرة ١٩١٣-١٩٢٠م، ١٤ اجزاء.
٧٠. مآثر الأنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبدالستار احمد فراج، مط الكويت، ١٩٦٤.
- ابن الكازروني، الشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م)
٧١. مختصر التاريخ من اول الزمان الى منتهي دولة بني العباس، تحقيق د. مصطفى جواد، مط الحكومة، بغداد، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

- الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد الحلبي (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م).
٧٢. عيون التواريخ، تحقيق د. فيصل السامر ونبيلة عبدالمنعم داود، وزارة الاعلام، سلسلة كتب التراث، بغداد، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٧٣. فوات الوفيات، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، مط السعادة، القاهرة، ١٩٥١م، ٢ جزء.
- ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).
٧٤. البداية والنهاية في التاريخ، مط السعادة، القاهرة، ١٩٣٢، ١٤ جزءاً.
- الكشغري، محمود بن الحسين بن محمد (الف كتاب سنة ٤٦٦هـ)
٧٥. ديوان لغات الترك، ط١، عامرة، استنبول ١٣٣٣هـ، ٣ اجزاء.
- ابن المستوفي، شرف الدين ابو البركات المبارك بن احمد الاريللي (ت ٦٣٧هـ/١٢٣٩م)
٧٦. تاريخ اربل المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل، ق١+٢، تحقيق سامي بن السيد خماس الصقار، المركز العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠.
- مسعر بن مهلهل، ابو دلف الخزرجي، (ت بعد سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م)
٧٧. الرسالة الثانية، نشر وتحقيق بطرس بولغاكوف وانس خالدوف، مط مخيمر، القاهرة، ١٩٧٠.
- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م)
٧٨. التنبيه والاشراف، ط ليدن، ١٨٩٣، اعادت طبعة بالافوسيت، مكتبة خياط، بيروت.
٧٩. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبدالحميد، مط السعادة بمصر ١٩٥٨، ٤ اجزاء، وط بيروت ١٩٦٦.
- مسكويه، ابو علي محمد بن احمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م)
٨٠. تجارب الامم وتعاقب الهمم، نشر آمدرزون، مط التمدن الصناعية بمصر المحمية ١٣٣٢-١٣٣٣هـ/١٩١٤-١٩١٥م، ٢ جزء.
- المقدسي، البشاري، ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد (ت ٣٨٧هـ/٩٩٧م)
٨١. احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ليدن، مط بريل ١٩٠٦، اعادت طبعه بالافوسيت مكتبة المثنى ببغداد.
- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)
٨٢. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٤، ٤ اجزاء.

٨٣. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة بولاق، ١٢٧٠هـ، ج٢.

مؤلف مجهول

٨٤. فصول من تأريخ الباب وشروان، وهي موجودة في كتاب جامع الدول، نشرها وعلق عليها، ف. مينورسكي، كمبردج، ١٩٥٨.

٨٥. باب في الشدّادية، استند فيه منجم باشي على تأريخ قديم ألف حوالي سنة ٥٠٠هـ، عني بتحقيقه ونشره: فلاديمير مينورسكي، كمبردج، ١٩٥٨.

ابن ممّاتي، ابو المكارم اسعد بن الخطير ابي سعد مهذب بن مينا بن زكريا بن ابي قدامة بن ابي مليح ممّاتي المصري (ت٦٠٦هـ/١٣٢٠م)

٨٦. قوانين الدولة، جمع وتحقيق: عزيز سوريال عطية، مط مصر، القاهرة، ١٩٤٣م.

ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي المصري (ت٧١١هـ)

٨٧. لسان العرب، ط دار لسان العرب، بيروت (بلا)، ٣مج.

٨٨. سفرنامه، نقله الى العربية وقدم له وعلق عليه: د. يحيى الخشّاب، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت٣٨٣هـ/٩٩٣م)

٨٩. الفهرست، ط گوستاف فلوگل ١٨٧٢م، اعادت طبعه بالافسيت مكتبة خياط بيروت.

النرخشي، ابوبكر بن جعفر (ت٣٤٨هـ/٩٥٩م)

٩٠. تأريخ بخارى، عربيّه عن الفارسية: د. امين عبدالمجيد بدوي، ونصرالله مبشر الطرازي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.

النسوي، محمد بن احمد (ت٦٣٩هـ/١٢٤١م)

٩١. سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ احمد حمدي، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٣.

ابن النظام، الوزير العالم محمد بن محمد بن عبدالله ابن النظام الحسيني اليزدي (ت٧٤٣هـ/١٣٤٢م)

٩٢. العُرَاضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق: د. عبدالنعم محمد حسنين، و د. حسين امين، مط جامعة بغداد، ١٩٧٩.

النويري، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)

٩٣. نهاية الارب في فنون الادب، مط دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٩-١٩٥٥)، ١٨ جزءاً.

- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م)
٩٤. مفرج الكروب في اخبار بني ايوب، ج ١-٣، تحقيق د. جمال الدين الشيال، ١٩٥٣، ١٩٥٧، ١٩٦٠، ج ٤، تحقيق: د. محمد حسنين ربيع، مط دار الكتب المصرية، ١٩٧٢.
- ابن الوردي، الشيخ زين الدين عمر بن الوردي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)
٩٥. تاريخ ابن الوردي، "ذيل المختصر في اخبار البشر"، المط الحيدرية، النجف، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، جزءان.
- ياقوت الحموي الرومي، شهاب الدين ابو عبدالله (٦٢٦هـ/١٢٢٨م)
٩٦. معجم البلدان، ط وستنفلد، لايبزج في ليدن ١٨٧٠-١٨٦٦م، ٥ اجزاء.
- اليعقوبي، احمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح (ت بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م)
٩٧. تاريخ اليعقوبي، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها بالنجف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ٣ اجزاء.
٩٨. كتاب البلدان، المط الحيدرية، النجف ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م.

المراجع العربية:

- د. احمد كمال الدين حلمي
٩٩. السلاجقة في التاريخ والحضارة، مط الحرية، ط ١، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.
- آدي شير (رئيس اساقفة سعرد الكلداني) (ت ١٣٣٣هـ/١٩١٥م)
١٠٠. الالفاظ الفارسية المعربة، المط الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٨م.
- اديب السيد
١٠١. ارمينية في التاريخ العربي، المط الحديثة، حلب، ١٩٧٢م.
- بارتولد، فازيلي (فلاديمير وفتش) (١٨٦٩-١٩٣٠م)
١٠٢. تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: احمد السعيد سليمان، القاهرة، ١٩٥٨.
١٠٣. تركستان من الفتح العربي الى الغزو المغولي، نقله من الروسية: صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

^١ لانه ذكر موسم حج سنة ٢٩٢هـ.

- الباشا، د. حسن الباشا
١٠٤. الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، مط لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٧.
- براون، ادوارد جرانفيل
١٠٥. تاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي، نقله الى العربية: د. ابراهيم امين الشواربي، مط السعادة، مصر، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
- البستاني، بطرس
١٠٦. محيط المحيط، بيروت، ١٨٧٠.
- التونجي، د. محمد
١٠٧. حول الادب في العصر السلجوقي، منشورات مكتبة قورينا، بنغازي، ليبيا، ط١، ١٩٧٤.
- جب، السير هاملتون. آر.
١٠٨. دراسات في حضارة الاسلام، ترجمة: د. احسان عباس، د. محمد يوسف نجم، د. محمد زايد، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٤.
- حلمي زاده
١٠٩. أذربيجان السوفيتية، دار التقدم، موسكو، بلا.
- حاجي خليفة، كاتب چلبى (١٠٦٧هـ/١٦٥٧م).
١١٠. كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون، ط. فلوگل، ليبسك، ١٨٣٥-١٨٥٨م، ج٢.
- حافظ احمد حمدي
١١١. الدولة الخوارزمية والمغول، مط الاعتماد بمصر، ١٩٤٩.
١١٢. الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي، مط الاعتماد بمصر، ١٩٥٠.
- د. حسن ابراهيم حسن
١١٣. تأريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، نشر مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣-١٩٦٧م، ٤ اجزاء.
- د. حسن احمد محمود، د. احمد ابراهيم الشريف
١١٤. العالم الاسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٧٧م.
- د. حسين امين
١١٥. تاريخ العراق في العصر السلجوقي، مط الارشاد، بغداد، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
- خانجي، القس انطون
١١٦. مختصر تواريخ الارمن، اورشليم، ١٨٦٨م.

د. رضا زاده شفيق

١١٧. تاريخ الادب الفارسي، ترجمة: د. محمد موسى هندايي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٦٦هـ/١٩٤٧م.

زامباور، ادوار فون

١١٨. معجم الانساب والاسر الحاكمة في التأريخ الاسلامي، ترجمة: د. زكي محمد حسن، حسن احمد، مط جامعة فؤاد الاول، القاهرة، ١٩٥١-١٩٥٢، جزءان.

الزبيدي، ابو الفيض محب الدين محمد مرتضى الحسيني الواسطي (ت ١٢٠٦هـ/١٧٩١م)

١١٩. تاج العروس من جواهر القاموس، المط الخيرية، مصر، ١٣٠٦-١٣٠٧هـ، ١٠ اجزاء.

الزركلي، خير الدين

١٢٠. الاعلام، قاموس تراجم، ط٣، بيروت، ١٠ اجزاء.

زكي محمد حسن

١٢١. صفحات عن ايران، مطبعة مخيمر، ط١، القاهرة، ١٩٦٠.

الصياد، د. فؤاد عبدالمعطي

١٢٢. المغول في التأريخ، مطابع دار الكتب، بيروت، ١٩٧٠، جزءان.

ضيابونيا توف، ضياء الدين موسى يفيج (الدكتور)

١٢٣. تاريخ ازبيجان بين القرن السابع والتاسع الميلادي، (بالروسية)، باكو، ١٩٦٥، (رسالة دكتوراه)

الضابط، شاكور صابر

١٢٤. موجز تاريخ التركمان في العراق، مط المعارف، بغداد، ١٩٦١، جزءان.

طرخان، ابراهيم علي (الدكتور)

١٢٥. النظم الاقطاعية في الشرق الاوسط في العصور الوسطى، دار العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

طه ندا (الدكتور)

١٢٦. فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٦.

١٢٧. دراسات في الشاهنامة، الدار المصرية للطباعة، الاسكندرية، ١٩٥٤.

العبادي، د. احمد مختار

١٢٨. في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧١.

عبدالنعيم محمد حسنين (الدكتور)

١٢٩. دولة السلجوق، المط الفنية الحديثة، مصر، ١٩٧٥.

١٣٠. سلاجقة ايران والعراق، مط السعادة، القاهرة، ط٢، ١٣٨٠هـ/١٩٧٠م.

١٣١. نظامي الكنجوي، شاعر الفضيلة، عصره وبيئته وشعره (رسالة دكتوراه)، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

العبدود، نافع توفيق (الدكتور)

١٣٢. الدولة الخوارزمية، نشأتها، علاقتها مع الدول الاسلامية، نظمها العسكرية والادارية ٤٩٠-٦٢٨هـ/١٠٩٧-١٢٣١م. (رسالة ماجستير)، مط الجامعة، بغداد، ١٩٧٨.

العزّاوي، عباس (المحامي)

١٣٣. عشائر العراق الكردية، الجزء الثاني، مط المعارف، بغداد، ١٩٤٧.

د. عمادالدين خليل

١٣٤. عمادالدين زنكي، رسالة ماجستير، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

غرابية، عبدالكريم

١٣٥. العرب والترك، مط جامعة دمشق، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

فامبري، ارمينوس

١٣٦. تأريخ بخارى منذ اقدم العصور حتى وقتنا الحاضر، شركة الاعلانات الشرقية، القاهرة.

فوزي خلف شويل

١٣٧. ايران في سنوات الحرب العالمية الاولى، رسالة ماجستير من جامعة بغداد (بالرونيو)، آذار ١٩٨٣.

القرّان، محمد صالح داود (الدكتور)

١٣٨. الحياة السياسية في العراق في العصر العباسي الاخير (٥١٢-٦٥٦هـ)، مط القضاء، النجف، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

صلاح الدين امين طه (الدكتور)

١٣٩. الحياة العامة في ارمينية، دراسة في اوضاعها الادارية والاجتماعية والاقتصادية، ٣٠-٢٤٧هـ/٦٥١-٨٦٢م، رسالة دكتوراه من جامعة بغداد (بالرونيو) ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

لسترنج، كي

١٤٠. بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس و غورگيس عواد، مط الرابطة، بغداد، ١٩٥٤.

لينبول، ستانلي

١٤١. طبقات سلاطين الاسلام، ترجمه عن الفارسية مكّي طاهر الكعبي، حققه علي البصري، دار منشورات البصري، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

ماري بن سليمان

١٤٢. كتاب فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجلد، ط رومية الكبرى ١٨٩٩م.

متن، آدم

١٤٣. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: د. محمد عبدالهادي ابو ريّدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م، جزءان.
د. محسن محمد حسين.

١٤٤. اربيل في العهد الاتاكي، بحث في اوضاعها السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية، (رسالة ماجستير)، مط اسعد، بغداد ١٩٧٦.

محمد امين زكي

١٤٥. تأريخ الدول والامارات الكردية في العهد الاسلامي، ترجمة: محمد علي عوني، مصر ١٩٤٨.

١٤٦. خلاصة تأريخ الكرد وكردستان، ترجمة: محمد علي عوني، ط١، السعادة بمصر ١٩٣٩م، ط٢، مط صلاح الدين، بغداد، ١٩٦١م.

محمد جاسم حمّادي

١٤٧. الجزيرة الفراتية والموصل، دراسة في التأريخ السياسي والاداري (١٢٧-٢١٨هـ/٧٤٤-٨٣٣م)، رسالة ماجستير (بالرونيو)، من جامعة بغداد، ١٩٧٧م.

د. محمد السعيد جمال الدين

١٤٨. دولة الاسماعيلية في ايران، مطابع سجل العرب، القاهرة، ١٩٧٥.

محمد غنيمي هلال

١٤٩. مختارات من الشعر الفارسي، القاهرة، ١٩٦٥.

النقشبندى، حسام الدين علي غالب

١٥٠. الكرد في الدينور وشهرزور في القرنين الرابع والخامس الهجريين، رسالة ماجستير (بالرونيو) من جامعة بغداد، كانون الثاني ١٩٧٥.

هنتس، فالتر..

١٥١. المكايل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، الجامعة الاردنية، ١٩٧٠.

يوسف عزت باشا

١٥٢. تأريخ القوقاز، تعريب عبدالحميد غالب بك، مط عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣ م.

يعقوب اوجين منّا

١٥٣. دليل الراغبين في لغة الآراميين، مط دير الاباء الدومنيكيين، الموصل، ١٩٠٠ م.

المصادر الفارسية:

ابن اسفنديار، بهاء الدين محمد بن حسن

١٥٤. تاريخي طبرستان، باعتناء عباس اقبال، طهران ١٣٢٠، ٣ اقسام.

الجوربادقاني، ابو الشرف ناصح بن ظفر

١٥٥. ترجمة عن تاريخي يميني، ط جعفر شعار، طهران، ١٣٤٥ ش.

الجويني، علاء الدين عطا ملك (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢ م)

١٥٦. تاريخ جهانگشاي، تحقيق: محمد بن عبد الوهاب قزويني، مط بريل-ليدن ١٣٣٤هـ/١٩١٦ م، ٣ مجلد.

ابو حامد محمد بن ابراهيم

١٥٧. ذيل سلجوقنامه (الف سنة ٥٩٩هـ)، نشر في نهاية السلجوقنامه لظهر الدين نيشابوري.

حمد الله المستوفي، حمد الله بن ابي بكر بن احمد بن نصر المستوفي القزويني

(ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩ م)

١٥٨. تاريخ گزيده، باهتمام دكتور عبد الحسين نوائي، چاپخانه فردوسي، تهران ١٣٣٦هـ.

١٥٩. نزهة القلوب في المسالك والممالك، باهتمام لسترنج، ط ليدن، ١٣٣١هـ/١٩١٣ م.

خواندامير، غياث الدين بن همام الدين الحسيني (ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥ م)

١٦٠. تاريخ حبيب السير في اخبار افراد بشر، چاپخانه حيدري، طهران، ١٣٣٣ ش/١٩٥٥ م، جزء ٤، مجلد ٢.

دولتشاه بن بختشاه السمرقندي (ت ٨٩٢هـ/١٤٨٦ م)

١٦١. تذكرة الشعراء، ط براون-ليدن، ١٣١٨هـ/١٩٠٠ م.

ديوان اثيرالدين اخسيكتي (ت ٦٥٧هـ)

١٦٢. بتصحيح ومقابله وشرح حال ركن الدين همايون فرخ، چاپ زهره، ١٣٣٧.

ديوان حسان العجم، افضل الدين بديل بن علي (خاقاني الشرواني)

١٦٣. ترجمة محمد عباس، مؤسسة مطبوعات امير كبير، تهران، چاپي پيرون، ١٣٣٦ شمسي.

ديوان رشيدالدين وطواط (ت ٥٧٣هـ، ١١١٧م)

١٦٤. با مقدمة ومقابله وتصحيح سعيد نفيسي، چاپخانه رنگين، تهران، ١٣٣٩هـ.ش.

ديوان ظهير فاريابي، ظهيرالدين ابو الفضل طاهر بن محمد الفاريابي البلخي (ت ٥٩٨هـ)

١٦٥. بكوشش تقى بينش، چاپخانه طوس، مشهد ١٣٣٧هـ.ش.

عوفي، محمد

١٦٦. لباب الالباب، تحقيق سعيد نفيسي، چاپ اتحاد، طهران ١٣٣٥هـ.ش، جلد ٢.

القزويني، يحيى بن عبداللطيف الحسيني

١٦٧. لب التواريخ، نشر سيد جلال، من منشورات مؤسسة خاور، مطبعة يماني ١٣١٤.

الكرماني، افضل الدين (ابو حامد احمد بن حامد الكرمانى)

١٦٨. عقد العلى للموقف الاعلى (الف سنة ٦٨٤هـ)، نشر محمد نائيني، تهران، ١٣١١هـ.ش.

١٦٩. بدايع الازمان في وقايع كرمان او تاريخ افضل، كتب مقدمتها د. مهدي بياني، طهران، ١٣٢٦هـ.ش.

الگرديزى، ابو سعيد عبدالحى بن الضحاک بن محمود (ت حدود سنة ٤٤٠هـ)

١٧٠. زين الاخبار، مطبعة ايرانشهر، برلين ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، تحقيق محمد ناظم.

مؤلف مجهول (الف سنة ٣٧٢هـ)

١٧١. حدود العالم من المشرق الى المغرب، تحقيق: دكتور منوچهر ستوده، چاپخانه دانشگاه

تهران، ١٣٤٠هـ.

مؤلف مجهول (الف سنة ٥٢٠هـ)*

١٧٢. مجمل التواريخ والقصص، بتصحيح ملك الشعراء بهار، چاپخانه خاور، ١٣١٨

شمسى.

* عثر اخيراً على اسم مؤلفه، وهو: ابو شادي اسد آبادي.

ناصری

۱۷۳. طبقات ناصري، باهتمام حبيبي، ط كلكتا، ۱۸۶۴، جزءان.

نصیرالدین، ابو الرشید عبدالجلیل

۱۷۴. بعض مثالب النواصب في نقض بعض فضائح الروافض (كتاب النقض)، تهران، ۱۳۳۱.

نیشابوری، خواجه امام ظهیرالدین نیشابوری (ت حوالي ۵۸۲هـ/۱۱۸۶م)

۱۷۵. سلجوقنامه، چاپخانهء خاور، ۱۳۲۲ شمسی، وفيه ذیل سلجوقنامه لابی حامد محمد بن ابراهیم.

هندوشاه بن سنجر بن عبدالله الصاحبی النخجوانی (ت ۷۲۴هـ)

۱۷۶. تجارب السلف، بتصحيح واهتمام: عباس اقبال، مطبعة فردین، تهران، ۱۳۱۳هـ.ش.

المراجع الفارسیة والکردیة والترکیة:

احمد توحید

۱۷۷. موزه همایون، مسکوکات قدیمه اسلامیة قتالوغی، ق ۴، قسطنطنیة، محمود بك مطبعة سی، ۱۳۲۱هـ (بالترکیة).

اقباس، عباس

۱۷۸. وزارت در عهد سلاطین بزرگ سلجوقی، تحقیق محمد تقی دانش ویحیی ذکاء، طهران، ۱۳۳۸هـ.ش/۱۹۱۹م.

د. ذبیح الله صفا

۱۷۹. تاریخ ادبیات ایران، چاپخانهء سپهر، تهران، ۲۵۳۵ شاهنشاهی، جلد ۱.

رازی، امین احمد (ت ۱۰۱۰هـ)

۱۸۰. هفت اقلیم، تصحیح وتعلیق جواد فاضل، طبع کتابفروشی علي اكبر وكتابخروشی ادبیة، بلا، جلد ۲.

زركوب، ابو العباس احمد

۱۸۱. شیرازنامه، مقدمه بهمن کریمی، طهران، ۱۳۵۰هـ.ش.

سعدی نامه

۱۸۲. مجموعة مقالات في العيد السبعمئواوی للگلستان، مقال محمد بن عبدالوهاب القزويني: ممدوحین شیخ سعدی شیرازی، ط ۱۳۶۵هـ.ش.

شمس الدین سامی

۱۸۳. قاموس الاعلام (بالترکیة)، مهران مطبعة سی، استانبول ۱۳۰۶-۱۳۱۴هـ، ۶ مجلدات.

قزوینی

۱۸۴. یادداشت‌های قزوینی، تحقیق ایرج افشار، مط دانشگاه تهران، ۱۳۴۱ ش. جلد ۶.

کسروی، سید احمد کسروی تبریزی (ت ۱۹۴۵)

۱۸۵. شهریاران گمنام، چاپ پیروز، طهران، ط ۱، ۱۹۲۹-۱۹۳۰، ۳ اجزاء.

۱۸۶. آذری بازیان باستان آذربایگان، طهران، ۱۳۰۴ هـ.

مردوخ، شیخ محمد

۱۸۷. میثروی کوردو کوردستان، ترجمة: محمد فدا، مط النجاح، بغداد، ۱۹۵۸، جزءان

(بالکردية)

موکریانی، حسین حزنی

۱۸۸. کوردستانی موکریان یا آتروپاتین (آذربایجان)، مط زاری کرمانجی، ط ۱، رواندن،

۱۹۳۸، ج ۱، (بالکردية).

مینورسکی، فلادیمیر

۱۸۹. تاریخ تبریز، ترجمة عبدالعلی کارنگ، تبریز، چاپخانه شفق، ۱۳۳۷.

هدایت، رضا قلی خان

۱۹۰. تذکره ریاض العارفین، تحقیق مهدی علی کرگانی، چاپخانه زهره، طهران،

۱۳۴۴ شمسی.

همدانی، علی اصغر شمیمی

۱۹۱. جوغرافیای کوردستانی نیران (بالکردية)، المجمع العلمي العراقي = الهيئة الكردية،

۱۹۸۰.

وزارت فرهنگ

۱۹۲. کتاب جغرافی، سال سوم، دبیرستانها، چاپخانه علمی، ۱۳۲۴ شمسی.

المقالات والبحوث:

دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة العربية القديمة، المقالات:

۱۹۳. بارتولد: آنی، الترك، بوزورث: الایلدگریه. شترک: آذربایجان، اردبیل، برزند. سویرنهیم:

اقطاع، جاندار. مینورسکی: اُرمیه، اُزیک، آشنه، سلمااس. هوتسما: طغرل الثاني، هیوار:

خوی، ظهیر فاریابی.

- دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة، (١٩٦٩)، المقالات:
١٩٤. بارتولد: آني، ابخان، الترك. بوزورث وميرزا بالا: الايلدگزيه. احمد جعفر اوغلي: آذري، فراي. برزندن آرآن، اردبيل. مينورسكي: النجق، آني، ابخان، ازيك، أرمية، أرم، تارم (بلاد الطرم)، تبريز، الاحمديلية. هيوار: النجق.
- دائرة معارف البستاني، لسنة ١٨٧٧م/١٢٩٤هـ
١٩٥. مادة أذربيجان، ج ٢.
- مجلة المجمع العلمي العراقي
١٩٦. مقال: توفيق وهبي: القصد والاستطراد في اصول معنى بغداد، ج ١، ١٩٥٠.
١٩٧. مقال: د. صالح احمد العلي، امتداد العرب في صدر الاسلام، ج ١، مجلد ٣٢، ١٩٨١.
- مجلة المريد، البصرة، كلية الاداب
١٩٨. مقال: ضيابونيا توف، فتح العرب لمقاطعة اذربيجان، ترجمة د. نوري السامرائي، عدد ٢-٣/١٩٦٩.

المراجع الاجنبية:

- Alyari, Husanin,**
١. Azerbaijan Atabegleri. il-Deniz Ogullari (١١٤٦-١٢٢٥) ٢٤P. Istanbul, ١٩٦٦.
- Amedroz, H. F.,**
٢. The Sallari and Rawwadi, Rullers of Aderbeidjan (J.R.A.S.), London ١٩٠٩.
- Bosworth, C. E.,**
٣. The Political and dynastic History of the Iranian World, ١٠٠٠-١٢١٧ A.D.), Cambridge History of Iranian, Vol., ٥, ١٩٦٦. The Cambridge History of Iran, Vol., ٤, mirror dynasties of Northern Iran, VIII.
٤. The Sijides, Sallarids and Rawwadids.
- Cluad Cahen.**
٥. Enc. Islamic (New ed). Vol., ١.
- Curzon, Hon George N.**
٦. Persia and the Persian question, Vol., ١., London ١٩٨٢.
- Jackson, A. V. Williams (١٨٦٢-١٩٣٧)**
٧. Persia past and present, New York and London ١٩٧٥, (Reprinted from ١٩٠٦ ed.)
- Kinneir, Sir John Macdonald**

٨. A Geographical Memoir of the Persian Empire, New York ١٩٧٣,
(Reprint Edition from ed. Of London, ١٨١٣).

Luther, Kenneth A., Ann Arbor.

٩. Ravandis`report. On the administrative change`s of Muhammad jahan Pahlavan., Article in Iran and Islam, C. E. Bosworth, Editor, Edinburgh University of Press, ١٩٧١.

Lone-pool, Stanly

١٠. S
aladin and the fall of kingdom of Jerusalem, London ١٩١٤.

Maloolm, Sir John, (١٧٦٩-١٨٣٣)

١١. T
he History of Persia, from the Most Early period to the present time, Vol., ١,
London ١٨٢٩.

V. Minorsky;

١٢. A History of Sharvan and Darband in the ١٠th ١١th Centuries, heffer and Sons Ltd., Cambridge, ١٩٥٨.

(في الجهة اليمنى من الكتاب: فصول من تأريخ الباب وشروان، الفت حوالي عام ٤٩٨هـ). لمؤلفه مسعود بن نامدار).

١٣. Hudud al-A`lam (٢٧٢/٩٨٢); Translated and explained by V. Minorsky, Oxford-London ١٩٣٧.

١٤. Iranica, Twenty Articles, ١٩٦٤, Publications of the Universty of Tehran, Vol., ٧٧٥.

١٥. Studies in Coucasian History, London: Taylors Foreign Press, ١٩٥٣.

١٦. Trans Caucasian, J.R.A.S. July ١٩٣٠.

Schefer,

١٧. Siasset nameh, Par Nizam Oul-Mulk.

A. Z. Validi-Togan,

١٨. "Azerbaycanon tarihi Gografyasi" Azerbaycan yurt bilgisi, Istanbul, ١٩٣٢.



جداول بنسب بعض الاسر العربية الحاكمة في أذربيجان^١

١. جدول نسب بني الرواد الأزدية (حكام تبريز):



٢. جدول حكام مرند (من بني عتبة):



^١ اعتمدنا في اعداد هذه الجداول على المصادر المذكورة في سياق البحث، وعلى جداول احمد كسروي، في كتابه: شهریاران گمنام ٥٢٥/٢.

٣. جدول حكام نريز:

مرّ بن علي الطائي الموصلّي

علي (١٩٨-٢٢٣هـ)

ابو الرّديني عمر

(٢٦٠-٢٦١هـ)

محمد

٣. جدول حكام أرميه:

صدقة بن دينار (مولى الأزد)

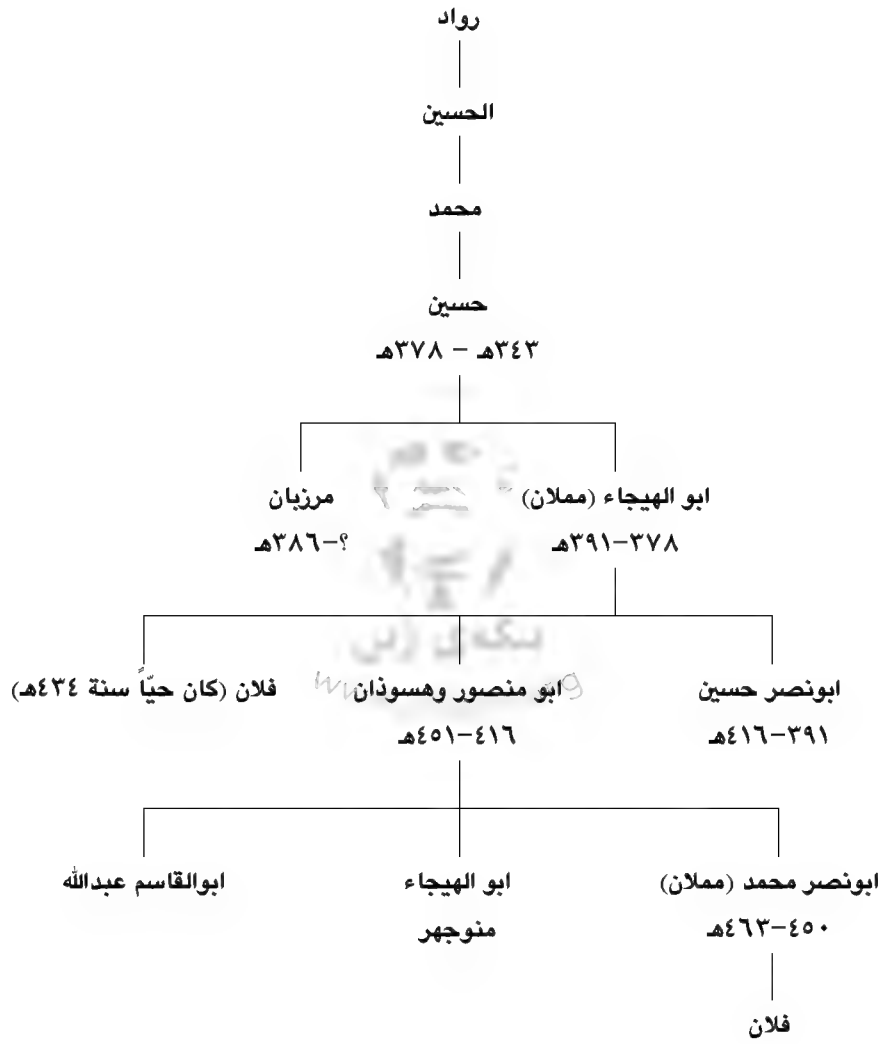
علي

صدقة (زريق)

(٢٠٩-٢١٢هـ)

علي

شجرة نسب "بنو الرواد" الهذبانيين
 ٣٤٣هـ - ٤٦٩هـ / ٩٥٤ - ١٠٧٦م - ١٠٧٧م



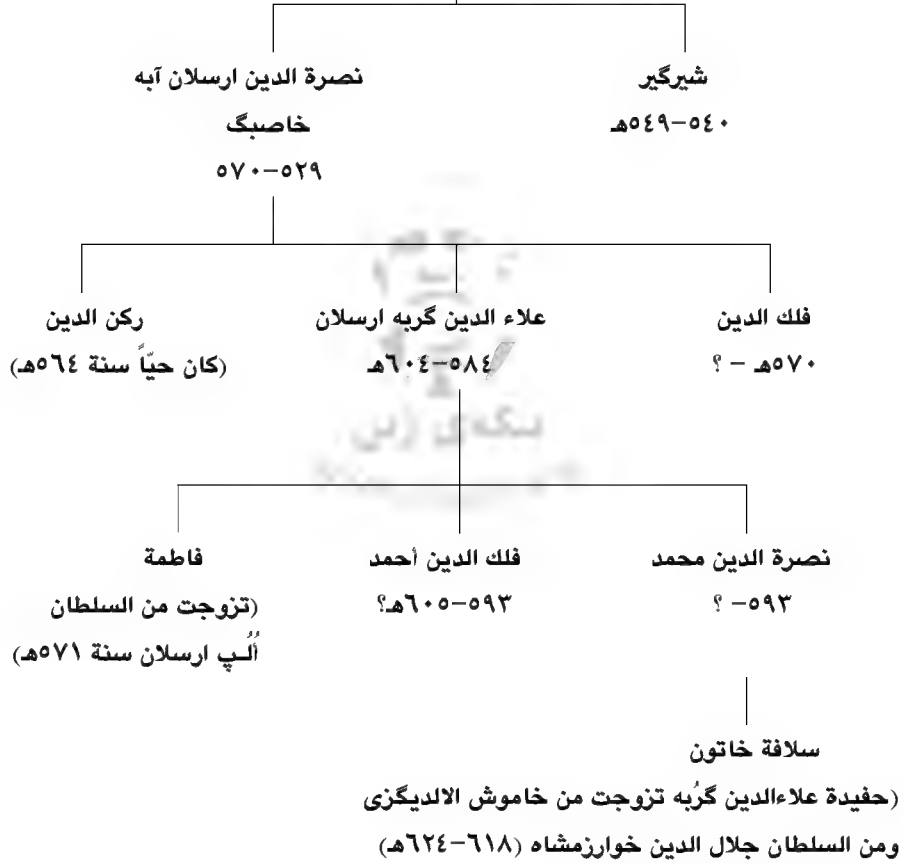
شجرة نسب الاحمديلية

احمديل بن ابراهيم بن وهسودان الروادي الكردي

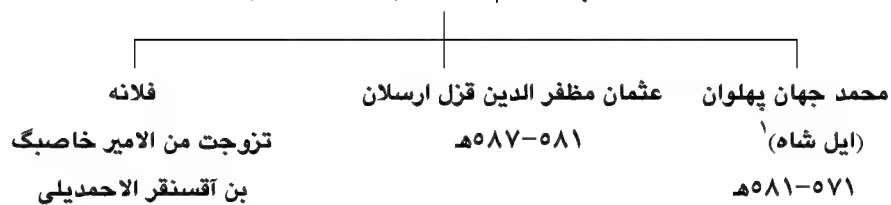
٥٠١-٥١٠ هـ (١١٠٧-١١١٦ م)

او المظفر آق سنقر الاحمديلي

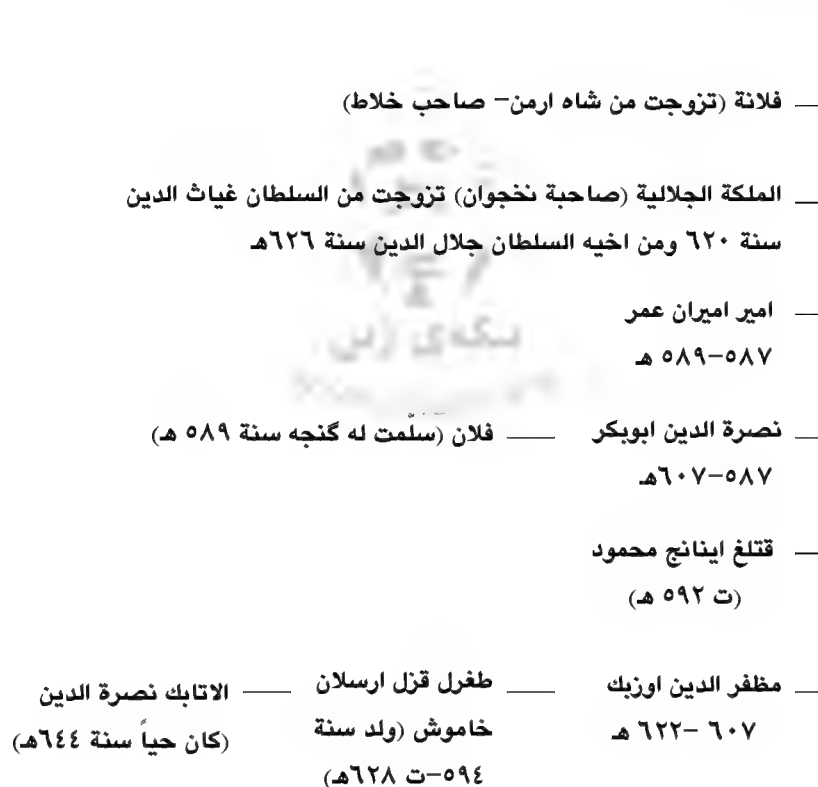
٥١٠-٥٢٧ هـ (١١١٦-١١٣٣ م)



شجرة نسب اتابكة بني ايلدگز
الاتبك الاعظم ايلدطر (٥٣٠ - ٥٧١ هـ)



عثمان مظفر الدين قزل ارسلان
٥٨١-٥٨٧ هـ



^١ ينفرد سبط ابن الجوزي بتسميته: ايل شاه. مرآة الزمان (ج ٨ ق ٣٣٠/١)، الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ٨، و ١٠ ب.





Azerbaijan

(٤٢٠-٦٥٤/١٠٢٩-١٢٥٦)

A Study of the political and cultural of the province

By

Husam Al-Deen Ali Ghaleb Al-Nekeshbandy

Summery of the Reseearch

The Azerbaijan province is considered to be one of the most important region of the Moslem-Arab state. Lying on the border of Muslim Rome. Armenia and Gorjistan, it constituted a formidable defence of the Muslim state. It's governors used to guard the moslem state a gainst the raids and attacks raged by the neibouring countrig. Lying of the route between Bilad Al-Jibal, the country of Mountains' and Tibrstan and Dailam, on the one hand, and the province of Aran, Armenia and Gorjistan, on the others, the province enjoyed a significant commercial position. Besides, the country was rich and prosperous because of it's fertile plains.

During the period of (٤٢٠-٦٥٤ A.H. ١٠٢٩-١٢٥٦A.D.) the province witnessed the amergence of Ogus Seljuks, who established the dynasty of Attabeks, which influenced the political, administrative, military cultural, and economic conditions of the area. These Attabeks became the real rulers of the land and the Sultans enjoyed no real authority at all.

In that period emerged three dynasties in the province they were; the Kurdish Rawadis, the Ahmadillis and the Attabek of Eldigez. The last exercised the strongest influence and dominated an extensive area including Azerbaijan, Arran, the Jibal Province, Ray, hamadan, Isfahan and others. At the advent of the thirteenth century, the province again witnessed the emergence of Mongols, which shook and terrorized the country, causing about the downfall of the Attabeks in ١٢٢١ A.D.

The dissertation includes three main parts. The first part is devoted to the geographic and demographic characteristics of the area. The first chapter deals with the boundary of the province, its name, its origin, the nature of the land, its mountains, rivers, plains and towns. The second chapter is devoted to the population composition of the province, the Arab settlements, their sites and influences. The Rawwadis family, who belong to the Arab clan of "Izd" is well detailed in this letter. Then the study focuses on the Kurds of Azerbaijan, the indigenous inhabitants of the area, their settlements and their homes. Worthy to mention her is it is worth to mention here that Banu Rawad, who belong to

Hathbanis, a vigorous Kurdish tribe. The last chapter of part I is concerned about the Seljuk Turks, poured into the land at the beginning of the eleventh century and turned it their home, where they currently form a majority of the population. In this chapter Armenians and Dailams are briefly studied.

